المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة طيبة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الدراسات الإسلامية

منهج ابن خزيمة في تقرير العقيدة والرد على المخالفين

رسالة مُقدّمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير

في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالبة:

هالة بنت علي أحمد كماخي

إشراف:

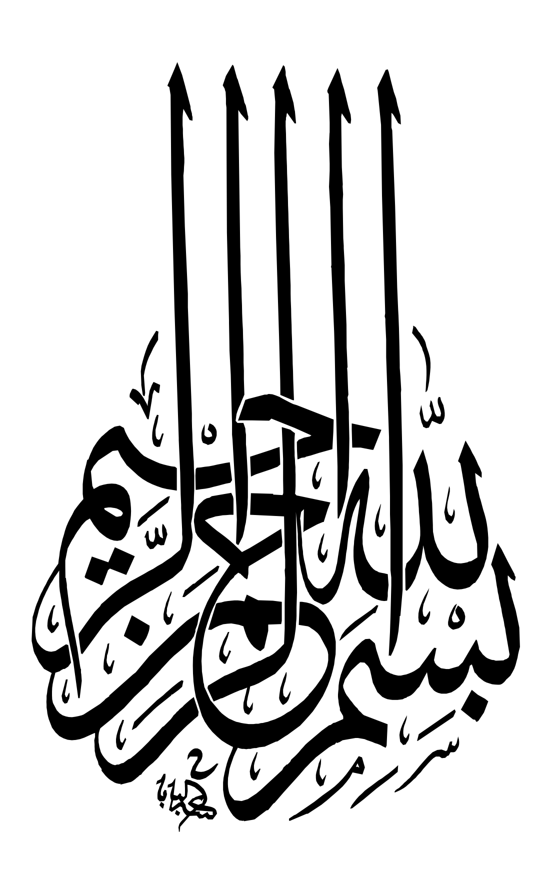
د. بسمة بنت أحمد محمد جستنيه

أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة طيبة

وعميدة الدراسات الجامعية

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



قرار توصية اللجنة

- قبول الرسالة والتوصية نح الدرجة.
- قبول الرسالة مع إجراء بعض التعديلات، دون مناقشتها مرة أخرى(١).
- استكمال أوجه النقص الرسالة، وإعادة مناقشتها(٢).
- عدم قبول الرسالة.

تعقيبات أخرى:

....
....
....
....
....

التوقيعات(٣)

مقرِّر اللجنة	عضو	عضو	عضو	عضو

الاسم:

التوقيع:

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) في حال الأخذ بهذه التوصية، يفوض أحد أعضاء لجنة المناقشة بالتوصية بمنح الدرجة بعد التأكد من الأخذ بهذه التعديلات، في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر من تاريخ المناقشة، ولمجلس الجامعة الاستثناء من ذلك بناء على توصية لجنة الحكم ومجلس عمادة الدراسات العليا.

(٢) في حال الأخذ بهذه التوصية، يحدد مجلس عمادة الدراسات العليا بناء على توصية مجلس القسم المختص موعد إعادة المناقشة، على ألا يزيد ذلك على سنة واحدة من تاريخ المناقشة الأولى.

(٣) في حال الاختلاف في الرأي، لكل عضو من أعضاء لجنة الحكم على الرسالة، حق تقديم ما له من مرئيات مغايرة أو تحفظات، في تقرير مُفصَّل إلى كل من رئيس القسم، وعميد الدراسات العليا، في مدة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ المناقشة.

شكر وتقدير

أحمد الله حمد الشاكرين، وأثني على ربي ثناء من تمت له الصالحات، فله الحمد أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا أن أتم علي النعمة بإنهاء عملي في هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يكون عملاً صالحاً متقبلاً.

وأستهل ثنائي بشكر من أحاطتني بخالص حبها ودعائها والدتي الحبيبة، أطال الله عمرها، ومتعني بتمام صحتها.

ثم إنني أقدم حروف الشكر وكلماته لزوجي الدكتور صالح عبدالعزيز سندي الذي صَدَقني بثمين وقته ووافر عونه، أقر الله عينه برضاه، وأوفى له الأجر والمثوبة.

ومن ثم أبنائي -حفظهم الله- الذين شاركوني الجهد والعناء.

والشكر أجزله والثناء أعطره وأزكاه -بعد شكر المولى- للدكتورة الكريمة الفاضلة: بسمة أحمد محمد جستنيه التي رافقتني مسيرتي، فأفادت بدقيق الملاحظات وصادق النصح قولاً وعملاً، مع تواضع وصبر وسمو خلق؛ فاللهم مُنّ عليها بفضلك، وبارك لها في علمها وعملها وعمرها، وثقِّل بكل ما بذلته موازينها.

وأقدم شكري الوافر لجامعة طيبة، على كريم عنايتها وواسع بذلها في خدمة العلم وأهله، وأخص منها: رئيس قسم الدراسات الإسلامية الدكتور: عبدالله دمفو، وسلفيه الكريمين الدكتور: سامي القليطي والدكتور علي الحربي.

ولا يفوتني تقديم شكري للأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة الذين تفضّلا بقبول مناقشة الرسالة ومن ثم إثرائها بسديد تصويباتهما؛ فجزاهما ربي خير الجزاء، وأكرمهما بكريم العطاء.

كما أنني أزجي شكري لكل من كانت له يد عونٍ لي على إنجاز بحثي بقول أو فعل أو نصح أو دعاء.

ولكل من سبق فيض دعائي أن يجزيهم ربي خير جزائه، وأن يمن عليهم بعالي جنانه.

وآخر دعواي حمدًا لربي، وصلاة وسلام دائمين على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



فهرس المحتويــات





ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: منهج ابن خزيمة في تقرير العقيدة والرد على المخالفين.

الباحثة: هالة بنت علي أحمد كماخي.

خطة الموضوع: اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وبابين، واشتملت المقدمة على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث.

هدف الرسالة: التعرف على منهج ابن خزيمة ~ في تقرير عقيدة السلف واستدلالاتهم، ومنهجه في رده على المخالفين لمنهج أهل السنة في مسائل الاعتقاد.

محتويات الرسالة: اشتملت الرسالة على تمهيد وبابين وخاتمة:

أما التمهيد فيتكون من مبحثين:

الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث.

الثاني: اشتمل على ترجمة للإمام ابن خزيمة ~ ، ونشأته، وبيان مكانته العلمية والدفاع عما أثير حوله.

أما الباب الأول: فاشتمل على منهج ابن خزيمة العام في العقيدة المشتمل على مصادره واستدلاله ~ ، وما اتّبعه في مجابهة المخالفين.

أما الباب الثاني: فاشتمل على تفصيل منهج ابن خزيمة في مسائل الاعتقاد، كالصفات ومسائل اليوم الآخر والنبوات ومباحث الإيمان.

وقد أظهر هذا البحث موافقة ابن خزيمة لمنهج أهل السنة في تقريرهم لمعتقد السلف: استدلالاً ومناقشةً للمخالفين بالأدلة النقلية والعقلية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



المقدمة

المقدمـــــة

الحمد لله الذي أنار قلوب المتقين بصحة الاعتقاد، وامتن عليهم بمن يدفع عنهم أذى الوثنية والإلحاد؛ فجعل في كل عقد من الزمان أهل هدى بهم يُستضاء ومن علمهم يستفاد، وصلى الله على نبينا محمد الهادي إلى سبيل الرشاد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم المعاد، أما بعد:

فإن أكبر العلوم نفعًا، وأعلاها مكانة ومنزلة: علم العقيدة، إذ إن شرف العلم بشرف المعلوم، والله سبحانه أشرف معلوم: فالعلم به أشرف العلوم.

وإن من عظيم المنة أن حمى الله الاعتقاد وهيأ لخدمته أهلَ علمٍ مصْطَفَيْن من عباده، سمْتُهُم نورٌ في العقول، وفقهٌ في القلوب، ورشدٌ في السبيل: سبيلِ أهل السنة والجماعة.

وإن من هؤلاء الأفذاذ: إمام الأئمة وحبر الأمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، المتوفى سنة: إحدى عشرة وثلاثمائة، الذي طاف البلاد ورحل إلى الآفاق في طلب العلم، والذي أنفق حياته في خدمة الدين والدفاع عن عقيدة السلف الصالح، ومواجهة من زاغت قلوبهم وأبصارهم عنها، فضلوا السبيل وبدلوا تبديلاً.

ولما كان من فضل الله عليّ أن جعلني إحدى طالبات الدراسات العليا بقسم: العقيدة والمذاهب المعاصرة في مرحلة الماجستير؛ انشرح صدري -بعد استخارة الله ثم استشارة أهل العلم من المختصين- أن تكون رسالتي للماجستير في دراسة منهج ذلك الحَبْر البَحْر في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين لها، ووسمتها بـ: منهج ابن خزيمة في تقرير العقيدة والرد على المخالفين.

واللّهَ أسأل التوفيق في القول والعمل، وأن يتقبل عملي.

۞ أهمية الموضوع:

١- اعتناء الأقسام العلمية في كثير من الجامعات بدراسة مناهج العلماء، ولعل هذا البحث إضافة علمية في ذلك الاتجاه.

٢- الحاجة إلى تجلية مسائل الاعتقاد التي قررها السلف الصالح وعلى رأس هؤلاء إمام الأئمة ابن خزيمة ~ ، الأمر الذي يرسم معالم طريق الاعتقاد الصحيح، لاسيما في زمن كثر فيه الكلام والجدل.

٣- مكانة ابن خزيمة؛ حيث إنه عَلَمٌ شامخٌ له قدم صدق في علم الاعتقاد.

٤- إبراز منهج هذا العالم الفذ في الرد على الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في الاعتقاد كالخوارج والمعتزلة وغيرهم، وإيضاح أساليبه في مواجهتهم ودحض حججهم وأقوالهم؛ فرُدُوده العلمية -بحق- سلاحٌ يُشهر في مواجهة أعداء العقيدة السلفية من المعطلة وغيرهم.

٥- الدفاع عن ابن خزيمة ~ فيما ابتلي به من عداوة الجهال وطعنهم في معتقده، ورد الفرية عنه في نحور المبغضين.

٦- علو الإسناد العلمي إلى أئمة السلف المتقدمين في علم العقيدة، وابن خزيمة ~ من أشهرهم.

أسباب اختيار الموضوع:

١- أن دراسة منهج ابن خزيمة فيه إتاحة الفرصة لي أن أطلع على تراثه العلمي الثمين في العقيدة وغيرها.

٢- أن هذا البحث خير معين لي -بتوفيق الله- لدراسة عامة مسائل الاعتقاد مع أدلتها، ذلك أن ابن خزيمة ~ قد فصّل في كثير من تلك المسائل وخاصة في كتابه التوحيد.

٣- أن هذا البحث سيعينني -بحول الله- على تعرف منهج أهل السنة والجماعة في تأصيلهم لمسائل الاعتقاد، حيث إن ابن خزيمة أحد أعلام الهدى لهذا المنهج الأصيل.

٤- أن من ثمرات هذا البحث التي أرومها: معرفة المخالفين لمنهج أهل السنة، ومعرفة طريق أهل السنة في الرد عليهم، ولا شك أن هذه ثمرة نافعة؛ حيث إنها إعداد للعدة للرد على الخصوم والانتصار لمنهج السلف رحمهم الله تعالى.

الدراسات السابقة:

أولاً: مؤلفات ابن خزيمة المحققة، وتتمثل فيما يأتي:

١- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة، وله تحقيقات عدة، منها: تحقيق الدكتور: عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، ويقع في مجلدين، قام فيها المحقق بالتعريف بابن خزيمة وكذلك التعريف بالكتاب، كما قام بتحقيق الكتاب وفق منهج علمي أوضحه في مقدمة كتابه، وهذه النسخة هي المعتمدة في الإحالة في دراسة منهجه ~ ، نظرًا لشهرتها، ولكونها رسالة علمية في أصلها.

٢- مختصر المختصر من المسند عن النبي ﷺ، والمعروف بـ صحيح ابن خزيمة، وله كذلك تحقيقات عدة، منها: تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، والذي يقع في أربعة مجلدات، قام فيها المحقق كذلك بترجمة لابن خزيمة وتعريف بكتابه الصحيح، وبيّن فيه أن الموجود من هذا الصحيح بمقدر الربع منه، ثم بين منهجه الذي سار عليه في تحقيقه لهذا الكتاب الذي تقلد منزلةً عظيمة بين الصحاح.

ثانيًا: مؤلفات اعتنت بدراسة منهج ابن خزيمة في الحديث:

١- الإمام ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح، للدكتور عبدالعزيز شاكر الكبيسي.

٢- المدخل إلى صحيح الإمام ابن خزيمة، للدكتور: محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني.

٣- الإمام ابن خزيمة ومنهجه في مختلف الحديث في صحيحه، لهاني يوسف محمود الجليس.

٤- الأحاديث التي أعلها إمام الأئمة ابن خزيمة في صحيحه في كتاب الوضوء، للدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن عثمان الهليل.

ثالثًا: مؤلفات اعتنت بدراسة مناهج علماء العقيدة، استفدت منها عمومًا عند صياغة بحثي:

تعددت دراسات الباحثين لمناهج العلماء في العقيدة وجهودهم في تقريرها، لكني لم أقف على دراسة تناولت منهج ابن خزيمة ~ وذلك بعد البحث والسؤال وإجراء المراسلات مع الجهات المختصة بالبحوث العلمية، الأمر الذي دفعني لدراسة هذا الموضوع.

ومن الدراسات التي اعتنت بدراسة مناهج العلماء ما يأتي:

١- آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية، للدكتور محمد بن عبدالعزيز الشايع.

٢- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير العقيدة، للدكتور عبدالعزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان.

٣- الحافظ محمد بن طاهر المقدسي ومنهجه في العقيدة، للدكتور عبدالعزيز بن عبدالله السدحان.

٤- عقيدة الإمام ابن عبدالبر في التوحيد والإيمان، للدكتور سليمان بن صالح بن عبدالعزيز الغصن.

٥- منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة، للدكتور محمد بن عبدالوهاب العقيل.

٦- منهج الإمام ابن أبي العز الحنفي وآراؤه في العقيدة، للدكتور عبدالله بن عبيد بن عباد الحافي.

٧- منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة (من خلال كتاب: الصحيح، للدكتور محمد إسحاق كندو.

٨- منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة، للدكتور علي بن عبدالعزيز الشبل.

٩- منهج ابن قدامة في تقرير عقيدة السلف وموقفه من المخالفين، للدكتور علي بن محمد بن سعيد الشهراني.

منهج البحث:

يتلخص منهجي الذي سأسير عليه في بحثي في النقاط الآتية:

أولاً: جمع المعلومات عن ابن خزيمة ~ ويتمثل ذلك فيما يأتي:

كتابة ترجمة لابن خزيمة ~ تتضمن نسبه ونشأته وعصره وعلمه ووفاته من خلال كتب التراجم والطبقات.

ثانيًا: جمع المادة العلمية، ويتمثل ذلك فيما يأتي:

١- جمع كلام ابن خزيمة ~ في الاعتقاد تأصيلاً وردًا، والمعتمد في ذلك: كتابه: التوحيد؛ لأنه الكتاب المتوفر من كتبه، وهو الذي بسط فيه الكلام على أمهات مسائل الاعتقاد، وتسميته في الحاشية عند الإحالة عليه بـ (التوحيد)، وكذلك كتابه: الصحيح، الذي ضمنه بعض مسائل الاعتقاد، وتسميته في الحاشية عند الإحالة عليه بـ (الصحيح)، مع محاولة الوقوف على ما يتيسر لي من أقواله ~ الموجودة في كتب أهل العلم.

وسيكون اعتمادي على كتاب التوحيد اعتمادًا أساسيًا، أما الصحيح؛ فسيكون اعتمادي عليه اعتمادًا ثانويًا.

٢- القراءة الفاحصة لهذين الكتابين والمنطلقة من أسس منهجية تمكنني من استنباط منهج ابن خزيمة وطريقة عرضه ورده على المخالفين، واستخراج المسائل الاعتقادية التي أوردها.

٣- ترتيب المسائل على أبواب العقيدة كما رسمها علماء السلف رحمهم الله.

٤- الاقتصار في أبواب العقيدة وما يندرج تحتها من مسائل على ما أورده ابن خزيمة ~ في كتابيه: التوحيد والصحيح، والكتب الأخرى إن وجد ذلك.

ثالثًا: عرض المسائل ودراستها، ويتمثل ذلك فيما يأتي:

١- إيراد منهج أهل السنة والجماعة في المسألة مع الاستدلال عليها.

٢- إيراد رأي ابن خزيمة ~ وذلك بذكر كلامه، وإن كان كلامه في أكثر من موضع فإني أقارن بين تلك المواضع، وإن كان متفقًا أورد الأجمع ثم أحيل على المواضع الأخرى.

٣- ذكر موافقة ابن خزيمة ~ لمنهج أهل السنة والجماعة في المسألة، مع ذكر أدلته، وبيان ما في آرائه من ملحوظات -إن وجدت-.

٤- إيراد موقف ابن خزيمة من المخالفين في كل مسألة، وطريق رده عليهم، وسيأتي التعريف بتلك الفرق التي عاصرها ابن خزيمة في التمهيد للبحث.

رابعًا: كتابة البحث وتوثيقه، ويتمثل ذلك فيما يأتي:

١- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢- تخريج الأحاديث النبوية الواردة بعزوها إلى مصادرها، مع نقل كلام أهل العلم عليها صحةً وضعفًا، خلا ما كان في الصحيحين، لأنهما قد تجاوزا القنطرة.

٣- تخريج الآثار الواردة في البحث من مظانها.

٤- توثيق أقوال العلماء بعزوها إلى كتبهم، ووضعها بين علامتي تنصيص إن كان منقولاً بالنص، مع ذكر اسم الكتاب في الحاشية، أو الإشارة إليه دون علامة تنصيص، مع تصدير المصدر في الحاشية بقول: انظر، إن لم يكن منقولاً بالنص.

٥- الترجمة للأعلام الذين يرد ذكرهم في البحث، إلا إن كانوا من المشهورين كالصحابة رضوان الله عليهم، والأئمة الأربعة، وأصحاب الكتب الستة.

٦- التعريف بالفرق والمذاهب.

٧- التعريف بالأماكن والبلدان -غير المشهورة- الواردة في المتن، مع محاولة تحديد مكانها في العصر الحالي إن تيسر ذلك.

٨- بيان معاني المفردات الغريبة والمصطلحات العلمية، إن دعت الحاجة إلى ذلك.

٩- وضع خاتمة تلخص أهم نتائج البحث والتوصيات.

١٠- إعداد فهارس علمية للبحث، وهي:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الفرق والطوائف.
- فهرس الأماكن المعرف بها.
- فهرس المصطلحات، والكلمات الغريبة المعرف بها.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة وفهارس.

المقدمة، وتشتمل على:

- أهمية الموضوع.
- أسباب اختيار الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- منهج البحث.
- خطة البحث.

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: معنى كلمة منهج.

المبحث الأول: منهج ابن خزيمة في الاستدلال.

المبحث الثاني: منهج ابن خزيمة في الرد على المخالفين.

الباب الثاني: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الاعتقاد، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: منهج ابن خزيمة في تقرير صفات الله تعالى، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج ابن خزيمة في تقرير قواعد صفات الله تعالى.

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: صفات الله تعالى توقيفية.
- المطلب الثاني: تحقيق الإيمان بصفات الله تعالى.
- المطلب الثالث: المضاف إلى الله تعالى: أوصاف وأعيان.
- المطلب الرابع: القدر المشترك.

المبحث الثاني: منهج ابن خزيمة في تقرير الصفات الذاتية.

وفيه تمهيد وعشرة مطالب:

التمهيد: معنى الصفات الذاتية ومعنى الصفات الفعلية ومنهج أهل السنة فيها.

- المطلب الأول: صفة العلم.
- المطلب الثاني: صفة الوجه.
- المطلب الثالث: إضافة الصورة إلى الله تعالى.
- المطلب الرابع: صفة العين.
- المطلب الخامس: صفتا السمع والبصر.
- المطلب السادس: صفة اليد.
- المطلب السابع: صفة الأصابع.
- المطلب الثامن: صفة الرِّجل (القَدَم).
- المطلب التاسع: صفة العلو.
- المطلب العاشر: النفْس.

المبحث الثالث: منهج ابن خزيمة في تقرير الصفات الفعلية.

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: صفة الاستواء على العرش.
- المطلب الثاني: صفة النزول.
- المطلب الثالث: صفة الضحك.
- المطلب الرابع: صفة الكلام.
- المطلب الخامس: رؤية الله تعالى.

الفصل الثاني: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل اليوم الآخر، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الشفاعة، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: معنى الشفاعة.
- المطلب الثاني: الأدلة على الشفاعة.
- المطلب الثالث: منهج أهل السنة في تقرير مسائل الشفاعة.
- المطلب الرابع: منهج ابن خزيمة قي تقرير مسائل الشفاعة.

المبحث الثاني: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الجنة والنار.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الأدلة على الجنة والنار.
- المطلب الثاني: منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الجنة والنار.
- المطلب الثالث: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الجنة والنار.

الفصل الثالث: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الإيمان والنبوات والصحابة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الإيمان، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: منهج أهل السنة في تقرير مسائل الإيمان.
- المطلب الثاني: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الإيمان.

المبحث الثاني: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل النبوات، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: نوم عينيه دون نوم قلبه ﷺ.
- المطلب الثاني: أجر نافلته قاعدًا كأجرها قائمًا.
- المطلب الثالث: وصال الصوم.
- المطلب الرابع: تحريم الصدقة عليه ﷺ، وعلى آله ومواليه.

المبحث الثالث: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الصحابة.

- المطلب الأول: منهج أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي { .
- المطلب الثاني: منهج ابن خزيمة في المفاضلة بين عثمان وعلي { .

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتتمثل فيما يأتي:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الفرق والطوائف.
- فهرس الأماكن المعرف بها.
- فهرس المصطلحات، والكلمات الغريبة المعرف بها.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.



التمهيـــد

التمهيـــد

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث.**
- **المبحث الثاني: ترجمة الإمام ابن خزيمة.**

المبحث الأول

التعريف بمفردات البحث

<u>**وفيه أربعة مطالب**</u> **:**

المطلب الأول: معنى كلمة منهج.

المطلب الثاني: معنى كلمة تقرير.

المطلب الثالث: معنى كلمة العقيدة.

المطلب الرابع: معنى كلمة المخالفين.

* *   **   * *

المطلب الأول: معنى كلمة منهج

المنهج والمنهاج بمعنى واحد، وهي من الفعل: نَهَج، وتعني: الطريق الواضح المستقيم.

قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة:٤٨).

جاء في البحر المحيط: ((المنهاج: النهج، الطريق الصحيح، ونهجت الطريق أبنته وأوضحته، ونهجت الطريق سلكته))(١).

وورد في مقاييس اللغة ((النون والهاء والجيم أصلانِ متباينان: الأوَّل النَّهْج، الطّريق، ونَهَج لي الأمْرَ: أوضَحَه، وهو مُستقيم، المِنْهاج. والمَنْهج: الطَّريق أيضاً، والجمع المناهج))(٢).

و((ونَهَجْتُ الطريقَ أَبَنْتُه وأَوضَحتُه... ونَهَجتُ الطريقَ سَلَكتُه وفلانٌ يَستَنهِجُ سبيلَ فلانٍ أي يَسلُكُ مَسلَكَه))(٣).

وقد توافق هذا المصطلح مع ما حاولت الوصول إليه؛ ففيما يتعلق بالبحث الحالي؛ فإن منهج ابن خزيمة: هو الخطة المشتملة على الأساليب والطرق والاستدلالات التي سار عليها ابن خزيمة في إثبات مسائل الاعتقاد ورده على المخالفين لأهل السنة فيها، والتي اتضحت من مؤلفاته.



---

(١) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، الطبعة: الثانية، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عام: ١٤١٣هـ) (٤٨٦/٣).

(٢) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، الطبعة: الأولى، (دار الفكر، بيروت، عام: ١٤١٥هـ)، (١٠٠٠) مادة: (نهج).

(٣) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، الطبعة: الأولى، (دار صادر، بيروت، عام: ١٤١٠هـ) مادة: (نهج) (٣٨٣/٢).

المطلب الثاني: معنى كلمة تقرير

التقرير: مصدر من الفعل: قرّ، وله معانٍ عدة في اللغة، منها: التحقيق والبيان والترديد والتوضيح والتمكن.

يقول ابن الأعرابي[(١)]: ((القر: ترديدك الكلام في أذن الأبكم حتى يفهمه))[(٢)].

وهو بمعنى: ((التمكُّن، يقال قَرَّ وَاستقرَّ. والقَرُّ: مركبٌ من مراكب النِّساء))[(٣)].

يقول الزمخشري[(٤)]: ((قرّ بالمكان واستقر... وقر الكلام في أذنه، إذا وضع فاه على أذنه فأسمعه))[(٥)].

----

(١) هو: أبو عبدالله، محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم، إمام اللغة، ولد في الكوفة سنة: ١٥٠هـ، كان زاهدًا ورعًا صدوقًا، وكان صاحب سنة واتباع، يقال: إنه لم يكن في الشعر أغزر منه، له مصنفات، منها: "النوادر"، و"تاريخ القبائل"، و"معاني الشعر"، وغيرها، توفي سنة: ٢٣١هـ، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، د.ط، (دار صادر، بيروت، د.ت) (٣٠٦/٤)، وسير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة: السادسة، (مؤسسة: الرسالة، بيروت، عام: ١٤٠٩هـ) (٦٨٧/١٠)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لأبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، (دار الفكر، عام: ١٣٩٩هـ) (١٠٥/١).

(٢) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: إبراهيم الأبياري، د.ط، (دار الكتاب العربي، عام ١٩٦٧م) (٢٨٦/٨) مادة:(قر).

(٣) مقاييس اللغة (٨٥٣) مادة: (قر).

(٤) هو: أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، اللغوي المفسر، من كبار المعتزلة، ولد سنة: ٤٦٧هـ، ومات سنة: ٥٣٨هـ بجُرْجانية خوارزم، من مصنفاته: "الكشاف في التفسير"، و"الفائق في غريب الحديث"، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١٦٨/٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٥١/٢٠)، وطبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداوودي، مراجعة: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، د.ط، (دار الكتب العالمية، د.ت). (٣١٤/٢).

(٥) أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، =

و«التقرير: بيان المعنى بالعبارة، والتقرير التحقيق والتثبيت»[1].

= الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤١٩هـ) (٢/٦٧) مادة: (قر).

(١) الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الطبعة: الثانية، (مؤسسة الرسالة، بيروت، عام:١٤١٣هـ) (٣١٠).

المطلب الثالث: معنى كلمة العقيدة

معنى العقيدة في اللغة:

عقيدة: من الفعل عقد، وهو بمعنى الشد والوثوق، وهو ضد الحلّ.

يقال: عقد الحبل والعهد والبيع أي: شدّه[١].

يقول ابن فارس[٢]: ((العين والقاف والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شَدٍّ وشِدّةِ وُثوق... يقال اعتقد فلانٌ عُقْدةً، أي اتَّخذها. واعتقد مالاً وأخاً، أي اقتناه. وعَقَد قلبَه على كذا فلا يَنزِع عنه. واعتَقَد الشيءُ: صَلُب. واعتَقَد الإخاءُ: ثَبَتَ))[٣].

معنى العقيدة في الاصطلاح:

عرف السفاريني[٤] العقيدة بأنها: ((حكم الذهن الجازم؛ فإن كان موافقًا

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٦٧٩) مادة: (عقد)، ولسان العرب، لابن منظور (٢٩٦/٣) مادة: (عقد).

(٢) هو: أبو الحسين، محمد بن فارس بن زكريا، القزويني المالكي، وبعضهم يقول: أحمد بن زكريا بن فارس. لغوي، نحوي مشهور، توفي بالري سنة: ٣٩٥هـ، من مؤلفاته: "مقاييس اللغة"، و"مجمل اللغة"، انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض السبتي، تحقيق محمد بن تاويت، الطبعة: الثانية، (من مطبوعات وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، عام: ١٤٠٣هـ) (٨٤/٧)، وإنباه الرواة على أنباء النحاة، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى (دار الفكر العربي، عام: ١٤٠٦ هـ) (١٢٧/١)، ومعجم الأدباء -أو إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين، أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، الطبعة: الأولى (دار الكتب العلمية، عام:١٤١١ هـ) (٥٣٣/١)، (٣٥٢/١).

(٣) مقاييس اللغة (٦٧٩) مادة (عقد).

(٤) هو: أبو العون، شمس الدين، محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، النابلسي الحنبلي، محدث وفقيه أصولي، ولد في سفارين أحد قرى نابلس عام: ١١١٤هـ، مصنفاته كثيرة، تصل إلى الثلاثين، منها: "الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات"، و"كشف اللثام شرح عمدة الأحكام"، و"غذاء الالباب، شرح منظومة الآداب"، وغيرها، توفي عام: ١١٨٨هـ، انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي، د.ط، (دار الكتاب =

للواقع فهو صحيح، وإلا فهو فاسد))[1].

والعقيدة الإسلامية يراد بها: ((الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع))[2].

وفي البحث الحالي يراد بتقرير العقيدة: بيان كل ما أثبته وحققه وبينه ابن خزيمة من مسائل الاعتقاد المتعلقة بأركان الإيمان وغيرها في مصنفاته.



= الإسلامي، القاهرة، د.ت) (٣١/٤)، الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الطبعة: الثامنة، (دار العلم للملايين، بيروت، عام: ١٩٨٩م) (١٤/٦).

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لمحمد بن أحمد السفاريني، تعليق: عبدالرحمن أبا بطين وسليمان بن سحمان، الطبعة: الثانية، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠٥هـ) (٦٠/١).

(٢) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، للدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل، الطبعة: الأولى، (دار الوطن، ١٤١٢هـ) (٦).

المطلب الرابع: معنى كلمة المخالفين

أرجع ابن فارس مادة (خ ل ف) إلى أصول ثلاثة «أحدُها أن يجيءَ شيءٌ بعدَ شيءٍ يقومُ مقامَه، والثاني خِلاف قُدَّام، والثالث التغيُّر... وأمّا قولهم: اختلفَ النَّاسُ في كذا، والناس خلْفَةٌ أي مختلِفون، فمن الباب الأوّل؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يُنَحِّي قولَ صاحبه، ويُقيم نفسَه مُقام الذي نَحّاه»[1].

وقيل إن المخالفة: «ترك الموافقة»[2].

والمعنى المراد بيانه في هذا المقام هو: الاختلاف بين الناس من العلماء وغيرهم، وقد أرجعه ابن فارس إلى الأصل الأول وهو: أن يجيء شيء بعد شيء.

وذكر بعض أهل اللغة أن المراد بهذا الإطلاق هو المخالفة وعدم الموافقة، وهو الأقرب.

جاء في القاموس المحيط: «الخلاف: المخالفة... واختلف: ضد اتفق»[3].

وفيما له صلة بالبحث فإنه يعني: ما سلكه ابن خزيمة ~ في مواجهة وتفنيد أقوال كل من ترك موافقة طريق أهل السنة والجماعة في العقيدة، مع الاستعانة بالحجج والبراهين، وأنواع الأدلة النقلية والعقلية وتوظيفها في الرد على تلك الأقوال.

والمخالفون الذين واجههم ابن خزيمة في مسائل الاعتقاد هم:

أولاً: الجهمية.

هم طائفة من أهل البدع، ينتسبون إلى الجهم بن صفوان

---

(١) مقاييس اللغة (٣٢٨).مادة: (خلف).

(٢) الكليات (٨٠٤).

(٣) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الطبعة: الثانية، (المطبعة الحسينية، مصر، عام:١٣٤٤هـ) (١٣٨/٣)، مادة: (خ ل ف)، وانظر: لسان العرب، لابن منظور (٩٠/٩) مادة: (خ ل ف).

السمرقندي[1]، من معتقدات هذه الفرقة الضالة: القول بنفي الأسماء والصفات عن الله تعالى بدعوى تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، ويقولون: إن العبد مجبور على فعله، ولا قدرة له ولا اختيار، ونسبة الفعل إليه على المجاز، ويقولون: إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن الجنة والنار تفنيان وتبيدان، وغيرها من المعتقدات الفاسدة[2].

وهذه الفرقة الضالة من أكثر الفرق التي واجهها ابن خزيمة؛ وكان له معهم صولات وجولات أثناء حديثه عن صفات الباري ﷻ ومسائل الإيمان، ومواجهتهم بالأدلة النقلية، والحجج العقلية، وذمهم والتصدي لهم، كما سيتضح -بإذن الله- من خلال البحث.

والجهمية هم المعنيون بالمعطلة في كلام ابن خزيمة ~ ؛ ذلك أنه ذكرهم في أكثر من ثلاثين موضعًا في كتابه التوحيد رادًّا عليهم ومفندًا أقوالهم، وكان في جميع تلك المواضع يقول: "الجهمية المعطلة" أو: "المعطلة الجهمية"، أو " المعطلة من

---

(١) هو: أبو محرز، جهم بن صفوان السمرقندي، المتكلم المبتدع، رأس الضلالة، كان ذا ذكاء وجدال، أنكر صفات الباري سبحانه وقال بخلق القرآن، توفي سنة: ١٢٨هـ، انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البيجاوي، د.ط، (دار المعرفة، بيروت، د.ت) (٤٢٦/١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦/٦).

(٢) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين الملطي، تعليق زاهد الكوثري، د.ط، (المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، عام ١٤١٨هـ) (٧٣)، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة: الثانية، (مكتبة العلوم والحكم، ١٣٨٩هـ) (٣٣٨/١)، والفَرق بين الفِرق، لأبي منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط، (دار المعرفة، بيروت، د.ت) (٢١١)، والملل والنحل، لأبي منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، تحقيق: الدكتور ألبير نصري نادر، د.ط، (دار المشرق، بيروت، د.ت) (١٤٥)، والملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق وتعليق: أحمد فهمي محمد، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤١٠هـ) (٧٣/١).

الجهمية" عدا مواضع يسيرة [(١)].

ثانيًا: المعتزلة.

هي فرقة من فرق الكلام، ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، يسمون أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد، ورأس تلك الفرقة: واصل بن عطاء[(٢)]، وبسببه سموا بالمعتزلة؛ وذلك لاعتزاله مجلس الحسن البصري[(٣)] في قوله في مرتكب الكبيرة أنه في منزلة بين المنزلتين، وهم فرق عدة، منها: الواصلية، والعمروية، والهذيلية نسبة إلى أصحابها، وغيرها من الفرق، وجملة أصولهم خمسة هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ستروا تحت كل واحد منها معنى باطلا يخالف الحق المتبادر منه[(٤)].

---

(١) انظر - على سبيل المثال لا الحصر -: التوحيد لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: الدكتور عبدالعزيز الشهوان، الطبعة: السابعة، (مكتبة الرشد، الرياض، عام: ١٤٢٩هـ) (١/٥٦، ٥٢، ٢٢)، وانظر أيضًا: (٢/٨٩٣، ٤٥٩)، وغيرها من المواضع.

(٢) هو: أبو حذيفة، واصل بن عطاء المخزومي مولاهم، البصري الغزال، كان من أجلاد المعتزلة، وكان متشدقًا، مات سنة: ١٣١هـ، انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٤/٣٢٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥/٤٦٤)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢/١٣٦).

(٣) هو: أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، سيد التابعين بالبصرة في زمانه، ولد سنة: ٢١هـ، كان فصيحًا، رأسًا في العلم والعبادة، مع الزهد والورع، توفي سنة: ١١٠هـ بالبصرة، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٦٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (١/٥٢٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢/٤٨).

(٤) انظر: التنبيه والرد، للملطي (٢٩)، ومقالات الإسلاميين، للأشعري (١/٢٣٥)، الفرق بين الفرق، للبغدادي، (١١٤)، والفِصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، الطبعة: الأولى، (مكتبات عكاظ، الرياض، عام: ١٤٠٢هـ) (٥/٥٧)، والتبصير في معالم الدين، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: علي بن عبدالعزيز الشبل، الطبعة: الأولى، (دار العاصمة، الرياض، ، عام: ١٤١٦هـ) (٦٥)، والملل والنحل، للشهرستاني (١/٣٨).

ثالثًا: الخوارج.

هم طائفة من أهل البدع، حذر منهم النبي ﷺ ومن فتنتهم، وأمر بقتلهم، وأخبر بمروقهم من الإسلام، ومما يدل على أن لهذه الفرقة نابتة في عهد النبي ﷺ ما حصل من رجل يقال له: ذو الخويصرة، حيث إنه قال للرسول عليه الصلاة والسلام وهو يقسم على المسلمين قسمًا: ((يا رسول الله اعدل))[١].

خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقاتلهم، وهم فرق شتى، تصل إلى أكثر من خمس وعشرين فرقة[٢]، منها: المحكمة والأزارقة والنجدات والإباضية.

ويجمعهم القول بتكفير عثمان وعلي رضي الله عنهما، والحكمين وأصحاب الجمل، وكل من رضي بالتحكيم، والتكفير بارتكاب الكبائر، ووجوب الخروج على الإمام الجائر، ومن معتقداتهم: إنكار صفات الله تعالى، والقول بخلق القرآن والطعن في الصحابة[٣].

رابعًا: الرافضة.

طائفة من أهل البدع والضلال، سموا بذلك لكونهم رفضوا زيد بن علي عندما أنكر عليهم الطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومنعهم من ذلك

----

(١) أخرجه مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في صحيحه (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة:الأولى، (دار الحديث، القاهرة، عام: ١٤١٢هـ)، ، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، (٧٤٠/٢، برقم: ١٤٢)، من حديث جابر بن عبدالله - { -

(٢) مقالات الإسلاميين (١٥٦/١).

(٣) انظر: التنبيه والرد للملطي (٣٨)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١٦٧/١)، والملل والنحل للبغدادي (٥٧)، والملل والنحل للشهرستاني (١٠٦/١)، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، لأبي المظفر طاهر بن محمد الاسفرايني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى (عالم الكتب، بيروت، عام: ١٤٠٣هـ) (٤٥).

فرفضوه[١]، وهم يعرفون اليوم بالشيعة، وأول من دعا إلى عقائد الرافضة رجل يهودي من أهل اليمن، اسمه: عبدالله بن سبأ[٢]، وإليه تنسب السبئية، وهم القائلون بربوبية علي بن أبي طالب ﷺ، ومن أشهر فرقهم: الإمامية، والإثنا عشرية، والجعفرية، وقد جعل الرافضة الأصول أربعة وهي: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، وستروا تحت كل لواء منها بدعهم، وهم بتلك الأصول هدموا الدين، ويغلب على الرافضة الغلو في أئمتهم واعتقاد عصمتهم[٣].

وقد واجه ابن خزيمة الرافضة في بعض المسائل الفقهية التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة[٤].

خامسًا: القدرية.

فرقة ضلت في باب القدر، وقالوا بأن العبد يخلق كسبه وفعله، وليس لله تعالى صنعٌ ولا تقدير في أفعال الخلق، وقد اتفقوا على نفي صفات الباري ﷻ، ومنهم من ينفي العلم عن الله وهم القدرية الغلاة وهؤلاء هم المتقدمون، ومنهم من ينفي الإرادة عن الله وهم القدرية غير الغلاة من المعتزلة وغيرهم، والقدرية فرق شتى تصل إلى عشرين فرقة[٥].

---

(١) انظر: بغية المرتاد، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، الطبعة: الأولى، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، عام: ١٤٠٨هـ) (٣٤١).

(٢) هو: عبدالله بن سبأ اليهودي، ضال مضل، أصله من اليمن، من بدعه: القول برجعة النبي ﷺ، وتأليه علي ﷺ، ذكر الذهبي أن عليًا ﷺ حرقه بالنار، مات سنة: ٤٠هـ، انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٤٢٦/٢).

(٣) انظر: التنبيه والرد للملطي (١٦، ١١٣)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (٦٥/١)، والفرق بين الفرق للبغدادي، (٢١)، والملل والنحل للشهرستاني (١٤٤/١)، والفصل لابن حزم (٣٥/٥).

(٤) انظر: الصحيح (٨٣/١)، و(٣٣٥/٣).

(٥) انظر: التنبيه والرد للملطي (١٢٠)، والفرق بين الفرق للبغدادي (١١٤)، والتبصير في الدين للاسفرايني (٦٣).

سادسًا: المرجئة.

الإرجاء بمعنى التأخير(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ (الأعراف:١١١).

وهو مذهب اتبعته فرق شتى كالجهمية والخوارج والقدرية.

وقد تعددت أقوال السلف في التعريف بهم، وفي باب الإيمان فيجمع أقوالهم أن المرجئة هم الذين يقولون: إن الأعمال ليست من الإيمان؛ فهم يرجئون الأعمال عن مسمى الإيمان أي: يؤخرونها(٢).

وأما المخالفات الأخرى في مسائل الإيمان ((فهي إما أن تكون تابعة لهذا الأصل -وهو إخراج العمل-، كمنع زيادة الإيمان ونقصانه، ومنع تبعضه وأن يجتمع في العبد إيمان وكفر، وتصور وجود إيمان في القلب دون ظهوره على الجوارح، أو أن تكون المخالفة قد يقول بها من يقول إن الإيمان قول وعمل فلا يعد مرجئًا، كمنع نقصان الإيمان، وترك الاستثناء فيه))(٣).

وقد واجه ابن خزيمة قول المرجئة وكذلك الغالية منهم في مسائل الإيمان، وفند أقوالهم وناقش أدلتهم كما سيظهر في موضعه من البحث.



(١) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/١٦)، مادة (أرجأ).

(٢) انظر: التنبيه والرد للملطي (٣٥)، الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٠٢)، الملل والنحل للبغدادي (١٣٨)، التبصير في الدين للاسفراييني (٩٧)، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢١٣).

(٣) آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية، لعبد الله بن محمد السند، الطبعة: الأولى، (دار التوحيد للنشر، الرياض، عام: ١٤٢٨هـ) (٩١).

المبحث الثاني

ترجمة ابن خزيمة

وفيه اثنتا عشر مطلباً :

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته ووفاته.

المطلب الثالث: طلبه للعلم ورحلاته العلمية.

المطلب الرابع: عصره.

المطلب الخامس: صفاته.

المطلب السادس: شيوخه.

المطلب السابع: تلاميذه.

المطلب الثامن: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المطلب التاسع: آثاره العلمية.

المطلب العاشر: مكانته وثناء العلماء عليه.

المطلب الحادي عشر: فتنة ابن خزيمة مع جلسائه.

المطلب الثاني عشر: ما أثير من شبهات حول الإمام ابن خزيمة والرد عليها.

* *   * *   * *

المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته[(١)]

هو الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السُّلَمي مولاهم، النيسابوري الشافعي، يكْنى بأبي بكر، ولُقِّب بإمام الأئمة.

واشتهر بكنيته (ابن خزيمة)، وخزيمة: جدُّه، وهو بمعجمة مضمومة، مع فتح الزاي[(٢)]، وتلك الكنية أشهر ما عُرف به[(٣)].

---

(١) انظر: الجرح والتعديل، لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، ، عام: ١٣٧٢هـ) (١٩٦/٧)، وتاريخ جرجان، لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي، الطبعة: الأولى، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، عام: ١٣٦٩هـ) (٤١٣)، والإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليل بن عبدالله بن أحمد الخليلي القزويني، تحقيق: الدكتور محمد سعيد بن عمر إدريس، د.ط، (مكتبة الرشد، الرياض، د.ت) (٨٣١/٩)، وطبقات الفقهاء، لأبي إسحاق، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، د.ط، (دار الرائد العربي، بيروت، عام: ١٩٧٠م. (١٠٥)، والمنتظَم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصفى عبدالقادر عطا، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤١٢هـ) (٢٣٣/١٣)، وتذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، د.ط، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت). (٧٢٠/٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦٥/١٤)، وطبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، د.ط، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت). (١٠٩/٣)، والبداية والنهاية، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ، الطبعة: الأولى، (مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، عام: ١٤١٧هـ) (٩/١٥)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي، تحقيق: ج برجستراسر، الطبعة الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤٢٧هـ) (٨٨/٢)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لشهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط، الطبعة الأولى، (دار ابن كثير، دمشق، عام: ١٤١٠هـ) (٥٧/٤)،

(٢) انظر: الأنساب، لأبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تقديم: عبدالله عمر البارودي، الطبعة: الأولى، (دار الجنان، بيروت، عام: ١٤٠٨هـ) (٣٦٢/٢).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦٥/١٤)، وطبقات الحفاظ، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مراجعة: لجنة من العلماء بإشراف دار الكتب، الطبعة: الأولى، (دار الكتب =

والخُزَيْمي: نسبة إلى هذا الإمام، وجماعة إليه ينسبون، يقال لكل واحد منهم الخزيمي[(١)].

وقد كان يلقب بـ (إمام الأئمة)، وجُلّ من ترجموا له ذكروا ذلك.

يقول الخليلي[(٢)]: ((اتفق في وقته أهل الشرق أنه إمام الأئمة))[(٣)]، ويقول ابن كثير[(٤)]: ((محمد بن إسحاق بن خزيمة... المعروف بإمام الأئمة))[(٥)].ويقول الذهبي[(٦)]: ((ابن خزيمة الحافظ الكبير، إمام الأئمة))[(٧)].

وتلقيبه بإمام الأئمة بسبب كثرة من روى عنه من الحفاظ الكبار في حياته، ولرفعته على أقرانه في وقته[(٨)]، يقول السبكي[(٩)] في ترجمته: ((وارتفع مقداره

= العلمية، بيروت، عام: ١٤٠٣هـ) (٣١٣).

(١) انظر: الأنساب للسمعاني (٣٦٢/٢).

(٢) هو: أبو يعلى، الخليل بن عبدالله بن أحمد القزويني الخليلي، ممن رحل في طلب الحديث وبرع فيه، وكان عارفًا بالرجال، مات سنة: ٤٤٦هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٦٦/١٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (١٩٩/٥)

(٣) الإرشاد (٨٣١/٩).

(٤) هو: أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البُصروي ثم الدمشقي، الشافعي، الإمام المحدث المفسِّر الحافظ، ولد سنة: ٧٠١هـ، مات في دمشق سنة: ٧٧٤هـ، من مؤلفاته: "تفسير القرآن العظيم"، و"البداية والنهاية"، انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٥/١٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (١١١/١).

(٥) البداية والنهاية (٩/١٥).

(٦) هو: أبو عبدالله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان التُّركماني الذهبي الدمشقي الشافعي، محدث عصره ومؤرخه، ولد سنة ٦٧٣ هـ ، وتوفي بدمشق سنة ٧٤٨ هـ ، من مؤلفاته: "سير أعلام النبلاء"، و"تاريخ الإسلام"، و"تذكرة الحفاظ"، انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٠٠/٩)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالوارث محمد علي، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، عام: ١٤١٨ هـ.) (٢٠٤/٣).

(٧) تذكرة الحفاظ (٧٢٠/٢).

(٨) انظر:الإمام ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح، لعبد العزيز شاكر الكبيسي، الطبعة: الأولى، (دار ابن حزم، بيروت، ، عام: ١٤٢٢هـ) (٧٧/١).

(٩) هو: أبو نصر، تاج الدين، عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي، ولد في القاهرة، سنة: =

فتقاصرت عنه طوالع النجوم، وأقام بمدينة نيسابور إمامها حيث الضراغم[(١)] مزدحمة، وفَرْدها[(٢)] الذي رفع العِلمُ بين الأفراد علَمَه، والوفود تفد على رَبْعه[(٣)] لا يتجنبه منهم إلا الأشقى، والفتاوى تحمل عنه برًا وبحرًا، وتشق الأرض شقًا، وعلومه تسير فتهدى في كل سوداء مدلهمة، وتمضى علمًا تأتم الهداة به، وكيف لا وهو إمام الأئمة))[(٤)].

ويقول الذهبي: ((انتهت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان[(٥)]))[(٦)].

= ٧٢٧هـ، اشتغل بطلب الحديث والفقه والأصول والعربية، من مصنفاته: "شرح مختصر ابن الحاجب"؛ "طبقات الشافعية الكبرى والوسطى والصغرى"، مات في دمشق، سنة: ٧٧١هـ، انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢٣٢/٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣٧٨/٨).

(١) الضراغم: جمع ضرغام، وهو الأسد الضاري، انظر: جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: الدكتور: رمزي منير بعلبكي، د.ط، (دار العلم للملايين، د.ت) (١٢٠١/٣)، باب: ما جاء على فعلال وفنعال.

(٢) أي: المتفرد الذي لا نظير له، انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٣١/٣) مادة (فرد).

(٣) الرَّبْع: محل القوم، كالدار والمنزل، انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (٢٤/٣) مادة (فرد).

(٤) طبقات الشافعية (١٠٩/٣).

(٥) من بلاد فارس، ذكر الحموي أن أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، وهي مدينة كبيرة تشتمل على أمهات البلاد، منها: نيسابور وهراة ومرو وبلخ، وهي حاليًا تقع في أقصى شمال شرق إيران: قسم منها في شمال شرق إيران، وقسم في أفغانستان الشمالية الغربية وتركمانستان انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي، تحقيق: مصطفى السقا، د.ط، (عالم الكتب، بيروت، د.ت) (٤٩٠/٢)، ومعجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، د.ط (دار صادر، بيروت، عام: ١٣٩٧هـ) (٣٥٠/٢)، وبلدان الخلافة الشرقية، لكي لسترنج، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، الطبعة: الثانية، (مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: ١٤٠٥هـ) (٤٢٣) وأطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح، للدكتور شوقي أبو خليل، الطبعة: الأولى، (دار الفكر، دمشق، عام: ١٤٢٣هـ) (١٦٠)، وأطلس تاريخ الإسلام، للدكتور: حسين مؤنس، الطبعة: الأولى، (الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، عام: ١٤٠٧هـ) (٤٣٠).

(٦) تذكرة الحفاظ (٧٢١/٢)، وانظر: الإمام ابن خزيمة ومنهجه في الصحيح للكبيسي، (٧٦/١).

أما نسبته فهي متعددة:

فهو السُّلَمي: نسبة إلى قبيلة (سُليم) بالولاء، كما ذكر ذلك ابن كثير في نسب ابن خزيمة بقوله: ((محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن بكر السُلمي، مولى محسن بن مزاحم الإمام))(١).

وسُليم: قبيلة معروفة من قبائل العرب، تفرقت في البلاد، ونزلت جماعة كثيرة منهم حمص(٢).

وهو النيسابوري: نسبة إلى مدينة (نيسابور)، حيث مولده ونشأته فيها، وهي مدينة عظيمة من مدن خراسان، والتي تعد رَحِم العلماء والأدباء على مر العصور، وسيأتي ذكرها بإذن الله.

وهو الشافعي: نسبة إلى مذهب الإمام الشافعي ~ ، باعتبار مذهبه، وسيأتي بحث ذلك إن شاء الله.



----

(١) البداية والنهاية (٩/١٥)،

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني (٢٧٨/٣).

المطلب الثاني: مولده ونشأته ووفاته[1]

اتفق جماهير المؤرخين على أن ولادة ابن خزيمة كانت بنيسابور، في شهر صفر، سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وقيل سنة اثنتين وعشرين[2].

وقد نشأ ~ في محضنه الأول بلدته التي ولد فيها وتوفي فيها: نيسابور.

أما عن تفصيلات نشأته فإن كتب التراجم عزت في الحديث عنها، إلا أنه قد تلتقط بعض مزايا تلك النشأة الكريمة من بعض أقواله، وأقوال العلماء الذين ترجموا له.

والذي يبدو في أول الأمر أن ابن خزيمة منسلٌّ من أسرة محبة للعلم ولها توجه فيه؛ يستفاد ذلك من قوله: ((استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة[3] فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك؛ فاستظهرتُ القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة؛ ففعلت، فلما عيدنا أذن لي فخرجت إلى مَرْو[4]))[5].

ولا ريب أن ذلك الحرص وحسن التوجيه للعلم كان له أثر في ثراء ابن خزيمة العلمي.

ومما يدل على نشأته -منذ صغره- على طلب العلم: سماعه من كبار الحفاظ

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٧٣٠/٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (١١٠/٣)، وغاية النهاية لابن الجزري (٨٨/٢).

(٢) ذكر ذلك ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب (٥٧/٤)، وقوله هذا لم يتابعه عليه أحد-حسب بحثي في كتب التراجم- وقد ذكر ذلك الدكتور عبدالعزيز الكبيسي في كتابه: الإمام ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح (٨٠/١).

(٣) هو: أبو رجاء، قتيبة بن سعيد بن طريف الثقفي مولاهم، البلخي البغلاني، محدث خراسان، كان ثبتًا صادقًا صاحب سنة، مات سنة:٢٤٠هـ، انظر: الإرشاد للخليلي (٩٣٥/١٠)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٤٤٦/٢).

(٤) من أشهر مدن خراسان، وتسمى: "مرو العظمى" و"مرو الشاهِجان" أي: نفس السلطان، وذلك لجلالتها عندهم، خرج منها أركان العلماء مثل: الأمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري وإسحاق بن راهويه، انظر: معجم ما استعجم للبكري (١٢١٦/٤)، ومعجم البلدان للحموي (١١٢/٥).

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي (٧٢٢/٢).

وساداتهم بخراسان في سن متقدمة منهم: إسحاق بن راهوية، حتى إنه لم يحدث عنه لصغر سنه.

يقول السبكي: ((سمع من خلق منهم: إسحاق بن راهويه، ومحمد بن حميد الرازي، ولم يحدث عنهما لكونه سمع منهما في الصغر... وكان سماعه بنيسابور في صغره))(١).

وكذلك يقول الذهبي: ((سمع من إسحاق بن راهويه ومحمد بن حميد ولم يحدث عنهم لصغره ونقص إتقانه إذ ذاك))(٢).

وإسحاق بن راهوية كانت وفاته سنة: ٢٣٨هـ، وهذا يعني أن ابن خزيمة كان عمره آنذاك خمس عشرة سنة تقريبًا.

ومما يشير إلى نباهته وسعة وعيه منذ حداثة سنه قوله عن نفسه: ((ما قلدت أحدًا منذ بلغت ست عشرة سنة))(٣)؛ فترفعه عن التقليد وهو ابن ست عشرة سنة يؤكد بداياته المبكرة للطلب الذي منحه الثقل في العلم.

وقد كانت وفاته في شهر ذي القعدة، سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وهذا التاريخ اتفق عليه المؤرخون(٤)، وقد ندر من خالف ذلك(٥).

---

(١) طبقات الشافعية (١١٠/٣).

(٢) تذكرة الحفاظ (٧٢١/٢).

(٣) العبر في خبر من غبر، لأبي عبدالله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، ، عام: ١٤٠٥هـ) (٤٦١/١).

(٤) انظر: الثقات، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، الطبعة: الأولى، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، عام: ١٣٩٨هـ) (١٥٦/٩)، والإرشاد للخليلي (٨٣١/٩)، والمنتظم لابن الجوزي (٢٣٦/١٣)، والتقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، لأبي بكر محمد بن عبدالغني بن نقطة، الطبعة الأولى، (دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، : عام: ١٤٠٣هـ) (١٧/١)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٧٣٠/٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (١١٢/٣)، وغاية النهاية لابن الجزري (٨٨/٢).

(٥) ذكر أبو إسحاق الشيرازي أن وفاة ابن خزيمة كانت سنة: (٣١٢هـ)، انظر: طبقات الفقهاء (١٠٥).

أما يوم وفاته فبعض المؤرخين لم يذكروا اليوم وإنما اكتفوا بالسنة، وذكر بعضهم اليوم محدَّدًا على اختلاف بينهم في ذلك:

فذكر ابن حبان أن وفاته كانت ليلة السبت الخامس من ذي القعدة[(١)].

وذكر الذهبي أنه في اليوم الثاني من الشهر نفسه[(٢)].

وذكر ابن الجوزي[(٣)] أنه ليلة السبت الثامن من شهر ذي القعدة كذلك[(٤)].

ودفن ~ يوم السبت، وله ثمان وثمانون وتسعة أشهر وبضعة أيام.

وقد نُعتت آخر لحظات تلك الحياة الكريمة، وختْمها بما عاش عليه ودعا إليه ابن خزيمة وهو: توحيد لربه؛ فعند وفاته ((كان يحرك إصبعه بالشهادة عند آخر رمق))[(٥)].

وقد رُثي ببعض أبيات وهي:

يا ابن إسحاق قد مضيت حميدا	فسقى قبرك السحاب الهتون
ما توليت لا بل العلم ولى	ما دفناك بل هو المدفون[(٦)]



---

(١) انظر: الثقات (١٥٦/٩).

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ (٧٣٠/٢).

(٣) هو: أبو الفرج، جمال الدين، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المشهور بابن الجوزي، القرشي، التيمي، البغدادي، الحنبلي، الحافظ، المفسر، أحد أفراد العلماء، برز في كثير من العلوم، وله من المصنفات نحو الثلاثمائة منها: "زاد المسير"، و"جامع المسانيد".ولد سنة: ٥١٠هـ، وقيل: ٥٠٩هـ، وتوفي: سنة ٥٩٧هـ، ببغداد. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٣٤٢/٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧٠٦/١٦).

(٤) انظر المنتظم (٢٣٦/١٣).

(٥) التقييد لابن نقطة (١٧/١).

(٦) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١١٢/٣).

المطلب الثالث: طلبه للعلم ورحلاته العلمية

سطر ابن خزيمة سيرةً علميةً وضاءةً في كتب المؤرخين، فاق بها قرناءه، ولحِق -بقوتها- من هم في طبقة علمائه.

يقول السبكي: ((محمد بن إسحاق بن خزيمة... المجتهد المطلق، البحر العجاج، والحبر الذي لا يخاير في الحِجى[١]، ولا يناظر في الحجاج[٢]، جمع أشتات العلوم، وارتفع مقداره فتقاصرت عنه طوالع النجوم))[٣].

ولعل أكبر شاهدٍ على ذلك قول شيخه: الربيع بن سليمان: ((استفدنا من هذا الفتى الشعراني أبي بكر أكثر ما استفاد منا))[٤].

ومما يدل على علو قامته في العلم: رواية من هم أكبر منه عنه، يقول السبكي: ((روى عنه خلق من الكبار منهم: البخاري ومسلم خارج الصحيح... وخلائق)) [٥].

أولاً: طلبه للعلم.

- ابتدأ ابن خزيمة طريقه للعلم في بلده التي ولد ونشأ وتوفي فيها: خراسان، حيث كانت تعد مركز العلم والثقافة، ومنبع العلم الزلال؛ فقد تغذى في أوائل طريقه للطلب على أيدي كبار الحفاظ وجهابذة المحدثين فيها، يقول السبكي:

---

(١) يقول الفيروز آبادي: ((الحجا كإلى: العَقْلُ والفِطْنَةُ والمِقْدَارُ)) القاموس المحيط، (٣١٥/٤)، مادة (حجى).

(٢) الغلبة بالحجة، من: حاججت فلانًا فحججته، انظر: مجمل اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، الطبعة: الثانية، (مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: ١٤٠٦هـ) كتاب الحاء، باب: الحاء وما بعدها في المضاعف (٢٢١/١).

(٣) طبقات الشافعية (١٠٩/٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١١٢/٣)، والإرشاد للخليلي (٨٣٢/٩)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٧٢٢/٢).

(٥) طبقات الشافعية (١١٠/٣).

((وكان سماعه بنيسابور في صغره))[١].

- وقد سبقت الإشارة في نشأته إلى أن تلقيه للعلم كان في صغره وحداثته.

يقول الذهبي: ((عني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان))[٢].

- ومما يدل على حرصه على العلم: سؤاله لله حصوله عليه في مظان الإجابة؛ فقد ((سئل: من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: ((ماء زمزم لما شرب له))[٣]، وإني لما شربت ماء زمزم سألت الله علمًا نافعًا))[٤].

وقد تنوعت العلوم التي كان ينهلها؛ فأول ما ابتدأ به حفظه للقرآن الكريم، الذي بلا شك أولى العلوم، يقول محمد بن الفضل حفيده: ((سمعت جدي يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك؛ فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة؛ ففعلت))[٥].

----

(١) طبقات الشافعية (١١٠/٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في المسند (مسند الإمام أحمد)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة: الأولى (مؤسسة الرسالة، بيروت، ، عام: ١٤١٨هـ) (١٤٠/٢٣، برقم: ١٤٨٤٩)، وابن ماجه أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، في سننه، (سنن ابن ماجه)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط (دار الفكر، بيروت، د.ت)، كتاب: المناسك، باب: الشرب من زمزم، (١٠١٨/٢، برقم: ٣٠٦٢)، من حديث جابر ﷺ، وأخرجه أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة:الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤١١هـ) كتاب: المناسك، (٦٤٦/١، برقم: ١٧٣٩)، من حديث ابن عباس { ، والحديث صححه الألباني، انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الطبعة: الثانية، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠٥هـ) (٣٢٠/٤).

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي (٧٢١/٢).

(٥) المصدر السابق (٧٢٢/٢).

كما أنه برع في بقية العلوم ومنها: علم الحديث؛ فقد كان ابن خزيمة عالمًا مبرزًا فيه، وكان طلبه لعلم الحديث في حداثة سنه، يقول السبكي: ((وكان سماعه بنيسابور فى صغره))[1].

وإمامته في علم الحديث شهد بها الأئمة، يقول ابن حبان: ((وكان ~ أحدَ أئمة الدنيا علمًا، وفقهًا، وحفظًا، وجمعًا، واستنباطًا، حتى تكلم في السنن بإسنادٍ لا نعلم سبق إليه غيره من أئمتنا))[2].

ومن فقهه في هذا الفن براعته في علم "مختلف الحديث" وعلم "الجرح والتعديل"، ويظهر ذلك جليًا في اجتهاده في التأليف بين النصوص، وفي أحكامه على الرواة في كتابيه: التوحيد والصحيح.

يقول السيوطي[3] في شهادته على فقهه ~ في علم مختلف الحديث: ((وكان ابن خزيمة من أحسن الناس فيه، حتى قال: لا أعرف حديثين متضادين؛ فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما))[4].

- ومن العلوم التي اعتنى بها: الفقه؛ فقد اشتهر به، يقول الذهبي: ((وعني في حداثته بالحديث والفقه حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان))[5].

---

(١) طبقات الشافعية (١١٠/٣).

(٢) الثقات (١٥٦/٩).

(٣) هو: أبو الفضل، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضري، السيوطي، الشافعي، عالم مشارك في أنواع العلوم، ولد سنة ٨٤٩هـ، وتوفي سنة ٩١١هـ، بالقاهرة، له نحو ستمائة مصنف، منها: "الإتقان في علوم القرآن"، و"الأشباه والنظائر في الفقه"، و"الدر المنثور". انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٥١/٤)، البدر الطالع، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق د.:حسين العمري، الطبعة: الأولى، (دار الفكر المعاصر، بيروت، عام: ١٤١٩ هـ) (٣٣٧).

(٤) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور أحمد عمر هاشم، د.ط، (دار الكتاب العربي، بيروت، عام: ١٤٠٩هـ) (١٧٦/٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤).

ومن عمق فقهه شهادةُ تلاميذه بتفرده في هذا الفن وشدة إتقانه له، يقول أبو علي النيسابوري -تلميذ ابن خزيمة-: ((لم أرَ مثله، وكان يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة))[1].

والتصنيف في الفن علامة على بروز صاحبه فيه، وقد كان لابن خزيمة نصيبٌ وافرٌ من ذلك في تلك العلوم، يقول الخليلي: ((وله من التصانيف ما لا يعد في الحديث والفقه))[2].

- ولم يكتفِ ابن خزيمة بعلم الفقه والحديث بل إنه اعتنى بعلم العقيدة، وقد كان أحد أئمة أهل السنة، وأكبر شاهد على ذلك كتابه: التوحيد.

- ومما يدل على تفاني ابن خزيمة في العلم وشغفه به: شدة صبره في طلبه وتحمل مصاعبه، ومن أشهر ما يذكر في ذلك الحادثة التي وقعت له في رحلته للطلب هو، ومحمد بن جرير الطبري[3]، ومحمد بن نصر المروزي[4]، ومحمد بن هارون الروياني[5] بمصر، حيث إنهم أرملوا[1] ((ولم يبق

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/٧٢٣)، وسير أعلام النبلاء (١٤/٢٧٣).

(٢) الإرشاد (٩/٨٣٢).

(٣) هو: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، شيخ المفسرين وأحد جهابذة العلماء، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ ببغداد، من مؤلفاته: "تفسيره المسمى: جامع البيان"، و"تاريخ الأمم والملوك"، و"شرح السنة"، انظر: تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، "المعروف بالخطيب" د.ط (دار الكتب العلمية، دت). (٢/١٦٢)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢/٧١٠)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/١١٠-١١٨).

(٤) هو: أبو عبدالله، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، الإمام الحافظ، ولد ببغداد سنة: ٢٠٢هـ، وتوفي سنة: ٢٩٤هـ بسمرقند. من مصنفاته: "تعظيم قدر الصلاة"، و"رفع اليدين"، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣/٣١٣)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢/٦٥٠)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣/١١١).

(٥) هو: أبو بكر، محمد بن هارون الروياني، إمام حافظ، صاحب المسند المشهور، مات سنة ٣٠٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٥٠٨)، وشذرات الذهب لابن العماد (٤/٣٦).

عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع؛ فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه؛ فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة؛ فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام؛ فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة؛ فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة، قال: فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع، وخصيٌّ من قبل والي مصر يدق الباب؛ ففتحوا الباب فنزل عن دابته فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو هذا؛ فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هذا؛ فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ فقالوا: هو ذا؛ فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا؛ فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: إن الأمير كان قائلاً بالأمس؛ فرأى في المنام خيالاً، قال: إن المحامد طووا كشحهم جياعًا؛ فأنفذ إليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم: إذا نفدت فابعثوا إلي أمدكم))[٢].

ومن طريف ما يذكر من حبه للعلم إنفاقه الأموال على أهله، يقول محمد بن الفضل: ((كان جدي أبو بكر لا يدخر شيئًا جهده، بل ينفقه على أهل العلم))[٣].

ثانيًا: رحلاته العلمية.

بعد أن طلب ابن خزيمة العلم من علماء بلده، تطلع إلى الرحلة خارج بلاده، وقد كانت بداية طلبه قبل سن السابعة عشرة تقريبًا، ويستدل ذلك مما ذكر من قبل من طلبه الخروج إلى قتيبة، حيث إن والده أخره إلى أن يختم القرآن الكريم ففعل ولما خرج لم يستطع تحقيق ذلك بسبب وفاة قتيبة ~ سنة ٢٤٠هـ.

---

(١) قال ابن فارس: ((المُرْمِلَ فهو الذي لا زادَ معه))، مقاييس اللغة (٤٤٢)، مادة (رمل).

(٢) المنتظم لابن الجوزي (٢٣٥/١٣)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٧٥٣/٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٥١/٢).

(٣) المصدر السابق (١١٩/٣).

وقد كانت لابن خزيمة رحلات عدة في طلب العلم، يقول عنه ابن كثير: ((طاف البلاد، ورحل إلى الآفاق في الحديث وطلب العلم))[١].

ومن أهم المدن التي ذكرها المؤرخون في رحلة ابن خزيمة: مرو الرُّوذ[٢]، ومرو، والري[٣]، وجُرجان[٤]، والعراق، والشام، ومصر، والحجاز، وسمع في تلك البلدان من أجلّ العلماء في مختلف العلوم[٥].



---

(١) البداية والنهاية (١٠/١٥).

(٢) مدينة قريبة من مرو العظمى وصغيرة بالنسبة لها، والروذ بمعنى النهر، وهي تقع على نهر عظيم، لذا سميت بذلك، خرج منها عدد من العلماء، انظر: معجم البلدان للحموي (١١٢/٥).

(٣) من أعلام مدن خراسان، ولها قرى كبار، كانت كثيرة الخيرات والفواكه، انظر: المصدر السابق (١١٦/٣).

(٤) مدينة مشهورة تقع بين طبرستان وخراسان، فيها مياه كثيرة، لذا قيل ليس بالمشرق بعد العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنًا من جرحان، خرج منها عدد من الأدباء والعلماء، انظر: معجم ما استعجم للبكري (٣٧٥/٢)، ومعجم البلدان للحموي (١١٩/٢).

(٥) انظر: تاريخ جرجان للسهمي (٤١٣)، والإرشاد للخليلي (٨٣١/٩)، والمنتظم لابن الجوزي (٢٣٣/١٣)، والعبر للذهبي (٤٦٢/١)، وطبقات الشافعية للسبكي (١١٠/٣)، وشذرات الذهب (٥٧/٤).

المطلب الرابع: عصره

يتناول هذا الموضوع جوانب عدة وهي:

الجانب السياسي[(١)]:

عاش ابن خزيمة في عصر الدولة العباسية، وقد تناوب على الخلافة في ذلك الوقت أكثر من عشرة خلفاء: ابتداءً بالمعتصم بالله[(٢)]، والذي تولى الخلافة سنة ٢١٨هـ، إلى أن تولى المعتضد بالله[(٣)] الخلافة.

وقد وُصف ذلك العصر ببداية التفكك والانحلال، ثم إن المؤرخين أشاروا إلى أن من أكبر العوامل التي أدت إلى الضعف في تلك الفترة سُلْطة المماليك من الأتراك.

وكان سبب تلك السلطة تحول النفوذ إلى المماليك الذين أكثر منهم المعتصم في أركان الدولة الأساسية كالجيش والحرس وإدارة الدولة.

ومن هنا بدأ استبداد هؤلاء المماليك بمفاصل الدولة، وسحْبُ بساط الخلافة من أيدي الخلفاء؛ فقد وصل بهم الحال إلى التحكم في شؤون الدولة خارجها وداخلها، وتصريف الأمور حتى إنهم كانت لهم اليد الطولى في عزل الخلفاء أنفسهم وتوليهم.

---

(١) انظر: ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح للكبيسي (٢٧/١).

(٢) هو: أبو إسحاق، محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، ولد سنة: ١٨٠هـ، بويع بالخلافة سنة: ٢١٨هـ، بأمر من المأمون، وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى، من الخلفاء، كان ذا شجاعة وهيبة مع نزر في العلم، مات في سامراء، سنة: ٢٢٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩٠/١٠)، وتاريخ الخلفاء لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة: الأولى، (دار ابن حزم، بيروت، عام: ١٤٢٤هـ) (٢٦٤).وشذرات الذهب لابن العماد(١٢٧/٣).

(٣) هو: أبو العباس، أحمد بن الموفق بالله طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة: ٢٤٢هـ، وبويع سنة: ٢٧٩هـ، بعد عمه المعتمد، كان وافر العقل ذا شجاعة وسياسة، إلا أنه ذو جبروت، يسمى بالسفاح الثاني، توفي سنة:٢٨٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٦٣/١٣)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٩٣).

ومن تسلط هؤلاء وعظيم إفسادهم أن قاموا بإغراء ابن المتوكل[(١)(٢)] على نزع الخلافة من أبيه بقتله سنة ٢٤٧هـ، ثم قاموا بمبايعته وقد اعتُبر مقتل الخليفة المتوكل أفولٌ لعصر الخلافة العباسية، وولادة جديدة لمجد الأتراك المفسدين الذين فتكوا بالخلفاء، واستبدوا بالسلطة ونزعوها من أيديهم.

واستمر هؤلاء المماليك بالفتك بالخلفاء؛ فلم يكتفوا بالتدبير لقتل الخليفة المتوكل، بل إنهم قتلوا بعده الخليفة المستعين بالله[(٣)] سنة ٢٥٢هـ، ثم ابن الخليفة المتوكل: المعتز بالله[(٤)] سنة ٢٥٠هـ، ثم ابن الواثق[(٥)(٦)] سنة ٢٥٦هـ.

وقد كان لتلك الأحداث البائسة ملامح سياسية دالة عليها، منها[(٧)]:

----

(١) وهو: المنتصر بالله.

(٢) المتوكل، هو: أبو الفضل، المتوكل على الله، جعفر بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة: ٢٠٦هـ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق سنة: ٢٣٢هـ، وكان جوادًا ممدحًا محبًا للعمران، أظهر السنة ونافح عن أهلها، وفي عهده خمدت فتنة القول بخلق القرآن، مات سنة:٢٤٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/٣٠)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٧٤).

(٣) هو: أبو العباس، أحمد بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد، أخو الخليفة المتوكل، ولد سنة: ٢٢١هـ، وبويع بالخلافة سنة: ٢٤٨هـ، اشتهر بالترف وسرف المال، واضطربت الأمور في عهده، مات سنة: ٢٥٢هـ، انظر: العبر للذهبي (٢/٣٦٠). تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٨٤).

(٤) هو: أبو عبدالله، محمد وقيل: الزبير، بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة: ٢٣٢هـ، بويع له بالخلافة سنة: ٢٥٢هـ، وله تسع عشرة سنة، وكان مستضعفاً من الأتراك، خُلع وقُتل سنة: ٢٥٥هـ، وعمره اثنتان وعشرون سنة وثلاثة أشهر، انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٨٥)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣/٢٤٦).

(٥) وهو:. المهتدي بالله.

(٦) الواثق بالله، هو: أبو جعفر، هارون بن المعتصم بن الرشيد، أخو المستعين والمتوكل، ولد سنة: ١٩٦هـ، ولاه أبو العهد سنة: ٢٢٧هـ، كان شاعرًا وافر الأدب، مات سنة: ٢٣٢هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٣٠٦)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٧٠)، وشذرت الذهب لابن العماد (٣/١٥٠).

(٧) انظر: تاريخ الطبري "تاريخ الأمم والملوك"، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الطبعة: الثانية، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤٠٨هـ) (٥/٢٠٧)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٤/٤٥٠، ٢٨٧- =

• تدخل النساء في شؤون الدولة، مما أدى إلى تدهور البلاد، ومن ذلك ما حصل في عهد الخليفة المقتدر؛ حيث إنه كان يرجع الأمر والنهي إلى أمه والتي كانت تعزل الأمراء وتجلس للمظالم(١).

• تولية الوزراء وعزلهم، وتولية العهد أكثر من واحد، مما أدى إلى المنافسة المقيتة بين الأمراء في البيت الواحد.

• قيام دول وإمارات مستقلة، مع بقاء سلطة الخلافة.

• ثورة الزنوج، والتي شكلت خطرًا كبيرًا على البلاد.

ثم انتعشت بعد تلك الفترة الخلافة العباسية على يد بعض الخلفاء وعلى رأسهم الخليفة المعتضد بالله.

يقول السيوطي واصفًا حال المعتضد: ((وكان المعتضد شهمًا جلدًا موصوفًا بالرجلة، قد لقي الحروب وعُرف فضله؛ فقام بالأمر أحسن قيام، وهابَهُ الناسُ ورهبوه أحسن رهبة، وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيبته، وكانت أيامه طيبه كثيرة الأمن والرخاء، وكان قد أسقط المكوس، ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية، وكان يسمى السفاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس، وكان قد خلق وضعف وكاد يزول، وكان في اضطراب من وقت قتل المتوكل))(٢).

ولم تطُلْ هذه الإشراقة على عصر الدولة العباسية؛ فقد عاد الأتراك بتسلطهم بأمور الخلافة مرة أخرى.

وفي هذه الأثناء سادت الفوضى واضطربت الأحوال وعم السلب والنهب، كذلك سرى الخلاف إلى صفوف القادة الأتراك، مما أدى إلى هروب الخليفة المستعين بالله

= ٦٧٩)، ومحاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، لمحمد الخضري بك، د.ط، (دار الفكر، د.ت) (٢٧٨).

(١) انظر: تاريخ الطبري (١١/٦٧).

(٢) تاريخ الخلفاء (٢٩٣).

من عاصمة الخلافة إلى بغداد سنة ٢٥١هـ، ومعه أنصاره من الأتراك.

وفي خلال ذلك بويع بالخلافة ابن عمه المعتز بالله من قبل الأتراك فتصدع الأمر؛ فكانت بغداد وتوابعها مع المستعين، وسامراء مع المعتز(١).

واستمرت الحروب بين الطرفين إلى أن خلع المستعين نفسه سنة ٢٥٢هـ لشدة المحاصرة التي وقعت عليه، ثم تخلى معظم الجند عنه، ثم انتقل إلى واسط وقتل فيها.

واستمر الصراع بين الخلفاء والأتراك، وبين الخلفاء ومنافسيهم من بني العباس، وبين الأتراك بعضهم البعض إلى أن جاء عصر البويهيين سنة ٣٣٤هـ، والذي بدأ يظهر بعده شيء من الاستقرار السياسي في الدولة(٢).

الجانب الاجتماعي:

تأثرت ملامح الحياة الاجتماعية بالأوضاع السياسية التي كانت تمر بها الخلافة العباسية في تلك الفترة.

وكما تبين سابقًا اضطراب الأوضاع السياسية الظاهر والذي أدى إلى انتشار الخوف وانعدام الأمن خاصة بعد سيطرة المماليك على البلاد.

ومن أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في ذلك العصر ما يأتي:

- تنوع طبقات المجتمع، ذلك أن المجتمع العباسي دخلت فيه عناصر عدة

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور حسن إبراهيم حسن، الطبعة: الرابعة عشر، (دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ) (١٤/٣).

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٨٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٣٨/١٤)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العربية، بيروت، عام: ١٤١٣هـ) (٢٨٤/٢)، وتاريخ الإسلام السياسي، للدكتور حسن إبراهيم حسن، (٦٤/٢)، والعالم الإسلامي في العصر العباسي، للدكتور: حسن أحمد محمود، والدكتور أحمد إبراهيم الشريف، الطبعة: الخامسة، (دار الفكر العربي، د.ت) (٣١٤).

كالعرب والفرس والترك، وقد كان المجتمع يتكون من[1]:

- الخلفاء والأمراء وهم رؤوس الدولة، وهي الطبقة اللامعة التي كانت ترفل بنعم الدولة وثرواتها.

- ثم الجنود والذين كانت غالبتهم من العنصر التركي الذين اعتمد عليهم المعتصم، وقد بلغ من نفوذهم وسيطرتهم استهانتهم بالأنفس والأموال، ومما ذُكر عنهم أنهم كانوا يسيرون في شوارع البلاد في عهد المعتصم بخيولهم يصدمون الناس، لا يلتفتون إلى الشيخ الضعيف ولا المرأة ولا الطفل، حتى ارتفعت شكايا الناس إلى الخليفة ((فاجتمع إليه أهل بغداد وقالوا: إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك، قال: وكيف تحاربونني؟ قالوا: بسهام الأسحار، قال: وما سهام السحر؟ قالوا: ندعوا عليك، قال: لا طاقة لي بذلك))[2]، فخرج بعدها إلى بغداد.

- طبقة العلماء ومن حولهم من طلبة العلم؛ فقد كان العلماء يشكلون جانبًا كبيرًا في مجتمع الدولة العباسية، ومن تلك المدن نيسابور مدينة ابن خزيمة، والتي نُسب إليها خلق كثير من أئمة المسلمين في علوم شتى، منهم الإمام مسلم بن الحجاج.

- ومن فئات المجتمع: عامة الناس وهم أكثر الفئات.

- كذلك فئة الرقيق والجواري، وقد كثر عددهم وامتلأت قصور الخلفاء بهم.

ومن المظاهر في ذلك العصر تنوع مستوى الحياة الاجتماعي المترتب على اختلاف طبقات المجتمع؛ فقد غلب على جماعة من الخلفاء والأغنياء حياة الترف والبذخ ومبالغة التنعم نتيجة الثراء الذي كانت تعيشه تلك الطبقات ومن حولهم، وقد شمل ذلك الترف جوانب عدة كالقصور ومنازل الأثرياء ومراسم التزويج والملابس والطعام والشراب.

---

(١) انظر في ذكر تلك الفئات: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩٩/١)، وتاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣٨٤/٣).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٦٧).

ومما يُذكر من ذلك أن قصور الخلفاء من شدة عظمتها واتساعها أن أروقتها[(١)] كانت تسمى بالأربعيني والستيني والتسعيني، وذلك على عدد الغلمان الذين كانوا يجتمعون فيها.

وكذلك كانت دور الأغنياء تقسم إلى أقسام ثلاثة: مقاصي الحرم، وحجرات النوم، ومجالس السلام الخاصة بالضيافة، وغير ذلك من مظاهر الترف[(٢)].

وبالرغم من ظهور تلك الطبقة فقد ظهرت طبقة الزهاد الذين عزفت نفوسهم عن زخارف الحياة الدنيا، وكذلك لم يخلُ الحال من وجود الطبقة الفقيرة المعدومة.

ولم يكن ابن خزيمة ~ من أهل الحاجة والفقر، بل إنه كان ميسور الحال، لكنه كان مُعْرضًا عن زخارف الدنيا وزينتها، متقللاً منها؛ فقد ذكر السبكي أنه قيل له: ((لو قطعت لنفسك ثيابًا تتجمل بها؟ فقال: ما أذكر نفسي قط ولي أكثر من قميصين))[(٣)].

الجانب العلمي والديني:

امتاز عصر ابن خزيمة ~ بنهضة علمية وثقافية واسعة الأفق؛ فبالرغم من كثرة الاضطرابات السياسية إلا أن الحياة العلمية كانت مزدهرة.

وقد برز في ذلك العصر العلماء في كل فن من فنون العلم، وتكاثرت المراكز العلمية.

ومما ساعد على تلك النهضة عناية الخلفاء بهذا الجانب، كتحفيز العلم والعلماء، والاهتمام بدور العلم والمكتبات، ومن ذلك ما ذُكر عن الخليفة المتوكل

----

(١) الأروقة: جمع رُواق، وهي مقدَّم البيت، انظر: مجمل اللغة لابن فارس، كتاب الراء، باب: الراء والواو وما يثلثهما (٢/٤٠٧).

(٢) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/١٠٥)، وتاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم (٣/٤١٤).

(٣) طبقات الشافعية (٣/١١١).

أنه عند توليه الخلافة استقدم المحدثين إلى سامراء، وأجزل لهم العطايا[(١)].

ولو سُلط الضوء على نيسابور -بلاد ابن خزيمة- نجد أنها من أجلّ تلك المدن وأعظمها شأنًا، يقول ياقوت الحموي[(٢)]: ((هي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء، لم أرَ فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها))[(٣)].

وقد قيل: ((شجرة العلم أصلها بالحجاز، ونُقِل ورقُها إلى العراق، وثمرها إلى خراسان))[(٤)].

كما أفاد العلماء أن نيسابور بلغت غاية مجدها العلمي في عصر ابن خزيمة ~، يقول شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي[(٥)] متحدثًا عن أيام ابن خزيمة: ((وكانت حينئذٍ نيسابور دار الآثار، تُمدُّ إليها الرقاب وتشد إليها الركاب، ويجلب منها العلم))[(٦)].

ومن جميل ما يذكر من تقدير الأمراء للعلم وأهله -زمن ابن خزيمة- ما ذكره

----

(١) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٧٥)، ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية لمحمد الخضري (٢٦٥).

(٢) هو: أبو عبدالله، شهاب الدين، ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، ولد سنة: ٥٧٤هـ، مؤرخ أديب، تنقل في مدن عدة، وكان ذا همة عالية في التحصيل، له مصنفات في التاريخ والأنساب والبلدان، منها: "معجم البلدان"، و" إرشاد الاريب" المعروف: "بمعجم الأدباء" مات سنة: ٦٢٦هـ، انظر: العبر للذهبي (١٩٨/٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢١٣/٧).

(٣) معجم البلدان (٣٣١/٥).

(٤) الإرشاد للخليلي (٨٠٢/٩).

(٥) هو: أبو إسماعيل، عبدالله بن محمد بن علي بن جعفر الأنصاري الهروي، الحافظ الكبير، ولد سنة: ٣٩٦هـ، وتوفي في ذي الحجة، سنة: ٤٨١هـ، كان منافحًا عن السنة وسيفًا مسلولاً على أهل الكلام، لذا امتحن وأوذي في ذلك، من مصنفاته: كتاب "ذم الكلام"، و"الأربعين في دلائل التوحيد"، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٠٣/١٨)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣٤٩/٥).

(٦) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، د.ط، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام: ١٤١٦هـ) (١٧٨/٦).

السبكي أن ابن خزيمة دخل مع جماعة من المشايخ على أحد الأمراء[١]، وكان مع ابن خزيمة أبو عمرو الخفاف[٢] وأبو بكر الجارودي[٣]، فلما دخلوا ((سلّم ابن خزيمة عليه؛ فلم يلتفت إليه الالتفات إلى مثله، وكان أبو عمرو يساره -وهو يحدثه- إذ سأله عن الفرق بين الفيء والغنيمة؛ فقال له أبو عمرو: هذه من مسائل شيخنا أبي بكر محمد بن إسحاق؛ فاستيقظ الأمير مما كان فيه من الغفلة، وأمر الحاجب أن يقدمه إليه، واستقبله وعانقه واعتذر إليه من التقصير في أول اللقاء))[٤].

أما من الناحية الدينية؛ فبالرغم من وفرة علماء السنة وقوة جهودهم في التعليم والتصنيف إلا أنه كان لكثير من الفرق المخالفة أثر على فئات كثيرة من أفراد المجتمع، كالخوارج والمعتزلة والمرجئة والشيعة.

وقد عاصر ابن خزيمة ~ هذه الفرق؛ فلم يغض طرفه عنها، بل إنه كان ينازل أصحابها ويناظرهم ويعقد المجالس للرد عليهم ودحض شبهاتهم كما سيتضح من خلال البحث.



---

(١) اسمه: أبو إبراهيم، إسماعيل بن أحمد.

(٢) هو: أبو عمرو، أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري الخفاف، الإمام الحافظ الزاهد، شيخ نيسابور، كان كثير البر، ذا جلالة وعبادة وزهد، وكان سيدًا مطاعًا في بلده، ويلقب بـ "زين الأشراف"، مات سنة: ٢٩٩هـ، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٦٥٤/٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (٤٢١/٣).

(٣) هو: أبو بكر، محمد بن النضر بن سلمة بن الجارود بن يزيد الجارودي النيسابوري، كان إمامًا حافظًا، مات سنة: ٢٩١هـ، انظر الإرشاد للخليلي (٨٤٧/٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥٤١/١٣).

(٤) طبقات الشافعية للسبكي (١١٧/٣).

المطلب الخامس: صفاته

بلغ ابن خزيمة مبلغًا عظيمًا في الفضيلة، وما ظننا بمن قيل في فضله: ((إن الله ليدفع البلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبي بكر محمد بن إسحاق))(١).

ومن سجايا هذا العَلَم الفذ ما يأتي:

أولاً: التقوى وحسن التعبد.

ومما يدل على تقواه ~ أمور عدة منها:

١. تعلقه بربه تبارك وتعالى؛ وقد اتضح ذلك من خلال حسن استعانته بالله عز وجل في كتابيه: التوحيد والصحيح؛ فكثيرًا ما كان يكرر عبارات تفيد تعلق تصنيفه أو إملاءه بتوفيق الله ومشيئته ومعونته.

ومما يدل على تعلقه ذلك قوله عن نفسه: ((كنت إذا أردت أن أصنف الشيء دخلت في الصلاة مستخيرًا، حتى يقع لي فيها ثم ابتدئ))(٢).

وكذلك ما حصل له في رحلة الطلب هو وبعض الأئمة والتي سبق ذكرها، وما حصل من لجوئه إلى الله بالصلاة، يقول ابن كثير: ((وهو الذي قام يصلي حين وقعت القرعة عليه ليسترزق الله في صلاته... فرزقهم الله على يديه))(٣)

٢. بعده عن المحرمات وتصريحه بذلك، يقول ~ : ((ما حللت سراويلي على حرام قط))(٤).

٣. إخلاصه وبعده عما فيه شبهة الرياء ونظر الناس، يقول الذهبي: ((قال أبو

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٣٦٩).

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/٧٢١).

(٣) البداية والنهاية (١٥/١٠).

(٤) طبقات الشافعية للسبكي (٣/١١١).

أحمد حسينك: سمعت إمام الأئمة أبا بكر يحكي عن علي بن خشرم[١]، عن ابن راهويه: أنه قال: أحفظ سبعين ألف حديث؛ فقلت لابن خزيمة: كم يحفظ الشيخ؟ فضربني على رأسي وقال: ما أكثر فضولك! ثم قال: يا بني! ما كتبت سوداء في بياض إلا وأنا أعرفه))[٢].

وقد شهد له بهذه السجية العظيمة تلميذه ابن حبان بقوله: ((كان ~ أحد أئمة الدنيا علمًا وفقهًا وحفظًا وجمعًا واستنباطًا، حتى تكلم في السنن بإسناد لا نعلم سبق إليها غيره من أئمتنا، مع الإتقان الوافر والدين الشديد إلى أن توفى ~))[٣].

ثانيًا: الزهد والورع.

كان ابن خزيمة ~ زاهدًا في ملذات الدنيا معرضًا عنها، وما ذاك إلا لتعلق قلبه بالحياة الآخرة وانصراف همته لها، ولم يكن تقلله ذلك عن قلة وحاجة، بل إنه كان ذا مال وفير، ومما يذكر من زهده عدم ادخاره للمال، والغفلة عن التمييز له، يقول حفيده محمد بن الفضل عنه: ((لا يدخر شيئًا جهده، بل ينفقه على أهل العلم... ولا يميز بين العشرة والعشرين، ربما أخذنا منه العشرة، فيتوهم أنها خمسة))[٤].

ويقول شيخه الربيع: ((كان متقللاً، له قميص واحد دائمًا))[٥].

وذكر السبكي أنه ((قيل له يومًا: لو قطعت لنفسك ثيابًا تتجمل بها؟ فقال: ما

---

(١) هو: أبو الحسن، علي بن خشرم بن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال المروزي، إمام حافظ، روى عنه مسلم بن الحجاج، مات سنة: ٢٥٧هـ، انظر: الجرح والتعديل للرازي (٦/٢٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١/٥٥٢).

(٢) المصدر السابق (١٤/٣٧٢).

(٣) الثقات (٩/١٥٦).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٣٧٠).

(٥) شذرات الذهب لابن العماد (٤/٥٨).

أذكر نفسي قط ولى أكثر من قميصين))[١].

أما ورعه ~ فقد اتضح من بُعده عن الاحتجاج بما فيه تمويه، وبما يظن فيه الضعف، وإن كان هذا الاستدلال مما يؤيد فيه قوله، يقول ~ : ((قد أعلمت ما لا أحصي من مرة: أني لا أستحل أن أموه على طلاب العلم بالاحتجاج بالخبر الواهية، وإني خائف من خالقي جل وعلا إذا موهت على طلاب العلم بالاحتجاج بالأخبار الواهية وإن كانت حجة لمذهبي))[٢].

ثالثًا: التمسك الشديد بالسنة.

ذُكر لابن خزيمة بعض المواقف التي تدل على دقته وتحريه لاتباع سنة النبي ﷺ، ومن ذلك أنه ((قيل له يومًا: لو حلقت شعرك في الحمام؟ فقال: لم يثبت عندي أن رسول الله دخل حمامًا قط، ولا حلق شعره، إنما تأخذ شعري جارية لي بالمقراض))[٣].

و((قال الحاكم[٤]: سمعت أبا عمرو بن إسماعيل[٥] يقول: كنت في مجلس ابن خزيمة؛ فاستمدني مدة فناولته بيساري، إذ كانت يميني قد اسودت من الكتابة؛ فلم يأخذ القلم وأمسك فقال لي بعض أصحابه: لو ناولت الشيخ بيمينك، فأخذت القلم بيميني فناولته فأخذ مني))[٦].

----

(١) طبقات الشافعية (٣/١١١).

(٢) التوحيد (٢/٥٣٣).

(٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/١١١).

(٤) هو: أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم، الضّبي، النيسابوري، ولد سنة: ٣٢١هـ، طلب العلم في حداثة سنه، وسمع من نحو ألفي شيخ، كان إمام عصره في الحديث، ومن تصانيفه: "المستدرك على الصحيحين"؛ و"تاريخ نيسابور"؛ و"علوم الحديث"، مات سنة: ٤٠٣هـ، انظر: الإرشاد للخليلي (٨٥١/٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٦٢/١٧).

(٥) لم أقف على ترجمته.

(٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/١١١).

ومن طريف ما يدل على اتباعه للسنة وحرصه عليها الرؤية التي رؤيت فيه، يقول الذهبي: ((رأى جار لابن خزيمة من أهل العلم كأن لوحًا عليه صورة نبينا ﷺ وابن خزيمة يصقله، فقال المعبِّر: هذا رجل يحيي سنة رسول الله ﷺ))[1].

رابعًا: الحفظ والإتقان.

مُنح ابن خزيمة قوة في الحفظ، وتوقد في الذهن، وقد شهد له بذلك الأئمة، يقول ابن حبان: ((لم يُرَ مثل ابن خزيمة في حفظ الإسناد والمتن))[2].

ويقول الذهبي: ((انتهت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان))[3].

ومن أقوال العلماء في حفظه ودقة فهمه:

- قول أبي علي النيسابوري: ((كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة))[4].

- قول ابن حبان: ((ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح، وزياداتها حتى كأن السنن بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط))[5].

خامسًا: الجرأة والشجاعة في الحق.

اتسم ابن خزيمة بالجرأة والشجاعة؛ فلم يكن يخاف في الله لومة لائم، حتى وإن كان ذلك أمام ولي أو حاكم، وقد حكى ~ عن نفسه أنه كان عند الأمير وقام الأمير فحدث عن أبيه بحديث وَهِمَ في إسناده؛ فرده عليه ابن خزيمة، فأُخبر ابن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٧٢/١٤).

(٢) ذكره الذهبي في العبر (٤٦٢/١).

(٣) تذكرة الحفاظ (٧٢١/٢).

(٤) المصدر السابق (٧٢٣/٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (١١٨/٣).

(٥) المصدر السابق (١١٨/٣).

خزيمة أنهم يعلمون هذا الخطأ والوهم من الأمير من عشرين سنة ولم يتجرأ أحد لمواجهة الأمير، فقال لهم: ((لا يحل لي أن أسمع حديثًا لرسول الله ﷺ فيه خطأ وتحريف فلا أرده))[1].

سادسًا: الكرم والسخاء.

كان ابن خزيمة مثالاً عظيمًا في الكرم والعطاء، بعيدًا عن البخل وقلة اليد؛ فقد كان يجود بما عنده، حتى إنه لا يبقي شيئًا يدخره، وقد سبقت شهادة حفيده بذلك حيث قال عنه: ((لا يدخر شيئًا، بل ينفقه على أهل العلم، ولا يعرف الشح))[2].

ومن أشهر ما يُذكر عنه في ذلك: الدعوة العظيمة التي عملها، وجمع عليها الفقراء والأغنياء، حتى إنه شُهد لذلك اليوم بأنه ((كان يومًا مشهودًا بكثرة الخلق، لا يتهيأ مثله إلا لسلطان كبير))[3].

وقد قيل في وصف تلك الوليمة: ((الضيافة كانت في جمادى الأولى سنة تسع وثلاث مئة، وكانت لم يعهد مثلها، عملها ابن خزيمة، فأحضر جملة من الأغنام والحملان، وأعدال السكر، والفرش، والآلات، والطباخين، ثم إنه تقدم إلى جماعة المحدثين من الشيوخ والشباب، فاجتمعوا بجَنْزَرُوذ[4] وركبوا منها، وتقدمهم أبو بكر يخترق الأسواق سوقًا سوقًا، يسألهم أن يجيبوه، ويقول لهم: سألت من يرجع إلى الفتوة والمحبة لي أن يلزم جماعتنا اليوم.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للحافظ أحمد بن علي البغدادي (الخطيب البغدادي)، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، د.ط، (مكتبة المعارف، الرياض، عام: ١٤٠٣هـ) (١٧١/٢)، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي (١١١/٣).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٧٠/١٤)، وطبقات الشافعية للسبكي (١١٩/٣)،

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٧٢٩/٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (١١٩/٣).

(٤) قرية من قرى نيسابور، كان بها نهر، يقال إنها كانت كثيرة الفواكه، ولم يبقَ لها أثر، انظر: معجم البلدان (١٧١/٢)، وبلدان الخلافة الشرقية، لكي لسترنج (٣٤٦).

فكانوا يجيئون فوجًا فوجًا حتى لم يبقَ كبيرُ أحد في البلد -يعني نيسابور- والطباخون يطبخون، وجماعة من الخبازين يخبزون، حتى حمل أيضًا جميع ما وجدوا في البلد من الخبز والشواء على الجمال والبغال والحمير، والإمام ~ قائم يُجري أمور الضيافة على أحسن ما يكون، حتى شهد من حضر أنه لم يشهد مثلها))[1].



---

(١) نقله عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٧٨/١٤).

المطلب السادس: شيوخه

بلغ ابن خزيمة في العلم مبلغًا جعله إمامًا في عصره، وما ذاك -بعد فضل ربه عليه- إلا بتمام الفضل بأن وهبه الله جملة من العلماء والمحدثين الذين كانوا منارات للهدى، وقد أخذ ابن خزيمة من جمع كثير من العلماء، حتى إنه بلغ عدد الذين روى عنهم في كتابه التوحيد أكثر من مائة وخمسين شيخًا، أما كتابه الصحيح فقد بلغ عدد شيوخه مائتين وثلاثة وستين شيخًا[(١)].

ومن أهم مشايخه:

١- الإمام إسحاق بن راهويه، واسمه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، أبو يعقوب، الحنظلي المروزي، أحد الأئمة المشهورين، وكان عالم خراسان في عصره، قال عنه الذهبي: ((الإمام الحافظ الكبير، أبو يعقوب التميمي الحنظلي المروزي، نزيل نيسابور وعالمها، بل شيخ أهل المشرق))[(٢)].

وقال عنه ابن خزيمة: ((والله لو كان إسحاق في التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفهمه))[(٣)].

وقد سمع ابن خزيمة منه ولكن لم يحدّث عنه، ذلك أن سماعه كان في صغره، كما ذكر ذلك من ترجم له[(٤)]، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين[(٥)].

٢- محمود بن غيلان، واسمه: محمود بن غيلان المروزي العدوي، أبو أحمد،

----

(١) انظر: الإمام ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح للكبيسي (١٥٥/١).

(٢) تذكرة الحفاظ (٤٣٣/٢).

(٣) طبقات الشافعية للسبكي (٨٦/٢).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦٥/١٤)، وطبقات الشافعية للسبكي (١١٠/٢).

(٥) انظر في ترجمته: الإرشاد للخليلي (٩٠٩/٩)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٤٣٣/٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٨٣/٢).

قال عنه الذهبي: ((الحافظ المتقن... أحد أئمة الأثر))[(١)]، توفي في رمضان سنة تسع وثلاثين ومائتين[(٢)].

٣- محمد بن حميد بن حيان الرازي، أبو عبدالله، من المحدثين الحفاظ، قال عنه الذهبي: ((وكان من أوعية العلم))[(٣)]، وقد سمع منه ابن خزيمة في صغره لذلك لم يحدث عنه، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين[(٤)].

٤- بُندار، واسمه: محمد بن بشار بن عثمان العبدي النساج، أبو بكر، يقال له: بندار و((لقب بذلك، لأنه كان بندار الحديث في عصره ببلده، والبندار: الحافظ))[(٥)]. قال عنه الذهبي: ((كان عالمًا بحديث البصرة متقنًا مجودًا))[(٦)]، وقد روى ابن خزيمة عنه كثيرًا في كتابه التوحيد وكذلك الصحيح، وكان إذا حدث عنه يثني عليه بما يدل على مكانه عنده؛ فقال عنه في كتابه التوحيد: ((إمام أهل زمانه في العلم والأخبار محمد بن بشار بندار))[(٧)]، مات في رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين[(٨)].

----

(١) تذكرة الحفاظ (٤٧٥/٢).

(٢) انظر في ترجمته: الثقات لابن حبان (٢٠٢/٩)، والإرشاد للخليلي (٨٩٩/٩)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨٩/١٣).

(٣) العبر (٣٥٦/١).

(٤) انظر في ترجمته: الإرشاد للخليلي (٦٦٩/٦)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٤٩٠/٢)، وتهذيب التهذيب، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة: الأولى، (دار الفكر، عام: ١٤٠٤هـ) (١٢٧/٣٠).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤٤/١٢).

(٦) تذكرة الحفاظ (٥١١/٢).

(٧) (٥١٢/٢).

(٨) انظر في ترجمته: الثقات لابن حبان (١١١/٩)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٥١١/٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٣٨/٣).

٥- الإمام البخاري، واسمه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدالله، صاحب الجامع الصحيح، قال عنه الخليلي: ((المتفق عليه بلا مدافعة... وفضائله أكثر من أن توصف))[١]، حدث عنه ابن خزيمة وقال عنه: ((ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث، ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري))[٢]، وقد حدث البخاري عن ابن خزيمة في غير كتابه الصحيح كما ذكر ذلك أهل العلم[٣]، توفي ~ سنة ست وخمسون ومائتين، ليلة الفطر، وكان عمره اثنتين وستين سنة إلا اثنتي عشر يومًا [٤].

٦- الإمام مسلم، واسمه: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أبو الحسين، قال عنه الذهبي: ((الإمام الحافظ حجة الإسلام))[٥]، وهو ((أحد أركان الحديث))[٦]، توفي سنة إحدى وستون ومائتين[٧].

٧- المزني، واسمه: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزني، أبو إبراهيم، تلميذ الشافعي، قال عنه الخليلي: ((واتفقوا على أنه أزهد أهل العلم بمصر في زمانه، وأحسنهم ديانة))[٨]، وقد كان لابن خزيمة مكانة ووقار لدى المزني، قال عنه: ((إذا جاء الحديث فهو يناظر، لأنه أعلم بالحديث مني، ثم أتكلم

----

(١) الإرشاد (٩٥٨/٩).

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (٥٥٥/٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢١٢/٢).

(٣) ذكر ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٦٦/١٤)، والسبكي في طبقات الشافعية (١١٠/٣).

(٤) انظر في ترجمته: الإرشاد للخليلي (٩٥٨/٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٩١/١٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٥٦/٣).

(٥) تذكرة الحفاظ (٥٨٨/٢).

(٦) شذرات الذهب لابن العماد (٢٧١/٣).

(٧) انظر في ترجمته: الإرشاد للخليلي (٨٢٥/٩)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٥٨٨/٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٧٠/٣).

(٨) الإرشاد (٤٢٩/٣).

أنا))[١]، توفي سنة أربع وستين ومائتين[٢].

٨- الربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل المرادي المصري، أبو محمد، صاحب الشافعي وأقرب تلاميذه، قال عنه الذهبي: ((الإمام المحدث، الفقيه الكبير، بقية الأعلام))[٣]، وهو من أبرز شيوخ ابن خزيمة، وكان يحبه ويجله ويعترف له بمكانه، قال مرة لتلاميذه: ((هل تعرفون ابن خزيمة؟ فقالوا: نعم، قال: استفدنا منه أكثر مما استفاد منا))[٤]، توفي سنة سبعين ومائتين[٥].

وغيرهم من مشايخه ~ .



---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (٧٢٢/٣)، وطبقات الشافعية للسبكي (١١٣/٣).

(٢) انظر في ترجمته: الإرشاد للخليلي (٤٢٩/٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٩١/١٢)، وطبقات الشافعية، لجمال الدين عبدالرحيم الأسنوي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤٠٧هـ) (٢٩/١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٨٧/١٢).

(٤) نقله الذهبي في تذكرة الحفاظ (٧٢٢/٢).

(٥) انظر في ترجمته: الإرشاد للخليلي (٤٢٨/٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥٨٧/١٢)، وطبقات الشافعية للأسنوي (٣١/١).

المطلب السابع: تلاميذه

إمامة ابن خزيمة في العلم جعلت منه مدرسة يُرحل إليها؛ فقد كان محط أنظار كثير من التلاميذ، ومن أشهر تلاميذه:

١- محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري، والمتوفى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، قال عنه الذهبي: ((وكان غاية في معرفة الاختلاف والدليل))[(١)].

٢- محمد بن عبدالوهاب بن عبدالرحمن، أبو علي الثقفي، قال الذهبي فيه: ((الإمام المحدث الفقيه العلامة الزاهد العابد، شيخ خراسان))[(٢)]، وقال عنه السبكي: ((الجامع بين العلم والتقوى))[(٣)]، مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

٣- أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد النيسابوري الصِّبغي، أبو بكر، قال عنه الخليلي: ((كان عالمًا بالحديث، والرجال، والجرح والتعديل، وفي الفقه، كان المشار إليه في وقته))[(٤)]، توفي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة.

٤- الحسين بن علي بن يزيد النيسابوري، أبو علي، وهو من أشهر تلاميذ ابن خزيمة وكان يجله ويقدره، قال عنه الذهبي: ((الحافظ الإمام العلامة الثبت))[(٥)]، توفي

----

(١) تذكرة الحفاظ (٧٨٢/٣)، وانظر في ترجمته: طبقات الشافعية للسبكي (١٠٢/٣)، وطبقات الشافعية، لأبي بكر بن هداية الله الحسيني، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة: الثالثة، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، عام: ١٤٠٢هـ) (٥٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٨٠/١٥).

(٣) طبقات الشافعية (١٩٢/٣)، وانظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٨٠/١٥)، وشذرات الذهب لابن العماد (١٥٠/٤).

(٤) الإرشاد (٨٤٠/٩)، وانظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٨٣/١٥)، وطبقات الشافعية للسبكي (٩/٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٥١/١٦).

توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة[1].

٥- ابن حبان، محمد بن حِبان بن أحمد بن حبان التميمي البُسْتي، أبو حاتم، وهو الإمام الحافظ المعروف، صاحب الصحيح، قال الحاكم فيه: ((كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ، ومن عقلاء الرجال))[2]، وهو من أبرز تلاميذ ابن خزيمة وأجلهم، وقد لازمه وتفقه به وأكثر من الرواية عنه، توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة[3].

٦- القفّال، محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير الشاشي، أبو بكر، قال عنه الحاكم: ((كان أعلم أهل ما وراء النهر -يعني في عصره- بالأصول، وأكثرهم رحلة في طلب الحديث))[4]، كان له باع في التفسير والحديث والأصول، توفي سنة خمس وستين وثلاثمائة[5].

٧- ابن عَدي، عبدالله بن محمد بن عدي الجرجاني، أبو أحمد، صاحب كتاب: الكامل في الجرح والتعديل، قال عنه ابن الجوزي: ((كان أبو أحمد عالمًا بالحديث غاية فيه))[6]، وقال عنه السبكي: ((أحد الجهابذة الذين طافوا البلاد،

----

(١) انظر: الإرشاد للخليلي (٨٤٢/٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥١/١٦)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٧٦/٣).

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (٩٢١/٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (٩٢١/٣)، وطبقات الشافعية للأسنوي (١٩٨/١)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٨٥/٤).

(٤) نقله عنه ابن العماد، المصدر السابق (٣٤٥/٤).

(٥) انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٨٣/١٦). وطبقات الشافعية للسبكي (٢٠٠/٣)، وطبقات الشافعية لأبي بكر أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن قاضي شهبة، تصحيح وتعليق: الدكتور الحافظ عبدالعليم خان، الطبعة: الأولى، (مجلس دائرة المعارف الثمانية، حيدر أباد، عام: ١٣٩٨هـ) (١٢٩/١).

(٦) المنتظم لابن الجوزي (٢٤٥/١٤).

وهجروا الوساد، وواصلوا السهاد، وقطعوا المعتاد، طالبين للعلم))[١]، توفي سنة خمس وستين وثلاثمائة[٢].

٨- حُسَيْنك، الحسين بن علي بن محمد بن يحيى التميمي النيسابوري، أبو أحمد، وهو من أخص تلاميذ ابن خزيمة، يقول الحاكم: ((كان حسينك تربية أبي بكر بن خزيمة، وجاره الأدنى، وفي حجره من حين وُلد إلى أن توفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وعشرين سنة))[٣]، وقال الذهبي: ((كان يبعثه ابن خزيمة إذا تخلف عن مجلس السلطان لينوب عنه، وكان يعزه ويقدمه على أولاده))[٤]، كان ذا عبادة مشهودة، توفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة[٥].

٩- محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، أبو طاهر، حفيد ابن خزيمة، قال عنه الذهبي: ((الشيخ الجليل المحدث))[٦]، سمع من جده وأكثر من الرواية عنه، توفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة[٧].



---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/٣١٥).

(٢) انظر في ترجمته: الإرشاد للخليلي (٨/٧٩٤)، والمنتظم لابن الجوزي (١٤/٢٤٤)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣/٩٤٠).

(٣) تاريخ بغداد (٨/٧٤).

(٤) تذكرة الحفاظ (٣/٩٦٨).

(٥) انظر في ترجمته: المنتظم لابن الجوزي (١٤/٣١٢)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/٩٦٨)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣/٢٧٤)، وشذرات الذهب لابن العماد (٤/٤٠٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٦/٤٩٠).

(٧) انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦/٤٩٠)، شذرات الذهب لابن العماد (٤/٤٦٩).

المطلب الثامن: مذهبه الفقهي وعقيدته

أولاً: مذهبه الفقهي.[١]

اشتهر عند عامة من صنف في طبقات الشافعية أن ابن خزيمة ~ شافعي المذهب[٢].

ولعل من أهم أسباب ذلك: تتلمذه ~ وتلقي علمه على أئمة المذهب الشافعي، كالربيع بن سليمان والمزني -كما سبق بيان ذلك-.

قال ابن تيمية[٣] عنه: ((وهو ممن يفرح أصحاب الشافعي بما ينصره من مذهبه، ويكاد يقال ليس فيهم أعلم بذلك منه))[٤].

ثم إنه بلغ من العلم والفقه منزلة تؤهله للاجتهاد، كما تبين من شهادة

---

(١) انظر فيمن فصل القول في هذه المسألة من الباحثين: الدكتور أيمن حمزة، في رسالته:" الاتجاه الفقهي لابن خزيمة في صحيحه" (٥٨٦) –نقلا عن المدخل إلى صحيح ابن خزيمة للدكتور: محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني، د.ط (مكتبة الشؤون الفنية، عام: ١٤٣٢هـ)، والدكتور: عبدالعزيز الكبيسي، في رسالته:" الإمام ابن خزيمة ومنهجه في الصحيح" (١٢٣/١)، والدكتور: محمد محمدي النورستاني، في رسالته: " المدخل إلى صحيح ابن خزيمة" (٣٩).

(٢) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٠٩/٣)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٦١/١)، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢١٨/١)، وطبقات الشافعية لابن هداية الله (٤٨).

(٣) هو: أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني، الإمام العَلَم المجتهد، ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي بدمشق سنة ٧٢٨هـ، له مؤلفات كثيرة، منها: "منهاج السنة" و"درء تعارض العقل والنقل"، وقد جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم أكثر فتاويه ورسائله في كتاب سماه: "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية"، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٤٩٦/٤)، والذيل على طبقات الحنابلة، لزين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، د.ط، (دار المعرفة، د.ت). (٣٨٧/٢)، والدرر الكامنة لابن حجر (٨٨/١).

(٤) إقامة الدليل على إبطال التحليل، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ضمن الفتاوى الكبرى)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤٠٨هـ) (٤٧٤/٦).

معاصريه -من مشايخ وتلاميذ- له بذلك.

وقد قال هو عن نفسه: ((ما قلدت أحدًا منذ بلغت ست عشرة سنة))(١).

وقد صرح باجتهاده ~ عددٌ من العلماء، يقول السبكي في ترجمته: ((محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، إمام الأئمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المجتهد المطلق)) (٢).

وقال السبكي أيضًا: ((المحمدون الأربعة: محمد بن نصر، ومحمد بن جرير، وابن خزيمة، وابن المنذر، من أصحابنا وقد بلغوا درجة الاجتهاد المطلق، ولم يخرجهم ذلك عن كونهم من أصحاب الشافعي المخرجين على أصوله، المتمذهبين بمذهبه لوفاق اجتهادهم اجتهاده))(٣).

وقال ابن كثير عنه: ((كان بحرًا من بحور العلم... وهو من المجتهدين في دين الإسلام))(٤).

وقد عده بعض العلماء من فقهاء أهل الحديث، يقول ابن تيمية -وقد سئل عن عدد من أئمة الحديث- هل كان هؤلاء مجتهدين لم يقلدوا أحداً من الأئمة، أم كانوا مقلدين؟ فأجاب: ((الحمد لله رب العالمين، أما البخاري، وأبو داود؛ فإمامان في الفقه من أهل الاجتهاد، وأما مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وأبو يعلى... ونحوهم؛ فهم على مذهب أهل الحديث، ليسوا مقلدين لواحد بعينه من العلماء، ولا هم من الأئمة المجتهدين على الإطلاق، بل هم يميلون إلى قول أئمة الحديث))(٥).

----

(١) نقله عنه الشيرازي في: طبقات الفقهاء (١٠٦).

(٢) طبقات الشافعية (١٠٩/٣).

(٣) المصدر السابق (١٠٢/٣).

(٤) البداية والنهاية (١٠/١٥).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٩/٦)، وانظر: الطرق الحكمية، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامدالفقي، د.ط، (مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، د.ت). (٢٤٩).

ومن بلوغه درجة عالية في الاجتهاد ذُكر أن له مذهبًا يُتّبع، يقول ابن القيم[١] ~ : ((وقد كان إمام الأئمة ابن خزيمة ~ له أصحاب ينتحلون مذهبه ولم يكن مقلدًا بل إمامًا مستقلاً كما ذكر البيهقي[٢] في مدخله عن يحيى بن محمد العنبري[٣] قال: طبقات أصحاب الحديث خمسة: المالكية والشافعية والحنبلية والراهوية والخزيمية أصحاب ابن خزيمة))[٤].

ثانيًا: عقيدته.

كان ابن خزيمة ~ على عقيدة أهل السنة، بل إنه كان إمامًا من أئمتها، نهج نهجَهم، وأرسى قواعده الجليلة، كما كان ~ شديد المنافحة عن مذهب أهل السنة.

وأقواله ~ في ذلك كثيرة، ولعل هذا البحث لسان صدق وحق ينم عن صفاء

---

(١) هو: أبو عبدالله، شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي ثم الدمشقي، علامة محقق، برع في أنواع العلوم، ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي بدمشق سنة ٧٥١هـ، له مؤلفات كثيرة، منها: "إعلام الموقعين"، و"زاد المعاد"، و"أحكام أهل الذمة"، و"بدائع الفوائد". انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن الجوزي (٤٤٧/٢)، الدرر الكامنة لابن حجر (٢٤٣/٣)، الدر المنَضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لعبد الرحمن بن محمد العلمي، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، الطبعة: الأولى، (مكتبة التوبة، عام: ١٤١٢ هـ) (٥٢١/٢).

(٢) هو: أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجردي، الخرساني، البيهقي، الشافعي، الحافظ، الفقيه، المشهور، ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٨هـ بنيسابور ودفن ببيهق، وهي من أعمال نيسابور، من مصنفاته: "السنن الكبرى"، و"السنن والآثار"، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٧٥/١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦٣/١٨)، الوافي بالوفيات للصفدي (٣٥٤/٦).

(٣) هو: أبو زكريا، يحيى بن محمد بن عبدالله بن عنبر بن عطاء السلمي مولاهم، العنبري النيسابوري، حافظ أديب مفسر، كان يحفظ ما يعجز عن حفظه غيره، مات سنة: ٣٤٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٣٣/١٥)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٣٨/٤).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط، (المكتبة العصرية، بيروت، عام: ١٤٠٧هـ) (٢٦٤/٢).

عقيدته وجلائها، وأصالة قواعدها، كما أنه رؤية واضحة لدفاعه ومنافحته عنها، ومواجهة دعاوى أهل البدع والأهواء المعادين لأهل السنة، كالجهمية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم.

ولا أدل على ذلك من كتابه: التوحيد، والذي ألفه لبيان صحة مذهبه -مذهب أهل السنة- وباطل مذهب مخالفيهم[(١)].

يقول ابن القيم ~ : ((ولهذا كان السلف يترجمون الرد على الجهمية بالتوحيد والرد على الزنادقة والجهمية، كما ترجم البخاري آخر كتاب الجامع بكتاب التوحيد والرد على الجهمية والزنادقة، وكذلك ابن خزيمة سمى كتابه: التوحيد، وهو في الرد على الجهمية))[(٢)].

ودلائل سلفية معتقده كثيرة، منها: تصريحه باعتقاده لمنهج السلف في عدد من القضايا العقدية، والتأكيد على أن أقواله وما يعتقده منبعُهُ: الكتاب والسنة، ومنها: رده على المخالفين ودفاعه عن ما رموا به أهلَ السنة من تهمة التشبيه[(٣)].



---

(١) انظر: مقدمة التوحيد (١/٩).

(٢) الصواعق المرسلة لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: الدكتور: علي بن محمد الدخيل الله، الطبعة: الأولى، (دار العاصمة، الرياض، عام: ١٤٠٨هـ) (٢/١٤٠٥).

(٣) سيأتي الحديث عن هذه المعالم بالتفصيل، انظر: ص١٠٣.

المطلب التاسع: آثاره العلمية

أشار المترجمون لسيرة ابن خزيمة إلى كثرة تصانيفه ومؤلفاته، من ذلك قول الحاكم: ((ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابًا، سوى المسائل، والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء، وله فقه حديث بريرة في ثلاثة أجزاء))[(١)].

وقال السيوطي أيضًا: ((الحافظ الكبير، الثبت... صنّف وجوّد، واشتهر اسمه))[(٢)].

وكثرة التصنيف والجودة المشار إليها من العلماء نتجت عن طلب ابن خزيمة للعلم ورحلاته الواسعة كما تبين سابقًا، لذا يقول ابن كثير عن ابن خزيمة: ((ممن طاف البلدان، ورحل إلى الآفاق في طلب العلم وسماع الحديث، وكتب الكثير، وصنّف، وجمع))[(٣)].

ومما تميز به ابن خزيمة في التصنيف الدقة والتحري والحرص الشديد، يبين ذلك قوله: ((كنت إذا أردت أن أصنف الشيء دخلت في الصلاة مستخيرًا، حتى يقع لي فيها، ثم أبتدئ))[(٤)].

ومصنفات ابن خزيمة الموجودة هي:

١- صحيح ابن خزيمة، واسمه: (مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ).

يقول الخليلي: ((وآخر من روى عنه -أي عن ابن خزيمة- بنيسابور: سبطه محمد بن الفضل وروى عنه مختصر المختصر وغيره))[(5)].

---

(١) ذكره السبكي في طبقات الشافعية (١١٨/٣).

(٢) طبقات الحفاظ (٣١٣).

(٣) البداية والنهاية (٩/١٥).

(٤) ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ (٧٢١/٢).

(٥) الإرشاد (٨٣٢/٩).

وهذا الكتاب له مكانة عليا بين كتب السنة، يقول ابن كثير: ((وله كتاب (الصحيح) من أنفع الكتب وأجلها))(١).

وقد نبه العلماء على أن الموجود بين أيدينا من الصحيح جزءٌ يسير منه، يقول الدمياطي(٢): ((صحيح الإمام أبي بكر بن خزيمة، ولم يقع لي منه إلا ربعه الأول))(٣).

وذُكر أيضًا في ذيل تذكرة الحفاظ أن ((صحيح ابن خزيمة لم يوجد سوى قدر ربعه))(٤).

٢- كتاب التوحيد، واسمه: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، وقد حظي بتحقيقات وطبعات عدة(٥).

---

(١) البداية والنهاية (٩/١٥).

(٢) هو: أبو محمد، شرف الدين، عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الدمياطي الشافعي، ولد سنة: ٦١٣هـ، نشأ وتفقه في دمياط، كان حافظًا متقنًا، غزير اللغة، برع في الفقه وعلم الأنساب والقراءات، مع صدق وديانة وتواضع، مات سنة: ٧٠٥هـ، انظر: طبقات علماء الحديث، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي، تحقيق: أكرم البوشي، وإبراهيم الزيبق، الطبعة: الثانية، (مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: ١٤١٧هـ) (٢٦٢/٤).و تذكرة الحفاظ للذهبي (١٤٧٨/٤).

(٣) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، لشرف الدين أبي محمد عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الدمياطي، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة: الخامسة، (مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، عام: ١٤١٤هـ) (٢).

(٤) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لتقي الدين محمد بن الفهد المكي، د.ط، (دار إحياء التراث، د.ت) (٣٣٣).

(٥) حُقق كتاب التوحيد عدة تحقيقات، وهي: طبعة دار الكتب العلمية، عام: ١٤١٢هـ، تحقيق: محمد خليل هراس، وطبعة مكتبة الرشد، عام١٤٢٩هـ، تحقيق: الدكتور عبدالعزيز الشهوان، وطبعة دار الآثار، عام: ١٤٢٤هـ، تحقيق: أحمد بن علي القفيلي، وطبعة دار المغني، عام: ١٤٢٣هـ، تحقيق: سمير أمين الزهيري، وكذلك هذبه الدكتور: سليمان بن محمد الدبيخي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، عام: ١٤٣١هـ.

وقد ذكر بعض المحققين أن كتاب التوحيد جزءٌ من الصحيح[(١)]، ورجحوا ذلك لأمور، وهي:

أولاً: تصريح ابن حجر في بعض المواضع من كتبه بما يشير إلى أنه حزء من الصحيح، ومن ذلك قوله: ((وقد أخرجه ابن خزيمة في التوحيد من صحيحه))[(٢)].

ثانيًا: إحالات ابن خزيمة في كتابه التوحيد؛ فقد أورد إحالات عدة إلى كتب متقدمة على التوحيد ومنها ما هو موجود في الجزء المطبوع من الصحيح.

ثالثًا: أن طريقة التصنيف في الصحيح والتوحيد متقاربة، وذلك في ذكره للباب ثم سرد الأحاديث الدالة عليه بأسانيده، وكذلك شرطه الذي ذكره في التوحيد هو شرطه الذي في الصحيح؛ حيث يقول ~ : ((الجزء الأول من كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل التي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، الذي أنزله على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلى لسان نبيه بنقل الأخبار الثابتة الصحيحة، بنقل العدول عن العدول، من غير قطع في الإسناد، ولا حرج في ناقلي الأخبار))[(٣)].

وقد أكد على ذلك -وهو اعتبار التوحيد جزء من الصحيح- الدكتور: أحمد معبد عبدالكريم، حيث قال في تقديمه لتحقيق الدكتور ماهر الفحل لصحيح ابن خزيمة: ((وقد كان أول ما طُبع من هذا الصحيح -حسب علمي- هو كتاب التوحيد، نظرًا لتعدد نسخه الخطية بمفرده، ومع أنه في مخطوطاته، وأكثر من طبعة له، يحملُ عبارة شرط ابن خزيمة المذكور في بقية أجزاء الصحيح، إلا أن كثيرًا من طلبة العلم لا يعرف أن كتاب التوحيد هذا يُعدُّ أحد أجزاء صحيح ابن خزيمة، مع أن الحافظ ابن حجر[(٤)] صرح بذلك فيما سبق من كلامه، وفي فتح الباري أيضًا،

---

(١) انظر: المدخل إلى صحيح ابن خزيمة لمحمد محمدي (٩٨).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني، د.ط (دار المعرفة، بيروت، د.ت) (٢٦/٦)، وانظر أيضًا: (٦٠٧/٨) و(٣٦٧/١٣).

(٣) مقدمة التوحيد، صور من نماذج النسخ الخطية لكتاب التوحيد (٩٩/١).

(٤) هو: أبو الفضل، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي، محدث حافظ =

وغيره))[1].

والذي يترجح لي -والله تعالى أعلم- أن كتاب التوحيد كتابٌ مستقل، وذلك لأمور، وهي:

أولاً: تتابع أهل العلم -في مختلف العصور- على اعتباره كتابًا مستقلاً؛ فواقع الحال أنه مستقلٌ، ويؤيد ذلك إشارات أهل العلم للكتاب باسمه، خاصة عند سردهم لكتب أهل السنة المصنفة في بيان معتقد السلف المبني على الكتاب والسنة الصحيحة، ومن ذلك ما ذكره الصابوني حيث قال: ((وقال الإمام محمد ابن إسحاق بن خزيمة، في كتاب التوحيد الذي صنفه))[2].

وقال ابن تيمية: ((وفي ذلك مصنفات متعددة لأهل الحديث والسنة يذكرون فيها مقالات السلف بالأسانيد الثابتة عنهم وهي معروفة عند أهلها وذلك مثل... وكتاب التوحيد لأبي بكر بن خزيمة))[3].

ثانيًا: أن ابن خزيمة ~ ذكر في أول كتاب التوحيد سبب تصنيفه له، حيث قال: ((كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث ممن لعله كان يحضر بعض مجالس أهل الزيغ والضلالة من المعطلة والقدرية المعتزلة ما تخوفت أن يميل

= مشهور، ولد سنة ٧٧٣هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ، من مؤلفاته: "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، و"الإصابة في تمييز الصحابة"، انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي، د.ط، (دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت) (٣٦/٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٧٠/٧).

(١) (١/د).صحيح ابن خزيمة، تحقيق: ماهر الفحل.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، لأبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، تحقيق: ناصر عبدالرحمن الجديع، الطبعة: الثانية، (دار العاصمة، الرياض، عام:١٤١٩هـ) (٢٢٣).

(٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة: الأولى، (عام: ١٤٠٦هـ) (١٧١/٢)، وانظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (١٤٠٥/٢).

بعضهم عن الحق والصواب من القول إلى البهت والضلال في هذين الجنسين من العلم؛ فاحتسبت في تصنيف كتاب يجمع هذين الجنسين، من العلم بإثبات القول بالقضاء السابق والمقادير النافذة قبل حدوث كسب العباد، والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جلا وعلا مما وصف الله به نفسه))(١).

وهذا يؤكد أنه مستقل؛ حيث إنه لم تجرِ عادة المصنفين ذكرهم سببًا لتصنيف جزء من كتبهم، والذي يتضح من قوله السابق أن ثمة فتنة دارت في عهده خاف ابن خزيمة من أثرها على الناس دعته إلى تصنيفه كتاب التوحيد.

ثالثًا: إكثار ابن خزيمة من الاستدلال بالآيات في أبواب كتابه التوحيد، وهذا على غير عادة الكتب الصحيحة المصنفة؛ بل إنه قد يعقد بابًا مستدلاً فيه بالآيات دون ذكر الأحاديث، وذلك مثل باب إثبات العلم لله ﷻ(٢).

وتلك الطريقة وهي سرد الآيات ثم إتباعها بالأحاديث ليست على نهجه في كتابه الصحيح.

رابعًا: من أهم الفروق بين الصحيح والتوحيد والتي تؤكد أن كلاً منهما كتاب مستقل عن الآخر: عنوان الكتابين؛ فقد كان في الصحيح كلما ذكر كتابًا يشير إلى أنه مختصر المختصر، يقول عند كتاب الوضوء: ((كتاب الوضوء مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه ﷺ، من غير قطع في أثناء الإسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار))(٣)، ثم كرر ذلك العنوان نفسه في غالب كتب الصحيح(٤).

بينما الأمر مختلف في كتاب التوحيد؛ فلم يكن هذا صنيعه؛ ذلك أنه ذكر

---

(١) التوحيد (١/١٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٢٢).

(٣) الصحيح (١/٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/١٥٣)، و(٣/١٠٩، ١٨٦)، و(٤/١٢٧، ٥).

اسم الكتاب في أوله بعنوان: ((كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل التي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، الذي أنزله على نبيه المصطفى ﷺ، وعلى لسان نبيه، بنقل الأخبار الثابتة الصحيحة، نقل العدول عن العدول، من غير قطع في إسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار))(١).

وعلى كل حال فالأمر ليس فيه إشكال، وهذا الذي ترجح لدي، والعلم عند الله تعالى.

٣- بيان شأن الدعاء وتفسير الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ، وله نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم: "٦١ من ١١/أ، ١٩/ب" من القرن السادس الهجري(٢).

وما عدا هذه المصنفات -مع كثرتها- إلا أنها مفقودة ولم يُعثر عليها، وقد اجتهد محققو كتب ابن خزيمة في جمعها(٣)، وهي قسمان:

القسم الأول: الكتب التي ذكرها ابن خزيمة في كتابيه التوحيد والصحيح.

فقد ذكر ابن خزيمة في ثنايا كتابيه عددًا من الكتب وهي:

١- كتاب الأشربة(٤).

٢- كتاب الأطعمة(٥).

---

(١) صورة الصفحة الأولى من المخطوط، من التوحيد (١٠١).

(٢) تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، ترجمة: محمود فهمي حجازي، مراجعة: عرفة مصطفى، وسعيد عبدالرحيم، د.ط، (إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، عام: ١٤١١هـ) (٣٣).

(٣) انظر: مقدمة صحيح ابن خزيمة للأعظمي (١٢/١)، والإمام ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح للكبيسي(٢٤٦/١)، والمدخل إلى صحيح ابن خزيمة لمحمد محمدي (١٠٠).

(٤) انظر: التوحيد (٨٥٩/٢).

(٥) انظر: الصحيح (١٤٦/٤)،

٣- كتاب الإمامة[١].

٤- كتاب الأهوال[٢].

٥- كتاب الأيمان والنذور[٣].

٦- كتاب الإيمان[٤].

٧- كتاب البر والصلة[٥].

٨- كتاب البيوع[٦].

٩- كتاب التفسير[٧].

١٠- كتاب التوبة والإنابة[٨].

١١- كتاب الجنائز[٩].

١٢- كتاب الجهاد[١٠].

١٣- كتاب الدعاء[١١].

---

(١) انظر: التوحيد (١/٢٧٠)، والصحيح (١/٢٣٠، ٢٦٢، ٢١٦) وغيرها.

(٢) انظر: التوحيد (٢/٧٦٣، ٧٣٠، ٦٨٢)، وغيرها من المواضع.

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/٨٤٧)، والصحيح (٤/١٩٦، ٣٨).

(٤) انظر: التوحيد (١/٢، ١١٩/٢٠٨، ٤٣٧)، والصحيح (١/١٥٩، ٢٠، ١٧) وغيرها من المواضع.

(٥) انظر: التوحيد (٢/٨٥٩).

(٦) انظر: الصحيح (١/١٤٦، ١٠٤)، وغيرها من المواضع.

(٧) انظر: التوحيد (٢/٥٠٧).

(٨) انظر: المصدر السابق (١/١٧٧).

(٩) انظر: المصدر السابق (١/٢، ٤٠/٨٨١)، وغيرها من المواضع.

(١٠) انظر: المصدر السابق (١/٥٧٤، ٢٤١، ٣١)، والصحيح (٢/٣، ١١٩/٣٤٧) وغيرها من المواضع.

(١١) انظر: التوحيد (١/١٨، ٢٧٨، ٣٤)، وغيرها.

١٤- كتاب الدعوات(١).

١٥- كتاب ذكر نعيم الجنة(٢).

١٦- كتاب ذكر نعيم الآخرة(٣).

١٧- كتاب الذكر والتسبيح(٤).

١٨- كتاب الصدقات(٥).

١٩- كتاب صفة نزول القرآن(٦).

٢٠- كتاب الصلاة الكبير(٧).

٢١- كتاب الصلاة(٨).

٢٢- كتاب الصيام(٩).

٢٣- كتاب الطب والرقى(١٠).

٢٤- كتب الظهار(١١).

---

(١) انظر: التوحيد (٧٩/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٨٧٤/١، ٢٤٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٧٥٥/١، ٣٤١)، وغيرها.

(٤) انظر: المصدر السابق (١١٤/١).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣٨١/١، ١٤٧)، والصحيح (١٣٠/٤).

(٦) انظر: التوحيد (٣٥٨/١).

(٧) انظر: الصحيح (٢٢٥/١).

(٨) انظر: التوحيد (٧٩/١، ٣٦)، ٨٢٧/٢)، وهو من كتب صحيح ابن خزيمة المطبوع (١٥٣/١).

(٩) انظر: التوحيد (٣١/١).

(١٠) انظر: المصدر السابق (٤٠١/١).

(١١) انظر: المصدر السابق (٢٨٦/١، ١٠٦).

٢٥- كتاب الفتن[١].

٢٦- كتاب القدر[٢]، وقد ذكره ابن خزيمة في مقدمة كتاب التوحيد وأشار إلى أنه ألفه قبل كتاب التوحيد، يقول ~ : ((قد بدأت كتاب القدر فأمليته وهذا كتاب التوحيد))[٣].

٢٧- كتاب اللباس[٤].

٢٨- كتاب معاني القرآن[٥].

٢٩- كتاب المناسك[٦].

٣٠- كتاب الورع[٧].

٣١- كتاب الوصايا[٨].

والذي يبدو أن هذه الكتب التي أشار إليها ابن خزيمة ~ في كتابيه ليست كتبًا مستقلة وإنما هي أجزاء مكونة لكتاب واحد وهو الذي رجحه المحققون لكتب ابن خزيمة[٩]، مع احتمال كون بعضها مستقلاً ككتاب معاني القرآن؛

---

(١) انظر: التوحيد (١/٢، ١٠٤/٤٢٩). وغيرها من المواضع.

(٢) انظر: المصدر السابق (١/١٩٠، ١٢٣، ١١). وغيرها من المواضع.

(٣) المصدر السابق (١/١١).

(٤) انظر: الصحيح (١/٣٨٢).

(٥) انظر: التوحيد (٢/٨٧٠، ٦٨٧)، والصحيح (١/٢، ٣/٢٥١، ٤/٢٠٤، ١٧٩/٣٠٢)، وغيرها من المواضع.

(٦) انظر: التوحيد (٢/٥٧٩)، وهو من كتب صحيح ابن خزيمة المطبوع (٤/١٢٧).

(٧) انظر: التوحيد (٢/٨٤٦، ٨٤٤).

(٨) انظر: المصدر السابق (١/٤٤).

(٩) انظر: مقدمة صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: الدكتور: محمد الأعظمي، الطبعة: الثانية، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤١٢هـ)، (١/١٤)، وابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح للكبيسي (١/٢٤٩)، والمدخل إلى صحيح ابن خزيمة لمحمد محمدي (١٠٨).

حيث قال عند هذا الكتاب: ((وهذا من الجنس الذي أعلمت في غير موضع من كتابنا في كتاب معاني القرآن، وفي الكتب المصنفة من المسند))[١]، وقال كذلك: ((وقد كنت بينت في كتابي الأول كتاب معاني القرآن أن هذا الأمر أمر تكوين))[٢]، فكلامه هذا يرجح احتمال كون كتاب معاني القرآن كتابًا مستقلاً.

ومما يؤيد كون تلك الكتب المذكورة أجزاءً من كتاب كبير أمور، وهي:

أولاً: أن هذا المسلك سلكه جل الأئمة كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وغيرهم؛ فقد كانت كتبهم تحتوي على عدد من الكتب المكوِّنة لأبواب عدة.

ثانيًا: التوافق بين ما يذكره ويحيل إليه في كتبه، مثال ذلك:

قال في كتاب التوحيد عند شهود الملائكة صلاة العصر وصلاة الفجر: ((خرجت هذا الباب بتمامه في كتاب الصلاة وكتاب الإمامة))[٣].

وما ذكره ~ في هذا الموضوع موجود في الصحيح؛ فقد عقد بابًا قال فيه: ((باب ذكر اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة والعصر جميعًا، ودعاء الملائكة لمن شهد الصلاتين جميعًا))[٤].

وذكر كذلك طرفًا من الحديث في كتاب الإمامة من الصحيح، ثم قال: ((أمليت في أول كتاب الصلاة ذكر اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر))[٥].

والمواضع في ذلك كثيرة[٦].

---

(١) الصحيح (١٧٩/٣).

(٢) التوحيد (٨٨/٢).

(٣) (٢٧٠/١).

(٤) (١٦٥/١).

(٥) (٣٦٥/٢).

(٦) انظر: التوحيد (٣٠/١) مع الصحيح (٢٩٧/٣)، والتوحيد (٨٢٧/١) مع الصحيح (١٦٤/١).

ثالثًا: إحالات ابن خزيمة وإشاراته، فعند ذكره لبعض تلك الكتب يحيل على كتابه الكبير، يقول ~ : ((قد خرجت طرق هذا الخبر وألفاظها في كتاب الصلاة كتاب الكبير))[(١)].

وقال في موضع آخر: ((خرجته بطوله في كتاب الصدقات من كتاب الكبير))[(٢)].

وقد يصرح بما يدل على طريقة التقسيم على الكتب ثم الأبواب وهكذا، يقول ~ : ((خرجت هذا الباب في كتاب الصدقات أول باب من أبواب صدقة التطوع))[(٣)].

ويقول أيضًا: ((أمليت تمام هذا الباب في كتاب الظهار في ذكر عتق الرقبة في الظهار))[(٤)]، وغيرها من المواضع[(٥)]، والله تعالى أعلم.

القسم الثاني: الكتب التي ذكرها العلماء.

وهذه الكتب هي:

١- كتاب الضعفاء، يقول الذهبي في مقدمة كتابه المغني في الضعفاء: ((وقد جمعت في كتابي هذا أممًا لا يُحصون؛ فهو مغنٍ عن مطالعة كتب كثير من العلماء؛ فإني أدخلت فيه -إلا من ذُهلت عنه- الضعفاء... للبخاري... وابن خزيمة))[(٦)].

٢- عوالي ابن خزيمة، يقول الذهبي: ((وقع لي بالإجازة عدة أجزاء من عوالي

---

(١) الصحيح (٢٤٩/١).

(٢) التوحيد (٣٨١/١).

(٣) المصدر السابق (١٤٧/١).

(٤) المصدر السابق (٢٨٦/١).

(٥) انظر: المصدر السابق (٤٠/١، ٨٧٤/٢، ٨٦٣، ٤٣٧).

(٦) المغني في الضعفاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: نور الدين عتر، د.ط، (دار إحياء التراث، قطر، د.ت) (٣٥/١).

ابن خزيمة))[١].

٣- فقه حديث بريرة، وهو الذي أشار إليه الحاكم -كما ذُكر سابقًا-[٢]، وقال عنه ابن حجر: ((وقال النووي[٣]: صنف فيه -أي حديث بريرة- ابن خزيمة وابن جرير تصنيفين كبيرين، أكثرا فيهما من استنباط الفوائد منها؛ فذكرا أشياء، قلت: ولم أقف على تصنيف بن خزيمة))[٤].

٤- كتاب القراءة خلف الإمام[٥].

٥- كتاب المسائل المصنعة في الحديث[٦].

٦- مسألة الحج[٧].

٧- فوائد الفوائد عن ابن خزيمة[٨].

----

(١) تذكرة الحفاظ (٧٣٠/٢).

(٢) انظر: ص٦٧.

(٣) هو: أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف بن مرِّي – ويقال: مِرَ – الحزامي النووي، أحد أعلام الشافعية وفقهائهم الكبار، ولد سنة: ٦٣١هـ، توفي بنَوى سنة: ٦٧٦هـ، من مؤلفاته: "المجموع شرح المهذب" – ولم يكمله -، و"روضة الطالبين"، و"تهذيب الأسماء واللغات"، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٤٧٠/٤)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣٩٥/٨)، وشذرات الذهب لابن العماد (٦١٨/٧).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٩٤/٥).

(٥) ذكره البيهقي، انظر: السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، د.ط، (دار المعرفة، بيروت، د.ت). (١٧٠/٢).

(٦) انظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، د.ط، (وكالة المعارف الجليلة، إستانبول، عام: ١٩٥٥م) (٢٩/٢). هكذا، وقد ذكر بعض المحققين أن اسمه: "المسائل المصنفة".

(٧) انظر: معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: أحمد فارس السلوم، الطبعة: الأولى، (دار ابن حزم، بيروت، عام: ١٤٢٤هـ) (٢٨٤).

(٨) انظر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، الطبعة: الأولى، (دار المعرفة، بيروت، =

٨- جزء من حديث ابن خزيمة[١].

٩- كتاب السياسة[٢].

وهذه الكتب التي ذكرها العلماء كلها مفقود ولم يُعثر عليها.



= عام: ١٤١٣هـ) (٢/٤٢٥)، وصلة الخلف بموصول السلف، لمحمد بن سليمان الراوندي، تحقيق: الدكتور: محمد الحجي، الطبعة: الأولى، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠٨هـ) (٣٣١).

(١) انظر: المجمع المؤسس لابن حجر (٢/٢٠٨).

(٢) ذكره الراوندي، انظر: صلة الخلف (٢٦٨).

المطلب العاشر: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

نال ابن خزيمة ثناءً ماتعًا من الأئمة الأعلام، ومما يزيد له في النفس عظيم المكان ورفيع الدرجة العلمية: علو منزلة هؤلاء العلماء الشاهدين له؛ فقد كانت تلك الأقوال من الأئمة من مختلف الطبقات وشتى العلوم، كأئمة علم الحديث الفقه والجرح والتعديل والمؤرخين وغيرهم.

وما قيل في الثناء عليه وعلى علمه كثير، ولعلي أقتطف بعضًا منها، وهي:

شهادتهم له بالإمامة في العلم والتقدم على غيره، مع التفرد وانعدام النظير:

يقول تلميذه ابن حبان: ((كان ~ أحد أئمة الدنيا علمًا وفقهًا... تكلم في السنن بإسناد لا نعلم سبق إليها غيره من أئمتنا))(١)، ويقول كذلك الدارقطني(٢): ((كان ابن خزيمة إمامًا ثبتًا معدوم النظير))(٣)، ويقول السمعاني(٤): ((اتفق أهل عصره على تقدمه في العلم))(٥)، وقال أبو علي النيسابوري: ((لم أر أحدًا مثل ابن خزيمة))(٦)، وقال الذهبي: ((يُضرب به المَثل في سعة العلم والإتقان))(٧)، وقال أيضًا: ((وانتهت إليه

---

(١) الثقات (١٥٦/٩).

(٢) هو: أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني، الإمام الحافظ، صاحب السنن، ولد سنة: ٣٠٦هـ، كان أوحد عصره في الحديث ومعرفة رجاله وعلله، مات سنة: ٣٨٥هـ، انظر: الإرشاد للخليلي (٦١٥/٥)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٩٩١/٣)

(٣) نقله الذهبي في التذكرة (٧٢٨/٢).

(٤) هو: أبو سعد، تاج الإسلام، عبدالكريم بن محمد بن منصور المروزي الشافعي السمعاني، كان وافر العلم كثير الفضائل، له رحلة واسعة، من تصانيفه: "تاريخ مرو"، و"طراز الذهب في أدب الطلب، مات بمرو سنة: ٥٦٢هـ، انظر: العبر للذهبي (٣٦/٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣٤٠/٦).

(٥) الأنساب (٣٦٢/٢).

(٦) ذكره الذهبي في السير (٣٧٢/١٤).

(٧) المصدر السابق (٣٦٥/١٤).

الإمامة والحفظ في عصره بخراسان))[1] ، وكذلك قال: ((هذا الإمام كان فريد عصره))[2] ، وقال السبكي: ((وأقام بمدينة نيسابور إمامَها حيث الضراغم مُزدحمة، وفردها الذي رفع العلمُ بين الأفراد علَمَه))[3] ، وقال ابن الجزري[4] : ((إمام الأئمة، وأحد أعلام الأمة حفظًا وفقهًا وزهدًا))[5] ، وقال أبو الحسن بن حمدويه السَنجاني[6] : ((نظرتُ في مسألة الحج لمحمد بن إسحاق بن خزيمة فتَيَقَّنتُ أنه علم لا نُحسِنه نحن))[7] .

الشهادة بالبراعة في علوم شتى:

يقول الذهبي: ((عني في حداثته بالحديث والفقه))[8] ، وقال أيضًا: ((كان رأسًا في الحديث، رأسًا في الفقه))[9] ، وقال أبو الفضل الهمذاني[10] : ((وأبو بكر محمد بن

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/٧٢١).

(٢) المصدر السابق (٢/٧٢٣).

(٣) طبقات الشافعية (٣/١٠٩).

(٤) هو: أبو الخير، شمس الدين، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، المشهور بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه، ولد في دمشق سنة: ٧٥١هـ، من مؤلفاته: "النشر في القراءت العشر"؛ و"غاية النهاية في طبقات القراء"، مات بشيراز سنة: ٨٣٣هـ، انظر: الضوء اللامع للسخاوي، (٩/٢٥٥)، وشذرات الذهب لابن العماد (٩/٢٩٨).

(٥) غاية النهاية (٢/٨٨).

(٦) هو: القاضي أبو الحسن، علي بن الحسن بن محمد بن حمدويه السنجاني، قال الحاكم: كان أحد فقهاء الشافعية، وتقلد القضاء بنيسابور، مات سنة: ٣١٦هـ، انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣/٤٤٤).

(٧) معرفة علوم الحديث للحاكم (٢٨٤).

(٨) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٥).

(٩) ذكره القاسمي في الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: عاصم بهجة البيطار، ، الطبعة: الأولى، (دار النفائس، بيروت، عام: ١٤٠٣هـ) (٣٣٤).

(١٠) هو: أبو الفضل، صالح بن أحمد بن محمد بن أحمد بن صالح بن عبدالله التميمي الهمذاني =

إسحاق بن خُزيمة فتح أقفال متون الأخبار، وميّز الأسانيد وناقليها، وأوردَ في مصنفاته في المعرفة بالحديث والطرق، وتمييز فقه المتون، واختلاف العلماء، وشرائط التحديث ما لم يُرزق غيره))[1]، وقال السبكي: ((جمع أشتات العلوم، وارتفع مقداره فتقاصرت عنه طوالع النجوم))[2]، وقال ابن كثير: ((كان من أوعية العلم وبحوره، وممن طاف البلدان، ورحل إلى الآفاق في طلب العلم وسماع الحديث))[3]، وقال ابن الجوزي: ((وكان مبرزًا في علم الحديث وغيره))[4].

الشهادة له بالفقه العميق، والاستنباط الدقيق:

وقد تعددت الأقوال الدالة على فقهه ومنها: قول ابن حبان: ((ما رأيتُ على وجه الأرض من يحفظ صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح، وزياداتها، حتى كأنّ السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط))[5].

وقال ابن سريج[6]: ((يُخْرِج النُّكت من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله بالمِنقَاش))[7]، وقال أبو علي النيسابوري: ((كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه

= السمسار، يعرف بالكوملاذي، ولد سنة: ٣٠٣هـ، حافظًا ثبتًا، له مصنفات، منها: "الطبقات للهمذانيين"، و"سنن التحديث"، مات سنة: ٣٨٤هـ، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٩٨٥/٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣٠١/٤).

(١) طبقات علماء الحديث لابن عبدالهادي (٤٤٣/٢).

(٢) طبقات الشافعية (١٠٩/٣).

(٣) البداية والنهاية (٩/١٥).

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢٣٤/١٣).

(٥) سبق ذكره ص٥٢.

(٦) هو: أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، القاضي من أبرز علماء الشافعية، يسمى بالباز الأشهب، تفقه به أئمة أعلام، مات في بغداد، سنة:٣٠٦هـ، انظر: طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٨)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤٨/١).

(٧) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٧٣/١٤).

كما يحفظ القارئ السورة))[١].

الشهادة له بالعظمة والجلالة لعلمه:

ومن ذلك قول الذهبي: ((لابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه))[٢]، وقال أيضًا: ((من دعاة السنة... له جلالة عظيمة بخراسان))[٣].

الشهادة له بكثرة التصنيف:

يقول ابن كثير: ((كان من أوعية العلم وبحوره، وممن طاف البلدان، ورحل إلى الآفاق في طلب العلم وسماع الحديث، وكتب الكثير وصنّف وجمع، وله كتاب: الصحيح من أنفع الكتب وأجلها))[٤]، وقال الذهبي: ((فأكثر وجوّد وصنّف))[٥]، وقال الحاكم: ((ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابًا، سوى المسائل، والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء، وله فقه حديث بريرة في ثلاثة أجزاء))[٦].

الشهادة بمكان شيوخه وتلامذته:

قال الخليلي: ((وروى عنه أئمة الدنيا في وقتهم من الفقهاء مثل: أحمد بن إسحاق الصبغي... وآخر من روى عنه بنيسابور سبطه محمد بن الفضل، روى عنه مختصر المختصر))[٧]، وذكر الذهبي عنه أنه ((كان له أصحاب صاروا أنجم الدنيا مثل: أبي علي الثقفي، وأبي بكر بن إسحاق الصبغي خليفة ابن خزيمة في الفتوى، وأحسن

---

(١) ذكره ابن العماد في شذرات الذهب (٥٧/٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٧٤/١٤).

(٣) ذكره القاسمي في الفضل المبين (٣٣٤).

(٤) البداية والنهاية (٩/١٥).

(٥) تذكرة الحفاظ (٧٢١/٢)، وانظر: شذرات الذهب لابن العماد (٥٧/٤).

(٦) ذكره السبكي في طبقات الشافعية (١١٨/٣).

(٧) الإرشاد للخليلي (٨٣٢/٩).

الجماعة تصنيفًا وسياسةً في مجالس السلاطين))[1].

ومن ذلك رواية الأئمة الكبار عنه، واستفادة شيوخه منه كما سبق ذكر ذلك.



---

(١) نقله عن أبي بكر محمد بن حمدون، تذكرة الحفاظ (٢/٧٢٤).

المطلب الحادي عشر: فتنة ابن خزيمة مع جلسائه

علت مكانة ابن خزيمة ~ العلمية، وطبق ذكره الآفاق، وتفرد على أهل زمانه في العلم، إلا أن سنة الله في ابتلاء الأمثل لأنبيائه أبت إلا أن يكون لابن خزيمة حظٌ منها.

فبعد أن كان له جلساء وتلاميذ بلغوا مكانة كبيرة، منهم: أبو علي الثقفي، وأبو بكر بن إسحاق الصبغي؛ قدر الله أن يحصل خلاف بين الشيخ –ابن خزيمة- وتلاميذه، قد يكون الذي أثاره الحسد وأعان على انتشاره وشاية أهل الباطل من أهل الأهواء والبدع.

ثم إن أصل تلك الفتنة والتفريق بين ابن خزيمة وأخص جلسائه: إفسادُ أحد المعتزلة[1]؛ حيث قام بالوشاية بينهم واتهامهم بالخوض في العقائد واتباعهم لمذهب الكلابية.

ووقعت جراء ذلك وحشة شديدة بين ابن خزيمة وأصحابه، فسعى بعض الحريصين للصلح بينهم، وانتهى بتقديم صك منهم لابن خزيمة يوضح اعتقادهم والذي أظهر لابن خزيمة موافقتهم له وعدم مخالفته فيما اعتقدوه.

ولكن أهل الباطل لم يزالوا في الاستمرار في تلك الفتنة، فافتروا كذبة أخرى؛ فأخبروا ابن خزيمة بأن أصحابه غيروا كلامهم السابق وغدروا به.، فغضب ابن خزيمة غضبًا شديدًا لذلك، وأرسل بطلب المحضر، ولكن أحدهم رفض ذلك؛ فقوي ظن ابن خزيمة بما أملي عليه في أصحابه، وظل ساخطًا عليهم إلى أن مات[2].

على أن الوقوف على تفاصيل ما حصل لمعرفة المصيب من المخطئ شيء متعذر؛ فقد يكون تلاميذ الإمام بريئين مما رموا به ووقع اللبس لدى شيخهم بسبب كذب أهل الفتن وإيغار صدره عليهم.

---

(١) اسمه: منصور الطوسي.

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ (٢/٧٢٦).

وقد يكون الإمام ابن خزيمة قد وقف -حقًا- على سبب يقتضي هذه الشدة منه، وهذا ما استظهره شيخ الإسلام ابن تيمية ~ .

فقد ذكر ابن تيمية ~ أن أبا علي الثقفي وأبا بكر الصبغي ذهبا إلى قول ابن كلاب[1] في مسألة كلام الله، حيث قالوا: إن كلامه أزلي ولا يتعلق بمشيئته، وأنه لا يتكلم بعْدما تكلم فيكون كلامه حادثًا، فقام أحد المعتزلة وألقى عند ابن خزيمة حقيقة قولهم، وحصل نزاع بينه وبينهم، وعظمت الفتنة واشتدت الوحشة، وانقسمت نيسابور حزبين، حزب مع ابن خزيمة وهم جمهور أهل السنة والحديث، وحزب مع من يقول بقول ابن كلاب، وأدى ذلك إلى تدخل الحكام والأمر بتأديب من خالف ابن خزيمة، وقد ذُكر أنه انتهى بأحدهم الأمر -وهو أبو علي الثقفي – أن يلزم بيته[2]. وهو الذي قال عنه الذهبي: ((خالف الإمام ابن خزيمة في مسألة التوفيق والخذلان، ومسألة الإيمان، ومسألة اللفظ؛ فألزم البيت ولم يخرج منه إلى أن مات، وأصابه في ذلك فتن))[3].

وعلى كل حال فإن المصادر لا تسعف في حصول الجزم بذلك الخلاف:

هل كان واقعًا حقًا، أم لا؟ وهل رجع أصحاب ابن خزيمة إلى قول أهل السنة في الكلام، بعد أن عرضوا عليه معتقدهم، أم أنهم استمروا على ذلك المعتقد؟ فالله أعلم بحقيقة ذلك.

----

(١) هو: أبو محمد، عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، رأس المتكلمين بالبصرة، وكان يلقب كلابًا لقوته في المناظرة؛ فقد كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته، خالف في صفة الكلام، وإليه تنسب فرقة الكلابية، كان يرد على الجهمية والمعتزلة، مات سنة: ٢٤١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/١٧٤)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢/٢٩٩).

(٢) انظر تفاصيل ذلك: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/١٦٩، و١٧/٥٦)، ودرء تعارض العقل والنقل، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة: الأولى، (مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، عام: ١٣٩٩هـ)، (٢/٩٠، ٧٨-٨٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٥/٢٨٢).

والدرس المستفاد من هذه القصة -بحسب ما جاء في المصادر- أن لأهل البدع أثرًا عظيمًا في الإفساد بين أهل السنة وبين علمائهم؛ فليأخذوا العبرة.

المطلب الثاني عشر: ما أثير من شبهات حول الإمام ابن خزيمة والرد عليها

بالرغم من نصوع سيرة ابن خزيمة ~ ، وارتفاع قامته بين أهل السنة إلا أنه لم يرُقْ ذلك لبعض المشغبين؛ فقد وجه إليه بعض الناقمين اتهامات زائفة، مبنية على أسس علم الكلام الأجوف، والتي -بحمد الله- سرعان ما تنهار أمام ما ترسخ من قواعد وأسس لأهل السنة.

ويتضح ذلك في نقاط أشير إليها فيما يأتي[(١)]:

أولاً: الاعتراض على كتابه التوحيد ووصفه بما هو بريء منه.

وممن تعرض لذلك فخر الدين الرازي[(٢)] في قوله: ((واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية[(٣)] في الكتاب الذي سماه بالتوحيد، وهو في الحقيقة كتاب الشرك))[(٤)].

ووصف ابن جماعة الكناني[(٥)] كتاب التوحيد بورود العظائم فيه فيقول: ((وابن

---

(١) من أجمع من تكلم عن هذه المسألة: الدكتور: صادق سليم صادق، في رسالة قيمة له بعنوان: "نبذة لطيفة في رد بعض تشغيبات المعطلة على الإمام ابن خزيمة وكتابه التوحيد، الطبعة: الأولى، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، عام:١٤٣٢هـ) وقد أفدت منها في هذا المطلب.

(٢) هو: أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين، ولد سنة: ٥٤٤هـ، برز في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول، امتاز بالحكمة والذكاء، له مصنفات، أشهرها: تفسيره المسمى "مفاتيح الغيب"، مات سنة: ٦٠٦هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١/٥٠٠)، وطبقات المفسرين، لأبي الفضل، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضري، السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة: الأولى، (مكتبة وهبة، عام: ١٣٩٦هـ) (١١٥).

(٣) يعني بالآية قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(الشورى:١١).

(٤) التفسير الكبير، لأبي عبدالله، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، عام: ١٤١٧هـ) (٢٧/٥٨٢).

(٥) هو: أبو عبدالله، بدر الدين، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني، الحموي، ولد =

خزيمة وإن كان إمامًا في النقل والحديث؛ فهو عن النظر في العقليات عن التحقيق بمعزل؛ فقد كان غنيًا عن وضع هذه العظائم المنكرات في كتبه))[1].

وينكر أحمد بن جهبل الحلبي[2] تسمية الكتاب بالتوحيد فيقول: ((على أن ابن خزيمة قد علم الخاص والعام حديثه في العقائد، والكتاب الذي صنفه في التشبيه، وسمّاه بالتوحيد، وردّ الأئمة عليه أكثر من أن يذكر))[3].

وقد بالغ محمد زاهد الكوثري[4] في التحامل على ابن خزيمة وكتابه التوحيد، ومن أقواله: ((ولا أعتقد عاقلاً يطلع على الكتب الثلاثة[5]، وعلى مافيها من المخازي المشروحة في مقالاتنا السابقة، دون أن ينبذهم نبذًا بمرة واحدة))[6].

= سنة: ٦٣٩هـ، من فقهاء الشافعية، تولى القضاء في القدس ومصر والشام، مات سنة: ٧٣٣هـ، انظر: ذيل تذكرة الحفاظ، لأبي الفضل، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضري، السيوطي، د.ط، (دار إحياء التراث، بيروت، د.ت) (١٠٧).

(١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان الألباني، الطبعة: الأولى، (دار إقرأ، دمشق، عام:١٤٢٥هـ) (٢٠١).

(٢) هو: أبو العباس، أحمد بن يحي بن إسمعيل بن طاهر بن نصر الله بن جهبل الشافعي، ولد سنة: ٦٧٠هـ، اشتغل بالعلم فدرس وأفتى في القدس ودمشق، مات في دمشق، ينة: ٧٣٣هـ، انظر: ذيول العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد بن سعيد بن بسيوني بن زغلول، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤٠٥هـ). (٩٦)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٢/٣٣٤).

(٣) الحقائق الجلية في الرد على ابن تيمية فيما أورده في الفتوى الحموية، لشهاب الدين أحمد بن جهبل الحلبي، تحقيق: طه الدسوقي حبيشي، د.ط، (عام:١٩٨٧م) (١١٢).

(٤) هو: محمد زاهد بن الحسن بن علي بن نجم الدين الكوثري، فقيه حنفي، جركسي الأصل، اشتغل بالأدب والسير، ولد في قرية من أعمال (دوزجة) بشرقي الآستانة في تركيا سنة: ١٢٩٦هـ، ونشأ ودرس فيها، له تجنٍ على أئمة الحديث، وطعنٌ فيهم، مات في القاهرة، سنة: ١٣٧١هـ، انظر: الأعلام للزركلي (١٢٩/٦)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، الطبعة: الأولى، (مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: ١٤١٤هـ) (٣٠٢/٣).

(٥) يقصد بالكتب الثلاثة: كتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، ونقض الدارمي على المريسي.

(٦) مقالات الكوثري، لمحمد زاهد الكوثري، د.ط، (المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت) (٢٨٩).

ويشتط المحسن بن كرامة الجشمي[١]، في التطاول فيقول: ((ولقد شكرنا جميعًا سعي ابن خزيمة في تصنيفه كتابًا في أعضاء الله، وذكره ما شهد به))[٢].

وقد أورد الجشمي هذا الكلام على لسان شيطانه بإلقائه على الناس شبهة التجسيم وأنه سبحانه له أعضاء -تعالى الله عما يقوله الظالمون علوًا كبيرًا-، حتى يضلهم ويوقعهم في الوثنية.

وكل تلك الأوصاف ظاهرة التهافت؛ فقد حظي توحيد ابن خزيمة بالقبول عند أهل السنة، والحكم على الكتاب بأنه "كتاب تشبيه" أو "كتاب شرك" بغي وظلم.

((ويا لله العجب! كيف يغرق الإمام ابن خزيمة في التشبيه إلى هذه (الحد)، ويفنى فيه إلى أن تهافتَ و(ألحد)؛ وكتابه التوحيد طافحٌ بذم التشبيه والمشبهة؟! كقوله -رحمه الله وغفر له- في خطبة كتابه: "الحمد لله العلي العظيم، السميع البصير، ... تعالى ربنا عن صفات المحدودين، وتقدس عن شَبَه المخلوقين، وتنزه عن مقالة المعطلين... والحمد لله الذي أنزل القرآن بعلمه، وأنشأ خلق الإنسان من تراب بيده، ثم كوّنه بكلمته، ... وخبرنا أن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، كما أعلمنا: أن كل شيء هالك إلا وجهه، وحذّر عباده نفسه التي لا تشبه أنفس المخلوقين"))[٣].

والمواضع التي نبذ فيها ابن خزيمة التشبيه ونزه الله تبارك وتعالى عن مشابهة المخلوقين أكثر من أن تحصر في هذا المقام، وسيتم التعرض لها في ثنايا تقريراته.

أما تلقيب كتابه: ((كتاب التوحيد بـ(الشرك)؛ فلأنه يشهد بفساد أصول المعطلة، وبطلان ما بأيديهم من موروثات اليونان والفرس، التي لا تنفك عن التناقض

---

(١) هو: المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، عالم بالأصول والكلام، أكثر من الأخذ عن المعتزلة، شيخ الزمخشري، مات سنة: ٤٩٤هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٢٨٩/٥)، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (٢١/٣)

(٢) رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس، للمحسن بن محمد بن كرامة الجشمي، (١٤)، (نسخة إلكترونية) على الموقع: www.pdffactory.com.

(٣) نبذة لطيفة للدكتور: صادق سليم صادق (١٠).

والتهاتر والغموض))[1].

ومما لا مرية فيه أن كتاب التوحيد من المصنفات الكبار لأهل الحديث، المبنية على ضوء نصوص الكتاب والسنة، وهو مصنفٌ مشتملٌ على برد اليقين، وشفاء قلوب الموحدين لرب العالمين.

وقد وصف هذا الكتاب بأنه كتاب جليل[2].

ولا يزال أئمة أهل السنة يعولون عليه وينهلون من فيض فوائده وغزير نفعه[3].

ثانيًا: اتهام ابن خزيمة في فهمه ونظره.

وصف بعضهم ابن خزيمة بقصور الفهم وقلة العقل وغيرها من الصفات الضالة، وممن كان له القِدح المعلّى في ذلك: ابن الجوزي[4]، والرازي[5]، وابن جماعة[6]، والكوثري[7].

---

(١) نبذة لطيفة للدكتور: صادق سليم صادق (٥٩).

(٢) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبدالله المعتق، الطبعة: الأولى، (مطابع الفرزدق، الرياض، عام: ١٤٠٨هـ) (١٩٤).

(٣) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٦٧)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٢٤٧، ١٩٣)، وذم التأويل لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، الطبعة: الأولى، (الدار السلفية، الكويت، عام: ١٤٠٦هـ) (١٨)، وفتح الباري لابن حجر (٦٠٧/٨) و(٣٦٧/١٣)، .وشرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، د.ط، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، عام: ١٤١٨هـ)، (٢٨٩).

(٤) انظر: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي، تحقيق: حسن علي السقاف، الطبعة:الرابعة، (دار: الإمام الرواس، بيروت، عام:١٤٢٨هـ) (١٧٤).

(٥) انظر: تفسير الرازي (٥٨٢/٢٧).

(٦) انظر: إيضاح الدليل لابن جماعة (٢٠٣).

(٧) انظر: مقالات الكوثري لمحمد زاهد الكوثري، (٤٠٤).

ولسنا بحاجة إلى رد تلك التهم الزائفة؛ ويكفينا في ذلك بعض مما قاله العلماء في علمه وفهمه ودقة فقهه، مع ورعه وتقواه ~ .

ولا يخفى أن ذلك إنما هو إقذاع بإمام من أئمة السلف المتمسكين بالحديث، ولمزٌ له بما هو منه بريء.

ثالثًا: الاعتراض على إثباته لبعض الصفات ودفع أدلته.

استنكر المشغبون على ابن خزيمة إثباته بعضًا من الصفات الثابتة لله ﷻ في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، وردوا بعض أدلته، كما فعل ابن فورك(١) حينما تناول مسألة الرجل واستهجن على ابن خزيمة استدلاله عليها(٢).

وكذلك اعترض عليه في هذه الصفة ابن الجوزي(٣)، والكوثري(٤).

وقد أجاب عن تلك الاعتراضات أبو يعلى الفراء(٥)(٦).

----

(١) هو: أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، من فقهاء الشافعية، كان ذا زهد وعبادة، وله باع في الأدب والنحو، مصنفاته وافرة، منها: "مشكل الحديث وغريبه"، و"التفسير"، مات سنة: ٤٠٦هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٧٢/٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٥/١٧)، وطبقات الشافعية للأسنوي (١٢٦/٢).

(٢) انظر: مشكل الحديث، لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، تحقيق: دانيال جيمارية، د.ط، (المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، عام:٢٠٠٣م) (٢٢٦).

(٣) انظر: دفع شبه التشبيه لابن الجوزي (١٧٤).

(٤) انظر: مقالات الكوثري، لمحمد زاهد الكوثري (٣٠١).

(٥) هو القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد الفرَّاء الحنبلي، فقيه أصولي مشهور، ولد سنة: ٣٨٠هـ ، وتوفي سنة: ٤٥٨ هـ، من مؤلفاته: "العدة في أصول الفقه"، و"أحكام القرآن"، و"الأحكام السلطانية"، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢٥٦/٢)، وطبقات الحنابلة لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق: الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، د.ط (من إصدارات: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام، عام ١٤١٩هـ) (٣٦١/٣)، والدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لعبد الرحمن بن محمد العلمي، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، الطبعة: الأولى، (مكتبة التوبة، عام:١٤١٢ هـ) (١٩٨/١).

(٦) انظر: إبطال التأويلات عن آيات الصفات، لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق: محمد بن =

والحق أن ابن خزيمة ما جاء بشيء من عنده، إنما نطق بما نطقت به النصوص فأي عيب عليه بعد هذا؟

وردّ من رد واعتراض من اعترض إنما هو ردٌ لكلام الله وكلام رسوله وتلاعب بهما[1].

وبعد عرض تلك الأقوال يتبين أنها أفيكات لا حق فيها، وتهويلات باهتة على السنة وأهلها، بل إن فيها بغيًا مفرطًا وظلمًا وجَوْرًا لهذا العالم الفذ وكتابه الجليل: التوحيد الذي تلقاه أهل السنة بالقبول.

وإن كان حال ابن خزيمة كما يدعون فهل نجده مصطفًّا بجوار أئمة أثبات، بل هل نجده أمَّ الأئمة في زمنه واستحق هذا اللقب؟

ثم أين تصنف ثناءات العلماء عليه، وشهاداتهم بدينه وورعه وعلمه وخلقه؟

بأي ميزان توزن هذه التهم، وبأي مكيال تكال؟ لكن القوم مطففون مخسرون... والله المستعان.



= حمد النجدي، د.ط، (دار إيلاف، الكويت، د.ت) (١/١٩٦).

(١) انظر: بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري، لأحمد بن محمد بن صديق الغُماري، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، الطبعة: الثانية، (دار الصميعي، الرياض، ١٤١٨هـ) (٣٠٥).

الباب الأول

الباب الأول

المنهج العقدي العام عند ابن خزيمة

وفيه فصلان:

- ۞ **الفصل الأول: مصادر التلقي وسمات المنهج العقدي عند ابن خزيمة.**
- ۞ **الفصل الثاني: منهج ابن خزيمة في الاستدلال والرد على المخالفين.**



مصادر التلقي وسمات المنهج العقدي عند ابن خزيمة

وفيه مبحثان : -

المبحث الأول : مصادر التلقي عند ابن خزيمة.

المبحث الثاني : سمات المنهج العقدي عند ابن خزيمة.

* * * ** * * *

المبحث الأول: مصادر التلقي عند ابن خزيمة

۞ المصدر الأول: الكتاب والسنة.

من أهم الأصول التي قام عليها معتقد أهل السنة والجماعة: الأخذ بالكتاب والسنة؛ فهم لا يرِدُون في باب الاعتقاد إلا عن آية أو حديث؛ ذلك لأن النجاة معلقة باعتقاد ما فيهما.

وهذا الأصل واجب على كل مسلم؛ إذ أن الله أخبر بوجوب طاعته وطاعة رسوله ﷺ والرد إليهما عند التنازع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء:٥٩).

وهذا ما التزمه ابن خزيمة ~ التزامًا جادًا في تقريره لمسائل الاعتقاد التي تناولها.

ويمكن توضيح مسلكه ذلك في النقاط الآتية:

أولًا: أشار إلى وجوب الأخذ بالكتاب والسنة وتعلق الهداية بهما، مع التحذير من مخالفتهما، يقول ~ : ((أوجب الله على العباد طاعته واتّباعه، ووعد الهدى على اتّباعه، وأوعد على مخالفيه، ونفى الإيمان عمن وجد في نفسه حرجًا من حكمه فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(١) الآية، ولم يجعل الله جل وعلا لأحد خيرة فيما قضى الله ورسوله؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٖ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾(٢)))(٣).

وقوله ~ : ((ليس لأحد مع رسول الله ﷺ قولٌ إذا صح الخبر))(٤)، بيان واضح

---

(١) سورة: النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة: الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٣) الصحيح، (٣/٢٢٨).

(٤) العبر للذهبي (١/١٩٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣/٢٦٠)،

على تعظيمه للوحي ووجوب الأخذ به دون غيره.

ثانيًا: التأكيد على صحة مذهب أهل الآثار في التزام هذين المصدرين لإدراك الحق ومخالفة أهل البدع، يقول ~ : ((فاحتسبت في تصنيف كتاب يجمع هذين الجنسين من العلم: بإثبات القول بالقضاء السابق والمقادير النافذة قبل حدوث كسب العباد، والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جلا وعلا، مما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه تنزيل من حكيم حميد، وبما صح وثبت عن نبينا ﷺ بالأسانيد الثابتة الصحيحة، بنقل أهل العدالة موصولاً إليه، ليعلم الناظر في كتابنا هذا ممن وفقه الله لإدراك الحق والصواب، ومنّ عليه بالتوفيق لما يحب ويرضى صحة مذهب أهل الآثار في هذين الجنسين من العلم، وبطلان مذاهب أهل الأهواء والبدع الذين هم في ريبهم وضلالتهم يعمهون))[(١)].

ثالثًا: التأكيد على حقيقة مهمة وهي: أن علم العقائد لا يُستقى إلا من الكتاب والسنة، يقول ~ : ((إن علم هذا لا يدرك إلا بكتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ، لست أحتج في شيء من صفات خالقي ﷻ إلا بما هو مسطور في الكتاب، أو منقول عن النبي بالأسانيد الصحيحة الثابتة))[(٢)].

وقال أيضًا: ((ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى))[(٣)].

وقال -مخالفًا المناهج الضالة التي اعتمدت على الآراء نابذةً كتاب الله وسنة رسوله ﷺ-: ((لا نصفُ معبودنا إلا بما وصف به نفسه إما في كتاب الله أو على لسان نبيه، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه، لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية،

---

(١) التوحيد (١/١٠-١١).

(٢) المصدر السابق (١/٥١).

(٣) المصدر السابق (٢/٥٥٩).

ولا نحتج أيضًا في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس))[1].

رابعًا: عقد أبوابًا لعدد من المسائل بالنص على إثباتها مستقاة من الكتاب والسنة، وظهر ذلك واضحًا عند تقريره للصفات، يقول عند ذكره لصفة العلم: ((باب ذكر إثبات العلم لله جل وعلا تباركت أسماؤه وجل ثناؤه، بالوحي المنزل على النبي المصطفى الذي يقرأ في المحاريب والكتاتيب))[2].

وكذلك قوله في صفة الوجه: ((باب ذكر البيان من أخبار النبي المصطفى في إثبات الوجه لله جل ثناؤه وتباركت أسماؤه، موافقة لما تلونا من التنزيل، الذي هو بالقلوب محفوظ، وبين الدفتين مكتوب، وفي المحاريب والكتاتيب مقروء))[3].

وقال في صفة العلو: ((باب ذكر البيان أن الله ﷻ في السماء، كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه))[4].

۞ المصدر الثاني: الإجماع.

الإجماع مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، وقد عرّفه الأصوليون بتعريفات عدة، منها أنه: ((اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته، في عصر من الأعصار على أمر من الأمور))[5].

وقد حكى ابن خزيمة الإجماع في بعض ما قرره من المسائل العقدية واستدل به على بعضها؛ فيقول عند حديثه على صفة الوجه: ((فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله

---

(١) التوحيد (١/١٣٧).

(٢) المصدر السابق (١/٢٢).

(٣) المصدر السابق (١/٢٧).

(٤) المصدر السابق (١/٢٥٤).

(٥) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: سامي بن العربي الأثري، الطبعة: الأولى، (دار الفضيلة، الرياض، عام: ١٤٢١هـ)، (١/٣٤٨).

لنفسه، نُقرّ بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون))[١].

وكذلك ذكر الإجماع على رؤية المؤمنين لله تبارك وتعالى يوم القيامة بقوله: ((أهل قبلتنا من الصحابة والتابعات والتابعين ومن بعدهم، إلى من شاهدنا من العلماء من أهل عصرنا لم يختلفوا ولم يشكوا ولم يرتابوا: أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة عيانا))[٢]، إلى غيرها من المواضع[٣].

۞ المصدر الثالث: العقل.

اتسم منهج السلف -رحمهم الله- بالوسطية، ومن ذلك نظرتهم للعقل؛ فهم لم يؤسسوا دينهم على تحكيم العقل في النقل؛ وإنما جعلوه خادمًا للنقل تابعًا له.

يقول أبو مظفر السمعاني[٤]: ((أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي والأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء))[٥].

وقد كان لابن خزيمة ~ عناية دقيقة في استخدام الأدلة العقلية؛ فكثيرًا ما

---

(١) التوحيد (٢٦/١).

(٢) المصدر السابق (٥٤٨/٢).

(٣) انظر نقله للإجماع المصدر السابق (٢٨٩/١، ١٩٣)، وفي الصحيح: (١٤/١)، و(١١٢/٣)، و(٣٨/٤)، ومواضع أخرى.

(٤) هو: أبو المظفر، فخر الدين، عبدالرحيم بن عبدالكريم بن محمد بن منصور بن السمعاني المروزي الشافعي، فقيه محدث، ولد سنة ٥٣٧هـ، وكان صدرًا معظمًا مكملاً، له أنسة بالحديث، ذا بصيرة بالمذاهب، وحدث عنه الأئمة كابن الصلاح والضياء المقدسي، توفي سنة: ٦١٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٩/٢٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (١٣٥/٧).

(٥) ذكره أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، في: الحجة في بيان المحجة، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، الطبعة: الأولى (دار الراية، الرياض، ، عام١٤١١هـ)، (٣٢٠/١).

يوردها فيما يقرره، من ذلك قوله في معرض إثباته لصفة الوجه، وبعد إيراده لحديث: ((أسألك لذة النظر إلى وجهك))[١]: ((ألا يعقل ذوو الحجا يا طلاب العلم أن النبي لا يسأل ربه ما لا يجوز كونه؟ ففي مسألة النبي ربه لذة النظر إلى وجهه أبين البيان وأوضح الوضوح أن لله ﷻ وجهًا يتلذذ بالنظر إليه منْ منَّ الله جل وعلا عليه وتفضل بالنظر إلى وجهه))[٢].

وهكذا فإنه غالبًا ما يعقب تقريراته بالمجادلات العقلية، وسيتضح منهجه بالتفصيل في استخدامه للأدلة العقلية عند الحديث عن منهجه في الرد على المخالفين؛ إذ إن استخدامه للعقل كان واضحًا في مجادلة الخصوم، ولعل كثرة مخاطبته لأصحاب العقول وذوي الحِجا تأكيدٌ لإبطال مخالفة العقل الصريح للنقل الصحيح، وأن الشريعة موافقة للعقول، الأمر الذي طالما قرره علماء أهل السنة رحمهم الله.

يقول ابن تيمية ~ : ((كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول، وإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيرًا من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده به كان عارفًا بالأدلة الشرعية، وليس في المعقول ما يخالف المنقول... وكذلك العقليات الصريحة إذا كانت مقدماتها وترتيبها صحيحًا لم تكن إلا حقًا، لا تناقض شيئًا مما قاله الرسول))[٣].



----

(١) سيأتي تخريج الحديث.

(٢) التوحيد (٣٠/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٨٠/١٢).

المبحث الثاني: سمات المنهج العقدي عند ابن خزيمة

امتاز منهج ابن خزيمة في تقريره لمسائل الاعتقاد بالسير على هُدى سلف الأمة، وقد كان لمنهجه ~ سمات جعلت منه إمامًا يقتفى أثره ويُتّبع نهجه.

ومن أبرز هذه السمات:

۞ **أولًا**: الاعتماد على الكتاب والسنة وتعظيمهما وجعلهما ميزان كلامه:

سبق الحديث عن هذه السمة في ثنايا بحث مصادر ابن خزيمة، وتبين أنه كان لا يقدِّم على نصوص الكتاب والسنة شيئًا.

وظهر ذلك واضحًا أثناء تقريره لمسائل العقيدة، يقول ~ في إثباته لصفة الوجه: ((وقد ذكرنا من الكتاب والسنة في ذكر وجه ربنا بما فيه الغنية والكفاية))(١).

ويقول أيضًا: ((لست أحتج في شيء من صفات خالقي ﷻ إلا بما هو مسطور في الكتاب، أو منقول عن النبي بالأسانيد الصحيحة الثابتة))(٢).

ومما له علاقة بالتزامه للكتاب والسنة: تأكيده على أن علم العقيدة لا يؤخذ بالآراء والأهواء؛ فيقول في ذلك: ((هذا العلم لا يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون، ولا يُدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة، إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى))(٣).

ولا يعني ذلك إلغاءه للعقل؛ بل إنه يرى ما تقرر عند أهل السنة من موافقة العقل الصريح للنص الصحيح وعدم معارضته له، كما سبقت الإشارة إليه في مصادره، وكما سيتضح -بعون الله- في استخدامه للحجج العقلية والمجادلات لأهل البدع، الأمر الذي يدل على اعتباره العقل في تقرير مسائل الاعتقاد وموافقته لها.

----

(١) التوحيد (٥٣/١).

(٢) المصدر السابق (٥١/١)، وانظر أيضًا: (٥٧/١)، و(٩٦/١).

(٣) المصدر السابق (٥٥٩/٢).

۞ **ثانيًا**: انتسابه لمنهج السلف وثناؤه عليهم:

ترسم ابن خزيمة ~ هدي السلف رحمهم الله؛ فكان كثيرًا ما يشير إليهم فيما يقرر، وقد أسماهم بأهل الآثار، ومن أكثر ما يدل على ذلك تتلمذه على أئمة أهل السنة، كإسحاق بن راهويه والبخاري ومسلم والمزني، وغيرهم ممن ذُكروا في ترجمته ~ .

وقد اتضح نهجه السلفي النقي من أمور منها:

١- انتسابه إليهم، وهو ما كرره في عدة مواضع، منها: قوله ~ : ((مذهبنا مذهب أهل الآثار ومتبعي السنن))(١).

وقال مؤكدًا أن أهل الآثار من أصحابه: ((لم أرَ أحدًا من أصحابنا من علماء أهل الآثار فطن لعلة في إسناد هذا الخبر))(٢).

٢- ثناؤه عليهم بأن قولهم هو ما نطق به الكتاب والسنة، يقول في معرض رده على الجهمية: ((فما لمن لا يفهم هذا القدر من العربية ووضع الكتب على علماء أهل الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم))(٣)، وقال في موضع آخر: ((من قال من أهل السنة والآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم لله وجه وعينان ونفس وأن الله يبصر ويرى ويسمع...))(٤).

٣- تأكيده على صحة منهج السلف وأنه الحق والصواب، وأن ما يخالفه هو الباطل، يقول عند بيان سبب تأليفه لكتاب التوحيد: ((ليعلم الناظر في كتابنا هذا ممن وفقه الله لإدراك الحق والصواب ومن عليه بالتوفيق لما يحب ويرضى صحة مذهب أهل الآثار في هذين الجنسين من العلم وبطلان مذاهب أهل الأهواء والبدع

---

(١) التوحيد (١/١٩٣).

(٢) المصدر السابق (٢/٥١١)، وانظر أيضًا: (١/٧٨).

(٣) المصدر السابق (١/٥٢).

(٤) المصدر السابق (١/٥٧).

الذين هم في ريبهم وضلالتهم يعمهون))[١].

وقال أيضًا: ((الحق والصواب والعدل في هذا الجنس مذهبُنا: مذهبُ أهل الآثار ومتبعي السنن))[٢].

٤- أشاد بتثبتهم في تلقي العلم وتحريهم الدقة والصحة في الاستدلال لمسائل الاعتقاد؛ فيقول -في مقارنته علماء الآثار بأهل الشعر وأنهم أثبت في نقلهم لأحاديث رسول الله ﷺ، وما ذاك إلا لتلقيهم ذلك من أفواه العلماء-: ((ومحالٌ أن يكون أهل الشعر أعلم بلفظ الحديث من علماء الآثار الذين يعنون بهذه الصناعة يروونها ويسمعونها من ألفاظ العلماء ويحفظونها... لأن علماء الآثار لم يأخذوا هذه اللفظة من الكتب غير المسموعة بل سمعوها بآذانهم من أفواه العلماء))[٣].

أما عن دقتهم في الاستدلال على مسائل الاعتقاد فيقول: ((ومثل هذا الخبر لا يكاد يحتج به علماؤنا من أهل الأثر، لا سيما إذا كان الخبر في مثل هذا الجنس فيما يوجب العِلم لو ثبت))[٤].

٥- ثناؤه عليهم ودفاعه عنهم؛ فقد ذكر ~ أن أهل الآثار هم ((خيار الخلق بعد الأنبياء))[٥].

ومن أبلغ الثناء عليهم: دفاعه عنهم فيما قد يرميهم به أعداؤهم ومخالفيهم، كالجهمية المعطلة لصفات الخالق سبحانه، والذين وصموهم -لإثباتهم للصفات- بتهمة التشبيه، فقد ذكر ~ أن قول الجهمية باطلٌ ومجانب لهدي الكتاب والسنة، يقول في ذلك: ((من رمى أهل الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم بالتشبيه

---

(١) التوحيد (١/١١).

(٢) المصدر السابق (١/١٩٣).

(٣) المصدر السابق (١/٢٢٧).

(٤) المصدر السابق (١/٨٧).

(٥) المصدر السابق (١/١١٤).

فقد قال الباطل والكذب والزور والبهتان وخالف الكتاب والسنة وخرج من لسان العرب))(١).

وقال أيضًا: ((حاش لله أن يكون أحد من أهل السنة والأثر شبه خالقه بأحد من المخلوقين))(٢).

وكذلك قال في الدفاع عنهم: ((فإن كان علماء الآثار -الذين يصفون الله بما وصف به نفسه وبما جاء وعلى لسان نبيه- مشبهة على ما يزعم الجهمية المعطلة؛ فكل أهل القبلة إذا قرأوا كتاب الله فآمنوا به بإقرار باللسان وتصديق بالقلب وسمّوا الله بهذه الأسامي التي خبر الله بها أنها له أسامي، وسمّوا هؤلاء المخلوقين بهذه الأسامي التي سماهم الله بها هم مشبهة))(٣).

۞ **ثالثًا: مجانبة أهل البدع والأهواء وذمهم:**

تميز منهج أهل السنة قاطبة باقتفائهم للسنن ومجانبتهم للبدع وأهلها ونبذ أقوالهم وآرئهم وذمها.

وقد ظهر ذلك جليًا عند الإمام ابن خزيمة ~ ؛ فالمتتبع لكلامه يلحظ أنه غالبًا ما يذكر أهل البدع ومخالفاتهم، ويشفع ذلك بالرد عليهم.

فعند ذكره لسبب تأليفه لكتاب التوحيد أشار إلى ((بطلان مذاهب أهل الأهواء والبدع الذين هم في ريبهم وضلالهم يعمهون))(٤).

وذلك لتخوفه على بعض طالب العلم من الميل إلى أقوالهم والتأثر بها، يقول ~ : ((كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث، ممن لعله كان يحضر بعض مجالس أهل الزيغ والضلالة من المعطلة والقدرية المعتزلة، ما تخوفت أن يميل بعضهم

---

(١) التوحيد (٥٦/١).

(٢) المصدر السابق (٥٧/١).

(٣) المصدر السابق (٨١/١).

(٤) المصدر السابق (١١/١).

عن الحق والصواب من القول، إلى البهت والضلال في هذين الجنسين من العلم؛ فاحتسبت في تصنيف كتاب يجمع هذين الجنسين من العلم))[١].

وما من شك أن ابن خزيمة كان شديد المجابهة لأهل البدع بمناظرتهم ومجادلتهم لإظهار الحق الذي يحمله على الباطل الذي تلبسه المخالفون.

يقول ~ : ((وكنت أحسب أن ما يجري بيني وبين المناظرين من أهل الأهواء في جنس الكلام في مجالسنا ويظهر لأصحابي الذين يحضرون المجالس والمناظرة من إظهار حقنا على باطل مخالفينا كافٍ عن تصنيف الكتب على صحة مذهبنا وبطلان مذاهب القوم، وغنية عن الإكثار في ذلك))[٢].

ومجادلة ابن خزيمة ظهرت عند حصول الفتنة التي كانت على أشدها في عصره؛ فقد نقل ابن تيمية ~ عن أبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري قوله: ((ثم جاءت طائفة فقالت: لا يتكلم بعد ما تكلم، فيكون كلامه حادثاً، قال: وهذه سخارة أخرى تقذى في الدين غير عين واحدة، فانتبه لها أبو بكر بن إسحاق... فطار لتلك الفتنة ذاك الإمام أبو بكر، فلم يزل يصيح بتشويهها، ويصنف في ردها كأنه منذر جيش، حتى دوّن في الدفاتر وتمكن في السرائر ولقن في الكتاتيب ونقش في المحاريب: أن الله متكلم، إن شاء تكلم وإن شاء سكت، فجزى الله ذاك الإمام وأولئك النفر الغر عن نصرة دينه وتوقير نبيه خيرًا))[٣].

ومما يدل على نبذه لأهل الأهواء: وصفهم في أكثر من موضع بالجهل بالعلم، وقلة المعرفة بأخبار النبي ﷺ، يقول ~ في كلامه عن الشفاعة: ((باب ذكر لفظه رويت عن النبي في ذكر الشفاعة، حسِبت المعتزلة والخوارج وكثير من أهل البدع وغيرهم -لجهلهم بالعلم وقلة معرفتهم بأخبار النبي- أنها تضاد قول النبي عند ذكر

----

(١) التوحيد (١/١٠).

(٢) المصدر السابق (١/٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/١٧٨).

الشفاعة أنها لكل مسلم وليست كما توهمت))[١].

ووصفهم كذلك بقلة الدين والجرأة على الحق، يقول ~ : ((إنما يخرج من النار شاهد أن لا إله إلا الله إذا كان مصدقًا بقلبه بما شهد به لسانه، إلا أنه كنى عن التصديق بالقلب بالخير، فعاند بعض أهل الجهل والعناد، وادعى أن ذكر الخير في هذا الخبر ليس بإيمان، قلة علم بدين الله، وجرأة على الله في تسمية المنافقين مؤمنين))[٢].

وسيأتي تفصيل موقفه من أهل البدع -بإذن الله- عند الحديث عن منهجه في الرد على المخالفين، ومن خلال تفصيل رده على المخالفين في الصفات وغيرها من المسائل التي تناولها ~ .

✪ **رابعًا**: حسن الاستعانة بالله في عرضه لمسائل الاعتقاد.

بدت هذه السمة لدى ابن خزيمة؛ فكثيرًا ما يعلق توضيحه أو تفصيله أو ذكره لبعض المسائل على توفيق الله وعونه ومشيئته.

ومن الأمثلة على ذلك قوله ~ : ((و سأبين -إن شاء الله تعالى- هذا الجنس في كتاب معاني القرآن -إن وفق الله لذلك-))[٣].

وقوله أيضًا: ((ولذكر القرآن إنه غير مخلوق مسألة طويلة تأتي في موضعها من هذا الكتاب إن وفق الله ذلك لإملائها))[٤].

والشواهد على ذلك كثيرة ليس المراد هنا حصرها؛ إذ المقام مقام تمثيل.

----

(١) التوحيد (٦٥٠/٢)، وانظر أيضًا: (٦٠/١، ٥٨).

(٢) المصدر السابق (٦٩٩/٢).

(٣) الصحيح (٢٤٣/٣)، وانظر أيضًا: (٢٠٧/٤).

(٤) التوحيد (٤٠٣/١).

۞ **خامسًا**: حسن العرض وسعة الفقه فيه.

وتتضح ملامح تلك السمة بما يأتي:

١- إسهابه أحيانًا واختصاره أحيانًا أخرى؛ وذلك بحسب الحاجة المقتضية؛ فقد كان ~ يطيل في بعض المسائل -كما سيمر معنا- في مباحث الصفات: كصفة اليد والوجه والكلام، ومباحث الرؤية والشفاعة والإيمان.

وأحيانًا يختصر الحديث كما فعل عند حديثه عن صفة القدم والأصابع والضحك.

ويرجع ذلك إلى كثرة المعارضين أو قلتهم في عصره؛ فما دعت الحاجة إلى البيان والتفصيل فيه يكون لكثرة من خالف وقوة شبهاتهم، وذلك لتكون الحجة أقوى في الرد عليهم، والعكس عند ما قل فيه المخالف من المسائل.

ومما قد يثير التساؤل أن ابن خزيمة اختصر في بعض المواطن التي حقها التفصيل، وغض طرفه عن بعض المهمات، الأمر الذي يعد غير معهود في نهجه ~ ، ومن تلك المواطن:

-عدم ذكره للمخالفين في صفة الاستواء واقتصاره على قول مخالف واحد، مع كثرة الأقوال وتعدد الآراء فيها.

-إغفاله الحديث عن المخالفين في صفة النزول، وهي من أكثر الصفات التي كان لها أوفر النصيب من تأويل المخالفين، والتي شمر السلف للرد عليهم فيها.

-ومما استحق -في نظري- من ابن خزيمة التفصيل ولم يفصل فيه مسألة القول بخلق القرآن، وقد اكتفى فيها بإشارات بسيطة، مع العلم بأنها من عظام المسائل التي أثير فيها جدل كبير.

ولكل مسألة من تلك المسائل توجيه سيتبين في موضعه من تقرير تلك المسائل بعون الله.

٢- استهلاله بعض المسائل بأبواب تدل على سعة فقهه فيها.

فمثلاً قد يبوب بتبويبات مطولة تستوعب أكثر من مسألة، ومن أمثلة ذلك قوله في أبواب الشفاعة: ((باب ذكر البيان أن النبي أول شافع وأول مشفع يوم القيامة، وفيه دلالة أن يوم القيامة قد يشفع بعد نبينا غيرُهُ، على ما سأبينه بعد ذلك -إن شاء الله-، إذ غير جائز في اللغة أن يقال أول لما لا ثاني له بعد ولا ثالث))(١).

وقال في موضع آخر: ((باب ذكر البيان أن النار إنما تأخذ من أجساد الموحدين وتصيب منهم على قدر ذنوبهم وخطاياهم وحوباتهم التي كانوا ارتكبوها في الدنيا، مع الدليل على ضد قول من زعم ممن لم يتحر العلم، ولا فهم أخبار النبي أن النار لا تصيب أهل التوحيد ولا تمسهم، وإنما يصيبهم حرها وأذاها وغمها وشدتها، مع الدليل على أنه قد يدخل النار بارتكاب المعاصي في الدنيا إذا لم يتفضل الله ولم يتكرم بغفرانها من كان في الدنيا يعمل الأعمال الصالحة))(٢).

٣- استهلاله بعض المسائل بعبارات موجزة تنم عن طريقته في تناول تلك المسألة، ثم يشرع في تفصيلها، وختمه للباب بالملخص الموجز لتفاصيله، كما فعل في الرد على المعطلة في إنكارهم لصفة اليد؛ حيث إنه بدأ بالإشارات الموجزة ليؤكد بطلان قولهم، ثم شرع في تفصيل أقوالهم، وتفنيد ما احتجوا به(٣).

وقد يذكر في بعض الأحيان طريقته التي سيسير عليها قبل أن يذكرها تفصيلاً، الأمر الذي يعطي قارئ تلك المسائل تصورًا واضحًا للمسألة.

يقول في بيانه لانحراف كل من الخوارج والمعتزلة في نصوص الشفاعة وخروج الموحدين من النار: ((فأول ما نبدأ بذكر الأخبار بأسانيدها وألفاظ متونها، ثم نبين معانيها -بعون الله ومشيئته-، ونشرح ونوضح أنها ليست بمخالفة للأخبار التي ذكرناها في الشفاعة وفي إخراج من قضى الله إخراجهم من أهل التوحيد من

---

(١) التوحيد (٦١٨/٢).

(٢) المصدر السابق (٧٦٥/٢)، وانظر أيضًا: (٦٤٧/٢)، و(٦٧٤/٢)، و(٧٠٢/٢)، وغيرها من المواضع.

(٣) المصدر السابق (١٩٣/١).

النار))[1].

ثم شرع بعدها في سرد النصوص وتفصيل القول في كل منها، مع التوجيه الحسن لها.

ومن خلال التعرض لأهم تلك السمات تتأكد إمامة ابن خزيمة ~ في منهج السلف العقدي القويم والسير عليه.



---

(١) المصدر السابق (٢/٧٧٠).

الفصل الثاني

منهج ابن خزيمة في الاستدلال

والرد على المخالفين

وفيه مبحثان : -

المبحث الأول: منهج ابن خزيمة في الاستدلال.

المبحث الثاني: منهج ابن خزيمة في الرد على المخالفين.

* *   * ** *   * *

المبحث الأول: منهج ابن خزيمة في الاستدلال

على الرغم من وحدة مصدر السلف -رحمهم الله- والتزامهم التام بهدي الوحي الشريف؛ إلا أنه كان لكل منهم سمة تميزه في عرض منهجه.

وابن خزيمة أحد أئمة السلف الذين برعوا وبرزوا في ذلك، ويمكن تلخيص سمات ذلك المنهج على ما يأتي:

۞ أولًا: منهجه العام في الاستدلال.

١- الإسهاب في سرد الأدلة.

تميز منهج ابن خزيمة بإشباع المسائل بوفرة الأدلة من الكتاب والسنة؛ فهو يستهل ما يقرره بسرد الآيات الكثيرة ((من كتاب ربنا الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب))[١] بما ((فيه الغنية والكفاية))[٢].

وهذا منهج عامٌ له؛ إلا أنه كان يخص بعض المسائل بمزيد من الأدلة؛ كما فعل في تقريره لصفة الوجه[٣]، وصفة اليد[٤]، وكذلك صفة العلو[٥]، وكأن سبب ذلك راجع إلى كثرة الخلاف والمخالفين فيها.

ولم يكتفِ ~ بما يثبت المسألة التي يوردها؛ بل إنه قد يتطرق -حسب ما تقتضيه الحاجة- إلى ذكر آيات ذات صلة بالموضوع إتمامًا له، ومن تلك المواطن: تقريره لصفة الكلام؛ حيث سرد الآيات الدالة على تلك الصفة ثم أورد آيات ذات صلة بالكلام، كالآيات التي دلت على ((الجهات التي كلم الله عليها من علم أنه

----

(١) التوحيد (٢٥٤/١).

(٢) المصدر السابق (٥٣/١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٤/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (١١٨/١).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢٥٤/١).

كلمهم من الرسل))[1]، وكالآيات الدالة على ((بعض ما به كلّم موسى))[2]، وغيرها من المسائل التي سلك فيها هذا النهج، والتي ستتضح عند تفصيل الحديث عن منهجه في مسائل الاعتقاد.

كما أكثر ~ من سرد الأحاديث الكثيرة في الموضوع الواحد.

ومن أبرز تلك المسائل حديثه عن صفة اليدين لله تبارك وتعالى؛ فقد أورد في كتابه التوحيد أكثر من عشرة أبواب ضمّن كل باب منها عددًا كبيرًا من الأحاديث قاربت الخمسين حديثًا[3].

ومن توظيفه ~ لعلم الحديث في تقرير مسائل الاعتقاد: أنه قد يستقصي ألفاظًا عدة للحديث الواحد مما يعين على تحرير كثير من المسائل، كما صنع في صفة النزول[4]، وغيرها من المسائل.

ولم يقتصر ~ على الاستدلال بالأحاديث النبوية بل إنه كان يحلّي المقام بالأحاديث القدسية في مواضع عدة[5].

٢- العطف بين الدليل ووجه دلالته.

مما تميز به ~ أنه كان يعطف على الأدلة بيان وجه الدلالة منها، وقد اعتنى بذلك لتوضيح ما يذكر من أدلة القرآن والسنة، ومن أمثلة ذلك:

-ذكره لدلالة قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾(غافر:٣٦-٣٧)، على علو الله جل جلاله،

---

(١) التوحيد (١/٣٣٣).

(٢) المصدر السابق (١/٣٣٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/١١٩-١٧٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/١١٩-١٧٨).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/٢٢)، وانظر أيضًا: (١/١٨٤)، و(٢/٨٩٧) و(٢/٥٦٤) وانظر: الصحيح (٢/٦٧)، وغيرها.

يقول مبينًا ذلك: ((ففرعون -عليه لعنة الله- يأمر ببناء صرح؛ فحسب أنه يطلع إلى إله موسى، وفي قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ دلالة على أن موسى قد كان أعلمه أن ربه جل وعلا أعلى وفوق))(١).

-ومن ذلك قوله بعد إيراده لقوله ﷺ: ((لما قضى الله الخلق كتب في كتابه؛ فهو عنده فوق عرشه: إن رحمتي غلبت غضبي)) (٢): ((فالخبر دالٌّ على أن ربنا جل وعلا فوق عرشه الذي كتابه -إن رحمته غلبت غضبه- عنده))(٣)، إلى غيرها من المواضع(٤).

٣- الدقة في الاستدلال.

امتاز ابن خزيمة -بشهادة معاصريه- بالدقة والفهم الواعي للنصوص، وقد نجم عن هذه الدقة وقوفُهُ على أدلة يندر ذكرها والتفطن لها عند غيره، ومن أمثلة ذلك:

❖ استدلاله ~ على علو الله تعالى على خلقه -المتضمن الرد على الحلولية- بقوله تعالى في كلامه سبحانه مع موسى ﷺ: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(الأعراف:١٤٣)، وذلك بدلالة الدك والتجلي المذكورين في الآية، يقول ابن خزيمة بعد ذكره للآية: ((أفَلَيْسَ العلم محيطًا يا ذوى الألباب أن الله ﷻ لو كان في كل موضع، ومع كل بشر وخلق كما زعمت المعطلة؛ لكان متجليًا لكل شيء، وكذلك جميع ما في الأرض: لو كان متجليًا لجميع

---

(١) التوحيد (٢٤٦/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: بدء الخلق، باب: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾، (٢٩١/٦حديث رقم ٣٠٢٢)، وكتاب: التوحيد، باب: قوله ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (٢١٠٧/٤، حديث رقم: ٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) التوحيد (٢٤٢/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢٥٨/١، ٢٤١).

أرضه سهلها ووعرها، وجبالها وبراريها ومفاوزها، ومدنها وقُرَاها، وعمرانها وخرابها، وجميع ما فيها من نبات وبناء؛ لجعلها دكًّا كما جعل اللّهُ الجبلَ الذي تجلى له دكًّا))[1].

❖ ومن لطائف استدلاله كذلك: استدلاله بمناظرة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لقومه في مقام إبطاله لألوهية الأجرام، على علو الله وأنه تعالى في السماء، يقول ~ -بعد سرده لأدلة العلو-: ((وخليل الله إبراهيم عليه السلام عالمٌ في ابتداء النظر إلى الكواكب والقمر والشمس أن خالقه عالٍ فوق خلقه، حين نظر إلى الكواكب والقمر والشمس، ألا تسمع قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[2]، ولم يطلب معرفة خالقه من أسفل إنما طلبه من أعلى، مستيقنًا عند نفسه أن ربه في السماء لا في الأرض))[3].

❖ ومما تفرد به من أدلة: استدلاله بقوله ﷺ لجويرية < : ((قد قلت بعدك أربع كلمات، لو وزنت بهن لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ومداد كلماته، ورضا نفسه، وزنة عرش))[4] على أن كلام الله ليس مخلوقًا، ووجه الدلالة من الحديث: أن النبي ﷺ فرّق في هذا الحديث بين خلق الله وكلماته؛ فدل على أن كلماته ليست من خلقة، فقال: ((سبحان الله عدد خلقه ومداد كلماته))، ((ولو كانت كلمات الله من خلقه لما فرق بينهما))[5]، وسيأتي تفصيل الكلام عن هذه المسألة عند ذكر تقريره لصفة الكلام لله عز وجل.

٤- استدلاله بمفهوم المخالفة.

يقصد بمفهوم المخالفة: ((ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً

---

(١) التوحيد (١/٢٥٨).

(٢) سورة: الأنعام، الآية: ٧٦.

(٣) التوحيد (١/٢٦٤).

(٤) سيأتي تخريج الحديث ص٣٥٨.

(٥) التوحيد (١/٣٩٦).

لمدلوله في محل النطق، ويسمى دليل الخطاب))[1].

وقد استعان ابن خزيمة ~ بهذا الدليل في تأكيد بعض المسائل التي قررها، من ذلك:

❖ استدلاله بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾(مريم:٤٢)، لإثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى بمفهوم المخالفة؛ فكون إبراهيم الخليل عليه السلام قد أنكر على أبيه وقومه عبادة من لا يسمع ويبصر، دل هذا -بمفهوم المخالفة- على أن الله تبارك وتعالى يسمع ويبصر، يقول ابن خزيمة مشيرًا إلى ذلك بعد إيراده للدليل: ((أفلَيْس من المحال يا ذوي الحجا أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر: لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر؟ ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضًا))[2].

❖ ومن أمثلة استدلاله أيضًا ~ بهذا النوع من الدلالة: استدلاله بقوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ (الأعرف:١٩٥)، في معرض تقرير صفة القدَم لله تبارك وتعالى.

يقول ~ : ((باب: إثبات الرجل لله عز وجل... قال الله عز وجل يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ...﴾؛ فأعلمنا ربنا جل وعلا أن من لا رجل له، ولا يد، ولا عين، ولا سمع فهو كالأنعام، بل هو أضل))[3].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين علي الآمدي تعليق: إبراهيم العجوز، الطبعة: الأولى (دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ)، (١٣٣/٢)، وانظر: إرشاد الفحول للشوكاني (٢٦٦/١)، والبحر المحيط في أصول الفقه، لبرهان الدين الزركشي، تحرير عبدالقادر العاني، الطبعة: الثانية، (وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤١٢هـ)، (٩٦/٣).

(٢) التوحيد (١٠٩/١).

(٣) المصدر السابق (٢٠٢/١).

❁ عنايته بإيضاح ما قد يرد على الذهن من إشكال.

حرص ابن خزيمة ~ أثناء تقريره لمسائل الاعتقاد على الوقوف عند ما قد يورد إشكالاً على ذهن القارئ من النصوص، ومن أمثلة ذلك:

❖ توضيحه لمعنى "كان" في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ (هود:٧)، عند حديثه عن استواء الله ﷻ، وتأكيده أنها بمعنى الثبوت؛ فالله كان ولا يزال على ما كان[١]، وذلك دفعًا لتوهم القارئ أنها على معنى المضي، يقول ~ : ((ومعنى قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٢] و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٣]))[٤]، ثم أورد أثرًا عن ابن عباس ﷺ لتأكيد ذلك المعنى، فقال: ((عن ابن عباس قال: أتاه رجل وقال: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾؛ فقال ابن عباس: كذلك كان لم يزل))[٥].

❖ ومما استطرد فيه ~ لتوضيح ما قد يشكل: بيانه لكلمة (عسى)، أثناء ذكره للمقام المحمود في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء:٧٩)؛ وأنها ليست على الشك: ((المقام الذي يشفع فيه النبي لأمته: هو المقام المحمود الذي وعده الله ﷻ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، وهذه اللفظة عندي من

----

(١) انظر: كلام محمد خليل هراس في تحقيقه كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة، د.ط (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤١٢هـ)، (١٠٣).

(٢) سورة: النساء، الآية: ١٧.

(٣) سورة: النساء، الآية: ١٥٨.

(٤) التوحيد (٢٣٨/١).

(٥) المصدر السابق (٢٣٨/١)، في طبعات الكتاب الأربع هكذا، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، بلفظ: (كذلك كان ولم يزل) وهذا الصواب، والله أعلم، انظر: تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة: الأولى، (مكتبة نزار الباز، الرياض، عام: ١٤١٧هـ) (١١١٢/٣)، وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية -كما في مجموع الفتاوى (٣٦٩/١٦)- لفظ ابن أبي حاتم.

الجنس الذي قال بعض العلماء[1]: عسى من الله واجب، لا على الشك والارتياب مما يجوز أن لا يكون))[2].

وغيرها من المواضع التي أفادت في التوضيح والتصحيح[3].

۞ ثانيًا: منهجه في الاستدلال بالقرآن.

١- تفسير القرآن بالقرآن:

تفسير القرآن بالقرآن من أوثق طرق التفسير، يقول ابن القيم ~ : ((وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير))[4].

فالله تبارك وتعالى تكفل ببيان وتفصيل القرآن، يقول سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام:١٠٥).

وتفسير القرآن بالقرآن له أوجه عدة، منها: الجمع بين المجمل منها والمفسر، والمطلق والمقيد، والعام والخاص.

وقد استعان ابن خزيمة ببعض تلك الأوجه، ومن ذلك:

-تفسيره لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ (البقرة:٢٥٣)، يقول ابن خزيمة موضحًا ذلك: ((قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ...﴾ الآية؛ فأجمل الله تعالى ذِكْر من كلّمه الله في هذه الآية؛ فلم يذكره باسم ولا نسب ولا صفة فيعرف المخاطبُ بهذه الآية التالي لها أو سامعُها مِن غيره أيَّ

---

(١) من هؤلاء: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري؛ حيث قال: ((عسى من الله واجبة))، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د.ط (دار الفكر، بيروت، عام: ١٤٠٨هـ)، (٥٢٦/١٧)، وانظر: معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، الطبعة: الرابعة، (دار طيبة، الرياض، عام: ١٤١٧هـ) (١١٧/٥).

(٢) التوحيد (٧٢٤/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٣٩/١)، و(٧٢٢/٢).

(٤) التبيان في أيمان القرآن، تحقيق: عبدالله بن سالم البطاطي، الطبعة: الأولى (دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، عام: ١٤٢٩هـ)، (٢٧٨).

الرسل الذي كلمه الله من بين الرسل؟ وكذلك أجمل الله أيضًا في هذه الآية الجهات التي كلم الله عليها من علّم أنه كلمهم من الرسل؛ فبيّن في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[(١)] الجهاتِ التي كلم الله عليها بعض البشر؛ فأعلم أنه كلم بعضهم وحيًا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، وبيّن في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[(٢)] أن موسى كلمه تكليمًا؛ فبين لعباده المؤمنين في هذه الآية ما كان أجمله في قوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾؛ فسُمّي في هذه الآية كليمه، وأعلم أنه موسى الذي خصه الله بكلامه))[(٣)].

-وكذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ (الكهف:١٠٥).

قال ابن خزيمة: ((قد أعلم في محكم تنزيله أن كلماته لا يعادلها ولا يحصيها محصٍ من خلقه، ودل ذوى الألباب من عباده المؤمنين على كثرة كلماته، وأن الإحصاء من الخلق لا يأتي عليها فقال ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾، وهذه الآية من الجنس الذي نقول: مجملة غير مفسَّرة، معناها: قل يا محمد: لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي؛ فكُتِبت به كلمات ربي ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

والآية المفسِّرة لهذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان:٢٧)؛ فلما ذكر الله الأقلام في هذه الآية؛ دلّ ذوى العقول -بذكر الأقلام- أنه أراد: لو كان ما في الأرض من شجرة أقلام يُكتب بها كلمات الله، وكان البحر مدادًا؛ فنفد ماء البحر لو كان مدادًا لم تنفد كلمات ربنا))[(٤)].

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) سورة: الشروى، الآية: ٥١.

(٢) سورة: النساء، الآية: ١٦٤.

(٣) التوحيد (٢/٣٣٢).

(٤) المصدر السابق (٢/٣٩٦)، وانظر أيضًا: (١/١١).

٢- تفسير القرآن بالحديث:

تفسير القرآن بالحديث الصحيح من أهم طرق التفسير بعد التفسير بالقرآن؛ فرسول الله ﷺ أعلمُ الناس بمراد الله لكلامه ﷻ، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٤).

وقد أشار ابن خزيمة إلى ذلك بقوله: ((الله جل وعلا ولّى نبيه ﷺ بيان ما أنزل عليه خاصًا وعامًا))[1].

ومن أمثلة ما ذكره في تفسير القرآن بالحديث الصحيح:

❖ تفسير النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ (هود:٧)، بحديث العباس بن عبدالمطلب: ((أنه كان جالسًا في البطحاء[2] في عصابة، ورسول الله جالس فيهم... إذ علتهم سحابة؛ فنظروا إليها؛ فقال: هل ترون ما اسم هذه؟ قالوا: نعم هذا السحاب؛ فقال رسول الله: والمُزن؟ فقالوا: والمُزن. فقال رسول الله: والعنان، ثم قال: وهل تدرون كم بعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا والله ما ندري، قال: فإن بعد ما بينهما إما واحدة، وإما اثنتان، وإما ثلاث وسبعون سنة إلى السماء التي فوقها كذلك، حتى عدّهن سبع سموات كذلك، ثم قال: فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال[3]، ما بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهن العرش بين أعلاه

---

(١) الصحيح (١/٩).

(٢) أصله: المسيل الواسع فيه الحصى الدقيق كالرمل، وقد كانت البطحاء علمًا على جزء من وادي مكة بين الحجون إلى المسجد الحرام، وفي العصر الحاضر عبدت واندثرت، انظر: معجم البلدان للحموي (١/٤٤٦)، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث البلادي، الطبعة: الأولى، (دار مكة، عام: ١٤٠٢هـ) (٤٩).

(٣) الأوعال: جمع (وعِل)، وهم تيوس الجبل؛ فهم ملائكة على صورة الأوعال، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي العادات محمد بن محمد بن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، الطبعة: الأولى (المكتبة الإسلامية، عام: ١٣٨٣هـ)، (٥/٢٠٧).

وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء والله فوق ذلك)) الحديث[١].

قال ابن خزيمة بعد أن ساق الحديث: ((يدل هذا الخبر على أن الماء الذي ذكره الله في كتابه أن عرشه كان عليه: هو البحر الذي وصفه النبي في هذا الخبر وذكر بُعد ما بين أسفله وأعلاه))[٢].

❖ ومن أمثلة تفسير السنة للقرآن التي أوردها ابن خزيمة ~ تفسيره ﷺ للمقام المحمود في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء:٧٩)، وذلك في حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، ((قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي))[٣] [٤].

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم:

تفسير الصحابي للقرآن الكريم له مكانته وحجيته؛ فالصحابة رضوان الله عليهم قد تلقوا القرآن الكريم من النبي ﷺ، وهم الذين عاينوا عصر النبوة، مع ما

---

(١) أخرجه أبو داود سليمان بن أبي الأشعث السجستاني الأزدي في سننه (سنن أبي داود) ضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، كتاب السنة، باب: في الجهمية والمعتزلة، (٢٣١/٤حديث رقم: ٤٧٢٣)، والترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي في الجامع الصحيح، (سنن الترمذي)، ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤٠٨هـ)، كتاب: التفسير، سورة الحاقة، (٣٩٥/٤، حديث رقم: ٣٣٢٠)، وابن ماجه في السنن، باب: فيما أنكرت الجهمية، (٦٩/١، حديث رقم: ١٩٣). والحديث ضعفه الألباني انظر: ضعيف سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الطبعة الأولى، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠٨هـ)، (١٤/١).

(٢) التوحيد (٢٣٨/١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٢٩/١٥ برقم: ٩٦٨٤)، وأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني، في السنة، انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبن عاصم، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثانية (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠٥هـ)، (٣٥٠/٢)، وحسنه محمد ناصر الدين الألباني، في: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الطبعة: الثانية، (مكتبة المعارف، الرياض، : عام: ١٤٠٧هـ). (٤٨٤/٥).

(٤) التوحيد (٧٢٥/٢)

تميزوا به من سعة العلم والفهم.

وقد استند ابن خزيمة ~ إلى أقوال كثير من الصحابة في تفسير القرآن، ومن ذلك:

تفسير حذيفة بن اليمان ﷺ للزيادة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس:٢٦)، يقول ابن خزيمة: ((عن حذيفة [ﷺ]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: النظر إلى وجه الله ﷻ))[1].

كما نقل هذا التفسير عن عدد من الصحابة[2].

ومما أورده أيضًا تفسير ابن عباس وعبد الله بن مسعود { لآيات الرؤية[3]، وسيأتي التفصيل فيها بإذن الله في مسألة الرؤية.

٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين وأتباع التابعين:

نقل ابن خزيمة أثناء تقريراته كثيرًا من أقوال التابعين وأتباعهم في تفسير القرآن، من ذلك ما نقله عن عدد منهم تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ (ص:١٦)، وممن نقل عنهم:

مجاهد[4] أنه قال: ((عذابنا))[5].

---

(١) انظر: التوحيد (٢/٤٥١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٤٥١-٤٥٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/٤٧٧-٥٤٧).

(٤) هو: أبو الحجاج، مجاهد بن جبر المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ويقال: مولى عبدالله بن السائب، شيخ القرَّاء والمفسرين، العالم الحبر، روى عن ابن عباس فأكثر، وأبي هريرة وغيرهما، مات سنة ١٠٣هـ، وقيل: ١٠٢هـ، وقيل غير ذلك. انظر: التاريخ الكبير، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، د.ط، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ت) (٧/٤١١)، والجرح والتعديل للرازي (٨/٣١٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٤٤٩).

(٥) التوحيد (٢/٢٢٨)، والأثر أخرجه ابن جرير انظر: جامع البيان (١٢/١٣٤)، وأخرجه أبو عبدالله، محمد بن أحمد القرطبي، انظر: الجامع لأحكام القرآن، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، =

وذكر عن سعيد بن جبير[1] قولين في الآية منهما قوله: ((نصيبنا من الجنة))[2].

٥- تفسير القرآن بدلالة اللغة:

اللغة العربية لغة القرآن التي نزل بها؛ فهي أداة هامة لفهم معانيه وأسراره، وقد اعتمد ابن خزيمة ~ على دلالات اللغة فيما قرره واستدل به.

ومن أمثلة ذلك:

توضيحه لمعنى الواو في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ (البقرة:٢٣٨)، وأنها على معنى التأكيد لا الفصل، يقول ~ : ((وهذا من واو الوصل التي نقول: إنما على معنى التكرار والتأكيد، لا من واو الفصل، إذ محال تكون الصلاة الوسطى ليست من الصلوات قال الله ﷻ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾؛ فالصلاة الوسطى كانت داخلة في الصلوات التي أمر الله في أول الذكر بالمحافظة عليها ثم قال: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾؛ على معنى التكرار والتأكيد، وقد استقصيت هذا الجنس في كتاب الإيمان عند ذكر اعتراض من اعترض علينا فأدعى أن الله ﷻ قد فرّق بين الإيمان والأعمال الصالحة بواو استئناف في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾))[3].

= بيروت، عام:١٤٠٨هـ)، (١٠٣/١٥).

(١) هو: أبو محمد، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم، الكوفي، من أجلاء التابعين، روى عن عائشة، وابن عباس وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، وممن روى عنه: أيوب السِّختياني، وحبيب بن أبي ثابت، وولد في خلافة علي ﷺ، وقتله الحجاج سنة: ٩٥هـ. انظر: الجرح والتعديل للرازي (٩/٤)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، د.ط، (دار صادر، بيروت، د.ت) (٣٧١/٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٢١/٤).

(٢) التوحيد (٢٢٩/٢)، والأثر أخرجه ابن جرير انظر: جامع البيان (١٣٤/١٢)، والقرطبي، انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠٣/١٥).

(٣) الصحيح (٢٨٩/٢).

ومن ذلك أيضًا ما ذكره ~ عند حديثه عن صفة العلو لله تبارك وتعالى وكونه في السماء، يقول ~ : ((وقال الله ﷻ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[1]، ومحال أن يهبط الإنسان من ظهر الأرض إلى بطنها، أو إلى موضع أخفض منه وأسفل فيقال: رفعه الله إليه، لأن الرفعة في لغة العرب -الذين بلغتهم خوطبنا- لا تكون إلا من أسفل إلى أعلى وفوق))[2].

۞ ثالثًا: منهجه في الاستدلال بالسنة.

١- تفسير الأحاديث:

اعتنى ابن خزيمة ~ بشرح الأحاديث وتوضيح معانيها، وقد اتخذ في ذلك طرقًا عدة، وهي:

- تفسير الحديث بالقرآن.

ومما أورده ف هذا المجال شرحه لحديث أورده للاستدلال على أن الصديقين يتلون النبي ﷺ في الشفاعة قبل الأنبياء، وفي الحديث: ((ثم يُقَال: ادعُ الصديقين ليشفعوا، ثم يقال: ادعُ الأنبياء)) الحديث[3].

فقد ذكر ~ أن المراد بلفظة: "الصديقين" -على أحد القولين-: الصديقون من الأنبياء، أي: الأفضل منهم، وأيد ذلك المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾ (الإسراء:٥٥)[4].

يقول ~ : ((إن للفظة التي في خبر أبي بكر الصديق ﷺ قبل ذكر الأنبياء معنيين: أحدهما: الصديقون من الأنبياء، أي: الأفضل منهم، كما قال الله تعالى:

---

(١) سورة: النساء، الآية: ١٥٨.

(٢) التوحيد (٢٥٦/١).

(٣) سيأتي تخريجه ص٤١١.

(٤) ستتم مناقشة هذه المسألة وبيان رأي ابن خزيمة فيها وتوجيه رأيه في موضعها من البحث.

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ فيكون منهم صديقون بعد نبينا المصطفى ﷺ))(١).

- تفسير الحديث بالحديث.

شرح الحديث بالحديث من أعلى طرق شرح الحديث، يقول ابن حجر: ((المتعين على من يتكلم على الأحاديث أن يجمع طرقها، ثم يجمع ألفاظ المتون إذا صحت الطرق، ويشرحها على أنه حديث واحد؛ فإن الحديث أولى ما فسر بالحديث))(٢).

وشرح الحديث بالحديث يكون بمسالك عدة؛ كالجمع بين الأحاديث: مجملها ومفسرها، وعامها وخاصها، ومطلقها ومقيدة، وغيرها من الطرق، ومما ذكره ابن خزيمة في شرحه للأحاديث بالأحاديث ما يأتي:

-شرحه لقوله ﷺ في حديثه عن نعيم أهل الجنة: ((الصالحات للصالحين، تلذونهم مثل لذاتكم في الدنيا، غير أن لا توالد)) الحديث(٣)؛ فذكر أن معناه: ((أنهم لا يشتهون الولد))(٤)، وفسر ذلك قوله ﷺ في الحديث الآخر: ((إذا اشتهى أحدكم الولد في الجنة، كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة))(٥).

-ومن ذلك تفسيره لكلمة: القسط بالميزان؛ فقد فسر ~ لفظ: "القسط" الذي ورد في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في قوله: ((قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، قال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، ولكن يخفض القسط ويرفعه)) الحديث(٦). فسره بالميزان: بدلالة حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في قوله: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى، إن شاء

---

(١) التوحيد (٧٤٤/٢).

(٢) فتح الباري (٤٧٥/٦).

(٣) سيأتي تخريج الحديث ص٤٢٥.

(٤) التوحيد (٤٧٠/٢).

(٥) سيأتي تخريج الحديث ص٤٢٦.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: في قوله عليه السلام: "إن الله لا ينام"، (١١١/١، برقم: ٤٦٣).

أقامه، وإن شاء أزاغه، وكان رسول الله يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، والميزان بيد الرحمن يخفض ويرفع))[١].

يقول ~ : ((بهذا الخبر استدل أن معنى قوله في خبر أبي موسى: "يرفع القسط ويخفضه" أراد بالقسط: الميزان، كما أعلم في هذا الخبر أن الميزان بيد الرحمن يرفع ويخفض، فقال الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[٢]))[٣].

- تفسير الحديث بأقوال الصحابة والتابعين.

من الطرق المعينة على فهم أحاديث رسول الله ﷺ بيانه بكلام الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين؛ فالصحابة هم الذين عاصروا نزول الوحي؛ فهم المطلعون على قرائن الأحوال في نزوله، بالإضافة إلى كونهم أتقى قلوبًا، وأهدى للسنة واتباعها.

يقول الأوزاعي[٤] ~ : ((العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ؛ وما لم يجيء عن واحد منهم فليس بعلم))[٥].

أما التابعون فهم من القرون المفضلة، ولهم خصوصية لقرب وقتهم من زمن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٩٧/٢٩، برقم:١٧٦٣٠)، وابن ماجه في سننه، باب: فيما أنكرت الجهمية، (٧٢/١، برقم:١٩٩)، وأبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي في سننه (السنن الكبرى)، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، الطبعة: الأولى (مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: ١٤٢١هـ)، كتاب النعوت، باب قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ (٤١٤/٤حديث رقم: ٧٧٣٨). وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: ((إسناده صحيح على شرط الشيخين)).

(٢) سورة: الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٣) التوحيد (١٩٠/١).

(٤) هو: أبو عمرو، عبدالرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، الأوزاعي، عالم أهل الشام، وكان فاضلاً مأمونًا، حجة كثير العلم، مولده في حياة الصحابة سنة: ٨٨هـ، ومات في بيروت سنة: ١٥٧هـ، مرابطاً بها، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٧/٧)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤٤٣/١٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٤١٩/١).

(٥) أخرجه أبو عمر يوسف بن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، الطبعة: الأولى، (دار ابن الجوزي، الدمام، عام: ١٤١٤هـ)، (٧٦٩/١).

التشريع، وتلقيهم أمور الدين من الصحابة رضوان الله عليهم.

وقد كان للمحدثين عناية واضحة بآثار الصحابة والتابعين، وتفسيرهم لأحاديث رسول الله ﷺ له مكانته التي لا تصح معها مخالفته، يقول ابن تيمية ~ : ((من فسّر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مفترٍ على الله، ملحدٌ في آيات الله، محرّف للكلم عن مواضعه))[1].

ومما ذكره ابن خزيمة ~ في ذلك ما يأتي:

-تفسير ابن عباس رضي الله عنه للكرسي؛ فقد أورد ابن خزيمة ~ في باب إثبات استواء الله جل جلاله على العرش أحاديث عدة ذُكر فيها العرش والكرسي، أعقبها بتوضيح ابن عباس رضي الله عنه للكرسي، الذي يقول فيه ابن عباس: ((الكرسي: موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره))[2].

ومما ذكره أيضًا تفسير الزهري[3] لقوله عليه الصلاة والسلام: ((ضحك الله من رجلين قتل أحدهم صاحبه، ثم دخلوا الجنة جميعًا))[4]، قال: ((سئل الزهري عن تفسير هذا،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٢٤٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: التفسير، من سورة البقرة (٢/٣١٠، برقم: ٣١١٦)، وأبو عبدالله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي في العلو للعلي الغفار، تحقيق: عبدالله صالح البراك، الطبعة: الأولى، (دار الوطن، الرياض، عام: ١٤٢٠هـ)، (١/٥٩٧)، وأبو الحسن، علي بن عمر الدارقطني في الصفات، تحقيق: علي بن ناصر فقيهي، الطبعة:الأولى، (سلسة عقائد السلف، عام: ١٤٠٣هـ)، (٤٩)، وصححه الألباني، انظر: مختصر العلو للعلي الغفار، للذهبي، اختصار: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة:الأولى، (المكتب الإسلامي، دمشق، عام: ١٤٠١هـ)، (١/٧٥).

(٣) هو: أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهري، القرشي المدني نزيل الشام، حافظ زمانه، اتفقوا على جلالته وإتقانه، ولد في سنة: ٥٠هـ، وقيل: ٥١هـ، وتوفي سنة: ١٢٤هـ، وقيل: ١٢٣هـ، وقيل غير ذلك، وكانت وفاته بالشام. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (١/٢٢٠)، والجرح والتعديل للرازي (٨/٧١)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢/٩٩).

(٤) سيأتي تخريج الحديث ص٣٤٢.

قال: مشرك قتل مسلمًا ثم أسلم؛ فمات فدخل الجنة))[١].

وكذلك ذكر تفسير قتادة[٢] لقوله عليه الصلاة والسلام في الشفاعة: ((فآتيه الرابعة فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن))[٣]، قال قتادة: ((أي وجب عليه الخلود))[٤].

- تفسير الحديث بدلالة اللغة.

من الطرق التي استخدمها العلماء في توضيح معاني نصوص السنة النبوية: تفسيرها بدلالة اللغة، والاجتهاد في شرحها على ضوء تلك الدلالات.

وللغة العربية ودلالاتها مجال رحب عند ابن خزيمة ~ ؛ فقد كان كثيرًا ما يقوي استدلاله وتقريراته باستخدام اللغة والرجوع إلى أصولها، كما سيتضح أثناء تفصيل مسائل الاعتقاد التي قررها.

ومن شواهد توظيف ابن خزيمة للّغة العربية ما يأتي:

١. شرحه لحديث: ((لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها؛ فتستجاب له)) الحديث[٥]؛ فبيّن أن معنى كلمة: يدعو: دعا، على معنى الماضي لا المضارع.

يقول ~ : ((وقوله في هذه الأخبار: "يدعو بها فتستجاب له" هو من الجنس الذي قد أعلمت في مواضع من كتبي: أن العرب قد تقول: "يفعل كذا، ويكون

----

(١) التوحيد (٢/٥٧٢).

(٢) هو: أبو الخطاب، قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، تابعي جليل، ولد سنة: ٦٠هـ، وتوفي بواسط سنة: ١١٧هـ، وقيل سنة ١١٨هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٨٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين يوسف المزي تحقيق: بشار عواد، الطبعة: الأولى، (مؤسسة الرسالة ببيروت، عام: ١٤١٣هـ) (٢٣/٤٩٨)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/١٢٢).

(٣) سيأتي تخريج الحديث ص٣٩٨.

(٤) التوحيد (٢/٦١٢).

(٥) سيأتي تخريج الحديث ص٣٩٤.

كذا" على معنى: فعل كذا وكان كذا، وبيقين يُعلم أن الأنبياء الذين نزلت بهم مناياهم قبل خطاب النبي أمته بهذا الخطاب لو كانت دعواتهم باقية قد وعد الله استجابتها لهم لم يكن لقوله: "فإني اختبأت دعوتي" معنى))[1].

٢. تفسيره لقوله عليه الصلاة والسلام في شفاعته ﷺ في إخراج أهل التوحيد من النار: ((فيأخذ قبضة من النار؛ فيخرج قومًا قد صاروا حممة لم يعملوا له عمل خير قط)) الحديث[2]؛ فبيّن أن النفي في الحديث -كما تقتضيه اللغة- ليس نفيًا للعمل إنما لتمامه وكماله، يقول في ذلك: ((هذه اللفظة: "لم يعملوا خيرًا قط" من الجنس الذي يقول: العرب ينفي الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام؛ فمعنى هذه اللفظة على هذا الأصل: لم يعملوا خيرًا قط على التمام والكمال، لا على ما أُوجِب عليه وأُمِر به))[3].

وقد كان لابن خزيمة استعمال وافر لدلالة اللغة في الرد على المخالفين ومناقشة استدلالاتهم، وسيأتي تفصيل ذلك -إن شاء الله- عند الحديث عن منهجه في الرد على المخالفين.

٢- الدقة في الاستنباط من الأحاديث:

إن المتأمل لكلام ابن خزيمة ~ يعلم يقينًا أنه تميز بفهم دقيق، ووعي عميق للنصوص، وشهادة معاصريه دليل على ذلك، ومن هؤلاء -وقد سبقت الإشارة إلى قوله- ابن سريج حيث يقول: ((ابن خزيمة يخرج النكت من حديث رسول الله [ﷺ] بالمنقاش))[4].

ومما يترجم لنا تلك الدقة وذاك الفهم للنصوص: استدلاله ~ على أن معنى

----

(١) التوحيد (٢/٥٢٩).

(٢) سيأتي تخريج الحديث ص٤٥٥.

(٣) التوحيد (٢/٧٣٢).

(٤) انظر: ص٨١.

التصديق في اللغة لا يقتصر على اعتقاد القلب بل العمل بالجوارح، وذلك من قوله ﷺ: ((كل ابن آدم أصاب من الزنا لا محالة؛ فالعين زناؤها النظر، واليد زناؤها اللمس، والنفس تهوى أو تحدث ويصدقه أو يكذبه الفرج))[١].

قال ~ تعليقًا على الحديث السابق: ((هذه اللفظة: "ويصدقه أو يكذبه الفرج" من الجنس الذي أعلمت في كتاب الإيمان أن التصديق قد يكون ببعض الجوارح، لا كما ادعى من موه على بعض الناس أن التصديق لا يكون في لغة العرب إلا بالقلب))[٢]، وسيأتي تفصيل هذا الاستدلال عند الحديث عن منهجه في مسائل الإيمان.

ومن خلال عرض منهجه في تقرير مسائل الاعتقاد واستدلاله عليها ستتضح هذه السمة بشكل مفصل.

٣- ورعه وتجرده في الاستدلال:

مما اتفق عليه المترجمون لحياة ابن خزيمة: شهادتهم له بالورع والدين، وقد اتضح أثر تلك الميزة في تصنيفه، ولورعه ~ صورٌ، منها:

- تنزهه عن الاحتجاج بالأحاديث الواهية:

صرّح ابن خزيمة في أكثر من موضع بعدم احتجاجه بالأحاديث غير الصحيحة، يقول ~ : ((لا نحتجُّ بالمراسيل، ولا بالأخبار الواهية))[٣]،

وقد اتضح تورعه ~ عن التمويه على طالبي العلم برواية حديث غير صحيح، وإن وقع ذلك فلا بد من التنبيه حتى يستبين الحق، يقول في ذلك ~ : ((لا نستحل التمويه على طلبة العلم بذكر خبر غير صحيح لا نبين علته؛ فيغير به من يسمعه؛ فالله

---

(١) سيأتي تخريجه ص٤٥١.

(٢) الصحيح (٢٠/١).

(٣) التوحيد (١٣٧/١).

الموفق للصواب))[١].

ويقـول أيـضًا مبينًـا عـدم اسـتجازته ذلـك علـى نفـسه: ((لـست أسـتحل أن أحـتج بالتمويه، ولا أستجيز أن أموه على مقتبسي العلم))[٢].

وقد ظهر ذلك واضحًا فيما قرر من مسائل موافقة للصحيح من الأدلة مجانبة للضعيف منها.

ومن ذلك أنه صرّح بتورعه ذلك وإن كان ما يُستدل به موافقًا لمذهبه ورأيه، يقول ~ : ((قد أعلمت ما لا أحصي من مرة: أني لا أستحل أن أُموّه على طلاب العلم بالاحتجاج بالخبر الواهي، وإني خائف من خالقي جل وعلا إذا موهت على طلاب العلم بالاحتجاج بالأخبار الواهية وإن كانت حجة لمذهبي))[٣].

وقد تمثل ذلك عند حديثه عن الرؤية؛ ذلك أنه ترفع عن الاستدلال عما ذهب إلى تضعيفه، وهو قوله ﷺ: ((رأيت ربي في أحسن صورة))[٤]، مع دلالة الحديث على إثبات رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لربه في الدنيا، وهو القول الذي مال إليه ~ ، وسيأتي تفصيل هذه المسألة وبيان رأيه فيها.

وهذه النزاهة منه ~ دالة على إنصافه وسعة علمه، كما هو حال العلماء أنهم كلما ازدادوا علمًا ازدادت خشيتهم وورعهم.

- تعليقه الحكم بثبوت الحديث إذا شك في ثبوته.

ومن أقواله في ذلك:

((باب ذكر البيان أن الصديقين يتلون النبي ﷺ في الشفاعة يوم القيامة، ثم سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يتلون الصديقين، ثم الشهداء يتلون

(١) الصحيح (١٨٦/٣).

(٢) التوحيد (٤٩٥/٢).

(٣) المصدر السابق (٥٣٢/٢).

(٤) سيأتي تخريجه ص٢٢٦.

الأنبياء عليهم السلام إن صح الحديث))[١].

وبالرغم مما سبق ذكره؛ فينبغي أن يُشار إلى أنه بالتتبع[٢] وُجد أنه قد روى أحاديث عن بعض الضعفاء والمتروكين، ويمكن أن يعتذر له بعدة اعتذارات منها[٣]:

✿ أن إيراد ابن خزيمة لتلك الروايات متابعةً واستشهادًا؛ لذا فهو لا يكتفي بها بل يورد أحاديث أخرى في المسألة بطرق عدة؛ فذكْرُه لهذه الأحاديث في مقام الاعتضاد لا الاعتماد، بمعنى: أنه لم يُقِم بابًا أو يؤصِّل مسألة بناءًا على حديث ضعيف.

✿ لعله ~ قد ترجح له عدالة هؤلاء الرواة -الذين هم عند التحقيق ضعفاء- ولم يثبت عنده قادح فيهم؛ وهو إمام له القدح المعلّى في علم الجرح والتعديل.

✿ طائفة من الأحاديث المنتقدة التي استشهد بها ~ قد علّق الحكم عليها على عدالة الراوي، أو أشار إلى أن في نفسه شيئًا من الحديث أو من عدالة الراوي[٤].

ومهما يكن من شيء فما بين أيدينا من مصنفاته ~ يحتوي على آلاف الأحاديث، ونسبة الأحاديث المنسوبة إلى الضعف فيها ضئيلة جدًا.

وغني عن البيان أنه لا يسلم من الخطأ أحدٌ، ولو كان من الأئمة الكبار والعلماء المبرزين، والتوفيق بيد الله.

----

(١) التوحيد (٢/٧٣٤).

(٢) قام بتتبع ذلك بعض المحققين، انظر: مقدمة الدكتور عبدالعزيز الشهوان لكتاب التوحيد (٦٦)، ومقدمة الدكتور محمد الأعظمي لصحيح ابن خزيمة (٢٢/١)، والدكتور عبدالعزيز الكبيسي في كتابه: الإمام ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح (٣٣١/١)، وانظر كلامًا للدكتور: محمد محمدي في كتابه: المدخل إلى صحيح الإمام ابن خزيمة، (٢٩٢).

(٣) انظر في ذكر تلك الأعذار المراجع السابقة.

(٤) انظر: التوحيد (٨٧/١، ٩٢)، وانظر أيضًا (٦١١/٢، ٧٣٤، ٨٦٨)، وقد أشار إلى ذلك في كتابه الصحيح في أكثر من ثمانين موضعًا. كما تبين لي.

٤- عنايته بتوضيح غريب الحديث:

يقصد بغريب الحديث: ((ما وقع في متن الحديث من لفظة غامضة بعيدة من الفهم لقلة استعمالها))[(١)].

وتوضيح غريب ألفاظ الحديث حبل الوصول إلى فهمه وفقه أحكامه.

وقد أولى ابن خزيمة هذا العلم عنايته الكبيرة، وأمثلة ذلك كثيرة منها ما يأتي:

قوله عند حديث: ((فينبتون كما تنبت الحِبّةُ في حميل السيل)) الحديث[(٢)] - ناقلاً عن بعض علماء اللغة-: ((الحِبة: ما ينْبذِرُ من نبت الرجل من الحب؛ فيبقى في الأرض حتى تصيبه السماء من قَابلٍ فينبت))[(٣)].

٥- منهجه في مختلف الحديث:

يُقصد بمختلف الحديث: ((أن يوجد حديثان متضادان في المعنى في الظاهر، فيجمع أو يرجح أحدهما))[(٤)].

وقد يستفاد هذا التعريف من كلام ابن خزيمة ~ ؛ فيكون معنى مختلف الحديث عنده:

----

(١) تيسير مصطلح الحديث، لمحمود الطحان، الطبعة: السابعة، (مركز الهدى للدراسات، الإسكندرية، عام: ١٤١٥هـ)، (١٣٥).

(٢) سيأتي تخريج الحديث ص٤٢٢.

(٣) التوحيد (٦٧٤/٢).

(٤) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: محي الدين عبدالرحمن رمضان، الطبعة الثانية، (دار الفكر، د.ت)، (٦٠)، وانظر فتح المغيث، لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق: عبدالكريم بن عبدالرحمن الخضير، ومحمد بن عبدالله آل فهيد، الطبعة: الأولى، (مكتبة: دار المنهاج، الرياض، عام: ١٤٢٦هـ)، (٤٧١/٣)، وتدريب الراوي للسيوطي (٦٥١/٢).

هي الأخبار التي تكون ((مختلفة الألفاظ متفقة المعنى))[(١)] وهي ليست كما ((يحسب كثيرًا من حملة العلم ممن لا يفهم صناعة العلم أنها متهاترة متباينة))[(٢)].

أو هي الأحاديث التي يُظن أنها ((لو حملت على ظاهرها كانت دافعة))[(٣)] لأخبار أخرى ((لاختلاف ألفاظها))[(٤)] وهي في حقيقتها ليست ((مخالفة، لسر معناهما))[(٥)]، لذا لابد من أن يؤلف ((بين المراد من كل منهما))[(٦)].

وعلم مختلف الحديث من أهم العلوم التي يفتقر إليه كل من طلب علم حديث رسول الله ﷺ، وفهم واستنباط الأحكام الشرعية منه فهمًا دقيقًا.

يقول السيوطي ~ : ((هذا فنٌ من أهم الأنواع، ويضطر إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف))[(٧)].

وقد نبغ ابن خزيمة ~ في هذا الفن وكان إمامًا من أئمته، والذي أعانه على ذلك: جمعه بين علمي الفقه والحديث، يقول السخاوي[(٨)]: ((وإنما يكمل به من كان إمامًا جامعاً لصناعتي: الحديث والفقه، غائصًا على المعاني الدقيقة، ولذا كان إمام

---

(١) الصحيح (٣/٣١٩).

(٢) التوحيد (٣/٣١٩).

(٣) المصدر السابق (٢/٨٣٦).

(٤) المصدر السابق (٢/٨٤٧).

(٥) المصدر السابق (٢/٢٤٧).

(٦) المصدر السابق (٢/٢٤٧).

(٧) تدريب الراوي (٢/٦٥١)

(٨) هو: شمس الدين، محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، شافعي، ولد سنة:٨٣١هـ، محدث، برع في علوم شتى كالفقه وأصوله والتفسير والقراءات، وله مصنفات كثيرة، منها: "فتح المغيث شرح فيه ألفية العراقي في علوم الحديث"، و"المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة"، توفي سنة: ٩٠٢هـ، انظر: الضوء اللامع للسخاوي (٨/٢) وشذرات الذهب لابن العماد (١٠/٢٣)

الأئمة أبو بكر بن خزيمة من أحسن الناس فيه كلاماً))[(١)].

وقد شهد بنفسه على ذلك؛ فقد نُقل عنه أنه قال:((لا أعرف حديثين صحيحين متضادين، فمن كان عنده شيءٌ من ذلك فليأتني به لأؤلف بينهما))[(٢)]، كما ذكر أن التأليف بين النصوص صناعته ومن أصول مذهبه، يقول ~ -بعد سرده لأحاديث إثبات إمساك الله ﷻ السموات والأرض-: ((فلعل متوهمًا يتوهم ممن لم يتحر العلم، ولا يحسن صناعتنا في التأليف بين الأخبار؛ فيتوهم أن خبر ابن مسعود يضاد خبر ابن عمر وخبر أبي سعيد يضاد خبرهما، وليس كذلك هو عندنا بحمد الله ونعمته))[(٣)].

وقال أيضًا: ((وهذا مذهبنا في جميع العلوم: أن كل خبرين يجوز أن يؤلف بينهما في المعنى، لم يجُزْ أن يقال: هما متضادان متهاتران))[(٤)]، ثم أكّد أنه لا يجوز على أصله ((دفع أحد الخبرين بالآخر، بل يجب استعمال كل خبر في موضعه))[(٥)].

والمتأمل لكلام ابن خزيمة يجد أنه ~ كان همه وشغله الشاغل التصدي لإزالة ما يبدو فيه التعارض، والتأكيد على أن من واجبات الإيمان بنبوته: اعتقاد عدم التناقض في أقواله ﷺ[(٦)].

والذي يبدو أن اتجاهًا بدعيًا في ذلك الزمان أثار هذه الزوبعة، من طرْحٍ للشُبَه وتلبيسٍ على العامة، وضربٍ للنصوص بعضها ببعض؛ فانبرى أساطين أهل العلم للتصدي له، لا سيما وهم يرون الحاجة الماسة إلى ذلك نظرًا للضعف الشديد لدى

---

(١) فتح المغيث (٣/٤٧٠).

(٢) نقله الخطيب البغدادي، انظر: الكفاية في معرفة أصول علم الدراية، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي)، تحقيق: إبراهيم بن مصطفى آل بحبح الدمياطي، د.ط، (مكتبة ابن عباس، مصر، د.ت)، (٧/٥٥٨).

(٣) التوحيد (١/١٨٥).

(٤) المصدر السابق (١/٢٥١).

(٥) الصحيح (٢/١١٣).

(٦) انظر: التوحيد (٢/٨٧٧).

عامة الناس في فهم التوفيق بين النصوص، ولعل كثرة من صنف في هذا الفن ممن عاصروا ابن خزيمة مؤكدٌ لانتشار تلك الظاهرة، ومنهم: ابن قتيبة(١)، حيث ألف كتابه: "تأويل مختلف الحديث"، وابن جرير في كتابه: " تهذيب الآثار"، وأبو جعفر الطحاوي(٢) والذي ألف كتابه: "شرح مشكل الآثار".

وهذا ما شكى منه ابن خزيمة حيث يقول: ((أكثر أهل زماننا لا يفهمون هذه الصناعة ولا يميزون بين الخبر المتقصى وغيره))(٣).

وقال أيضًا: ((ذكر أبواب ليلة القدر، والتأليف بين الأخبار المأثورة عن النبي ﷺ فيها، ما يحسب كثيرًا من حملة العلم ممن لا يفهم صناعة العلم أنها متهاترة متنافية، وليس كذلك هي عندنا بحمد الله ونعمته))(٤).

ولذا تعددت إشارات ابن خزيمة لهم، ووصفهم بالجهل وعدم تحري العلم، والوقوع في الضلال لجهلهم لهذا الفن، ومما قال فيهم: ((أكثر أهل زماننا لا يفهمون هذه الصناعة، ولا يميزون بين الخبر المتقصى وغيره، وربما خفي عليهم الخبر المتقصى؛ فيحتجون بالخبر المختصر، يترأسون قبل التعلم، قد حُرموا الصبر على طلب

---

(١) هو: أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري، خطيب أهل السنة، وأحد أئمتهم، ولد بالكوفة سنة: ٢١٣هـ، جمع بين علوم الدين واللغة، وله مصنفات عدة، من أشهرها: "تأويل مشكل القرآن"؛ و"كتاب الاختلاف في اللفظ"، توفي سنة: ٢٧٦هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٢٨/٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩٦/١٣) وشذرت الذهب لابن العماد (٣١٨/٣).

(٢) هو: أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة، الأزدي، الحَجْريّ، المصري، الطحاوي، الحنفي، الإمام العلامة الحافظ، محدث الديار المصرية وفقيهها، ولد سنة: ٢٣٩هـ، وقيل: ٢٢٩هـ، وتوفي سنة: ٣٢١هـ.من مصنفاته: "كتاب العقيدة"، و"بيان مشكل الآثار"، انظر: الأنساب للسمعاني (٥٣/٤)، وتاج التراجم فيمن صنف من الحنفية، لقاسم بن قطلو بغا الحنفي، تحقيق: إبراهيم صالح، الطبعة: الأولى، (دار المأمون للتراث، دمشق، عام: ١٤١٢هـ) (٢١)، وشذرات الذهب لابن العماد (١٠٥/٤).

(٣) التوحيد (٦٩٣/٢).

(٤) الصحيح (٣١٩/٣).

العلم، ولا يصبروا حتى يستحقوا الرئاسة فيبلغوا منازل العلماء))[١].

وقد اتبع ابن خزيمة ~ مسالك عدة في دفع ما ظاهره التعارض من النصوص، منها[٢]:

- الجمع بين الأخبار المختصرة والمتقصاه.

من الأساليب التي استخدمها ابن خزيمة ~ في الجمع بين ما ظاهره التعارض: الجمع بين الأخبار المجملة[٣] والمفسرة[٤]، وهي التي أسماها المختصرة والمتقصاه.

وقد اعتنى ~ بهذه الأحاديث؛ لذا أكثر من الإشارة إلى الأحاديث المختصرة والمتقصاه، وإلى أهمية الجمع بينهما، وحصول الخير والعلم في فهم كلام رسول الله ﷺ، يقول ~ : ((الأخبار رويت على ما كان يحفظها رواتها: منهم من كان يحفظ بعض الخبر، ومنهم من كان يحفظ الكل؛ فبعض الأخبار رويت مختصرة، وبعضها متقصاه؛ فإذا جُمع بين المتقصى من الأخبار وبين المختصر منها بان حينئذ العلم والحكم))[٥].

---

(١) التوحيد (٦٩٣/٢)، وانظر كلامه ~ في وصفهم: التوحيد (١٨٥/١)، وانظر أيضًا (٨٧٦/٢، ٢٤٧)، وانظر: الصحيح (٣١٩/٣).

(٢) سلك ابن خزيمة مسالك كثيرة في الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض، وقد اعتنى ببعض طلبة العلم بجمعها وتصنيفها وبيانها، منهم: الدكتور عبدالعزيز الكبيسي في كتابه: "الإمام ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح"، وقد أجاد وفقه الله وأفاد، وقد أفدت منه، ثم إنني اقتصرت على بعض تلك المسالك، لأن المقام مقام إشارة وليس مقام تفصيل.

(٣) المجمل: ((ما له دلالة على أحد معنيين، لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه))، انظر: الإحكام للآمدي (٧٩/٢)، وإرشاد الفحول للشوكاني (١٢/٢).

(٤) المفسر في مقابل معنى المجمل، ويقصد به: ((الذي يعرف المراد به مكشوفًا على وجه لا يبقى معه احتمال التأويل فيكون فوق الظاهر والنص)) أصول السرخسي، محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، د.ط (لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، د.ت)، (١٦٥/١)

(٥) التوحيد (٧٠٧/٢).

لذا كان ~ يَفْرَقُ من الجهال الذين لا يفهمون هذا العلم فيقعون في الخطأ والوهم في حديث رسول الله ﷺ[١].

ومن أمثلة جمعه ~ بين الأخبار المختصرة والمتقصاه ما أورده في مسألة الشفاعة[٢]، ومسائل الإيمان[٣].

إلى غير ذلك من الأمثلة [٤].

- الجمع بين الأخبار الخاصة والعامة.

ومن أمثلة ذلك جمعه بين قوله ﷺ: ((لا يدخل النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان))[٥] وقوله ﷺ: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان))[٦]، فبيّن أن الحديثين ((من ألفاظ العام التي يراد بها الخاص))[٧].

وقد جمع بين اللفظين من جهتين:

الأولى: من جهة الزمان.

الثانية: من جهة المكان.

فعلى الأولى يكون معنى الأحاديث -كما قال ~ -: ((يخرج من النار ممن كان في قلبه ذرة من إيمان: إنما أخرج من موضع النار غير الموضع الذي خبر النبي أنه لا يدخل ذلك الموضع من النار))[٨]، وعلى الثانية يكون المعنى: لا يدخل النار في وقت

---

(١) انظر: التوحيد (٢/٦٩٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٧٠٥-٧٠٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/٦٩٣).

(٤) انظر -على سبيل المثال-: الصحيح: (١/٩٢،٨)، و(٢/٥٩)، و(٣/١١٤)، (٤/٣٤٥).

(٥) سيأتي تخريجه ص٤٧٧.

(٦) سيأتي تخريجه ص٤٧٩.

(٧) التوحيد (٢/٨٧٦).

(٨) المصدر السابق (٢/٨٧٦).

أو مدة معينة دون الأخرى.

ومما استعان به ~ في الجمع بين العام والخاص في هذين الحديثين: دلالة اللغة؛ فقال في المعنى الأول: ((بيقين يعلم كل عالم بلغة العرب: أن جائزًا أن يقول القائل: لا أدخل الدار، إنما يريد بعض الدور، كذلك يقول أيضاً: لا أدخل دار فلان، ولفلان دور ذوات عدد، إنما يريد أني لا أدخل بعض دوره، لا أنه إنما يريد لا أدخل شيئاً من دور فلان))(١).

ثم قال مؤيدًا المعنى الثاني باللغة: ((معلوم متيقن عند العرب أن المرء قد يقول: لا أدخل موضع كذا، ولا يدخل فلان موضع كذا وكذا، يريد: مدة من المدد، ووقتًا من الأوقات))(٢)، وغيرها من المواضع(٣).

- الجمع عن طريق بيان المراد.

جمع ابن خزيمة ~ بين عدد من الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التناقض عن طريق بيان المعنى المراد منها، ومن أمثلة ذلك:

جمعه بين حديثين وردا في ذكر المسافة بين السماء والأرض:

الحديث الأول: حديث العباس بين عبدالمطلب، وفيه قال ﷺ: ((هل تدرون كم بُعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا والله ما ندري، قال: فإن بُعد ما بينهما: إما واحدة، وإما اثنتان، وإما ثلاث وسبعون سنة، إلى السماء التي فوقها كذلك)) الحديث(٤).

الحديث الثاني: حديث ابن مسعود: ((ما بين كل سماء إلى أخرى مسيرة

---

(١) التوحيد (٨٧٦/٢).

(٢) المصدر السابق (٨٧٧/٢).

(٣) والأمثلة في الصحيح كثيرة جدًا، انظر على سبيل المثال: (١٦٩/١، ١٥٦)، و(٢١٢/٣، ١٨٧)، و(٢٦٥/٤، ١٨٩).

(٤) سبق تخريج الحديث ص١٢٠.

خمسمائة عام وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام)) الحديث[(١)].

يقول ~ في التوفيق بينهما: ((ولعله يخطر ببال بعض مقتبسي العلم: أن خبر العباس ابن عبدالمطلب عن النبي ﷺ -في بُعْد ما بين السماء إلى التي تليها- خلافُ خبر ابن مسعود؛ وليس كذلك هو عندنا، إذ العلم محيط أن السير يختلف: سير الدواب من الخيل والهجن، والبغال والحُمُر، والإبل، وسابق بني آدم، يختلف أيضًا؛ فجائزٌ أن يكون النبي المصطفى ﷺ أراد بقوله: (بُعد ما بينهما: اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة) أي: بسير جواد الركاب من الخيل، وابن مسعود أراد مسيرة الرجال من بني آدم، أو مسيرة البغال والحُمُر أو الهجن من البراذين، أو غير الجواد من الخيل؛ فلا يكون أحد الخبرين مخالفًا للخبر الآخر))[(٢)]، والأمثلة في جمعه ~ ببيان المعنى كثيرة[(٣)].

۞ رابعًا: منهجه في الاستدلال بالعقل.

بيّن ابن خزيمة ~ في أكثر من موضع مكانة العقل عنده؛ فحاله حال السلف -رحمهم الله- له موقف متوسط مع العقل؛ ويمكن تلخيص منهجه في الاستدلال بالعقل في النقاط الآتية:

۞ يرفض ابن خزيمة إخضاع المسائل الاعتقادية للعقل والرأي، ويرى أن المرجع إلى نصوص الوحيين، يقول ~ -أثناء حديثه عن الرؤية-: ((هذا من الجنس الذي لا يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة

---

(١) رواه عثمان بن سعيد الدارمي، في: الرد على الجهمية، ، تحقيق: بدر البدر، الطبعة: الأولى، (الدار السلفية، الكويت، عام: ١٤٠٥هـ)، (٣٨)، وأبو القاسم الطبراني، في: المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، الطبعة: الأولى، (١٤٠٠هـ)، (٢٠٢/٩)، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، في: الأسماء والصفات، الطبعة: الأولى، (مطبعة أنوار أحمد، الهند، عام: ١٣١٣هـ)، (٣٩٣/٢).

(٢) التوحيد (٢٥٠/١).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٨٥/١)، و(٧١٣/٢)، والصحيح (١٣٦/٣).

إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى))[١].

ويقول أيضًا: ((لا نحتج أيضًا في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس))[٢].

۞ يؤكد ~ على ضرورة تسليم العقل وانقياده للشرع، وعدم مخالفته وإن كان لا يوافقه، يقول ~ : ((محرم على كل عالم أن يخالف سنة النبي ﷺ برأي نفسه، أو برأيٍ من بعدِ النبي ﷺ))[٣].

ويقول أيضًا: ((كراهة معارضة خبر النبي عليه السلام بالقياس والرأي، والدليل على أن أمر النبي ﷺ يجب قبوله إذا علم المرء به، وإن لم يدرك ذلك عقلُه ورأيُه قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٤]))[٥].

۞ يعطي ابن خزيمة العقل حقه ومكانته؛ حيث إنه كثيرًا ما يستخدم البراهين والمجادلات العقلية في تقريره ورده على الخصوم.

ولعل جداله مع ذوي الألباب وذوي الحجا وذوي العقول[٦] شاهدٌ على إعماله ~ العقل وعدم إغفاله له، ومن أمثلة ما أعمل فيه العقل ما يأتي:

يقول مقررًا العلو لله تبارك وتعالى بعد إيراده لقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٧]: ((أفليس العلم محيطا يا ذوي الحجا والألباب أن الرب جل وعلا فوق من يتكلم بالكلمة الطيبة فتصعد إلى الله كلمته؟))[٨]؛ فتجده

(١) التوحيد (٥٥٩/٢).

(٢) المصدر السابق (١٣٧/١).

(٣) الصحيح (١٣٠/٢).

(٤) سورة: الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٥) الصحيح (٧٥/١).

(٦) استخدم ابن خزيمة ~ هذه الألفاظ في مواطن عدة قاربت الأربعين موضعًا، مما يدل على مكانة العقل وأهميته واعتنائه ~ به.

(٧) سورة: فاطر، الآية: ١٠.

(٨) التوحيد (٢٥٥/١).

لم يكتفِ ~ بإيراد الدليل وإنما خاطب العقول وأهلها زيادة في الإلزام والتقرير.

وقال في التفريق بين الخلق والأمر: ((وأعلمنا الله جلا وعلا في محكم تنزيله أنه يخلق الخلق بكلامه وقوله؛ فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]؛ فأعلمنا جل وعلا أنه يُكَوِّنُ كلَّ مُكَوَّنٍ مِنْ خَلْقِهِ بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، وقوله:: ﴿كُن﴾: هو كلامه الذي به يكون الخلق، وكلامه ﷻ الذي به يكون الخلق غير الخلق الذي يكون مكونًا بكلامه، فافهم ولا تغلط ولا تغالط، ومن عقل عن الله خطابه علم أن الله سبحانه لما أعلم عباده المؤمنين أنه يُكَوِّنُ الشيء بقوله: ﴿كُن﴾ أن القول الذي هو ﴿كُن﴾ غير المكوَّن بكن، المقول له: ﴿كُن﴾))[2]، وهكذا نجده بهذه المجادلة العقلية الرصينة يلزم كل من عنده عقل العلم بأن الخلق غير الأمر.

والدلائل على اعتنائه ~ بالعقل كثيرة[3]، وسيأتي بيان ذلك -إن شاء الله- عند الحديث عن منهجه في الرد على المخالفين.

وبعد تقصي أهم سمات منهج ابن خزيمة ~ في استدلاله على قضايا الاعتقاد تبين أنه اتسم بمنهج رصين دقيق شامل، قدم فيه حجته بأبين بيان وأوضح وضوح، وأعان القارئ على أن يعقل عن الله خطابه، حتى يوفق لإدراك الصواب والرشاد.



---

(١) سورة: النحل، الآية: ٤٠.

(٢) التوحيد (١/٣٩١).

(٣) انظر: -على سبيل المثال-: التوحيد (١/٤٠١، ٢٦٣)، و(٢/٨٧١).

المبحث الثاني:
منهج ابن خزيمة في الرد على المخالفين

اقتضت حكمة الله حصول الخلاف بين الناس في أديانهم وعقائدهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود:١١٨-١١٩).

ولا ريب أن من واجبات أهل الإيمان الرد على كل من خالف الحق بالحجة والبرهان؛ لتقوم حجة الله على الخلق؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال:٤٢).

وغني عن البيان ما لأهل البدع والأهواء من أثر سيئ؛ إفسادًا للدين، ونقضًا لعرى الإسلام؛ لذا كان جهادهم بالقلم والحجة من أعظم الجهاد، وفي هذا يقول يحيى بن يحيى[١]: ((الذب عن السنة أفضل من الجهاد))[٢].

وقد كان ابن خزيمة ~ شديد المنابذة لأهل البدع، شاهرًا قلمه لمناظرتهم ورد دعواهم بأقوى بيان وأرشد حجة، وله ~ في هذا الباب منهج متميزٌ في الرد على المخالفين تمخض عن علمٍ جمّ، وبصيرة نافذة، وقوة وثبات.

ويمكن تقسيم الحديث عن منهج ابن خزيمة في الرد على المخالفين إلى قسمين:

۞ القسم الأول: سمات عامة، وتتمثل فيما يأتي:

١- انصراف الهمة إلى الانتصار للحق ودحض الباطل ورده.

إن المتأمل في كلام ابن خزيمة ~ يتلمس منه توجّهَ نظرِه وانصرافه إلى

---

(١) هو: أبو محمد، يحيى بن يحيى بن كثير الليثي القرطبي، الإمام الحجة الثبت، رئيس علماء الأندلس وفقيهها، سمع الموطأ من مالك، غير الاعتكاف، وروايته أشهر الروايات، توفي سنة ٢٣٤هـ، أو ٢٣٣هـ. انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/٣٧٩)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لبرهان الدين ابن فرحون، د.ت، (دار الكتب العلمية (د.ت). (٢/٣٥٢)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، د.ط، (دار الفكر، د.ت). (٦٣).

(٢) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (٤/١٣).

الدفاع عن الحق ودفع أقوال مخالفيه وتعريتها؛ فقد تناول ~ في كتابه "التوحيد" ما يقارب أربع عشرة صفة من صفات الله تعالى الذاتية والفعلية؛ فلم يلبث أن يقرر تلك الصفات حتى يتبع ذلك التقرير -غالبًا- بالإشارة إلى المخالفين لمنهج أهل السنة فيها؛ فيذكر أن قولهم مضاد لقول أهل السنة، كما قال في مطلع تقرير صفة العلم: ((إثبات العلم لله جل وعلا تباركت أسماؤه وجل ثناؤه بالوحي المنزل على النبي المصطفى الذي يقرأ في المحاريب والكتاتيب... ضد قول الجهمية المعطلة الذين لا يؤمنون بكتاب الله يحرفون الكلم عن مواضعه تشبهًا باليهود ينكرون أن لله علمًا))(١).

أو يشير إلى أن قول أهل السنة مخالف غير موافق لقولهم، ومثال ذلك قوله عند إثبات صفة العلو: ((البيان أن الله ﷻ في السماء، كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه عليه وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين... لا كما قالت الجهمية المعطلة إنه في أسفل الأرضين، فهو في السماء، عليهم لعائن الله التابعة))(٢).

وقد يشير إليهم -استهلالاً- بنفي الإيمان عنهم أو كفرهم بآيات الصفات.

ومن أمثلة ذلك: قوله عند إثبات النفس لله: ((وكفرت الجهمية بهذه الآي وهذه السنن، وزعم بعض جهلتهم أن الله تعالى إنما أضاف النفس إليه على معنى إضافة الخلق إليه وزعم أن نفسه غيره))(٣).

وكذلك قال مصرحًا بعدم إيمانهم في موضع تقرير صفة العين: ((واجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبته الله في محكم تنزيله، ببيان النبي ﷺ الذي

----

(١) التوحيد (٢٢/١).

(٢) المصدر السابق (٢٥٥/١).

(٣) المصدر السابق (١٩/١).

جعله الله مبينًا عنه ﷻ))[١].

وهكذا نهج ~ في باقي مسائل الاعتقاد -كمسائل الإيمان والشفاعة والرؤية-؛ فتأليفه ~ جمع بين تقرير الحق ودحض ما خالفه، ونصرة أهله والرد على مخالفيه.

يقول ابن القيم ~ مقررًا ذلك: ((كان السلف يترجمون الرد على الجهمية بالتوحيد والرد على الزنادقة والجهمية، كما ترجم البخاري آخر كتاب الجامع بكتاب التوحيد والرد على الجهمية والزنادقة، وكذلك ابن خزيمة سمى كتابه التوحيد وهو في الرد على الجهمية))[٢].

والمتأمل في سيرة ابن خزيمة ~ يتجلى له أنه قد نذر نفسه للدفاع عن الحق ودفع أقوال مخالفيه وتعريتها.

وقد بدت بوادر تلك الهمة قبل التفاته للتصنيف في العقيدة والتوحيد؛ وذلك من خلال مناظرته لأهل البدع في مجالسه، مكتفيًا بها عن التصنيف[٣].

٢- التحلي بروح التحدي للمخالفين، والقوة في ذلك.

يظهر في أقوال ابن خزيمة ~ نبرة تحدٍ وقوة وإرغام للمخالفين؛ فلم يكن ~ مكتفيًا بالرد بالحجج، بل إنه كان يقدمها بتلك النبرة الموحية بقوته وإلزام خصمه بالتسليم لتلك الحجج التي يوردها.

ومن أمثلة ذلك قوله: ((باب ذكر قصة ثابتة في إثبات يد الله جل ثناؤه بسنة صحيحة عن النبي ﷺ، بيانًا أن الله خط التوراة بيده لكليمه موسى، وإن رغمت

----

(١) التوحيد (٩٧/١).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، اختصار: محمد بن الموصلي، ط: الأولى، (مكتبة أضواء السلف، الرياض، عام: ١٤٢٥هـ)، (١٤٠٥/٥).

(٣) انظر: مقدمة التوحيد (٩/١).

أنوف الجهمية))[١].

وقوله كذلك عند تقرير صفة الرجل لله تعالى: ((إثبات الرجل لله ﷻ وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا ﷻ التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ))[٢].

ولا شك أن هذه السمة الدالة على قوته ~ في حجته، نافعة لأهل السنة؛ إذ إنها تشعرهم باستعلائهم بحقهم ووهن وضعف الخصم وحججه؛ فيزدادون إيمانًا ويقينًا بصحة معتقدهم.

٣- تنوع الأسلوب في ذكر مذاهب المخالفين لأهل السنة.

تنوع عرض ابن خزيمة ~ لأقوال المخالفين؛ فتارة لا يعرّج على أقوالهم كما في كلامه عن صفة النزول[٣] والضحك[٤].

وقد يذكر المخالفين في بعض المواطن إشارةً دون تفصيل كصفة العلم[٥] والرِّجل[٦] لله تعالى.

وفي بعض المواطن يفصل أقوال المخالفين، ويتسع حديثه عنهم بسرد أدلتهم وشبههم والرد عليها ومناقشتها تفصيلاً كصفة الوجه[٧] واليد[٨]، ومسائل

---

(١) التوحيد (١/١٢٦).

(٢) المصدر السابق (١/٢٠٢)، وانظر أيضًا: (١/١٣٤)، و(٢/٤٠٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٣٨٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢/٥٦٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/٢٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/٢٠٢).

(٧) انظر: المصدر السابق (١/٢٤).

(٨) انظر: المصدر السابق (١/١١٨).

الشفاعة[١] والإيمان[٢].

ولكل مقامٍ مما سبق -اختصارًا أو تفصيلاً أو إشارةً- سببه؛ ولعل ذلك راجع في الأغلب إلى قوة انتشار قول المخالفين وضعفه في زمنه ~ .

وستتضح هذه السمة تفصيلاً -بإذن اللّه- عند تناول كل موضوع في محله من البحث.

٤- التنزل مع الخصم.

إن من الحكمة في مناقشة المخالفين مخاطبتهم على قدر عقولهم، ومن صور ذلك: التنزل في الحوار معهم.

وهذا النهج اتّبعه ابن خزيمة مع مخالفيه حتى يلزمهم الحجة ويهديهم إلى المحجة.

ومن شواهد ذلك: ما ذكره ~ أثناء مناقشة الجهمية لتمسكها -في إنكارها لرؤية اللّه في الآخرة- بقول ابن مسعود: ((من زعم أن اللّه يُرى جهرةً فقد أشرك))[٣].

فقال لهم بعد تضعيفه لهذا الأثر -ردًا عليه من جهة المعنى-: ((ولو ثبت هذا الخبر عن ابن مسعود لكان للخبر عندنا معنى صحيحًا، لا كما توهمه الجهمي -عليه لعائن اللّه- ونحن نقول: إن من زعم أن اللّه يُرى جهرة في الدنيا فقد كذب وافترى))[٤].

---

(١) انظر: التوحيد (٢/٥٨٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٦٩٣).

(٣) سيأتي تخريجه ص٣٨٦.

(٤) التوحيد (٢/٥٨٦).

٥- الإعراض عن ذكر اسم المخالف.

أعرض ابن خزيمة ~ عن التصريح بأسماء مخالفيه من رؤوس أهل البدع الذين يناقش أقوالهم وينقد آراءهم؛ فقد كان يكتفي بالنص على الفِرق بأسمائها أو بعبارة "أهل البدع والأهواء".

ولعله رأى في بيان الحق الذي بين يديه ودفع باطل المخالفين غُنية عن ذلك، وقد يكون راعى في ذلك مصلحة بدت له؛ من درء فتنة ودفع شر.

ومما يُضاف هنا: التنبيه على أن ابن خزيمة ~ لم يُغفل بتلك الإشارة دلالة المخالف إلى الهدى، والحرص على أوبته إلى الحق والمقام مقام بيان لتلك العثرة لا نشرها، بخلاف ما لو كان في ذكر قائلها مصلحة مقصودة؛ لاشتهار قائلها وكثرة أتباعه مثلاً، كما فعل ذلك غيره من علماء السنة، ومنهم: الدارمي(١) في رده على المريسي(٢)، حتى إنه قرن اسمه باسمه في كتابه(٣).

وعليه فالتصريح بأسماء المخالفين وعدم ذلك مسلكان متبعان عند علماء أهل السنة، والحكمة استعمال أي منهما حين تقتضي المصلحة ذلك.

ومن أمثلة إشارة ابن خزيمة للمخالف دون التصريح: قوله عمن دفع حديث ابن مسعود ﷺ في إمساك الله السموات على إصبع بزعمه أن ضحك النبي لليهودي تعجبًا

---

(١) هو: أبو سعيد، عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي، محدث حافظ، صاحب المسند، من أئمة السنة، وكان سيفا مسلولا في حناجر المبتدعة والرد عليهم، من مؤلفاته: "الرد على الجهمية"، و"الرد على المريسي"، توفي في هراة، سنة: ٢٨٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٩/١٣)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣٠٢/٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣٣٠/٣).

(٢) هو: أبو عبدالرحمن، بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي، المتكلم المناظر، كان من كبار الفقهاء، ولكن اشتغل بالكلام وانسلخ من الورع والتقوى، وقال بخلق القرآن، وكفره كثير من أهل العلم، توفي سنة ٢١٨هـ انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٧٧/١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٩٩/١٠)، وشذرات الذهب لابن العماد (٩٠/٢).

(٣) واسمه: "نقض أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي".

لا تصديقًا له: ((وزعم من كان يضاهي بعض مذهبه مذهب الجهمية في بعض عمره - لما لم يقبله أهل الآثار فترك أصل مذهبه عصبيةً- زعم أن خبر ابن مسعود الذي ذكرناه إنما ذكر اليهودي أن الله يمسك السموات على أصبع... الحديث بتمامه[١]، وأنكر أن يكون النبي ﷺ ضحك تعجبًا وتصديقًا له. فقال: "إنما هذا من قول ابن مسعود لأن النبي إنما ضحك تعجبًا لا تصديقًا لليهودي"، وقد كثر تعجبي من إنكاره ودفعه هذا الخبر، وكان يثبت الأخبار في ذكر الأصبعين، قد احتج في غير كتاب من كتبه بأخبار النبي ﷺ: "ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين"[٢]؛ فإذا كان هذا عنده ثابتًا يحتج به؛ فقد أقر وشهد أن لله أصابع؛ لأن مفهومًا في اللغة: إذا قيل أصبعين من الأصابع أن الأصابع أكثر من أصبعين، فكيف ينفي الأصابع مرة ويثبتها أخرى؟ فهذا تخليط في المذهب والله المستعان))[٣].

٦- توظيف قواعد الصفات في الرد على المخالفين:

اعتمد ابن خزيمة على قواعد الصفات في رده على المخالفين، ومن تلك القواعد التي استعان بها ما يأتي:

- رده على المعطلة حين أنكرت إضافة العلم لله باعتباره صفة من صفاته؛ فقد أكد ~ أن تلك الإضافة من إضافة الصفة للموصوف، ليست إضافة خلق، يقول ~ بعد إثباته لصفة العلم: ((ضد قول الجهمية المعطلة الذين لا يؤمنون بكتاب الله، يحرفون الكلم عن مواضعه، تشبهًا باليهود، ينكرون أن لله علمًا، يزعمون أنهم يقولون أن الله هو العالم، وينكرون أن لله علمًا مضافا إليه من صفات الذات... فأعلمنا الله أنه أنزل القرآن بعلمه، وخبرنا جل ثناؤه أن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه؛ فأضاف الله جل وعلا إلى نفسه العلم... فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون

---

(١) سيأتي تخريج الحديث ص٢٩٠.

(٢) سبق تخريج الحديث ص١٢٥.

(٣) التوحيد (١/١٩٩).

لخالقنا علمًا مضافًا إليه من صفات الذات))[1].

ففي تلك المناقشة يرد على المنكرين للعلم بتأكيده أنه من صفات الذات المضافة إليه كما ورد في الآيات.

-أما القاعدة الأخرى فهي: "قاعدة القدر المشترك"، حيث إنه توسّع في إيرادها ودعم مناقشته ومجادلته للمعطلة خاصة فيما يتعلق بشبهتهم وهي: أن إثبات الصفات يستلزم تشبيه الخالق بالمخلوق.

ولعلي أكتفي بإيراد شاهد على تلك القاعدة وتوظيف ابن خزيمة لها في الرد على شبهة المعطلة، وذلك عند إثباته لصفتي: السمع والرؤية لله تعالى؛ فقال عند مناقشته للمعطلة تذرعًا منهم في نفيهم للصفة أن إثبات تلك الصفة يترتب عليه تشبيه الله بالمخلوق -تعالى الله عن قولهم-: ((وهذا من الجنس الذي أقول: استماع الخالق ليس كاستماع المخلوق، قد أمر الله أيضا موسى عليه السلام أن يستمع لما يوحي فقال: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[2]؛ فلفظ الاستماعين واحد ومعناهما مختلف، لأن استماع الخالق غير استماع المخلوقين، عز ربنا وجل عن أن يشبهه شيء من خلقه، وجل عن أن يكون فعل أحد من خلقه شبيهًا بفعله عز وجل، وقال الله عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3]، وليس رؤية الله أعمال من ذكر عملهم في هذه الآية كرؤية رسول الله والمؤمنين، وإن كان اسم الرؤية يقع على رؤية الله أعمالهم وعلى رؤية رسول الله ورؤية المؤمنين))[4].

٧- العرض الجيد لأقوال المخالفين والرد عليها:

اتسم عرض ابن خزيمة ~ لأقوال المخالفين -كالمعطلة والخوارج والمرجئة-

----

(١) التوحيد (٢٢/١).

(٢) سورة: طه، الآية: ١٣.

(٣) سورة: التوبة، الآية: ١٠٥.

(٤) التوحيد (١٠٨/١-١٠٩)، وانظر: أيضًا (١١٦/١).

بالشمولية وإشباع المقام -مقام الرد على الباطل والدفاع عن الحق-؛ ذلك أنه ~ لم يكتفِ بالرد على المخالفين وذِكْر أقوالهم دون تحريرٍ لشبههم وما يحتجون به[1]، وقد يشير في بعض المواطن إلى سبب ضلال المخالف في تلك المسألة، ومن تلك الأسباب التي ذكرها ما يأتي:

-جهلهم بالعلم، يقول ~ : ((والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله جل وعلا وصف بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه ﷺ، لجهلهم بالعلم، وذلك أنهم وجدوا في القرآن أن الله قد أوقع أسماء من أسماء صفاته على بعض خلقه؛ فتوهموا -لجهلهم بالعلم- أن من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها نفسه قد شبهه بخلقه))[2].

وقال أيضًا: ((اذكر لفظه رويت عن النبي ﷺ في ذكر الشفاعة، حسبت المعتزلة والخوارج وكثير من أهل البدع وغيرهم -لجهلهم بالعلم وقلة معرفتهم بأخبار النبي - ﷺ أنها تضاد قول النبي ﷺ، عند ذكر الشفاعة أنها لكل مسلم، وليست كما توهمت هؤلاء الجهال))[3].

ومن جهلهم بالعلم: جهلهم بلغة العرب، يقول ~ -عند الحديث عن صفة الوجه وادعاء الجهمية أن الموصوف بالجلال والإكرام في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(الرحمن:٢٧) الرب سبحانه لا الوجه-: ((هذه دعوى يدعيها جاهل بلغة العرب))[4]، وقد علّق في موضع آخر ضلال وإضلال المعطلة بجهلهم بلغة العرب، يقول ~ : ((القوم جهلة لا يفهمون العلم ولا يحسنون لغة العرب فيَضِلون ويُضِلون))[5].

---

(١) سأشير هنا إشارات فقط؛ لأن الحديث سيأتي بالتفصيل عند عرض أسس ابن خزيمة في الرد، وفي ثنايا المسائل الاعتقادية التي قررها ابن خزيمة.

(٢) التوحيد (٥٧/١).

(٣) المصدر السابق (٦٥٠/٢)، وانظر أيضًا: (٨٣٦/٢، ٨٥٧).

(٤) المصدر السابق (٥١/١).

(٥) المصدر السابق (١١٧/١).

-جهلهم بأخبار النبي ﷺ، ومن ذلك: جهلهم بالجمع بينها، وبفهم معانيها يقول ~ : ((الدليل على ضد قول من زعم ممن لم يتحر العلم، ولا فهم أخبار النبي ﷺ: أن النار لا تصيب أهل التوحيد ولا تمسهم، وإنما يصيبهم حرها وأذاها وغمها وشدتها))(١).

ويقول أيضًا: ((ولا يزال يُسمع أهل الجهل والعناد ويحتجون بأخبار مختصرة غير مقتصاه، وبأخبار مجملة غير مفسره، لا يفهمون أصول العلم، يستدلون بالمتقصى من الأخبار على مختصرها، وبالمفسر منها على مجملها))(٢).

ثم يأتي رده ~ شاملاً، يتضمن رده على الدعوى ونقض شبههم، والحجج الواهية التي تذرعوا بها ومناقشتها، بما لا يدع لمحتج منهم حجة.

ويلحظ في منهج ابن خزيمة في عرضه لأقوال المخالفين ما يأتي:

-أن إيراده لحجج المخالفين وشبههم ومن ثم الرد عليها لم يكن في جميع ما قرر من مسائل؛ فقد يورد تلك الشُبَه، كما فعل عند حديثه عن شبهة المخالفين المنكرين لبعض الصفات التي كثر فيها الجدال: كصفة الوجه، واليد، والعين.

وقد لا يتعرض لتلك الشُبه، وذلك: كمواضع حديثه عن صفة العلو والاستواء والنزول والكلام.

ويبدو أن سلوكه التصريح بها في مواضع، وعدمه في مواضع راجعٌ إلى مراعاة المصلحة، فلكل مقام مقال. فإذا لم يكن في إيراد الشبهة مصلحة؛ فالإعراض عنها أولى، أما إذا انتشرت وعظم البلاء بها؛ فالحكمة ذكرها ونقضها.

يقول الإمام أحمد: ((كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه لم نجد بدًا من مخالفتهم والرد عليهم))(٣).

----

(١) التوحيد (٧٦٥/٢)، وانظر أيضًا: (٨٥٧/٢، ٧٠٧، ٦٩٣).

(٢) المصدر السابق (٨١٦/٢).

(٣) نقله الدارمي في نقضه على المريسي (٥٨٣/١).

وقال ابن قتيبة: ((ولم أرَ في هذه الفرق أقل عذرًا ممن أمر بالسكوت والتجاهل بعد هذه الفتنة، وإنما يجوز أن يؤمر بهذا قبل تفاقم الأمر ووقوع الشحناء، وليس في غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر في الدين قد انتشر هذا الانتشار، وظهر هذا الظهور... وإنما يقوى الباطل أن تبصره وتمسك عنه))[١].

-أنه عند إجماله في ذكر الشبهة يأتي بالردود مفصلةً، كما سيتبين بإذن الله في المسائل التالية لهذه المسألة.

-أنه لا يصرح بالشبهة دون أن يرد عليها، وهذا واضح في تقريراته ~ [٢].

٨- انتقاد منهج المخالفين ووصفهم بصفات النقص.

أظهر ابن خزيمة ~ عِوَج منهج المخالفين بانتقادهم وإظهار شناعتهم، زيادةً في النكاية بهم والتأكيد على فساد منهجهم، ومما وصفهم به ما يأتي:

أولاً: تشبيههم باليهود والنصارى والمجوس، بل إنهم شر منهم.

قال ~ : ((فالمعطلة الجهمية الذين هم شر من اليهود والنصارى والمجوس كالأنعام بل أضل))[٣].

ثانيًا: وصفهم بالجهل.

كرر ابن خزيمة ~ في مواطن إظهار بطلان منهج المخالفين الإشارةَ إلى جهلهم بالقرآن والسنة، وكذلك اللغة العربية.

يقول ~ : ((وزعمت الجهمية -عليهم لعائن الله- أن أهل السنة ومتبعي الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم المثبتين لله ﷻ من صفاته ما وصف الله به نفسه في

---

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤٠٥هـ) (٤٩).

(٢) سأشير -بإذن الله- إلى عرضه لأقوال المخالفين وشبهتهم وأدلتهم التي ادعوها والرد عليها بشيء من التفصيل والبيان عند الحديث عن الأسس التي اعتمدها ~ في الرد.

(٣) التوحيد (٢٠٢/١)، وانظر أيضًا (٢٣٣/١)، و(٥٨٧/٢).

محكم تنزيله، المثبت بين الدفتين وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه مشبهة، جهلاً منهم بكتاب ربنا وسنة نبينا، وقلة معرفتهم بلغة العرب الذين بلغتهم خوطبنا))[١].

وقال أيضًا: ((القوم جهلة، لا يفهمون العلم، ولا يحسنون لغة العرب، فيَضِلون ويُضِلون))[٢].

وكذلك وصف المرجئة والخوارج والمعتزلة بالجهل، يقول ~ : ((وأهل الجهل الذين ذكرتهم في هذا الفصل صنفان: صنف منهم الخوارج والمعتزلة... الصنف الثاني: الغالية من المرجئة))[٣].

ثالثًا: وصفهم بمعارضة القرآن الكريم والسنة النبوية، وعدم يقينهم بها.

أكد ابن خزيمة ~ أن الجهمية المعطلة ((لا يؤمنون بكتاب الله ويحرفون الكلم عن مواضعه))[٤].

وقال في معرض رده على من زعم أن كلام الله مخلوق: ((قوله: ﴿كُن﴾ لو كان خلقًا على ما زعمت الجهمية المفترية على الله؛ كان الله إنما يخلق الخلق ويكونه بخلق، لو كان قوله كن خلقًا))[٥].

ومن مضاداتهم للقرآن الكريم: عدم تدبرهم للقرآن، وبذلك صرّح ~ حيث قال عن الجهمية التي تنكر علو الله تبارك وتعالى: ((ولو تدبروا آية من كتاب الله ووفقهم الله لفهمها لعقلوا أنهم جهال، لا يفهمون ما يقولون، وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم))[٦].

---

(١) انظر: التوحيد (٥٣/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (١١٧/١)، وانظر أيضًا (٥٨/١، ١٩٣).

(٣) المصدر السابق (٧٦٩/٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢٢/١).

(٥) المصدر السابق (٣٩٢/١).

(٦) المصدر السابق (٢٥٧/١)، وانظر أيضًا (٨٣٧/٢، ٧١٣، ٥٦٩).

رابعًا: وصفهم بالبهت والزور والكذب على أهل السنة.

ومن ذلك ما أورده عند إثبات السمع والبصر لله تبارك وتعالى، فقال: ((فاسمعوا يا ذوي الحجا ما نقول في هذا الباب، ونذكر بهت الجهمية وزورهم وكذبهم على علماء أهل الآثار، ورميهم خيار الخلق بعد الأنبياء بما الله قد نزههم عنه وبرأهم منه، بتزور الجهمية على علمائنا إنهم مشبهة))(١) (٢).

خامسًا: وصفهم بالإنكار لما ثبت في الكتاب والسنة.

صرح ابن خزيمة ~ بذلك عند رده عليهم، من ذلك قوله: ((والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله وصف بها نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه ﷺ))(٣).

وذكر في موضع آخر أنهم ((منكرون لجميع ما وصف الله به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، غير مقرين بشيء منه، ولا مصدقين بشيء منه))(٤)(٥).

سادسًا: وصفهم بالتبديل وتحريف الكلم عن مواضعه.

من أقوى ما تمسكت به المعطلة في ردها لصفات الله ﷻ: تبديل كلام الله وتحريفه عن مواضعه بدعوى التأويل، وقد كشف ابن خزيمة ~ عن تلك اللوثة، وأوضح أن تلك دعوى حقيقتها: تبديل كلامه ﷻ.

---

(١) التوحيد (١/١١٤)، وانظر أيضًا (١/١٩٦، ١٩٤، ١١٧، ١١٥).

(٢) وهذه المسألة وهي: اتهام الجهمية لأهل السنة بأنهم مشبهة سيأتي الحديث عنها تفصيلاً -إن شاء الله- في موضعه.

(٣) التوحيد (١/٥٨).

(٤) المصدر السابق (١/١٩٥)، وانظر أيضًا (١/٨١، ٢٦).

(٥) أقوال الجهمية في صفات الباري ﷻ كثيرة، وستتضح -بإذن الله- من خلال تفصيل الحديث عن منهجه في إثبات الصفات.

يقول ~ : ((وزعمت الجهمية المعطلة أن معنى قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[(١)] أي: نعمتاه، وهذا تبديل لا تأويل))[(٢)].

وقال عن تحريفهم لاستواء الله بمعنى: الاستيلاء: ((قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه لا استوى؛ فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود كما أمروا أن يقولوا: حطة؛ فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا، كذلك الجهمية))[(٣)].

ومن ذلك تأويل المرجئة لأخبار النبي عليه الصلاة والسلام، يقول ~ مشيرًا إلى ذلك: ((الغالية من المرجئة التي تزعم أن النار حرمت على من قال: لا إله إلا الله، تتأول هذه الأخبار التي رويت عن النبي ﷺ في هذه اللفظة على خلاف تأويلها))[(٤)].

وتأكيده ~ على حقيقة فعلهم ذلك، وأنه تحريف وتغيير لكلام الله تبارك وتعالى من أقوى السبل لتوهين منهجهم.

سابعًا: وصفهم بالتلاعب والتمويه على الناس.

إن منهج المبتدعة قائم على التمويه والتلبيس، يقول ابن خزيمة مشيرًا إلى هذه السمة: ((هذا من التمويه على الرعاع والسفل، يموهون بمثل هذا على الجهال، يوهمونهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه ﷺ؛ فقد شبه الخالق بالمخلوق، وكيف يكون يا ذوي الحجا خلقه مثله؟))[(٥)].

وقال كذلك: ((بعض الجهمية ادعى بأن الحسن كان يقول: إن الزيادة الحسنة

---

(١) سورة: المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) التوحيد (١٩٧/١).

(٣) المصدر السابق (٢٢٣/١)، وانظر أيضًا (١٩٩/١).

(٤) المصدر السابق (٧٧٠/٢).

(٥) المصدر السابق (٦٥/١).

عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، تمويهًا على بعض الرَّعاع[١] والسفل))[٢].

ثامنًا: وصفهم بالجرأة على الله مع العناد وقلة المعرفة بالدين.

ومن ذلك ما وصف به المعطلة بقوله: ((إثبات الأصابع لله ﷻ من سنة النبي ﷺ قيلا له، لا حكاية عن غيره -كما زعم بعض أهل الجهل والعناد-: أن خبر ابن مسعود ليس هو من قول النبي وإنما هو من قول اليهود وأنكر أن يكون ضحك النبي تصديقًا لليهودي))[٣].

وقد ألحق ~ هذا الوصف بالمرجئة بقوله: ((إنما يخرج من النار شاهد أن لا إله إلا الله إذا كان مصدقًا بقلبه بما شهد به لسانه، إلا أنه كنّى عن التصديق بالقلب بالخير؛ فعاند بعض أهل الجهل والعناد، وادعى أن ذكر الخير في هذا الخبر ليس بإيمان: قلة علم بدين الله، وجرأة على الله في تسمية المنافقين مؤمنين))[٤].

۞ القسم الثاني: الأسس التي بنى عليها ابن خزيمة منهجه في الرد:

الأساس الأول: الاعتماد على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

أهم الأسس التي اعتمدها ابن خزيمة ~ في رده على المخالفين الاعتماد على الكتاب والسنة، ويتضح منهجه ذلك من خلال ما يأتي[٥]:

١- الاحتكام إلى صريح القرآن والسنة، وذلك أنه ~ قابل نفي الجهمية

---

(١) الرَّعاع: الحدث الذي لا عقل له ولا فؤاد، انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (٣٠/٣)، مادة (رعع).

(٢) التوحيد (٤٥٥/٢).

(٣) المصدر السابق (١٨٧/١).

(٤) المصدر السابق (٦٩٩/٢)، وانظر أيضًا (٨١٦/٢، ٧٦٩).

(٥) استفدت بعض هذه الأوجه من بحث للدكتور: خالد كبير علال، بعنوان: منهج أهل الحديث في الرد على المتكلمين -أسسه وتطبيقاته- في المواقع الآتية: ١- ملتقى العقيدة والمذاهب المعاصرة على الرابط: http://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=4160
٢- الألوكة على الرابط: http://majles.alukah.net/showthread.php?75158

للصفات بدعوى التنزيه بالتأكيد على بطلان قولهم ومناقضته لما ورد في القرآن والسنة من إثبات الصفات، وأكد في جل المواضع أن إثبات تلك الصفات المبني على ما ورد في الكتاب والسنة لا يعني تشبيهًا له سبحانه بخلقه، ومن أمثلة ذلك:

-أن الجهمية عندما نفت علو الله واجه دعواهم بالآيات والأحاديث الدالة على ذلك، طلبًا منه لاحتكامهم إلى صريح تلك النصوص وما دلت عليه؛ فرد عليهم بآيات وأحاديث عدة تثبت علوه جَلَّ جَلَالُهُ؛ فقال ~ : ((الله عَزَّ وَجَلَّ في السماء، كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه... فاسمعوا الآن ما أتلو عليكم من كتاب ربنا الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب، مما هو مصرح في التنزيل أن الرب جل وعلا في السماء، لا كما قالت الجهمية المعطلة: إنه في أسفل الأرضين؛ فهو في السماء))[1]، ثم سرد بعدها تلك الآيات والأحاديث.

٢-**الرد على حججهم ببيان المعنى الصحيح المراد منها**، وذلك كمناقشته ~ لأدلة المرجئة والخوارج التي استدلوا بها في حكم مرتكب الكبيرة، وبيان حقيقة معناها وأنها ليس على ما توهمته المرجئة اعتمادًا على نصوص الكتاب والسنة[2][3].

٣-**تدبر النصوص من القرآن والسنة واستنباط لطيف معانيها** والاستعانة بذلك في الرد على المخالفين، ومن شواهد ذلك ما يأتي:

-استنباطه ~ علو الله تعالى المتضمن رده على منكري العلو من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾(غافر:٣٦-٣٧)، يقول ~ : ((ألا تسمع قول الله يحكي عن فرعون قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾؛ ففرعون -عليه لعنة الله- يأمر ببناء صرح، فحسب أنه يطلع

---

(١) التوحيد (٢٥٤/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٨١٥/٢).

(٣) انظر -على سبيل المثال-: المصدر السابق (٢٧٣/١، ٢٥٥). وسيأتي -بإذن الله- الحديث عن تلك المناقشة في موضعها عند الحديث عن مسائل الإيمان، وغيرها من المواطن.

إلى إله موسى، وفي قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ دلالة على أن موسى قد كان أعلمه أن ربه جلا وعلا أعلى وفوق))[1]، وكذلك استنبط ذلك من حادثة الإسراء وعروجه عليه الصلاة والسلام إلى السماء[2].

-وكذلك رده على القائلين بأن كلام الله مخلوق باستنباطه ذلك من قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ (الأعراف:٥٤)[3].

٤-إظهار سوء فهم الجهمية للقرآن الكريم والسنة.

وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في نقد منهج المخالفين ووصفهم بالجهل بالقرآن والسنة.

٥-تأليفه بين النصوص، والتأكيد على عدم تناقضها، وقد تفطن ~ لذلك الجانب وهو مناقشة المخالفين بالتأليف بين النصوص لعلمه ~ بخبث طويتهم؛ حيث طعنوا في الأخبار بدعوى أنها متعارضة لاختلاف ألفاظها، يقول ~ : ((أهل الزيغ والبدع لا يزالون يطعنون في الأخبار لاختلاف ألفاظها))[4].

وقد أثرى ~ هذا الجانب كثيرًا، كما سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن منهجه في الاستدلال مما يغني عن إعادته هنا.

الأساس الثاني: الاعتماد على اللغة العربية في الرد على المخالفين.

كانت اللغة عند ابن خزيمة رافدًا ثريًا من روافد مواجهة المخالفين، ويؤكد ذلك: جعل الجهل باللغة سببًا من أسباب ضلال المعطلة.

ويدل عليه أيضًا: دعوته المتتابعة للمخالفين بضرورة الاحتكام إلى اللغة العربية التي خاطبنا الله بها، وعدم المغالطة بمخالفتها، ومن ذلك قوله: ((فتفهموا يا ذوي

(١) التوحيد (١/٢٦٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٢٧٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٣٩١).

(٤) المصدر السابق (٢/٥٦٩).

الحجا هذا البيان، الذي هو مفهوم في خطاب العرب، لا تغالطوا فتتركوا سواء السبيل))(١).

ويمكن استشفاف منهج ابن خزيمة في الاستعانة باللغة العربية في الرد من خلال الملامح الآتية:

١-الاعتماد على علوم اللغة العربية في مناقشة أقوال المخالفين وشبهاتهم، كعلم النحو ومعاني مفردات العربية، وأمثلة ذلك عدة، منها:

-رده على المعطلة عند نفيهم لصفة الوجه لله تعالى؛ حيث إن المعطلة زعمت أن الموصوف بالجلال والإكرام في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٢٦-٢٧) الربُّ سبحانه لا الوجه، وهذه مغالطة منهم ليصلوا إلى ما أرادوا من نفي الصفة عنه ﷻ؛ فرد عليهم ~ بقوله: ((لو كان قوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ مردودًا إلى ذكر الرب في هذا الموضوع لكانت القراءة: "ذي الجلال والإكرام" مخفوضًا... ولما كان الوجه في تلك الآية مرفوعة التي كانت صفة الوجه مرفوعة فقال: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾))(٢).

ويشهد لبروزه ~ في معرفة معاني لغة العرب وبيان مفرداتها، وتوظيف ذلك في رده على المخالفين: قوله في رده على المعطلة لصفة اليد بتأويلها لمعنى القوة: ((والقوة إنما تسمى الأيد في لغة العرب، لا اليد؛ فمن لا يفرق بين اليد والأيد فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتاتيب أحوج منه إلى الترؤس والمناظرة، قد أعلمنا الله ﷻ أنه خلق السماء بأيد، واليد واليدان غير الأيد))(٣).

٢-الاستعانة باللغة في إثبات تبديل الجهمية لكلام الله ومواجهة ذلك التبديل، وقد سبقت الإشارة إلى ما وسم به ابنُ خزيمة الجهمية من التبديل لكلام الله، وقد جابه ~ تلك الدعوى بالحجج النقلية والعقلية، ومما استعان به في تفنيد ذلك: اللغة،

----

(١) التوحيد (٥٢/١).

(٢) المصدر السابق (٥٢/١)، وانظر أيضًا (١٩٨/١).

(٣) المصدر السابق (١٩٩/١)، وانظر أيضًا (٢٥٦/١).

يقول ~ رادًا على تبديل الجهمية لصفة اليد إلى معنى النعمة: ((وافْهم ما أقول من جهة اللغة تفهم وتستيقن أن الجهمية مبدلة لكتاب الله لا متأولة، قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[1] لو كان معنى اليد: النعمة -كما ادعت الجهمية- لقرئت: بل يداه مبسوطة، أو منبسطة؛ لأن نعم الله أكثر من أن تحصى، ومحال أن تكون نعمه نعمتين لا أكثر؛ فلما قال الله ﷻ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ كان العلم محيطًا أنه ثبت لنفسه يدين لا أكثر منهما، وأعلم أنهما مبسوطتان ينفق كيف يشاء))[2].

الأساس الثالث: الاعتماد على ما يمليه العقل الصحيح في الرد على المخالفين.

استعان ابن خزيمة ~ بما يمليه العقل الصحيح في الرد على المخالفين؛ لذا فقد كان كثيرًا ما يخاطبهم بوصف "ذوي الحجا، ومن ركب فيه العقل" وظهر ذلك في أوجه عدة، وهي:

١- الأدلة السمعية العقلية.

من عناية ابن خزيمة بالعقل وأنه من موارد حججه لإبطال الباطل أورد على المخالفين في رده عليهم بعض الأدلة السمعية العقلية، ومما ذكره:

استدلاله بقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾(مريم:٤٢)، في إثبات ما تنكره المعطلة من صفات الله تبارك وتعالى، يقول ~ : ((ألم تسمع مخاطبة خليل الله صلوات الله عليه أباه ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ أفلا يعقل يا ذوى الحجا من فهم عن الله تبارك وتعالى هذا: أن خليل الله صلوات الله عليه وسلامه لا يوبخ أباه على عبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ثم يدعو إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر، ولو قال الخليل صلوات الله عليه لأبيه: أدعوك إلى ربي الذي لا يسمع ولا يبصر لأشبه أن يقول: فما الفرق بين معبودك ومعبودي؟))[3].

---

(١) سورة: المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) التوحيد (١٩٨/١).

(٣) المصدر السابق (٥٧/١)، وانظر أيضًا (١٠٩،٢٠٢/١).

٢- الاستنتاج المنطقي:

كان لابن خزيمة ~ في حواره مع المخالفين استنتاجاتٌ عقلية تنم عن دقة فهم وسعة علم، وكان فيها ردٌ حاسمٌ لمزاعم المخالفين، ومن تلك الاستنتاجات ما يأتي:

-استنتاجه ~ من نفي المعطلة لصفات الله القول بأن الله عدمٌ -تعالى الله عن قولهم-؛ ذلك أن مالا صفة له فهو عدم، يقول ~ : ((جل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه ﷺ))[(١)].

-ومما استنتجه كذلك: تشبيه الجهمية المعطلة الله تبارك وتعالى بالأموات؛ ذلك عند مناقشته لشبهتهم: وهي تنزيه الله عن التشبيه، واتهام أهل السنة بالتشبيه لإثباتهم الصفات؛ يقول ~ : ((فإذا كان على ما زعمتم بجهلكم فأنتم شبهتم معبودكم بالموتان... والله قد أثبت لنفسه أنه يسمع ويرى، والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله جل وعلا وصف بها نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه ﷺ -لجهلهم بالعلم- وقال ﷻ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[(٢)]، فأعلم الله ﷻ أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلاً؛ فمعبود الجهمية -عليهم لعائن الله- كالأنعام التي لا تسمع ولا تبصر))[(٣)].

-وقال عند الرد على من قال إن كلام الله مخلوق: ((فيقال لهم: يا جهلة فالقول الذي يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقًا ثم يكونه على أصلكم، أليس قود مقالتكم الذي تزعمون أن قوله: ﴿كُن﴾ إنما يخلقه بقول قبله وهو عندكم

----

(١) التوحيد (٢٦/١)، وانظر أيضًا (١١/١).

(٢) سورة: الفرقان، الآية: ٤٣-٤٤.

(٣) التوحيد (٥٧/١).

خلق؟ وذلك القول يخلقه بقول قبله وهو خلق، حتى يصير إلى ما لا نهاية له ولا عدد ولا أول، وفي هذا إبطال تكوين الخلق وإنشاء البرية، وإحداث ما لم يكن قبل أن يحدث الله الشيء وينشئه ويخلقه، وهذا قول لا يتوهمه ذو لب لو تفكر فيه ووفق لإدراك الصواب والرشاد))(١).

٣- الإلزام باللوازم الباطلة:

اعتنى ابن خزيمة ~ بإيراد اللوازم الباطلة لأقوال المخالفين التي تدل على بطلانها وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

-قوله ~ عند تأكيده على المباينة بين صفات الخالق والمخلوق، وأن إثبات الصفات لا يقتضي التشبيه بحال: ((فلو كان كل ما وقع عليه الاسم كان مشبهًا لما يقع عليه ذلك الاسم؛ لم يجز قراءة كتاب الله، ووجب محو كل آية بين الدفتين فيها ذكر نفس الله أو عينه أو يده، ولوجب الكفر بكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر صفات الرب، كما يجب الكفر بتشبيه الخالق بالمخلوق، إلا أن القوم جهلة لا يفهمون العلم ولا يحسنون لغة العرب فيَضلون ويُضلون، والله نسأل العصمة والتوفيق والرشاد في كل ما نقول وندعوا إليه))(٢).

-ومن ذلك ما ألزم به غالية المرجئة في مخالفتها في حقيقة الإيمان وأنه مجرد الإقرار دون التصديق، وادعائهم بأن "الخير" الوارد في الأحاديث والمشروط في خروج شاهد أن لا إله إلا الله من النار ليس بإيمان، يقول ~ ملزمًا لهم بلوازم باطلة لتلك الدعوى: ((فيلزمهم أن يقولوا: هذه الأخبار كلها غير ثابتة، أو يقولوا: إن الإيمان ليس بإيمان، أو يقولوا: إن الإيمان ليس بخير، وما ليس بخير فهو شر، ولا يقول مسلم إن الإيمان ليس بخير))(٣).

---

(١) التوحيد (٣٩٢/١)، وانظر أيضًا (٧١٤/٢، ٦٩٩).

(٢) المصدر السابق (١١٧/١)، وانظر أيضًا (٣٩٢/١، ١٩٥، ٨١، ٦٣).

(٣) المصدر السابق (٧١٤/٢).

٤- المجادلة العقلية.

من أبرز ما قوّى به ابن خزيمة ~ ردوده على المخالفين مجادلتهم العقلية، ولتلك المجادلة صورٌ عدة، منها:

-إيراده للأدلة العقلية:

ومن تلك الأدلة: مواجهة تأويل المعطلة لصفة اليد لمعنى القوة بمجادلة عقلية بقوله: ((قد أعلمنا الله ﷻ أنه خلق السماء بأيد، واليد واليدان غير الأيد؛ إذ لو كان الله خلق آدم بأيد كخلقه السماء دون أن يكون الله خص خلق آدم بيديه لما قال لإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي، ولا شك ولا ريب أن الله ﷻ قد خلق إبليس -عليه لعنة الله- أيضًا بقوته، أي: إذا كان قويًا على خلقه فما معنى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1] عند هؤلاء المعطلة، والبعوض والنمل وكل مخلوق فالله خلقهم عنده بأيد وقوة))[2].

-طرح الأسئلة ومناقشة الأدلة:

كثيرًا ما يستخدم ابن خزيمة ~ طرح الأسئلة على المخالفين استنهاضًا لهم وتحفيزًا لعقولهم لمراجعة الحق، يقول ~ لمن أنكر أن يكون لله علم: ((خبرونا عمن هو عالم بالأشياء كلها أَلَهُ علمٌ أم لا؟ فإن قال: الله يعلم السر والنجوى وأخفى، وهو بكل شيء عليم، قيل له: فمن هو عالم بالسر والنجوى وهو بكل شيء عليم أَلَهُ علمٌ أم لا علم له؟))[3].

- ومن ذلك الطرح الملزم: ما أورده أثناء مناقشته للجهمية في زعمهم خلق القرآن؛ فقال -بعد استدلاله بقوله ﷺ لمن لدغته عقرب: ((أما أنك لو قلت حين أمسيت أعوذ

----

(١) سورة: ص، الآية: ٧٥.

(٢) التوحيد (١/١٩٩)، وانظر أيضًا (٢/٨٣٥).

(٣) المصدر السابق (١/٢٣).

بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك))[١]-: ((أَفَلَيْس العلمُ محيطًا يا ذوي الحجا أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق الله من شر خلقه؟ هل سمعتم عالمًا يجيز أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر خلق الله؟ أو يجيز أن يقول: أعوذ بالصفا والمروة؟ أو: أعوذ بعرفات ومنى من شر ما خلق الله؟))[٢]، وزيادة في إرغامهم قد يجيب على ما يلقيه عليهم؛ لذا قال بعد الأسئلة السابقة: ((هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه))[٣].

- ومن مخاطبته لعقول مخالفيه تضمينه المناقشة لما يذكره من أدلة خلال رده عليهم، ومثال ذلك أنه قال في الرد على منكري صفة العلو: ((وقال ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٤] أَفليْسَ العلم محيطًا يا ذوي الحجا والألباب: أن الرب جل وعلا فوق من يتكلم بالكلمة الطيبة؛ فتصعد إلى الله كلمته، لا كما زعمت المعطلة الجهمية: أنه تهبط إلى الله الكلمة الطيبة كما تصعد إليه؟... والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ووحيه وأعلمنا أنه: "العلي العظيم" أفليْس العليُّ يا ذوي الحجا ما يكون عليًا، لا كما تزعم المعطلة الجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط، ومع كل شيء، وفي كل موضع من أرض وسماء، وفي أجواف جميع الحيوان؟))[٥].

- ومن ذلك أيضًا ما ناقش به المخالفين في كلامه ﷻ، يقول ~ : ((قال الله ﷻ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[٦]، فهل يتوهم مسلم يا ذوي الحجا أن الله سخر الشمس والقمر والنجوم مسخرات بخلقه؟ أليس مفهومًا عند من يعقل عن

---

(١) سيأتي تخريجه ص٣٤٩.

(٢) التوحيد (٤٠١/١).

(٣) المصدر السابق (٤٠٢/١)، وانظر أيضًا (٣٩٢/١، ١٩٤، ٥٤).

(٤) سورة: فاطر، الآية: ١٠.

(٥) التوحيد (٢٥٧/١، ٢٥٥).

(٦) سورة: الأعراف، الآية: ٥٤.

الله خطابه أن الأمر الذي سخر به المسخر غير المسخر بالأمر؟ وأن القول غير المقول له؟))[١].

٥- أسلوب المعارضة[٢].

استعان ابن خزيمة بالمعارضة في مناقشة المرجئة في حكمها على مرتكب الكبيرة؛ ذلك أنه عارضهم بمسالك الجهمية والجهال بدين الله في بطلان استدلالاتهم في مسائل الإيمان، ومن أقواله في ذلك: ((ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار -وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم وخلاف كتاب الله وخلاف سنن النبي- جاز للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي إذا تؤولت على ظاهرها استحق -من يعلم أن الله ربه وأن محمداً نبيه- الجنة، وإن لم ينطق بذلك لسانه))[٣].

٦- استخدام أسلوب المناظرات.

الذي يبدو أن ابن خزيمة ~ كانت له مناظرات مع مخالفيه، ويدل على ذلك ما أشار إليه أبو إسماعيل الأنصاري -أثناء حديثه عن فتنة الحديث في كلام الله- حيث قال: ((فطار لتلك الفتنة ذاك الإمام أبو بكر، فلم يزل يصيح بتشويهها، ويصنف في ردها كأنه منذر جيش، حتى دوّن في الدفاتر وتمكن في السرائر ولقن في الكتاتيب ونقش في المحاريب: أن الله متكلم، إن شاء تكلم وإن شاء سكت، فجزى الله ذاك الإمام وأولئك النفر الغر عن نصرة دينه وتوقير نبيه خيراً))[٤].

وقد أشار ابن خزيمة إلى تلك المناظرات بقوله: ((كنت أحسب أن ما يجرى بيني

---

(١) التوحيد (٣٩٣/١)، وانظر أيضًا (٣٩٦/١، ٢٧٣).

(٢) يقصد بالمعارضة: ((إلزام المستدلّ الجمع بين شيئين والتسوية بينهما في الحكم، إثباتاً ونفياً))، إرشاد الفحول (١٦٤/٢).

(٣) التوحيد (٨١٦/٢)، وسيأتي تفصيل الكلام عن ذلك في موضعه من مسائل الإيمان.

(٤) مجموع الفتاوى (١٧٨/٦).

وبين المناظرين من أهل الأهواء، في جنس الكلام في مجالسنا، ويظهر لأصحابي الذين يحضرون المجالس والمناظرة من إظهار حقنا على باطل مخالفينا كاف عن تصنيف الكتب على صحة مذهبنا وبطلان مذاهب القوم، وغنية عن الإكثار في ذلك))[١].

ولكن لم تسعفنا المصادر بنماذج لتلك المناظرات، إلا أنها بالتأكيد مساجلات لائقة بعلو كعبه في العلم، ودقة فهمه، وقوة حجته.

ومن خلال ما سبق من سمات منهجه ~ تبين أنه كان منهجًا مميزًا رائدًا، واجه فيه أهل الباطل بالجمع بين دلائل النقل الصريح، وشواهد العقل الصحيح، فرحمه الله وجزاه عن أهل السنة خيرًا.



(١) التوحيد (٩/١).

الباب الثاني

الباب الثاني

منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الاعتقاد

وفيه ثلاثة فصول:

۞ **الفصل الأول:** منهج ابن خزيمة في تقرير صفات الله تعالى.

۞ **الفصل الثاني:** منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل اليوم الآخر.

۞ **الفصل الثالث:** منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الإيمان والنبوات والصحابة.



منهج ابن خزيمة في تقرير صفات الله تعالى

وفيه ثلاثة مباحــث : -

المبحث الأول : منهج ابن خزيمة في تقرير قواعد صفات الله تعالى.

المبحث الثاني : منهج ابن خزيمة في إثبات الصفات الذاتية.

المبحث الثالث : منهج ابن خزيمة في إثبات الصفات الفعلية.

* * * ** * * *

المبحث الأول

منهج ابن خزيمة في تقرير قواعد صفات الله ﷻ

<u>وفيه أربعة مطالب</u> :

المطلب الأول: صفات الله تعالى توقيفية.

المطلب الثاني: تحقيق الإيمان بصفات الله تعالى.

المطلب الثالث: المضاف إلى الله تعالى: أوصاف وأعيان.

المطلب الرابع: القدر المشترك.

* *   * *   * *

المبحث الأول:
منهج ابن خزيمة في تقرير قواعد صفات الله عز وجل

الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته ركن من أركان الإيمان بالله، والعناية بهذا الباب من أعظم الأسباب لحياة القلب، وزيادة الإيمان.

وقد ضل في تحقيق الإيمان بأسماء الله وصفاته كثير من الفرق، إلا أن الله صان أهل السنة فيه «فكان مذهبهم مذهبًا بين مذهبين؛ وهدًى بين ضلالتين، خرج من بين مذاهب المعطلين والمخيلين والمجهلين والمشبهين، كما خرج اللبن ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[1]»[2].

فأهل السنة والجماعة بنوا اعتقادهم لصفات الله عز وجل على ضوء قواعد وأصول، حققت لهم الهداية والصيانة من الزلل فيها.

وهذه القواعد مستقاة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وكلام السلف رحمهم الله، وقد نُثِرت في كتبهم، وفي مقدمة أهل السنة الذين اعتنوا بتأصيل تلك القواعد: ابن خزيمة؛ فقد استند ~ على تلك القواعد تارة في طور تقرير الصفة وإثباتها، وتارة في طور الرد على المخالفين المنحرفين في إثباتها كل بحسبه، ومن أهم تلك القواعد ما يأتي:



---

(١) سورة: النحل، الآية: ٦٦.

(٢) مختصر الصواعق للموصلي (٢/٤٢٥).

المطلب الأول:
القاعدة الأولى: صفات الله توقيفية

من أولى قواعد أهل السنة وأهمها في باب الأسماء والصفات هذه القاعدة، وهي تعني: أن إثبات أي صفة من صفات الباري متوقفة على ما جاء في الشرع، دون زيادة أو نقصان.

يقول الإمام أحمد ~ : ((لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث))(١).

فصفات الباري يجب التوقف في إثباتها على ما ورد به النص: كتابًا أو سنةً؛ لأنه لا أعلم بالله تبارك وتعالى وبما يستحقه من النعوت منه ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٢).

يقول ابن القيم ~ : ((ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي))(٣).

وقد سار ابن خزيمة ~ في تقريراته على هدي هذه القاعدة، يقول ~ - مؤكدًا أن مصدر الصفات مقصورٌ على ما ورد به النص- : ((إن علم هذا لا يُدْرك إلا بكتاب الله، وسنة نبيه المصطفى ﷺ))(٤).

وقال كذلك: ((لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه، إما في كتاب الله، أو على لسان نبيه، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه، لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية))(٥).

---

(١) نقله عنه زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي، في: أقاويل الثقات، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الأولى، (مؤسسة الرسالة، بيروت، عام:١٤٠٦هـ)، (٢٣٤).

(٢) سورة: طه، الآية: ١١٠.

(٣) بدائع الفوائد، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، د.ط، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت)، (١٦٢/١).

(٤) التوحيد (٥١/١).

(٥) المصدر السابق (١٣٧/١).

وزيادة في توضيح هذه القاعدة بيّن أن العلم بأسماء الله وصفاته لا يؤخذ بالآراء والأهواء، يقول ~ : ((هذا من الجنس الذي لا يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى))(١).

وقال كذلك: ((لا نحتج أيضًا في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس))(٢).

وما قرره ~ في هذه القاعدة الجليلة هو حقيقة نهجه في صفات الباري تبارك وتعالى؛ فلم يورد من الصفات إلا ما ثبت في نصوص الكتاب والسنة كما سيتبين في تفصيل منهجه في مسائل الاعتقاد بإذن الله.



(١) التوحيد (٢/٥٥٩).

(٢) المصدر السابق (١/١٣٧).

المطلب الثاني:
القاعدة الثانية: تحقيق الإيمان بصفات الله

إن تحقيق الإيمان بالأسماء والصفات يكون بتحقيق طريق الرسل عليهم السلام في ذلك، ومجانبة طريق من خالفهم.

وقد لخّص ابن تيمية ~ هذا الطريق ببيان معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، يقول ~ : ((القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث... ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل... ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فعطلوا أسماءه الحسنى، وصفاته العليا، ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسماء الله وآياته))(١).

فيتلخص مما سبق الأسس التي بنى عليها أهل السنة والجماعة اعتقادهم في الإيمان بالصفات وهي:

١- إثبات ما أثبته الله لنفسه في الكتاب والسنة من الصفات ونفي ما نفاه الله عن نفسه من الصفات في الكتاب والسنة.

٢- مجانبة التأويل(٢) والتكييف(٣) والتمثيل(٤).

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى، لتقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: حمد التويجري، الطبعة: الأولى، (دار الصميعي، الرياض، عام: ١٤١٩هـ) (٢٧١).

(٢) التأويل هو: ((صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره))، الصواعق المرسلة لابن القيم (١٧٨/١)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٤/٣)، (٦٨/٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٣١).

(٣) التكييف هو: ((تفسير لكُنْه شيء من صفات ربنا تعالى، كأن يقول: استوى على هيئة كذا، =

٣-قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية اتصاف الله ﷻ بتلك الصفات.

وقد كانت هذه الأسس محور منهج ابن خزيمة في إثباته لصفات الباري ﷻ.

يقول ~ -في بيان سبب تأليفه لكتاب التوحيد- مؤكدًا على وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه: ((فاحتسبت في تصنيف كتاب يجمع هذين الجنسين من العلم... والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جلا وعلا، مما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، وبما صح وثبت عن نبينا ﷺ بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولاً إليه))[2].

وقال أيضًا: ((فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه... وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبته الله في محكم تنزيله ببيان النبي ﷺ، الذي جعله الله مبينًا عنه ﷻ))[3].

وقد كان هذا مذهبه وطريقه الذي صرح به بقوله: ((مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا))[4].

= أو ينزل إلى السماء بصفة كذا))، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، د.ط، (جماعة إحياء التراث، د.ت)، (٣٦٣/١)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٢٠٧/١).

(٣) التمثيل هو: ((وصف الله بشيء من خصائص المخلوقين، أو أن يجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم، أو يجب له ما يجب لهم، أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقاً))، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١٣/٨)، وانظر: التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: علي حسن الحلبي، الطبعة: الأولى، (دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٩هـ)، (١٨).

(١) سورة: فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) التوحيد (١١/١).

(٣) المصدر السابق (٩٧/١).

(٤) المصدر السابق (٢٦/١).

وقال كذلك: ((نحن نثبت لخالقنا جل وعلا صفاته التي وصف الله ﷻ بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى ﷺ، مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه))[١].

وقال في ذم التشبيه والتعطيل وتقديس الباري ﷻ عن هذين الدائين: ((تعالى ربنا عن صفات المحدودين، وتقدس عن شبه المخلوقين وتنزه عن مقالة المعطلين))[٢].

وقال أيضًا: ((عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون))[٣].

ومما جاء عنه في تقرير تلك القاعدة قوله: ((إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرنًا بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله ونبيه الرسول عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف))[٤].

وقد بين ~ أن هذه القاعدة مبنية على نص القرآن الكريم، وأن تنزيه الله تبارك وتعالى من مشابهة الخلق من تنزيه الله نفسه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٥]، يقول ~ : ((قد نزّه الله نفسه وقدّس عن صفات المخلوقين؛ فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وهو كما وصف نفسه في كتابه على لسان نبيه، لا كصفات المخلوقين))[٦].

---

(١) التوحيد (٥٧/١).

(٢) المصدر السابق (٧/١).

(٣) المصدر السابق (٢٦/١).

(٤) ذم التأويل لابن قدامة (١٨).

(٥) سورة: الشورى، الآية: ١١.

(٦) التوحيد (٩٤/١).

ولابن خزيمة أقوالٌ في تنزيه الله في ذكره صفات خاصة، منها:

-قوله في صفة الوجه: ((نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبّه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، تعالى ربنا أن يكون وجه ربنا كوجه بعض خلقه، وعَزّ ألا يكون له وجه؛ إذ الله قد أعلمنا في محكم تنزيله أن له وجهًا ذوّاه بالجلال والإكرام، ونفى عنه الهلاك))(١).

-وقال أيضًا في صفة الأصابع: ((جل ربنا عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه، وعن أن يشبه شيءٌ من صفات ذاته صفات خلقه))(٢)، وغيرها من الصفات كصفة الكلام والضحك(٣).

وقد ظهر نقاء مذهب ابن خزيمة ~ من التمثيل بدفاعه عن أهل السنة وتأكيد برآءتهم مما وسمهم به المعطلة من وصمة التشبيه(٤).

وكذلك موقفه من التأويل؛ فقد ذم ~ في أكثر من موضع التأويلَ وبين أن حقيقته: تبديلٌ لكلام الباري تبارك وتعالى، لا تأويلاً(٥).

يقول ~ : ((فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا: أن خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه لا استوى؛ فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم))(٦).

وقال كذلك -عند إثباته لصفة اليد وبيانه تأويل المعطلة لها-: ((زعمت الجهمية المعطلة

---

(١) التوحيد (١/٤٥).

(٢) المصدر السابق (١/١٧٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٣٤٩)، وانظر أيضًا (٢/٥٦٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/٥٧)، و(١/٥٦).

(٥) سيأتي تفصيل ذلك وبيانه -إن شاء الله- عند ذكر منهجه ~ في تقرير صفات الله تعالى ورده على المخالفين.

(٦) التوحيد (١/٢٣٣).

أن معنى قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[١] أي: نعمتاه، وهذا تبديل لا تأويل))[٢].

ومما ذكره ~ في نفيه لتكييف صفات الله ﷻ: قوله عند صفة النزول: ((نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية... فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية))[٣].

وقال أيضًا عند إثباته لصفة الضحك: ((نؤمن بأنه يضحك، كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفه ضحكة جل وعلا... فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ، مصدقون بذلك بقلوبنا، منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه))[٤].



---

(١) سورة: المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) التوحيد (١/١٩٧).

(٣) المصدر السابق (١/٢٨٩).

(٤) المصدر السابق (٢/٥٦٣).

المطلب الثالث:
القاعدة الثالثة: المضاف إلى الله: أوصاف وأعيان

المتقرر عند أهل العلم أن المضاف إلى الله تعالى في النصوص نوعان[(١)]:

الأول: أعيانٌ قائمة بنفسها.

الثاني: معانٍ قائمة به سبحانه؛ ((فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله، وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، وحياته، وعلوه، وقهره؛ فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقًا))[(٢)].

يقول ابن تيمية: ((والمضاف إلى الله نوعان: فإن المضاف إما أن يكون صفةً لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة، وإما أن يكون عينًا قائمة بنفسها؛ فالأول إضافة صفة كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾[(٣)]... والثاني إضافة عين كقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾[(٤)]... فالمضاف في الأول صفة لله قائمة به، ليست مخلوقة له بائنة عنه، والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بائن عنه، لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى)) [(٥)].

---

(١) انظر في بيان هذه الأقسام وتفصيل هذه القاعدة: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لتقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: علي حسن ناصر وآخرون، الطبعة: الثانية، (دار العاصمة، الرياض، عام: ١٤١٩هـ)، (١٥٥/٢)، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية، الطبعة: الأولى، (دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ)، (٣٦٠)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١٢٩).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١٢٩).

(٣) سورة: البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) سورة: الحج، الآية: ٢٦.

(٥) الجواب الصحيح (١٥٥/٢).

وقد أشار ابن خزيمة إلى هذه القاعدة في تقرير بعض الصفات والرد على المخالفين فيها، فذكر أن ما «أضاف الله إلى نفسه على معنيين: أحدهما إضافة الذات، والآخر إضافة الخلق»[(١)]. ثم أورد على كل من هذين النوعين الأمثلة من القرآن الكريم؛ فمما ذكره من إضافة الصفة: إضافة العلم إلى الله، يقول ~ في معرض رده على المعطلين لهذه الصفة: «ينكرون أن لله علمًا مضافًا إليه من صفات الذات، قال الله جل وعلا في محكم تنزيله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[(٢)]، قال ﷻ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[(٣)]، ... فأضاف الله جل وعلا إلى نفسه العلم الذي خبرنا أنه أنزل القرآن بعلمه، وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون لخالقنا علمًا مضافًا إليه من صفات الذات»[(٤)]. فبين فيما ذكر أن العلم من صفات ذاته المضافة إليه إضافة صفة.

أما القسم الثاني؛ فقد ذكر أنه أضيف إلى الله من قبيل إضافة الخلق؛ إذ الله ﷻ تولى خلقه، ومن أمثلة ما ذكر من هذا القسم: الأرض والناقة والفطرة، يقول ~ : «قول الله ﷻ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾[(٥)]؛ فأضاف الله الناقة إلى نفسه، وقال: ﴿تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾[(٦)]، وقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾[(٧)]، قال: ﴿ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[(٨)]؛ فأضاف الله الأرض إلى نفسه؛ إذ الله

---

(١) التوحيد (٩٢/١).

(٢) سورة: النساء، الآية: ١٦٦.

(٣) سورة: هود، الآية: ١٤.

(٤) التوحيد (٩٢/١).

(٥) سورة: الأعراف، الآية: ٧٣.

(٦) سورة: الأعراف، الآية: ٧٣.

(٧) سورة: النساء، الآية: ٩٧.

(٨) سورة: الأعراف، الآية: ١٢٨.

تولى خلقها فبسطها، وقال: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾[١]؛ فأضاف الله الفطرة إلى نفسه إذ الله فطر الناس عليها))[٢]. فبين ~ في الأمثلة السابقة أن الله أضاف ((الخلق إلى نفسه؛ إذ الله تولى خلقه))[٣]. قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[٤].

---

(١) سورة: الروم، الآية: ٣٠.

(٢) التوحيد (٩١/١).

(٣) المصدر السابق (٩١/١).

(٤) سورة: لقمان، الآية: ١١.

المطلب الرابع:
القاعدة الرابعة: قاعدة القدر المشترك

قاعدة القدر المشترك من أعظم القواعد التي اعتمد عليها أهل السنة في الرد على المخالفين في باب الصفات، وهي قاعدة غاية في الأهمية لإزالة شبهات المعطلين وكشف خطئهم.

وبيان ذلك: أن يُنظر في الصفات إلى ثلاثة أمور:

الأول: القدر المشترك الذي اشترك فيه الخالق والمخلوق، ولا يلزم منه المماثلة.

الثاني: القدر المميِّز في هذه الصفة لله تبارك وتعالى، وهو مناسب لذاته وكماله تبارك وتعالى.

الثالث: القدر المميِّز للمخلوق الذي يختص به المخلوق من تلك الصفات، وهو مناسبٌ للمخلوق ملائمٌ له.

يقول ابن تيمية ~ : ((فما اختص به الرب ﷻ لا يشركه فيه العبد، ولا يجوز عليه شيء من النقائص التي تجوز على صفات العبد، وما يختص به العبد لا يشركه فيه الرب، ولا يستحق شيئًا من صفات الكمال التي يختص بها الرب ﷻ، وأما القدر المشترك كالمعنى الكلي الثابت في ذهن الإنسان؛ فهذا لا يستلزم خصائص الخالق ولا خصائص المخلوق فالاشتراك فيه لا محذور فيه))(١).

والأمثلة على هذه القاعدة كثيرة جدًا، كالاشتراك في صفة السمع والبصر والعزة وغيرها(٢).

وقد اعتمد ابن خزيمة على هذه القاعدة اعتمادًا واضحًا، أكد من خلالها صحة

---

(١) الجواب الصحيح (٤٤٣/٣).

(٢) انظر في بيان هذه القاعدة: المصدر السابق (٤٤٢/٣)، وطريق الهجرتين وباب السعادتين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف علي بديوي، الطبعة: الثانية، (دار ابن كثير، دمشق، عام: ١٤١٩هـ)، (١٠٢).

مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات وبطلان مذاهب المعطلين وشبههم الواهية.

فقد أوردها أثناء مناقشة شبهة المعطلة بقولهم: "إن إثبات الصفات يستلزم التشبيه"، وذلك أثناء تقريره لصفة: الوجه، والسمع والبصر، والعين، واليد، والرد على المخالفين فيها، وقد ارتكز في استخدامه لقاعدة القدر المشترك في المواطن السابقة على ما يأتي:

١-بين ~ معنى هذه القاعدة، وحقيقة الاشتراك بين الخالق والمخلوق؛ فقال: ((لخالقنا عَجَلَّ أسامٍ، قد تقع تلك الأسامي على بعض خلقه في اللفظ لا على المعنى))[(١)].

وقال إن ((الاسم الواحد قد يقع على الشيئين مختلفي الصفة، متبايني المعاني))[(٢)] ((لأن الأسامي قد تتفق وتختلف المعاني))[(٣)].

٢- برهن على تلك القاعدة بذكر الأمثلة؛ فقد سرد أدلة وافرة جدًا ليؤكد ورود هذا الاشتراك، يقول ~ : ((وجدت الله وصف نفسه في غير موضع من كتابه فأعلم عباده المؤمنين أنه سميع بصير فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(٤)]، وذكر عَجَلَّ الإنسان فقال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[(٥)]... وقد أعلمنا ربنا تبارك وتعالى أنه الملك وسمى بعض عبيده: ملكًا؛ فقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾[(٦)]، وأعلمنا جَلَّالَهُ أنه العظيم، وسمى بعض عبيده عظيمًا؛ فقال: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[(٧)]، وسمى الله بعض خلقه عظيمًا؛ فقال: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[(٨)]؛ فالله

----

(١) التوحيد (١/٨٠).

(٢) المصدر السابق (١/١٩٦).

(٣) المصدر السابق (١/٨٠).

(٤) سورة: الشورى، الآية: ١١.

(٥) سورة: الإنسان، الآية: ٢.

(٦) سورة: يوسف، الآية: ٥٤.

(٧) سورة: الزخرف، الآية: ٣١.

(٨) سورة: التوبة، الآية: ١٢٩.

العظيم وأوقع اسم العظيم على عرشه والعرش مخلوق، وربنا الجبار المتكبر؛ فقال: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾[1]، وسمى بعض الكفار متكبرًا جبارًا؛ فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[2])) [3]، وغيرها من الأمثلة[4].

٣-أكد على أن هذا الاشتراك لا يقتضي مماثلةً بين الخالق والمخلوق، يقول ~ : ((ليس في تسميتنا بعض الخلق ببعض أسامي الله بموجب عند العقلاء -الذين يعقلون عن الله خطابه- أن يُقال: إنكم شبهتم الله بخلقه إذ أوقعتم بعض أسامي الله على خلقه))[5].

وقال أيضًا -بعد أن أورد اشتراك الخالق والمخلوق في كل من صفة اليد والسمع والبصر- : ((أفيلزم ذوي الحجا عند هؤلاء الفسقة: أن من ثبت لله ما ثبت الله في هذا الآي أن يكون مشبهًا خالقه بخلقه؟ حاش لله أن يكون هذا تشبيهًا كما ادعوا لجهلهم بالعلم، نحن نقول: إن الله سميع بصير، كما أعلمنا خالقنا وبارؤنا، ونقول: من له سمع وبصر من بني آدم فهو سميع بصير، ولا نقول إن هذا تشبيه المخلوق بالخالق.

ونقول: إن لله عز وجل يدين يمينين، لا شمال فيهما، قد أعلمنا الله تبارك وتعالى أن له يدين، وخبرنا نبينا أنهما يمينان لا شمال فيهما، ونقول: إن من كان من بني آدم سليم الجوارح والأعضاء فله يدان يمين وشمال، ولا نقول: إن يد المخلوقين كيد الخالق، عز ربنا عن أن تكون يده كيد خلقه))[6].

---

(١) سورة: الحشر، الآية: ٢٣.

(٢) سورة: غافر، الآية: ٣٥.

(٣) التوحيد (١/٥٩-٦٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/٥٩-٨١).

(٥) المصدر السابق (١/٦٥).

(٦) المصدر السابق (١/٦٠-٦٣).

وكذلك بعد أن أورد أدلة إثبات السمع لله ﷻ قال: ((وهذا من الجنس الذي أقول: استماع الخالق ليس كاستماع المخلوق... فلفظ الاستماعين واحد، ومعناهما مختلف؛ لأن استماع الخالق غير استماع المخلوقين، عز ربنا وجل عن أن يشبهه شيء من خلقه، وجل عن أن يكون فعل أحد من خلقه شبيهًا بفعله ﷻ))(١).

٤-أثبت عدم المماثلة بين الخالق والمخلوق في هذا القدر المشترك بالتأكيد على أن صفات الله تبارك وتعالى تناسب ذاته وكماله، وصفات الموصوف تناسب ذاته ونقصه، يقول ~ موضحًا المفارقة بين عين الخالق سبحانه وعين المخلوق: ((الربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السموات العلى وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفى على خالقنا خافية في السموات السبع والأرضين السبع، ولا مما بينهم ولا فوقهم ولا أسفل منهن، لا يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرى ما في جوف البحار ولججها، كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه. وبنو آدم وإن كانت لهم عيون يبصرون بها؛ فإنهم إنما يرون ما قرُب من أبصارهم، مما لا حجاب ولا ستر بين المرئي وبين أبصارهم وما يبعد منهم))(٢).

وقال أيضًا في تأكيد المفارقة بين يد الله وأيدي المخلوقين، والرد على وسم المعطلة لأهل السنة بالتشبيه: ((نقول: لله يدان مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، بهما خلق الله آدم عليه السلام، وبيده كتب التوراة لموسى عليه السلام، ويداه قديمتان لم تزالا باقيتين، وأيدي المخلوقين مخلوقة محدثة، غير قديمة، فانية باقية بالية، تصير ميتة ثم رميمًا ثم ينشئه الله خلقًا آخر تبارك الله أحسن الخالقين، فأي تشبيه يلزم أصحابنا أيها العقلاء إذا أثبتوا للخالق ما أثبته الخالقُ لنفسه وأثبته له نبيه المصطفى ﷺ؟))(٣).

وهذه القاعدة عظيمة النفع في رد شبهة المعطلة وتسميتهم لأهل السنة المشبهة، وقد استعان بها أهل السنة ومنهم الدارمي؛ فقد أشار إلى هذه القاعدة بقوله إن أهل

---

(١) التوحيد (١٠٨/١).

(٢) المصدر السابق (١١٤/١).

(٣) المصدر السابق (١٩٥/١).

السنة: ((وصفوا الله بما وصف به نفسه في كتابه بالأشياء التي أسماؤها موجودة في صفات بني آدم بلا تكييف... وصفوه بما وصف به نفسه بلا تشبيه))(١).

ثم قال للمخالف أيضًا -منكرًا استجازته شتم أهل السنة بهذه التهمة، ورادًا عليه-: ((ويلك إنما نصفه بالأسماء لا بالتكييف ولا بالتشبيه، كما يقال: إنه ملك كريم، عليم حكيم حليم، رحيم لطيف، مؤمن عزيز، جبار متكبر، وقد يجوز أن يدعى البشر ببعض هذه الأسماء، وإن كانت مخالفة لصفاتهم فالأسماء فيها متفقة، والتشبيه والكيفية مفترقة))(٢).

ومما سبق يستبين عظم هذه القاعدة الجليلة وأهميتها في بيان عوج أقوال المعطلة الجهمية الذين أنكروا صفات ربنا التي وصف بها نفسه، هروبًا من الوقوع في التشبيه، ولو أنهم نظروا إلى تلك الصفات على نور هذه القاعدة لانحلت العقدة لديهم، كما يقول ابن القيم ~ : ((فإن هذه العقدة هي أصل بلاء الناس، فمن حلها فما بعدها أيسر منها، ومن هلك بها فما بعدها أشد منها))(٣).

وبهذا البيان السابق، وذكر القواعد التي قررها ابن خزيمة ~ في باب الأسماء والصفات تتضح سلامة منهج ابن خزيمة، وقوته ورصانته في تقرير صفات الباري ﷻ، والرد بقوة وموضوعية على كل من انحرفت به السُبُل في هذا الباب؛ فهو لم يقتصر على الأدلة النقلية فقط وإنما أتْبعها بأسلوب المجادلة والإثبات بالحجة والبرهان.



----

(١) نقض الدارمي على المريسي، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد حسن الألمعي، الطبعة: الأولى، (مكتبة الرشد، الرياض، عام: ١٤١٨هـ). (٣٠١/١).

(٢) المصدر السابق (٣٠٣/١).

(٣) طريق الهجرتين (١٠٢).

المبحث الثاني

منهج ابن خزيمة في إثبات الصفات الذاتية

وفيه تمهيد وعشرة مطالب :

التمهيد: معنى الصفات الذاتية ومعنى الصفات الفعلية ومنهج أهل السنة فيها.

المطلب الأول: صفة العلم.

المطلب الثاني: صفة الوجه.

المطلب الثالث: إضافة الصورة إلى الله تعالى.

المطلب الرابع: صفة العين.

المطلب الخامس: صفتا السمع والبصر.

المطلب السادس: صفة اليد.

المطلب السابع: صفة الأصابع.

المطلب الثامن: صفة الرِّجل (القَدَم).

المطلب التاسع: صفة العلو.

المطلب العاشر: النفْس.

* *   * *   * *

التمهيد: معنى الصفات الذاتية ومعنى الصفات الفعلية ومنهج أهل السنة فيها

تنقسم صفات الباري ﷻ إلى قسمين:

۞ أولاً: معنى الصفات الذاتية والفعلية

الصفات الذاتية.

عُرِّفت بتعريفات متقاربة، خلاصتها أنها: الصفات الملازمة لذاته العلية ﷻ[١]؛ فهي «التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها، كالسمع والبصر»[٢].

الصفات الفعلية.

للسلف تعريفات عدة، مفادها أنها «التي تتعلق بالمشيئة والقدرة»[٣]؛ فإن شاء الله سبحانه فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها.

ومن هذه الصفات: النزول والمجيء والغضب والضحك والعفو وغيرها من الصفات[٤].

فالفرق بين القسمين: أن الذاتية لا تنفك عن ذات الله تبارك وتعالى، أما الفعلية

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣٣١/١)، وطريق الهجرتين لابن القيم (٨٢/١) وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٧٩)، والكواشف الجلية على معاني الواسطية، لعبد العزيز السلمان، الطبعة: الثامنة عشر، (عام: ١٤١٣هـ)، (٤٢٩)، وشرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لمحمد بن صالح العثيمين، تخريج: أسامة عبدالعزيز، الطبعة: الأولى، (دار التيسير، الرياض، عام: ١٤٢٦هـ)، (١٢٥).

(٢) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، شرح: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أشرف عبدالمقصود، الطبعة: الثالثة، (مكتبة طبرية، الرياض، عام: ١٤١٥هـ)، (٢٥).

(٣) الكواشف الجلية للسلمان (٤٥٩).

(٤) انظر: مختصر الصواعق للموصلي (٤٢٨/٢).

فقد تنفك عن ذاته لتعلقها بمشيئته ﷻ.

وكل من الصفات الذاتية والفعلية في الجملة صفاتٌ أزليةٌ له ((أي أن الله ﷻ لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل))[(١)].

وقد كان لابن خزيمة إشارات لتلك الأقسام بذكر نوع بعض الصفات التي أثبتها[(٢)]، كما سيتبين ذلك عند بيان منهجه في الصفات.

۞ ثانيًا: منهج أهل السنة في إثبات الصفات الذاتية والفعلية.

من خلال تأمل كلام السلف -رحمهم الله- في صفات الله يتضح أن منهجهم يرتكز على ركائز مهمة[(٣)] وهي:

١-الإيمان الجازم بما ثبت من صفات الله في الكتاب والسنة.

فصفات الله تبارك وتعالى توقيفية، الأصل في إثباتها: ورودها في القرآن والسنة.

ومن كلام السلف -رحمهم الله- في إثبات تلك الركيزة:

-يقول الإمام أحمد ~ : ((لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث))[(٤)].

---

(١) التنبيهات اللطيفة للسعدي (٣٩).

(٢) انظر: التوحيد (١/٢٢-٥٢-١١٥-٢٥٤)، وغيرها من المواضع.

(٣) انظر: في ذكر هذه الركائز: رسالة إلى أهل الثغر، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبدالله شاكر محمد الجنيدي، د.ط (مطبوعات المجلس العلمي بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام: ١٤١٣هـ)، (١٣٣)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني (٢٣٢)، والحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، الطبعة:الأولى، (دار الراية، الرياض، عام١٤١١هـ)، (١/١٧٤)، ولمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تعليق: بدر بن عبدالله البدر، الطبعة:الأولى، (الدار السلفية، الكويت، عام: ١٤٠٦هـ)، (٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٥٣٦).

(٤) أقاويل الثقات لمرعي الكرمي (٢٣٤)، ولوامع الأنوار للسفاريني (١/٢٤).

-ويقول الأوزاعي ~ : ((ندور مع السنة حيث دارت))[١].

-وسئل ابن سريج عن صفات الله تعالى فقال: ((حرام على العقول أن تمثل الله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الألباب أن تصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله))[٢].

٢-تنزيه الله تعالى عن مماثلة الخلق في صفاته.

نفي التمثيل هو تحقيقٌ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(الشورى:١١).

يقول نعيم بن حماد[٣] ~ : ((من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً))[٤].

ويقول ابن القيم: ((إن الله كما لا يُقاس بعباده في أفعاله؛ لا يُقاس بهم في ذاته وصفاته؛ فليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله))[٥].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، د.ط، (دار طيبة، الرياض، د.ت)، (٦٤/١).

(٢) ذكره الذهبي في العلو (١٢١٦/٢).

(٣) هو: أبو عبدالله، نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، الإمام العلامة الحافظ، كان من أعلم الناس بالفرائض، ابتلي في القول بخلق القرآن، ومات محبوسًا لأجل ذلك سنة: ٢٢٨هـ. انظر: الجرح والتعديل للرازي (٤٦٣/٨)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥٩٥/١٠).

(٤) أخرجه اللالكائي في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٣٢/٣)، والذهبي في: العلو (١٠٩٣/٢).

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية تحقيق: علي حسن عبدالحميد، الطبعة: الأولى، (دار ابن عفان، القاهرة، عام ١٤١٦هـ)، (١٤/٣).

٣-اجتناب تأويل صفات الله وتعطيلها[١].

والتأويل والتعطيل لصفات الله تبارك وتعالى من شر السُبُل؛ لذا تتابع تحذير العلماء -رحمهم الله- منهما.

يقول القاضي أبو يعلى: ((لا يجوز لنا رد هذه الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات لله تعالى، لا تشبه سائر الموصوفين بها من الخلق))[٢].

٤-اجتناب تكييف صفات الله تعالى.

يقول إسحاق بن راهويه ~ : ((قال لي ابن طاهر[٣]: يا أبا يعقوب، هذا الذي ترويه (ينزل ربنا) كيف ينزل؟ قلت: أعز الله الأمير! لا يقال: كيف، إنما ينزل بلا كيف))[٤].

وكيفية الصفات هي: ذات الحقيقة لصفاته ﷻ التي اختص الله بعلمها؛ لذا فتكييفها أمر يستحيل على العقول والأفهام؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(طه:١١٠).

----

(١) يقول ابن تيمية: ((وأهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته، ويعطلون حقائق ما نعت به نفسه))، مجموع الفتاوى (٣/٣٧٣)، وقال عبدالرحمن بن ناصر السعدي: ((والمعطل هو من نفى شيئًا من صفات الله))، التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين، الطبعة:الأولى، (دار علم الفوائد، ١٤٢٠ هـ)، (٢٥).

(٢) إبطال التأويلات عن آيات الصفات، لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق: محمد بن حمد النجدي، د.ط، (دار إيلاف، الكويت، د.ت)، (١/٤٣).

(٣) هو: أبو العباس، عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، الأمير العادل، ولاه المأمون إمارة خراسان فأقام بها حتى مات، تولى الشام ومصر مدة، كان فقيهًا أديبًا، مات سنة: ٢٢٨هـ، وقيل: سنة: ٢٣٠هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٨٣)، وسير أعلام النبلاء (١٠/٦٧٤).

(٤) أورده الصابوني في: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٩٤)، والأصبهاني، في: الحجة في بيان المحجة (٢/١٢٤).

يقـول ابـن تيميـة: ((وأجمـع سـلف الأمـة وأئمتهـا علـى أن الـرب تعـالى بـائن مـن مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل))[1].

وقد حرص ابن خزيمة ~ على تحقيق هذه الركائز وتأصيلها أثناء تقريره كما سيتبين بإذن الله تعالى.



(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الطبعة: الخامسة، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠١هـ)، (٩٧).

المطلب الأول: صفة العلم

صفة العلم من الصفات الذاتية الثابتة لله ﷻ[1]؛ فالله عز شأنه لم يزل ولا يزال عليمًا، وعلمه سبحانه لا يشبه علم المخلوقين، فهو علمٌ شاملٌ لكل شيء ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾(غافر:٧)، لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان.

وقد قرر ابن خزيمة ~ هذه الصفة، وبيّن منهج أهل السنة في إثباتها، كما بين منهج المخالفين لهم فيها، مع الرد عليهم بالأدلة السمعية والعقلية.

والبحث في هذه الصفة يتضمن عدة مسائل:

۞ المسألة الأولى: معنى العلم في اللغة والاصطلاح.

معنى العلم في اللغة:

العلم: نقيض الجهل.، قال ابن فارس: ((العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، ومن ذلك العلامة... وأي شيء يكون مَعْلَماً خلاف المَجْهَل... والعلم نقيض الجهل))[2].

وفي لسان العرب: العلم نقيض الجهل [3].

معنى العلم في الاصطلاح:

لأهل العلم تعريفات متعددة للعلم، ذات معانٍ متقاربة، منها أنه:

---

(١) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (١١٠)، واعتقاد أهل الحديث، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق: جمال عزون، الطبعة: الأولى، (دار ابن جزم، الرياض، عام:١٤٢٠هـ)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالالكائي (٤٠٣/٣)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (٤٤٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١٧/٦)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٢٣)، وفتح الباري لابن حجر (٣٦٢/١٣).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (١٠٩/٤).

(٣) انظر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، الطبعة: الأولى، (دار صادر، بيروت، ، عام: ١٤١٠هـ) (٤١٦/٢)، (مادة:جهل).

((صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً))[١].

وقيل: العلم ((إدراك المعلوم على ما هو به، أو إدراك الشيء على ما هو به))[٢].

وعُرِّف كذلك أنه: ((اعتقاد الشيء على ما هو عليه على سبيل الثقة، كان ذلك بعد لَبْس أوْ لا))[٣].

ومن أهل العلم من أنكر وضع حدٍ للعلم، ورأى أنه لا يحتاج إلى تعريف، من هؤلاء ابن العربي المالكي[٤] ~ ، حيث يقول: ((اختلف الناس في ذكر الألفاظ الدالة على حقيقته، وليست بذلك؛ فإن العلم أبين من أم يبين))[٥].

۞ المسألة الثانية: الأدلة على صفة العلم.

صفة العلم ثابتة لله تعالى بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة والعقل.

أولاً: الأدلة من القرآن:

١- قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (سبأ:٢).

---

(١) إرشاد الفحول للشوكاني (٥١/١).

(٢) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لزكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، الطبعة: الأولى، (دار الفكر المعاصر، بيروت، عام: ١٤١١هـ)، (٦٦/١)، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي، الطبعة: الأولى، (دار ابن حزم، بيروت، عام: ١٤٢٣هـ) (٢٦).

(٣) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري تحقيق: حسام الدين القدسي، د.ط، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) (٣٧١).

(٤) هو: أبو بكر، محمد بن عبدالله بن محمد المَعَافري المالكي، المعروف بابن العربي، فقيه أصولي محدث، قيل: إن ولادته كانت سنة: ٤٦٩هـ، توفي بفاس سنة: ٥٤٣هـ، من مؤلفاته: "المحصول في أصول الفقه"، و"عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي"، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٩٦/٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٩٧/٢٠)، والديباج المذهب لابن فرحون (٢٨١).

(٥) عارضة الأحوذي، بشرح صحيح الترمذي، لابن العربي المالكي، د.ط، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) (١١٣/١٠).

٢- قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام:٥٩).

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر:١١).

ثانيًا: الأدلة من السنة

١- ما ورد في حديث الاستخارة: ((كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول لنا: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر –يسميه بعينه الذي يريد- خيرا لي في ديني ومعاشي، ومعادي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي، وبارك لي فيه، اللهم وإن كنت تعلمه شرا لي-مثل الأول- فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به))(١).

٢- قوله ﷺ: ((مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله))(٢).

٣-حديث الخضر مع موسى عليهما السلام والذي قال فيه الخضر: ((إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه))(٣).

----

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح) كتاب: الدعوات، باب: الدعاء عند الاستخارة، (١١/١٨٣، برقم: ٦٣٨٢) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح) كتاب: التفسير، باب قوله ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ (٨/٣٧٤)، برقم:٤٦٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التفسير، باب قول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ =

ثالثًا: الدليل العقلي

مما يدل عقلاً على هذه الصفة أن ((الخلق يستلزم الإرادة، ولا بد للإرادة من العلم بالمراد كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(الملك:١٤)))(١).

يقول ابن حجر: ((خالق المخلوقات كلها متصف بالعلم بهم، والاقتدار عليهم؛ أما الأول: فلأن الاختيار مشروط بالعلم، ولا يوجد المشروط بدون شرطه))(٢).

۞ المسألة الثالثة: منهج أهل السنة في إثبات صفة العلم.

يؤمن أهل السنة والجماعة باتصاف الباري سبحانه بصفة العلم على وجه يليق بجلاله.

- فهم يؤمنون بأن الله ﷻ أحاط علمه كل شيء، فهو سبحانه ((يعلم ما في السموات السبع، والأرضين السبع وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وكل شجرة وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد ذلك وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم، وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة))(٣).

= ﴿لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ (٤٠٩/٨، برقم: ٤٨٢٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب من فضائل الخضر، (١٨٤٧/٤، برقم ١٧٠)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للدكتور عبدالله بن محمد الغنيمان، الطبعة: الأولى، (مكتبة لينة، دمنهور، عام: ١٤٠٩هـ) (١٠٣/١)، وانظر: الإيمان لابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى) (١٨٥/٧)، وشرح القواعد الحسان في تفسير القرآن لابن سعدي، شرح: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أيمن عارف الدمشقي ومحمد عبدالله الطالبي، الطبعة: الأولى، (مكتبة السنة، القاهرة، عام: ١٤٢٣هـ) (١٧٧).

(٢) فتح الباري (٣٦٢/١٣-٣٦٣).

(٣) رسالة السنة للإمام أحمد بن حنبل برواية الاصطخري، انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى =

-ويؤمنون بأن الله سبحانه علم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون[(١)].

فهو سبحانه علم ما كان في الماضي، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾(المزمل:٢٠)، ويعلم ما هو كائن، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ (المزمل:٢٠)، ويعلم ما سيكون في المستقبل، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾(المزمل:٢٠).

وكذلك يعلم المستحيلات والممتنعات[(٢)] لو كانت كيف تكون، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:٢٢).

-ويؤمن أهل السنة كذلك بأن علم الله سبحانه لا يشبه علم المخلوق؛ فعلمه سبحانه كامل لا يعتريه النقص ولا يسبقه الجهل ولا يلحقه النسيان، بخلاف علم المخلوق[(٣)].

۞ المسألة الرابعة: منهج ابن خزيمة في تقرير صفة العلم

أولًا: منهجه في التقرير والاستدلال:

سار ابن خزيمة ~ في إثبات هذه الصفة وفق منهج أهل السنة.

= (٦٠/١)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، الطبعة: الثالثة، (مكتبة الرشيد الرياض، ١٤٢٢هـ) (٢٩٩/٥).

(١) انظر: جامع الرسائل، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: الدكتور: محمد رشاد سالم، الطبعة: الأولى، (دار العطاء، الرياض، عام: ١٤٢٢هـ) (١٧٧/١)، وإعلام الموقعين لابن القيم (١٣٤/٢)، ومعارج القبول (٩٢٠/٣)، وحاشية ثلاثة الأصول، لعبد الرحمن بن قاسم، الطبعة: الخامسة، (عام: ١٤٠٧ هـ) (١٢٥).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١٢٩/١٠)، والتوضيح المبين لابن سعدي (٤٦).

(٣) انظر: شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، الطبعة: الثالثة، (دار الثقافة العربية، دمشق، عام: ١٤١٢هـ) (٥٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٢٣).

فبين ~ ابتداءً أن ما جاء في الوحي المنزل على نبينا ﷺ يثبت اتصاف الله ﷻ بصفة العلم.

ومن الملاحظ أن ابن خزيمة اقتصر في عرضه لصفة العلم على ذكر بعض الآيات، منها:

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ (النساء:١٦٦).

وذلك دون ذكره للأحاديث بأسانيدها كما هي عادته في سائر المسائل؛ ولعل ذلك يرجع إلى أن هذه الصفة معلومة بالضرورة، ومخالفةُ المخالفين فيها ظاهرةُ البطلان.

وهذا ما أشار إليه في مطلع كلامه عن هذه الصفة، حيث قال: ((باب ذكر إثبات العلم لله جل وعلا تباركت أسماؤه وجل ثناؤه، بالوحي المنزل على النبي المصطفى الذي يقرأ في المحاريب والكتاتيب، من العلم الذي هو من علم العام، لا بنقل الأخبار التي هي من نقل علم الخاص))[1].

ثانيًا: منهجه في عرض أقوال المخالفين والرد عليهم:

أوضح ابن خزيمة أن هذا المنهج القويم صادمه قولُ الجهمية المعطلة الذين يقولون: إن الله عالم بلا علم مضاف إليه، فهم يثبتون الاسم وينكرون الصفة[2]، يقول ~ مبينًا منهجهم: ((ينكرون أن لله علمًا مضافًا إليه من صفات الذات))[3].

وقد كان عرضه لهذا المنهج والرد عليهم -مع وجازته- عرضًا ملزمًا؛ فذكر ~ أولاً أنهم مضادون لما ذكر في القرآن الكريم، وأنهم لا يؤمنون بكتاب الله؛

---

(١) التوحيد (٢٢/١).

(٢) انظر في بيان قولهم: الرد على الجهمية للدارمي (١١٠)، وبيان تلبيس الجهمية، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تعليق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، د.ط، (مؤسسة قرطبة، د.ت) (٣٩٧/٢).

(٣) التوحيد (٢٢/١).

وهذا يقتضي كفرهم، قال ~ : ((فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون لخالقنا [علمٌ مضافٌ][(١)] إليه من صفات الذات))[(٢)].

ثم بيَّن أن هؤلاء مشابهون لليهود في كون كل منهم محرف للكلم عن مواضعه.

يقول ~ : ((قول الجهمية المعطلة الذين لا يؤمنون بكتاب الله، ويحرفون الكلم عن مواضعه، تشبهًا باليهود، ينكرون أن لله علمًا، يزعمون أنهم يقولون أن الله هو العالم، وينكرون أن لله علمًا مضافًا إليه من صفات الذات))[(٣)].

وقد أعقب بيانه لمنهج أهل السنة ومنهج مخالفيهم الرد عليهم، وقد كان منهجه في الرد على ما يأتي:

أولاً: رد عليهم في أصل دعوتهم، وهي إنكارهم للعلم المضاف إلى الله سبحانه، فاحتج عليهم بالآيات البينات التي لا يعتريها الريب في دلالتها على إضافة العلم له؛ فذكر آيتين وأشار إلى الثالثة.

فقال بعد أن ذكر منهج الجهمية المعطلة: ((قال الله -جل وعلا- في محكم تنزيله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾(النساء:١٦٦)، وقال ﷻ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ (هود:١٤)..ثم قال: فأعلمنا الله أنه أنزل القرآن بعلمه، وخبرنا جل ثناؤه أن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه [إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾(فاطر:١١)، .ثم قال: فأضاف الله –جل وعلا- إلى نفسه العلم الذي خبرنا أنه أنزل القرآن بعلمه، وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه))[(٤)].

---

(١) في الأصل: (علمًا مضافًا).

(٢) التوحيد (٢٢/١).

(٣) المصدر السابق (٢٢/١).

(٤) المصدر السابق (٢٢/١).

ثانيًا: رد عليهم بحجة عقلية قال فيها: ((فيقال لهم: خبرونا عمن هو عالم بالأشياء كلها، أَلَهُ عِلمٌ أم لا؟ فإن قال: الله يعلم السر والنجوى وأخفى، وهو بكل شيء عليم، قيل له: فمن هو عالم بالسر والنجوى وهو بكل شيء عليم، أَلَهُ عِلمٌ أم لا؟ فلا جواب لهم لهذا السؤال إلا الهرب، ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:٢٥٨)))[١].

فقد ألزمهم ابن خزيمة بأن إثبات الاسم يقتضي إثبات الصفة التي تضمنها، فالعالم بالأشياء كلها، والذي يعلم السر والنجوى لا بد وأن يكون متصفًا بالعلم، وأن له علمًا مضافًا إليه، ولا يخالف عاقل في هذا ألبتة.

ثالثًا: أَلْمَح ~ في معرض رده على منكري العلم إلى قاعدة المضاف إلى الله من الصفات، وبيّن أن العلم مما أضيف إلى الله من باب إضافة الصفة للموصوف.

يقول ~ في ذلك: ((وينكرون أن لله علمًا مضافًا إليه من صفات الذات))[٢].

ثم قال بعد ذكره للآيات السابقة: ((فأضاف الله جل وعلا إلى نفسه العلم الذي خبرنا أنه أنزله بعلمه وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه))[٣].

وقوله هذا فيه إشارة إلى هذه القاعدة الأصيلة.



----

(١) التوحيد (٢٢/١).

(٢) المصدر السابق (٢٢/١).

(٣) المصدر السابق (٢٢/١).

المطلب الثاني: صفة الوجه

صفة الوجه من الصفات الثابتة[١] لله ﷻ بالكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٢٦-٢٧).

وهي من الصفات الذاتية الخبرية[٢].

وقد عرض ابن خزيمة هذه الصفة وأطال في ذلك العرض، حيث تناول ~ إثباتها بالأدلة السمعية وإجماع أهل عصره.

ولم يغفل في عرضه هذا قول الجهمية وإنكارهم لهذه الصفة مع الرد عليهم بالأدلة من الوحيين، ومناقشتها والإلزام بالأدلة العقلية، فكان حديثه عنها مسهبًا؛ لذا قال في آخر حديثه: ((هذا باب طويل، لو أستخرج في هذا الكتاب أخبار النبي ﷺ

----

(١) انظر: نقض الدارمي (٧٠٣/٢)، وظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة لابن أبي عاصم (٦٤/١)، والسنة لأبي عبدالرحمن عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، الطبعة: الأولى، (دار ابن القيم، الدمام، عام:١٤٠٦هـ)، (٦٩/١)، وكتاب التوحيد، لأبي عبدالله محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: علي ناصر فقيهي، الطبعة: الأولى، (مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عام: ١٤١٣هـ) (٣٦/١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٧٢/٢)، والأسماء والصفات للبيهقي (١٨٨/٢)، وكتاب الاعتقاد، لأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبدالرحمن الخميس، الطبعة:الأولى، (دار أطلس الخضراء، الرياض، عام: ١٤٢٣هـ) (١٠)، وشرح السنة للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: زهير شاويش وشعيب الأرناؤط، الطبعة: الثانية، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠٣هـ) (١٦٩/١)، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية (٢٢٥).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن اليحيى، د.ط، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام: ١٤٢٦هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية) (٢٩/١)، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٢٨٩/١).

والصفات الخبرية هي: التي يقتصر إثباتها على الدليل فقط، فلم تعرف إلا بالخبر، انظر:بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٧٦/١)، ومدارج السالكين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، مراجعة: لجنة من العلماء، د.ط، (دار الحديث، القاهرة، د.ت) (٧٦/١).

التي فيها ذكر وجه ربنا جل وعلا لطال الكتاب))[(١)].

والبحث في هذا المطلب يتناول المسائل الآتية:

۞ المسألة الأولى: الأدلة على صفة الوجه

دل على ثبوت صفة الوجه لله جل وعلا القرآن والسنة والإجماع، وهذه الأدلة مستفيضة لا تكاد تحصى كثرة.

أولاً: الأدلة من القرآن

الآيات الدالة على صفة الوجه كثيرة منها:

١- منها قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٢٦-٢٧).

٢- وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص:٨٨).

٣- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:٢٢).

ثانيًا: الأدلة من السنة

جاءت أحاديث عدة في الصحيحين وغيرهما ورد فيها ذكر صفة الوجه لله سبحانه، ومن هذه الأحاديث:

١- حديث جابر بن عبدالله ، قال: ((لما نزلت ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[(٢)] قال رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك، قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾[(٣)] قال: أعوذ بوجهك، قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم﴾[(٤)]، قال رسول الله ﷺ: هذا

---

(١) التوحيد (٤٤/١).

(٢) سورة: الأنعام، الآية: ٦٥

(٣) سورة: الأنعام، الآية: ٦٥.

(٤) سورة: الأنعام، الآية: ٦٥.

أهون أو هذا أيسر))[١].

٢- قوله ﷺ: ((إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور (وفي رواية أبي بكر: النار) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))[٢].

٣- قوله ﷺ: ((جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن))[٣].

وغيرها من الأحاديث.

ثالثًا: الإجماع

أطبق السلف وأتباعهم على الإيمان بصفة الوجه لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله سبحانه.

يقول الدارمي -بعد أن سرد الأدلة على إثبات صفة الوجه لله تعالى-: ((وعلى تصديق هذه الآثار والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والعلم))[٤].

ويقول أبو الحسن الأشعري[٥] ~ في حكاية جملة قول أصحاب الحديث

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، (٢٩١/٨ برقم:٤٦٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: قوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله لا ينام)، (١٦١/١، برقم: ٢٩٣)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، (٦٢٣/٨، برقم: ٤٨٧٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، (١١٢/١، برقم: ٤٦٦)، عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه رضي الله عنه.

(٤) نقض الدارمي (٧٢٢/٢).

(٥) هو: أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، متكلم مشهور، =

وأهل السنة: ((جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون من ذلك شيئًا... وأن له وجهًا))[١].

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني[٢] ~ : ((وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم... من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ))[٣].

۞ المسألة الثانية: منهج أهل السنة في إثبات صفة الوجه

- يؤمن أهل السنة والجماعة بأن الله ﷻ يتصف بصفة الوجه حقيقةً على ما يليق بجلاله سبحانه، من غير تحريف لمعناه[٤]، ولا تكييف له[٥]؛ فوجهه سبحانه

= وإليه تنتسب الفرقة الأشعرية، وإن كانت ليست على طريقته التي ارتضاها آخر أمره وهي طريقة أهل السنة والحديث، ولد سنة: ٢٦٠هـ، وتوفي ببغداد سنة: ٣٢٤هـ على الصحيح. من مؤلفاته: "الفصول في الرد على الملحدين"، و"مقالات الإسلاميين"، و"الإبانة"، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٤٧/١١)، والعبر للذهبي (٢٣/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٨٧/١١).

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة: الثانية، (مكتبة العلوم والحكم، ١٣٨٩هـ)، (٢٩٠).

(٢) هو: أبو عثمان، إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الصابوني، النيسابوري، الشافعي، الإمام المفسِّر، المحدث، ولد سنة: ٣٧٣هـ، وتوفي سنة: ٤٤٩هـ، من مؤلفاته: "اعتقاد السلف وأصحاب الحديث"، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٠/١٨)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٧١/٤)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٨٢/٢).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٥).

(٤) انظر: الرد على الجهمية، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن منده، تحقيق: علي بن محمد ناصر الفقيهي، الطبعة: الثانية، (عام: ١٤٠٢هـ) (١٣٤/١)، وكتاب الاعتقاد لأبي يعلى (١٠)، وشرح السنة للبغوي (١٦٩/١)، ومختصر الصواعق للموصلي (٩٩٢/٣).

(٥) انظر: الاعتقاد، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية (بيروت، عام: ١٤٠٦هـ) (٣٨)، =

مجهول الكيفية لنا، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾(طه:١١٠).

وعلى ذلك جميع أهل السنة.

يقول أبو الحسن الأشعري: ((وأن له سبحانه وجهًا بلا كيف كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾))(١).

-ويؤمنون كذلك بأن وجه الله سبحانه لا يماثل وجه المخلوق(٢)، كسائر صفاته، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾(الشورى:١١).

-ويؤمن كذلك أهل السنة بأن وجهه سبحانه موصوف بصفات عظيمة:

فوجهه سبحانه ذو جلال وإكرام، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾(الرحمن:٢٦-٢٧).

أي هو ((ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياءه وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه))(٣).

ووجهه سبحانه موصوف بالبهاء والنور وهما معنى السبحات الواردة في قوله ﷺ: ((حجابه النور (وفي رواية أبي بكر النار) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))(٤).

= وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/٢٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٤٠)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢٢٥).

(١) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تقديم: حماد الأنصاري، الطبعة: الخامسة، (مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عام: ١٤٠٩هـ) (٧).

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي (٤١)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٤٠)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، د.ط، (دار الأندلس، عام ١٤٠٨هـ) (٦/٢٢٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (١/٨٣٠).

(٤) سبق تخريجه ص٢٠٣.

فالسبحات في لغة العرب بمعنى النور والجلال والعظمة[(١)]، وقيل السبحات بمعنى المحاسن، لأنه يقال: سبحان الله عند رؤيتها[(٢)].

ومن صفاته أن عليه رداء الكبرياء، ويُستدل عليه من قوله ﷺ: ((وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن))[(٣)].

ووجهه سبحانه ذو حجاب، وهو الوارد في قوله ﷺ: السابق ((حجابه النور)).

وهذا الحجاب يحجب المخلوقين عن أن تدركهم سبحات وجه الله فتحرقهم، وليس هو حجابا يحجب الله تعالى عن أن يرى أو يدرك، فالله تعالى أعظم من ذلك، إذ هو يرى كل شيء، لا تخفى عليه خافية، وعليم بكل شيء[(٤)].

ومن صفاته كذلك البقاء، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(الرحمن:٢٦-٢٧). وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(القصص:٨٨)، وإذا بقي وجهه فهو باقٍ سبحانه.

۞ المسألة الثالثة: منهج ابن خزيمة في إثبات صفة الوجه

عقد ابن خزيمة في كتابه التوحيد بابًا طويلاً في هذه الصفة، قال: ((باب ذكر إثبات وجه الله))[(٥)]، ثم أتبعه بباب قال فيه: ((باب ذكر صورة ربنا جل وعلا، وصفة سبحات وجهه))[(٦)]، وبعد تأمل هذين البابين تبين أن الباب الثاني اندرج تحته ثلاثة

---

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: الدكتور حسين نصار، د.ط، (وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، عام: ١٣٦٩هـ) (٤٤٨/٦)، مادة (سبح)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (٢٨٢/١)، مادة (سبح).

(٢) انظر: تاج العروس للزبيدي (٤٤٨/٦)، مادة (سبح).

(٣) سبق تخريجه ص٢٠٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٩٥/٦، ١٠)

(٥) (٢٤/١).

(٦) التوحيد (٤٥/١).

موضوعات وهي:

١-ذكره للسبحات وسرد الأحاديث عليها.

٢-ذكره للمخالفين لأهل السنة في صفة الوجه، وذكر شبهاتهم والرد عليها.

٣-ذكره للصورة.

لذا عند ذكري لمنهجه سأتناول صفة الوجه وما يتعلق بها مع ذكر السبحات في مطلب، والتي ذكرها في البابين، ثم أفرد مطلبًا مستقلاً أتناولُ فيه منهجه في الصورة.

صفة الوجه:

صفة الوجه من الصفات التي أطال فيها ابن خزيمة حديثه، كما ذكرتُ في مستهل هذا المطلب، ولعل ذلك يعود إلى أن الخلاف في هذه الصفة-مع أهل البدع- كان في ذلك الوقت على أشده، وهذا ما بدا في كلامه ~ .

وقد جعلت عرض منهج ابن خزيمة في هذه الصفة في نقاط وهي:

أولاً: منهجه في إثبات صفة الوجه والاستدلال عليها.

أثبت ابن خزيمة الوجه صفةً لله ﷻ، وأن وجهه تبارك وتعالى موصوف بالجلال والإكرام والبقاء.

ثم بين أن الوجه من صفات الله الذاتية؛ فيقول عند نفي الهلاك عن وجهه سبحانه: ((جل ربنا عن أن يهلك شيء منه مما هو من صفات ذاته))[1].

كما قرر هذا أثناء رده على الجهمية المنكرين لهذه الصفة وسرده للآيات فقال: ((وفي هاتين الآيتين دلالة أن وجه الله صفة من صفات الله، صفات الذات))[2].

وقد استدل على إثبات هذه الصفة بآيات كثيرة، وأحاديث بأسانيد عدة،

(١) التوحيد (٢٤/١).

(٢) المصدر السابق (٥٢/١).

ذكرت بعضًا منها في بداية المطلب، قال ~ : ((وقد ذكرنا من الكتاب والسنة في ذكر وجه ربنا بما فيه الغنية والكفاية))[١].

وقد أجاد ~ في الاستنباط مما يذكر من الأدلة، من ذلك قوله -بعد إيراده حديث سؤال النبي ﷺ لذة النظر إلى وجهه سبحانه-: ((ألا يعقل ذوو الحجا -يا طلاب العلم- أن النبي لا يسأل ربه ما لا يجوز كونه؟ ففي مسألة النبي ربه لذة النظر إلى وجهه أبين البيان وأوضح الوضوح أن لله ﷻ وجهًا يتلذذ بالنظر إليه من منَّ اللهُ جل وعلا عليه وتفضل بالنظر إلى وجهه))[٢].

ومما استدل به على إثبات هذه الصفة: الإجماع؛ فقد نقل إجماع أهل السنة على ذلك في أكثر من موضع.

يقول ~ : ((فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر؛ مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون))[٣].

وقال في موضع آخر: ((نحن نقول وعلماؤنا جميعًا في جميع الأقطار: أن لمعبودنا ﷻ وجهًا، كما أعلمنا الله في محكم تنزيله فذواه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء ونفى عنه الهلاك))[٤].

---

(١) التوحيد (٥٣/١).

(٢) المصدر السابق (٣٠/١).

(٣) المصدر السابق (٢٦/١)

(٤) المصدر السابق (٥٣/١).

ثانيًا: منهجه في ذكر منهج أهل السنة في إثبات للصفة

ارتكز منهج أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته –كما تبين سابقًا[١]- على ركيزتين أساسيتين:

الأولى: الإيمان بما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات في الكتاب والسنة[٢].

يقول الإمام أحمد ~ مقررًا ذلك: ((لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا نتجاوز القرآن والحديث))[٣].

ويقول الإمام الأوزاعي: ((ندور مع السنة حيث دارت))[٤].

الثانية: اجتناب التمثيل والتعطيل للأسماء والصفات[٥].

يقول ابن تيمية: ((وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل))[٦].

وقال أيضًا: ((العبارة الجامعة في باب التوحيد أن يقال: إثبات من غير تشبيه ونفي

---

(١) انظر: ص١٨٩.

(٢) انظر: الرد على الجهمية لابن منده (٣/٢)، والشرح والإبانة في أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين (الإبانة الصغرى)، لأبي عبدالله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: أبي عبدالله عادل بن عبدالله آل حمدان، الطبعة: الأولى، (دار الأمر الأول، الرياض، عام: ١٤٣٢هـ) (٣٢/١)، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، الطبعة: الثانية، (مكتبة الرشد، الرياض، عام: ١٤١١هـ) (٣٧٤/٢).

(٣) ذكره المرعي في أقاويل الثقات (٢٣٤).

(٤) ذكره اللالكائي في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٤/١).

(٥) انظر: الرد على الجهمية لابن منده (٣/٢)، والإبانة الصغرى لابن بطة (٣٢/١)، وأقاويل الثقات لمرعي الكرمي (٢٣٤)، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٣٧٤/٢).

(٦) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٩٧).

من غير تعطيل، قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾))[١].

وقد كانت هذه القضية حاضرة في ذهن ابن خزيمة؛ فكان يكررها أثناء تقريره لصفة الوجه والاستدلال عليها ورده على المخالفين فيها.

أما ما يتعلق بالركيزة الأولى فقد قال: ((مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا))[٢].

وهذا الذي اتضح في تقريره ~ ؛ فقد سبق كلامه هذا بذكره للآيات المثبتة لصفة الوجه، ثم ألحقه بأدلة السنة.

وقال في موضع آخر -بعد إيراده لأدلة صفة الوجه نافياً عن نفسه تجاوز القرآن وصحيح السنة فيما يتعلق بعلم صفات الله ﷻ-: ((إن علم هذا لا يدرك إلا بكتاب الله وسنة نبيه المصطفى، لست أحتج في شيء من صفات خالقي ﷻ إلا بما هو مسطور في الكتاب أو منقول عن النبي بالأسانيد الصحيحة الثابتة))[٣].

ثم ختم ذلك بقوله في معرض رده على الجهمية المعطلة برميهم لأهل السنة بأنهم مشبهة: ((نحن نثبت لخالقنا جل وعلا صفاته التي وصف الله ﷻ بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه))[٤].

وأما عن الركيزة الثانية؛ فقد أكد ~ أثناء إثباته لهذه الصفة والرد على من ضل في إثباتها تنزيهه ﷻ عن أن يماثل المخلوقين عامة، وفي صفة الوجه بشكل خاص، فقال أثناء تقريره لها: ((مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا ، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين،

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٤٨/٥).

(٢) التوحيد (٢٦/١).

(٣) المصدر السابق (٥١/١).

(٤) المصدر السابق (٥٧/١).

عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين))[١].

وقال أيضًا: ((تعالى ربنا أن يكون وجه ربنا كوجه بعض خلقه))[٢].

ويقول في تنزيه الله عن التعطيل: ((وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد))[٣].

وقال في موضع آخر: ((وعز ألاّ يكون له وجه))[٤].

ثالثًا: منهجه في بيان قول المخالفين

انصرفت همة ابن خزيمة ~ إلى بيان الحق ودفع أقوال المبطلين، وظهر ذلك ابتداء عند تقريره لمنهج أهل السنة؛ فقد ألمح إلى طرفي الضلال في مستهل هذا الباب وهما: المعطلة والمشبهة فقال: ((من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون، لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه))[٥].

ثم إنه بعد ذلك تعرض لقول المعطلة -دون المشبهة- وبين أن قولهم هو نفي صفة الوجه عن الله تعالى، وبيانه أنهم قالوا :إن المراد بالوجه الذات- قال: ((وزعم بعض جهلة الجهمية أن الله ﷻ إنما وصف في هذه الآية نفسه التي أضاف إليها الجلال

---

(١) التوحيد (٢٦/١).

(٢) المصدر السابق (٤٥/١).

(٣) المصدر السابق (٢٦/١).

(٤) المصدر السابق (٤٥/١).

(٥) المصدر السابق (٢٦/١).

بقوله ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾(١)، وزعمت أن الرب هو ذو الجلال والإكرام لا الوجه))(٢).

وأتبع بيانه لرأي الجهمية في هذه الصفة ذكر قولهم في معنى لفظ "الوجه" في الآيات في زعمهم؛ فقال: ((وزعمت المعطلة من الجهمية أن معنى الوجه الذي ذكر الله في الآي التي تلونا من كتاب الله، وفي الأخبار التي روينا عن النبي كما تقول العرب: وجه الكلام ووجه الثوب ووجه الدار، فزعمت -لجهلها بالعلم- أن معنى قوله: "وجه الله" كقول العرب: وجه الكلام ووجه الدار ووجه الثوب، وزعمت أن الوجوه من صفات المخلوقين))(٣).

فاستعمال لفظ "الوجه" عندهم من باب المجاز لا الحقيقة، وهذا -فيما زعموا- كما تطلق العرب على أصح الكلام: وجه الكلام، وكما تطلق على أجود الثوب: وجه الثوب(٤).

وقد جعل هؤلاء المعطلة تنزيهَ الله عن مشابهة المخلوقات ذريعةً وحجةً لقولهم الباطل، ذلك أنهم زعموا أن هذه الصفة مما يشترك فيها المخلوق فإثباتها للخالق سبحانه تستلزم التشبيه والله سبحانه منزه عن التشبيه.

وهذا الاحتجاج بقوله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾(الشورى:١١)، احتجاج باطل، بل هو- كما يقول ابن خزيمة- : ((من التمويه على الرعاع والسفل، يموهون بمثل هذا على الجهال، يوهمونهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه ﷺ فقد شبه الخالق بالمخلوق))(٥).

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧٨.

(٢) التوحيد (٥١/١).

(٣) المصدر السابق (٥٦/١).

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٣٧/٢)، ومعارج القبول للحكمي (٣٥٨/١).

(٥) التوحيد (٦٥/١).

وقد اتخذ المعطلة أسلوب التشنيع على أهل السنة بوصفهم –لإثباتهم للصفات- مشبهة، وذلك ترويجًا لضلالهم، وصداً عن قبول الحق الذي هم عليه.

وهذا الأسلوب أيدوا به شبهتهم؛ حيث إنهم زعموا أن تأويل صفة الوجه لا مناص عنه لدفع وصمة التشبيه.

يقول ~ مبينًا تلك الذريعة المخالفة لصحيح العقل وصريح النقل وسليم الفطرة وقويم البيان: ((وزعمت الجهمية -عليهم لعائن الله- أن أهل السنة ومتبعي الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم، المثبتين لله ﷻ من صفاته ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله، المثبت بين الدفتين وعلى لسان نبيه المصطفى بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه مشبهة))[1].

وهذا الذي ذكره ابن القيم مدافعًا عن أهل السنة فيما رماهم به المعطلة من التشبيه، وبيان براءتهم من تلك الدعاوى، يقول ~ : ((فما ذنب أهل السنة والحديث إذا نطقوا بما نطقت به النصوص، وأمسكوا عما أمسكت عنه، ووصفوا الله بما وصف به نفسه ووصفه رسوله، وردوا تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين؟ الذين عقدوا ألوية الفتنة وأطلقوا أعنة المحنة، وقالوا على الله وفي الله بغير علم؛ فردوا باطلهم وبينوا زيفهم وكشفوا إفكهم ونافحوا عن الله ورسوله، فلم يقدروا على أخذ الثأر منهم إلا بأن سموهم مشبهة ممثلة مجسمة حشوية، ولو كان لهؤلاء عقول لعلموا أن التلقيب بهذه الألقاب ليس لهم، وإنما هو لمن جاء بهذه النصوص وتكلم بها ودعى الأمة إلى الإيمان بها ومعرفتها، ونهاهم عن تحريفها وتبديلها))[2].

رابعًا: منهجه في الرد على المخالفين

تعرض ابن خزيمة لمنهج المعطلة بالرد عليهم، ونقد زيفهم وبيان عوارهم، وقد شمل رده أصل هذا القول وشبهته وما تذرعوا به.

---

(١) التوحيد (١/٥٣).

(٢) مختصر الصواعق للموصلي (١/٢٦٢-٢٦٤).

ومن الملاحظ أن ابن خزيمة في رده كان يركز على المخالفين ورد كيدهم، دون الالتفات إلى ترتيب الحديث؛ لذا نجده يذكر قول المعطلة والرد عليهم في أكثر من موضع، ولعل ذلك يرجع إلى انصراف همته ~ إلى بيان الحق ودفع الباطل.

ويمكن تلخيص ردوده فيما يأتي:

۞ رد على زعمهم أن الموصوف بالجلال والإكرام في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(الرحمن:٢٦-٢٧)، هو الرب؛ قياسًا على قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(الرحمن:٧٨) بوضع اللغة؛ حيث قال: ((الله عَزَّلَ قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، فذكر الوجه مضمومًا في هذا الموضع مرفوعًا، وذكر الرب بخفض الباء بإضافة الوجه، ولو كان قوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ مردودًا إلى ذكر الرب في هذا الموضوع لكانت القراءة: (ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) مخفوضًا كما كان الباء مخفوضًا في ذكر الرب جل وعلا؛ ألم تسمع قوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي﴾ خفض الجلال والإكرام فلما كان الجلال والإكرام في هذه الآية صفة للرب خفض ﴿ذِي﴾ الباء الذي ذكر في قوله ﴿رَبِّكَ﴾، ولما كان الوجه في تلك الآية مرفوعة التي كانت صفة الوجه مرفوعة فقال ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾))[1].

ودلالة اللغة تلك دلالة واضحة -لا يزيغ عنها إلا زائغ- على أن الوجه صفة من صفات ذاته وليس هو ذاته، وقد أكد هذا المعنى ابن القيم فيما ذكره تفصيلاً من جهة اللغة[2].

لذا قال ابن خزيمة بعد ذكر قول المعطلة: ((هذه دعوى يدعيها جاهل بلغة العرب))[3].

۞ رده على شبهتهم وهي أن الإثبات يستلزم التشبيه، فقد تصدى ابن خزيمة

---

(١) التوحيد (٥٢/١).

(٢) انظر: مختصر الصواعق للموصلي (٩٩٦/٣).

(٣) التوحيد (٥٢/١).

لهذه الشبهة بالرد من جهات عدة وهي:

الأولى: الرد بقاعدة القدر المشترك، وهي قاعدة أصيلة ومهمة في باب الأسماء والصفات-كما مر سابقاً[(١)]- ، ومن الملاحظ أن ابن خزيمة أعاد وكرر تلك القاعدة وجعلها محورًا مهمًا في الرد على الجهمية.

وارتكز رده بهذه القاعدة على:

-بيانه لحقيقة تلك القاعدة وأنها إيقاع بعض أسامي الله على بعض خلقة، وهو إيقاع من جهة اللفظ لا المعنى ((لأن الأسامي قد تتفق وتختلف المعاني))[(٢)].

يقول ~ : ((الخالقنا ﷻ أسامٍ، قد تقع تلك الأسامي على بعض خلقه في اللفظ لا على المعنى))[(٣)]، وهذا الاشتراك في الأسماء لا يلزم منه التشبيه، مثال ذلك صفة الوجه، فهو من الألفاظ التي اشترك فيها المخلوق مع الخالق، فالله تعالى موصوف بالوجه، وبنو آدم كذلك لهم وجوه، ولا يقول عاقل أن بينهما تماثل، إنما الذي بين وجه الله ووجوه المخلوقين اتفاق في اسم الوجه فقط دون حقيقته ((فليس إيقاع اسم الوجه للخالق الباري بموجب -عند ذوي الحجا والنُهى- أنه يشبه وجه الخالق بوجوه بني آدم))[(٤)].

-وقد أكد ابن خزيمة انتفاء التشبيه مع الاتفاق في اللفظ من خلال ذكره لانتفاء التشبيه بين وجوه بني آدم ووجوه السباع مع اشتراكهما في كون كل منهما محدثًا مخلوقًا، وقد قُضي عليه الفناء، بل إن القائل: إن وجه بني آدم يشبه وجه الحيوان التي منها القردة والخنازير يجعله كاذبًا أو ذا عَتَه وخَبَل، وقد ((يُحكم عليه

----

(١) انظر: ص١٨٢.

(٢) التوحيد (١/٨٠).

(٣) المصدر السابق (١/٨٠).

(٤) المصدر السابق (١/٥٧).

بزوال العقل ورفع القلم لتشبيه وجه بني آدم بوجوه ما ذكرنا))[١].

-ذكر ابن خزيمة أمثلة لتأكيد هذه القاعدة، وقد بلغت أكثر من أربعين مثالاً، من الكتاب والسنة واللغة العربية، ثم قال في آخر هذا الباب: ((فتفهموا يا ذوي الحجا ما بينت في هذا الفصل تعلموا وتستيقنوا أن لخالقنا ﷻ أسام قد تقع تلك الأسامي على بعض خلقه في اللفظ، لا على المعنى على ما قد بينت في هذا الفصل من الكتاب والسنة ولغة العرب))[٢].

ومن تلك الأمثلة التي أوردها ابن خزيمة التي ذكرت في القرآن الكريم أن: ((الله وصف نفسه في غير موضع من كتابه فأعلم عباده المؤمنين أنه سميع بصير فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣]، وذكر ﷻ الإنسان فقال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٤]، وأعلمنا جل وعلا أنه يرى، فقال: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[٥]، وقال لموسى وهارون -عليهما السلام-: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٦]، فأعلم ﷻ أنه يرى أعمال بني آدم، وأن رسوله وهو بشر يرى أعمالهم أيضًا، وقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾[٧]، وبنو آدم يرون أيضا الطير مسخرات في جو السماء، وقال ﷻ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٨]، وقال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[٩]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ

(١) التوحيد (١/٥٥).

(٢) المصدر السابق (١/٨٠).

(٣) سورة: الشورى، الآية:١١.

(٤) سورة: الإنسان، الآية: ٢.

(٥) سورة: التوبة، الآية: ١٠٥.

(٦) سورة: طه، الآية: ٤٦.

(٧) سورة: النحل، الآية:٧٩.

(٨) سورة: هود، الآية: ٣٧.

(٩) سورة: القمر، الآية: ١٤.

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (١)، فثبت ربنا ﷻ لنفسه عينًا وثبت لبني آدم أعينًا، فقال: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ (٢)))(٣).

إلى غيرها من الأمثلة التي أوردها ~ لتأكيد القاعدة والرد على المعطلة(٤).

أما أمثلة السنة التي ذكرها فمنها تسمية الله "السلام"، فالله ﷻ ((خبرنا أنه السلام، وسمى تحية المؤمنين بينهم "سلامًا" في الدنيا وفي الجنة، فقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾(٥)، ونبينا المصطفى قد كان يقول يوم فراغه من تسليم الصلاة: ((اللهم أنت السلام ومنك السلام))(٦)، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾(٧)، فثبت بخبر الله أن الله هو السلام كما في قوله: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾(٨) وأوقع هذا الاسم على غير الخالق البارئ))(٩).

وبهذا البيان الوافي منه ~ لهذه القاعدة الجليلة بين عوج قول المعطلة الجهمية الذين أنكروا هذه الصفة العظيمة -التي سأل نبينا الكريم ربه أن يرزقه لذة النظر إليها، بل هي الكرامة والزيادة من رب العالمين يتفضل بها على عباده من أهل الجنة- أنكروها هروبًا من الوقوع في التشبيه، ولو أنهم نظروا إلى تلك الصفة على نور هذه القاعدة لانحلت العقدة لديهم، كما يقول ابن القيم ~ : ((فإن هذه العقدة هي أصل

----

(١) سورة: الطور، الآية: ٤٨.

(٢) سورة: المائدة، الآية: ٨٣.

(٣) التوحيد (٥٩/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٥٩/١-٨٠) للاستزادة من تلك الأمثلة التي أوردها ابن خزيمة.

(٥) سورة: الأحزاب، الآية: ٤٤.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة، (٤١٤/١، برقم: ١٣٥)، من حديث ثوبان ﷺ.

(٧) سورة: النساء، الآية: ٩٤.

(٨) سورة: الحشر، الآية: ٢٣.

(٩) التوحيد (٦٥/١).، وانظر أيضًا(٦٥/١-٧٨) للاستزادة من أمثلة ابن خزيمة المذكورة في كتابه.

بلاء الناس، فمن حلها فما بعدها أيسر منها، ومن هلك بها فما بعدها أشد منها))[(١)].

الثانية: رده على احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى:١١)، في تقوية مذهبهم، فقد بين ~ أن احتجاجهم بهذه الآية على أهل السنة والآثار المثبتين للصفات احتجاج باطل، بل هو ذريعة لتزيين قولهم لمن ضعفت نفوسهم، لذا قال مستنكراً لذلك الاستدلال: ((وهذا من التمويه على الرعاع والسفل! يموهون بمثل هذا على الجهال، يوهمونهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه فقد شبه الخالق بالمخلوق؟ وكيف يكون يا ذوى الحجا خلقه مثله؟))[(٢)].

ولم يكتفِ ~ باستنكاره عليهم بل أكد ذلك بذكر المباينة بين الخالق والمخلوق عامة فذكر أن ((الله القديم لم يزل والخلق محدث مربوب، والله الرازق والخلق مرزوقون، والله الدائم الباقي وخلقه هالك غير باق، والله الغني عن جميع خلقه والخلق فقراء إلى الله خالقهم))[(٣)]، وتأكدت تلك المباينة بين الخالق والمخلوق في صفة الوجه خاصة بقوله: ((المعبودنا ﷻ وجهًا كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، فذاوه بالجلال والإكرام وحكم له بالبقاء ونفى عنه الهلاك، ونقول: إن لوجه ربنا ﷻ من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره، محجوبٌ عن أبصار أهل الدنيا لا يراه بشر ما دام في الدنيا الفانية.

ونقول: إن وجه ربنا القديم لا يزال باقيا، فنفى عنه الهلاك والفناء، ونقول: إن لبني آدم وجوهًا كتب الله عليها الهلاك ونفى عنها الجلال والإكرام، غير موصوفة بالنور والضياء والبهاء التي وصف الله بها وجهه، تدرك وجوهَ بني آدم أبصارُ أهل الدنيا، لا تحرق لأحد شعرة فما فوقها لنفي السبحات عنها التي بينها نبينا المصطفى لوجه خالقنا.

---

(١) طريق الهجرتين (١٠٢).

(٢) التوحيد (٦٥/١).

(٣) المصدر السابق (٦٥/١).

ونقول: إن وجوه بني آدم محدثة مخلوقة لم تكن فكونها الله بعد أن لم تكن مخلوقة، أوجدها بعد ما كانت عدمًا، وإن جميع وجوه بني آدم فانية غير باقية، تصير جميعًا ميتًا ثم تصير رميمًا ثم ينشئها الله بعد ما قد صارت رميمًا، فتلقى من النشور والحشر والوقوف بين يدي خالقها في القيامة ومن المحاسبة بما قدمت يداه وكسبه في الدنيا ما لا يعلم صفته غير الخالق البارئ، ثم تصير إما إلى جنة منعمة فيها أو إلى النار معذبة فيها))[١].

وليس بعد هذا البيان الشافي للفروق بين الخالق والمخلوق إلا الإقرار بأن الله سبحانه متصف بصفة الوجه، ووجهه لا مثيل له، وهذا الذي أراده ابن خزيمة من الجهمية حيث قال: ((فمن القائل أن لخالقنا مثلاً، أو أن له شبيهًا؟))[٢].

الثالثة: رده بذكر اللوازم الباطلة لقولهم وشبهتهم، فإن مما أجاد فيه ~ في رده على المعطلة الجهمية ذكره للوازم الباطلة لقولهم إن إثبات صفة الوجه يستلزم التشبيه.

والمتقرر عند أهل العلم أن لازم القول الباطل دليلٌ على بطلانه[٣].

ومن تلك اللوازم ما يأتي:

١-أنه لو كان إثبات الوجه يقتضي التشبيه كما ادعت الجهمية ((لكان كل قائل أن لبني آدم وجهًا وللخنازير والقردة والكلاب والسباع والحمير والبغال والحيات والعقارب وجوهًا؛ قد شبه وجوه بني آدم بوجوه الخنازير والقردة والكلاب وغيرها مما ذكرت))[٤]، وهذا أمر لا يقبله عاقل، بل إنه لو قال أحدٌ بهذا التشبيه بين الآدمي

---

(١) التوحيد (٥٣/١).

(٢) المصدر السابق (٦٥/١).

(٣) انظر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي وآخرون، الطبعة: الأولى، (دار عالم الفوائد، مكة، عام: ١٤٢٨هـ) (٩٧).

(٤) التوحيد (٥٥/١).

والحيوانات لكان مسيئًا للأدب، بل وقد يُرمى بالكذب والزور والعته[(١)]، وبالعموم فإن هذا لا يقال ((إلا على المشاتمة كما يرمي الرامي الإنسان بما ليس فيه))[(٢)].

٢-مما ألزم به ابن خزيمة الجهمية قوله: ((ولو كان كل اسم سمى الله لنا به نفسه وأوقع ذلك الاسم على بعض خلقه كان ذلك تشبيه الخالق بالمخلوق على ما توهم هؤلاء الجهلة من الجهمية؛ لكان كل من قرأ القرآن وصدقة بقلبه أنه قرآن ووحي وتنزيل قد شبه خالقه بخلقه))[(٣)]، ثم أكد ذلك الإلزام بقوله: ((فإن كان علماء الآثار الذين يصفون الله بما وصف به نفسه وبما جاء وعلى لسان نبيه مشبهة على ما يزعم الجهمية المعطلة؛ فكل أهل القبلة إذا قرؤا كتاب الله فآمنوا به بإقرار باللسان وتصديق بالقلب، وسموا الله بهذه الأسامي التي خبر الله بها أنها له أسامي، وسموا هؤلاء المخلوقين بهذه الأسامي التي سماهم الله بها هم مشبهة))[(٤)].

٣- ومما ألزم به ابن خزيمة الجهمية ببطلان قولهم وهو: أن إثبات الصفة التي يشترك فيها المخلوق مع الخالق توجب التشبيه؛ للزمنا ذلك في كثير من الصفات والأسماء التي سمى الله بها خلقه، فيلزم مثلاً ((كل من سمى الله مَلِكًا أو عظيمًا ورؤوفًا ورحيمًا وجبارًا ومتكبرًا؛ أنه قد شبه خالقه ﷻ بخلقه، حاش لله أن يكون من وصف الله جل وعلا بما وصف الله به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه المصطفى مشبهًا خالقه بخلقه))[(٥)]، فالله ﷻ أعلمنا ((أنه الملك وسمى بعض عبيده ملكاً فقال: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦ﴾[(٦)] وأعلمنا جل جلاله أنه العظيم وسمى بعض

---

(١) انظر: التوحيد (١/٥٥).

(٢) المصدر السابق (١/٥٦).

(٣) المصدر السابق (١/٦٣).

(٤) المصدر السابق (١/٨١).

(٥) المصدر السابق (١/٦٤).

(٦) سورة: يوسف، الآية: ٥٠.

عبيدة عظيمًا فقال: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1]، وسمى الله بعض خلقه عظيمًا فقال: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2] فالله العظيم وأوقع اسم العظيم على عرشه والعرش مخلوق وربنا الجبار المتكبر فقال: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾[3] وسمى بعض الكفار متكبرًا جبارًا فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[4]))[5].

٤- ألزمهم كذلك بأنه لو قبلنا قولكم –جدلاً- في أن تسميتنا بعض الخلق ببعض أسامي الله توجب تشبيه الله بالخلق؛ فماذا تصنعون بتلك الأسامي المشتركة الواردة في القرآن الكريم، حتى يستقيم لنا ولكم ذلك الادعاء، فقال منكرًا عليهم ملزمًا لهم: ((هل يمكن عند هؤلاء الجهال حل هذه الأسامي من المصاحف أو محوها من صدور أهل القرآن، أو ترك تلاوتها في المحاريب وفي الجذور والبيوت؟))[6]، وهذا لاشك أنه أمر محال إذ لا يمكن لبشر كائن من كان محو حرف من القرآن فضلاً عن غيره.

٥-وكذلك ألزمهم بأن قولهم هذا يؤدي إلى أمر باطل وهو الكفر بالقرآن، فقال: ((فعود مقالتهم هذه توجب أن على أهل التوحيد الكفر بالقرآن وترك الإيمان به وتكذيب القرآن بالقلوب والإنكار بالألسن))[7].

وبعد تلك اللوازم وتلك المحاجة العقلية فليس لأي مسلم فيه مسكة من عقل وإيمان أن يظن بهذا المذهب خيرًا، فهو مذهب ضال وحقه التشنيع وإعداد العدة

---

(١) سورة: الزخرف، الآية: ٣١.

(٢) سورة: التوبة، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة: الحشر، الآية: ٢٣.

(٤) سورة: غافر، الآية: ٣٥.

(٥) التوحيد (٦٣/١).

(٦) المصدر السابق (٦٥/١).

(٧) المصدر السابق (٨١/١).

لمحاربته وبيان ضلال أصحابه، يقول ابن خزيمة حاكمًا على هذا المذهب: ((فأقذر بهذا من مذهب، وأقبح بهذه الوجوه عندهم عليهم لعائن الله! وعلى من ينكر جميع ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله، والكفر بجميع ما ثبت عن نبينا المصطفى بنقل أهل العدالة موصولاً إليه في صفات الخالق جل وعلا))[1].

۞ رد على دعواهم أن لفظ الوجه في الآيات على المجاز لا الحقيقة، وهو كما تقول العرب: وجه الثوب ووجه الكلام، فذكر أن في قولهم هذا وقوع فيما ادعوا هروبهم منه وهو التشبيه، قال ~ : ((وهذه فضيحة في الدعوى! ووقوع في أقبح ما زعموا أنهم يهربون منه؛ فيقال لهم: أفليس كلام بني آدم والثياب والدور مخلوقة؟ فمن زعم منكم أن معنى قوله وجه الله كقول العرب: وجه الكلام ووجه الثوب ووجه الدار، أليس قد شبه على أصلكم ووجه الله بوجه الموتان؟!))[2].

وقول الجهمية بالمجاز في لفظ الوجه قد تصدى له العلماء، حتى أن ابن القيم ذكر أكثر من عشرين وجهًا في إبطال القول بالمجاز في لفظ الوجه، ومن هذه الردود:

رد عليه بحديث النبي ﷺ في السبحات، فقال بعد إيراده للحديث: ((فإضافة السبحات التي هي الجلال والنور إلى الوجه، وإضافة البصر إليه تبطل كل مجاز، وتبين أن المراد وجهه))[3].

ومن ذلك ما ذكره الدارمي في رده على المريسي في دعواه أن الوجه مجاز وأنه كقول العرب: وجه الثوب، حيث قال- بعد استدلاله عليه بقوله عليه الصلاة والسلام: ((أن العبد إذا قام يصلي أقبل الله عليه بوجهه))[4]- : ((ويلك فهذا مع ما فيه من الكفر؛ محال في

---

(١) التوحيد (٨١/١).

(٢) المصدر السابق (٥٦/١).

(٣) مختصر الصواعق للموصلي (١٠٠٦/٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب:إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: المصلي يتنخم، (٣٢٧/١، برقم: ١٠٢٣)، من حديث حذيفة رضي الله عنه، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للشهاب =

الكلام، فإنه لا يقال لشيء ليس من ذوي الوجوه: أقبل بوجهه على إنسان أو غيره إلا والمقبل بوجهه من ذوي الوجوه، وقد يجوز أن يقال للثوب وجه والحائط، ولا يجوز أن يقال: أقبل الثوب بوجهه على المشتري، وأقبل الحائط بوجهه على فلان، لا يقال: أقبل بوجهه على شيء إلا من له القدرة على الإقبال، وكل قادر على الإقبال ذو وجه هذا معقول مفهوم في كلام العرب))(١).



= أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق موسى محمد علي وعزت علي عطية، الطبعة: الأولى، (دار التوفيق الأزهر، ١٤٠٥هـ) (٣٤٤/١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٧/٤).

(١) نقض الدارمي (٧٢٣/٢).

المطلب الثالث: إضافة الصورة إلى الله

إضافة الصورة إلى الله مما ثبت ودلت عليه أحاديث عدة في الصحيحين وغيرهما.

وقد تتابع أهل السنة على إثباتها دون خلاف بينهم[1].

والصورة من المسائل التي أثبتها ابن خزيمة ضمن حديثه عن صفة الوجه، وقد كان له رأي غير موافق لأهل السنة في بعض أحاديث الصورة سيتضح -بإذن الله- عند عرض منهجه ~ فيها.

والكلام على الصورة يتضمن المسائل الآتية:

۞ المسألة الأولى: معنى الصورة في اللغة

الصورة في اللغة بمعنى الهيئة والشكل والصفة.

يقول ابن فارس: ((الصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباينة الأصول... ومن ذلك الصورة، صورة كل مخلوق والجمع: صُوَر، وهي هيئة خلقته))[2].

---

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الطبعة: الثانية، (دار ابن القيم، الرياض، عام: ١٤٣٠هـ) (٤١٥)، والسنة لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، الطبعة:الثانية، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام:١٤٠٥هـ) (٢٢٧/١)، والشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبدالله الدميجي، الطبعة: الثانية، (دار الوطن، الرياض، عام: ١٤٢٠هـ) (١١٤٧/٣)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لأبي عبدالله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري، تحقيق: رضا معطي، الطبعة: الأولى، (دار الراية، عام: ١٤٢٣هـ) (٢١٧/٦)، وشرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: محمد سعيد القحطاني، الطبعة: الأولى، (دار ابن القيم، الدمام، عام: ١٤٠٨هـ) (٣١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٧٢/٢)، والاعتقاد لأبي يعلى (١١)، والاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن، الطبعة: الأولى، (مكتبة التوحيد، البحرين، ١٤٢١ هـ) (٣٣٦/٤).

(٢) مقاييس اللغة (٣٢٠/٣). مادة (صور).

وقال ابن الأثير[١]: ((الصورة ترِدُ في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي: هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي: صفته))[٢].

وجاء في القاموس المحيط: ((الصورة بالضم: الشكل، الجمع صُوَر، وصِوَر، وصُوْر... وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة))[٣].

من خلال أقوال أهل اللغة يتبين أن الصورة هي هيئة وصفة الشيء، وكل موجود قائم بنفسه تصح رؤيته لا بد له من صورة في الخارج، ومن صفات تخصه وتقوم به، والله سبحانه أعظم موجود[٤].

۞ المسألة الثانية: الأدلة على الصورة

لم يرد في القرآن الكريم ذكر الصورة، ولكنها ثبتت بالأحاديث الصحيحة.

والأحاديث التي أضيفت فيها الصورة إلى الله تعالى ثلاثة أنواع:

❑ الأول: حديث الرؤية

قوله ﷺ في حديث رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة: ((فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا)) الحديث [٥].

---

(١) هو: أبو السعادات، مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير الشيباني الجزري، ثم الموصلي، الشافعي، لغوي محدث، مولده سنة: ٥٤٤هـ، كانت وفاته سنة: ٦٠٦هـ، من مؤلفاته: "جامع الأصول"، و"النهاية في غريب الحديث"، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٨٨/٢١)، والعبر للذهبي (١٤٣/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٨/١٧).

(٢) النهاية (١٢٢/٣).

(٣) (٧٣/٢)، مادة (صور).

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٣٢٧/١)، وانظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٤٠/٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم، (٤٤٤/١١، =

❑ الثاني: حديث اختصام الملأ الأعلى

قوله ﷺ: ((إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استيقظت، فإذا أنا بربي ﷻ في أحسن صورة، فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب)) الحديث [(١)].

❑ الثالث: أحاديث خلق آدم

وهذا القسم من أحاديث الصورة جاء بألفاظ متنوعة منها:

١- قوله ﷺ: ((خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك، نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله؛ فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم؛ فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن))[(٢)].

٢- و قوله ﷺ: ((إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته))[(٣)].

= برقم: ٦٥٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، (١٦٣/١، برقم: ٤٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(١) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة ص، (٣٣٦/٥، برقم: ٣٢٣٥)، والإمام أحمد في المسند (٤٢٣/٣٦، برقم: ٢٢١٠٩)، والطبراني في الكبير (٧٥/١٦، برقم: ٢١٦)، من حديث معاذ رضي الله عنه، وصحح الحديث الترمذي ونقل تصحيح البخاري له فقال: (هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن صحيح).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الاستئذان، باب: بدء السلام، (٣/١١، برقم: ٦٢٢٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، (١٤٩/٨، برقم: ٢٨٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: العتق، باب: إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، (١٨٢/٥، برقم: ٢٥٥٩)، وأحرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة، باب: النهي عن ضرب =

٣-قوله ﷺ: ((لا تقبحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن))[1].

ودل كذلك على الصورة الإجماع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : ((ثبوت الوجه والصورة لله قد جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة المتواترة، واتفق على ذلك سلف الأمة))[2].

۞ المسألة الثالثة: منهج أهل السنة والجماعة في الصورة

بعد ذكر الأدلة على الصورة وبيان المعنى اللغوي لها؛ فإن البحث وبيان منهج أهل السنة فيها له شقان:

□ الأول: إثبات أن لله صورة، وهو ما لم يقرره ابن خزيمة في كتابه.

والقاعدة فيها عند أهل السنة والجماعة أنهم:

يثبتون الصورة لله ويؤمنون بذلك من غير تحريف لمعناها، ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل لها بالمخلوق[3]، وذلك تحقيقاً للأحاديث الدالة عليها، ومنها قوله ﷺ: ((فإذا

= الوجه، (٣٢/٨، برقم: ٦٨٢١)، من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ لمسلم.

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (٢٦٨/١، رقم: ٤٦٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٨/١، رقم: ٥١٧)، وابن خزيمة في التوحيد (٨٥/١)، والآجري في الشريعة (١١٥٢/٣، رقم: ٧٢٥)، والدارقطني في الصفات (٦٤، رقم:٤٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤٢٣/٣، رقم: ٧١٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢١٧)، والحديث صححه الإمام أحمد والإمام إسحاق بن راهويه، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن حجر، انظر: بيان تلبيس الحهمية لابن تيمية (٤٤٣/٦)، وميزان الاعتدال للذهبي (٤٢٠/٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٥٠/٥)، وفتح الباري لابن حجر (١٨٣/٥).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٥٢٦/٦).

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٢٠٤)، والسنة لابن أبي عاصم (٣٠/٢)، والشريعة للآجري (١١٤٧/٣)، والإبانة لابن بطة (٢١٧/٦)، وشرح السنة للبربهاري (٣١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٧٢/٢-١٩١)، والاعتقاد لأبي يعلى (١١)، والاعتصام للشاطبي (٣٣٦/٤).

أنا بربي ﷻ في أحسن صورة))[١]، وقوله ﷺ: ((فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون))[٢].

يقول ابن قتيبة: ((والذي عندي والله تعالى أعلم أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأتِ في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد))[٣].

❐ الثاني: إثبات أن الله خلق آدم على صورة الرحمن

وهذه المسألة هي التي كان لابن خزيمة فيها رأي مخالف لما عليه عامة أهل السنة.

وعماد الخلاف في خلق آدم على صورة الرحمن هو عود الضمير في قوله: ((على صورته)) على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

وهو قول جمهور السلف، أن الضمير عائد على الله ﷻ، وعليه فإنهم يروون هذا الحديث في أحاديث الصفات، ولا يؤولونه بل يجرونه على ظاهره.

وبهذا قال الإمام أحمد[٤]، وابن قتيبة[٥]، وابن أبي عاصم[٦][٧]، وعبدالله بن

---

(١) سبق تخريجه ص٢٢٦.

(٢) سبق تخريجه ص٢٢٥

(٣) تأويل مختلف الحديث (٢٠٤).

(٤) انظر: الإبانة لابن بطة (٣/١٩٨-٢٦٦)، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/٣١٣).

(٥) انظر: تأويل مختلف الحديث (٢٠٦).

(٦) انظر: السنة (١/٢٢٧-٢٦٨).

(٧) هو: أبو بكر، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، ولد سنة: ٢٠٦هـ، من أهل البصرة، وهو من أهل السنة والحديث والنسك، تولى القضاء بأصبهان مدة من الزمن، له مصنفات كثيرة منها: "المسند الكبير" و"الآحاد والمثاني"، وكتاب: "السنة"، توفي سنة: ٢٨٧هـ، انظر: طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، لأبي محمد عبدالله بن محمد ابن جعفر بن حيان =

الإمام أحمد[(١)(٢)]، والآجري[(٣)(٤)]، وغيرهم من الأئمة المشهورين[(٥)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((الأئمة المتفق على إمامتهم في الأمة ما زالوا يروونه ولا ينكرونه ولا يتأولونه، على المحفوظ عنهم في ذلك))[(٦)]. ويقصد بذلك حديث الصورة، ويقول أيضا: ((لم يكن بين السلف من القرون المفضلة الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد (يعني: قوله "على صورته") إلى الله ﷻ، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة))[(٧)].

= (ابن الشيخ الأنصاري)، تحقيق: عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي، الطبعة: الأولى، (مؤسسة الرسالة، عام: ١٤١٢هـ) (٣٨٠/٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣٠/١٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣٦٤/٣).

(١) هو: أبو عبدالرحمن، عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، الإمام الحافظ الناقد، محدث بغداد، ولد سنة: ٢١٣هـ، سمع من أبيه وروى عنه شيئًا كثيرًا منها: "المسند"، و"الزهد"، كان صينًا دينًا صادقًا، صاحب حديث واتباع وبصر بالرجال، من مصنفاته: "الرد على الجهمية"، مات سنة: ٢٩٠هـ، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٦٦٥/٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥١٦/١٣). وشذرات الذهب لابن العماد (٣٧٧/٣).

(٢) انظر: السنة (٢٦٧/١).

(٣) هو: أبو بكر، محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي الآجري الإمام، المحدث، القدوة، من مصنفاته: "الشريعة"، و"الرؤية"، توفي في مكة سنة ٣٦٠هـ، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢٤٣/٢)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٩٣٦/٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣١٦/٤).

(٤) انظر: الشريعة (١١٤٧/٣).

(٥) انظر: التنبيه والرد للملطي (١٢٠)، والصفات للدار قطني (٢٥)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤٢٢/٣).

(٦) جواب الاعتراضات المصرية، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، الطبعة:الأولى، (دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، عام:١٤٢٩هـ) (١٦٨).

(٧) بيان تلبيس الجهمية (٣٧٣/٦).

ويؤيد هذا القول أمور:

١-ورود ألفاظ أخرى للحديث تؤكد هذا المعنى وتقرره، منها:

حديث خلق آدم السابق، والذي يقول فيه ﷺ: ((خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً)) الحديث[١].

رواية: ((فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن))[٢]، فهاتان الروايتان لاسيما الثانية تقطع النزاع في ذلك.

٢-أن هذا القول هو الذي عليه جمهور أهل السنة وأئمتهم كما سبق.

أن القول بأن الله خلق آدم على صورته ﷻ ليس فيه شيء من التشبيه أو التمثيل الذي تنزه عنه الباري سبحانه، وهي الشبهة التي تمسك بها من أول هذه الأحاديث، ويؤكد هذا المعنى أمورٌ منها:

٣-أن قول القائل: (على صورة كذا) لا تعني المماثلة ولا تقتضيها؛ يقول ابن تيمية: ((وأما قوله"خلق آدم على صورته"، فإنها تقتضي نوعًا من المشابهة فقط، لا تقتضي تماثلاً، لا في حقيقة ولا قدر))[٣].

٤-وقال أيضًا: ((لفظ الصورة في الحديث كسائر ما ورد من الأسماء والصفات، التي قد يسمى المخلوق بها، على وجه التقييد، وإذا أطلقت على الله اختصت به، مثل العليم والقدير والرحيم والسميع والبصير، ومثل خلقه بيديه، واستواءه على العرش، ونحو ذلك))[٤].

ويشهد لذلك قوله ﷺ: ((أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر))

---

(١) سبق تخريجه ص٢٢٦.

(٢) سبق تخريجه ص٢٢٧.

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٥٣١/٦).

(٤) المصدر السابق (١٣١/٧).

الحديث[١]، فالمراد من هذا الحديث ((أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه، وهي ليلة أربعة عشر))[٢].

وهل يقول عاقل بأن هذه الزمرة تكون مماثلة للقمر من جميع الوجوه؟ أم أنهم على صورة البشر ولكنهم في الحسن والوضاءة واستدارة الوجه على صورة القمر؟

لا شك أنهم ليسو على صورته من جميع الوجوه، لأنه لو قلنا بذلك مقتضاه أنهم يكونوا على هيئة الأحجار.

مثال آخر قوله ﷺ: ((إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان)) الحديث[٣]، فمعنى الحديث أن المرأة تكون في خروجها ((شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له))[٤]، ولا يفهم عاقلٌ من الحديث أن المرأة مماثلة للشيطان من كل وجه.

ومما يؤكد هذا التقدير بيان المعنى من الحديث، فمعنى هذا الحديث أن الله ﷻ خص آدم ﵇ من بين المخلوقات بأن له من الصفات من جنس صفاته ﷻ، فالله له وجه وجعل لآدم وجهاً، وله أصابع وخلق لآدم أصابع، وهكذا في بعض تلك الصفات، وهذا نوع من الاشتراك ولا يعني المماثلة، وهذا الاشتراك إنما هو في قدر مشترك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، (٣١٩/٦، برقم: ٣٢٤٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ، (١٤٥/٨، برقم: ٧٣٢٥)، من حديث أبي هريرة، واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤١٣/١١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته، (١٢٩/٤، برقم: ٣٤٧٣)، من حديث جابر بن عبدالله ﵁.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: يحي إسماعيل، الطبعة: الأولى، (دار الوفاء، المنصورة، عام: ١٤١٩هـ) (٢٧٤/٤)، وانظر: شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، مراجعة: خليل الميس، الطبعة: الأولى، (دار القلم، بيروت، عام١٤٠٧هـ) (٢٠/٩).

إثباته لا يتنافى مع قوله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١)؛ فكما أن اتصاف الخالق والمخلوق بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر -مع ثبوت قدر مميِّز لكل منهما- لا يقتضي التمثيل، فكذلك الشأن في الصورة.

يقول ابن القيم ~ : ((وقوله: "خلق الله آدم على صورة الرحمن" لم يرد به تشبيه الرب وتمثيله بالمخلوق، وإنما أراد به تحقيق صفة الوجه، وإثبات السمع والبصر والكلام صفة ومحلاً))[1].

القول الثاني:

أن الضمير في قوله: ((على صورته)) يعود على آدم عليه السلام.

وقد ذهب إلى هذا ابن خزيمة في أحد قوليه[2]، وكذلك قال به أبو ثور[3] [4]، وهو قول كثير من المتكلمين[5].

وهذا القول مردودٌ، وهو احتمالٌ باطلٌ لحديث رسول الله ﷺ، وقد رد الأئمة هذا القول وبينوا بطلانه، يقول الإمام أحمد: ((من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأيُّ صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟!))[6].

ونسب ابن قتيبة هذا القول لأهل الكلام حيث قال: ((فقال قوم من أصحاب

---

(١) مختصر الصواعق للموصلي (١٤٢٩/٤).

(٢) انظر: التوحيد (٩٤/١).

(٣) هو: أبو ثور، وأبو عبدالله، إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، الفقيه المجتهد الثقة، صاحب الإمام الشافعي، توفي في بغداد سنة: ٢٤٠هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٦/١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٧٢/١٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (١٨٠/٣).

(٤) نقله ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١٤٨/١).

(٥) انظر على سبيل المثال: الأسماء والصفات للبيهقي (١٧٩/٢)، ودفع شبه التشبيه لابن الجوزي (٢١٦)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٧٤/١٧).

(٦) انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٣٠٩/١).

الكلام: أراد خلق آدم على صورة آدم لم يزد على ذلك))[١].

ثم قال بعد إيراده لهذا القول: ((ولو كان المراد هذا، ما كان في الكلام فائدة، ومن يشك في أن الله تعالى خلق الإنسان على صورته، والسباع على صورها، والأنعام على صورها))[٢].وهذا القول غير صحيح، وستأتي مناقشته لاحقًا.

القول الثالث:

أن الضمير يعود على المضروب، وهذا القول ذهب إليه ابن خزيمة[٣]، وابن حبان في صحيحه[٤].

وهذا قول باطل ومردود، وقد تصدى لرده أئمة أهل السنة.

يقول ابن قتيبة: ((وقال قوم في الحديث (لا تقبحوا الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته) يريد أن الله ﷻ خلق آدم على صورة الوجوه، هذا أيضا بمنزلة التأويل الأول لا فائدة فيه، والناس يعلمون أن الله تبارك وتعالى خلق آدم على خلق ولده ووجهه على وجوههم، وزاد قوم في الحديث إنه ﷺ مر برجل يضرب وجه رجل آخر فقال: لا تضربه فإن الله تعالى خلق آدم ﷺ على صورته أي: صورة المضروب، وفي هذا القول من الخلل ما في الأول))[٥].

---

(١) تأويل مختلف الحديث (٢٠٢).

(٢) المصدر السابق (٢٠٢).

(٣) انظر: التوحيد (٨٤/١).

(٤) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لأبي حاتم محمد بن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الأولى، (مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: ١٤٠٨هـ) (٤٢٠/١٢)، وذكر ابن حجر أن الأكثر على أن الضمير يعود على المضروب، انظر: فتح الباري (١٨٣/٥)، وإن كان قصده: أكثر أهل الكلام فصحيح، وأما أهل السنة؛ فلا.

(٥) تأويل مختلف الحديث (٢٠٣).

۞ المسألة الرابعة: منهج ابن خزيمة في إثبات الصورة.

كما أن الحديث عن منهج أهل السنة في إضافة الصورة إلى الله له شقان؛ فكذلك الحديث عن منهج ابن خزيمة له شقان:

الأول منهج ابن خزيمة في إثبات الصورة.

الذي يظهر أن ابن خزيمة لا ينفي الصورة، بمعنى أنه لا ينكر أن يكون لله سبحانه صورة على ما يليق بجلاله[(١)]، وإنما هو يخالف في أن الله خلق آدم على صورته سبحانه، والذي يؤيد أنه ~ لا ينفي إضافة الصورة لله أمور وهي:

أولاً: تبويبه ~ بباب في الصورة، حيث قال بعد إيراده لباب صفة الوجه: ((باب ذكر صورة ربنا جل وعلا))[(٢)].

ثانيًا: أنه لا يوجد في كلام ابن خزيمة نفيٌ صريح للصورة.

ثالثًا: دلت أقوال الأئمة المتقدمين أن ابن خزيمة إنما خالف في أحاديث خلق آدم على صورته ﷺ، لا في أحاديث الصورة مطلقًا.

فمثلاً يقول أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي[(٣)]: ((أخطأ ابن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه بذلك، بل لا يؤخذ هذا عنه فحسب))[(٤)].

---

(١) وقد جانب محقق كتاب التوحيد لابن خزيمة الصواب؛ حيث ذكر أن ابن خزيمة ينفي أن يكون لله ﷻ صورة على ما يليق بجلاله. انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة، تحقيق: عبدالعزيز الشهوان (٨٩/١).

(٢) التوحيد (٤٥/١).

(٣) هو: أبو القاسم، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي، الأصبهاني، الشافعي، الملقب بقوام السنة، ولد سنة: ٤٥٧هـ، كان في عصره إمامًا، علم الحديث والتفسير واللغة، توفي سنة: ٥٣٥هـ، من مصنفاته: كتاب "الترغيب والترهيب"، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨٠/٢٠)، وشذرات الذهب لابن العماد (١٧٤/٦)

(٤) نقل هذا عنه ابن تيمية، ناقلاً عن الحافظ أبي موسى المديني، انظر: "بيان تلبيس الجهمية" (٤٠٩/٦-٤١١).

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الشيخ محمد الكرجي الشافعي[(١)] أنه قال في كتابه "الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول" ما نصه: ((فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول، وإن صدر ذلك عن إمام معروف غير مجهول، نحو ما ينسب إلى أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في تأويل الحديث (خلق آدم على صورته) فإنه يفسر ذلك بذلك التأويل، ولم يتابعه عليه من قبله من أئمة الحديث، لما رويناه عن أحمد ~ ، ولم يتابعه أيضًا من بعد))[(٢)].

وقال الذهبي ~ في ترجمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: ((وكتابه في التوحيد مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة))[(٣)].

رابعًا: رواية ابن خزيمة للأحاديث الأخرى المثبتة للصورة دون تأويل لها؛ ومن هذه الأحاديث:

- ذكره لحديث ((رأيت ربي في أحسن صورة))[(٤)(٥)].

- إيراده لحديث الرؤية، والذي جاء فيه قوله ﷺ: ((فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون)) الحديث[(٦)(٧)].

خامسًا: من خلال كلام ابن خزيمة في حديث "خلق آدم على صورته ﷻ؛ فإنه

---

(١) هو: أبو الحسن، محمد بن عبدالملك بن محمد بن عمر الكُرجي الشافعي، الإمام الفقيه، فقيه مفتٍ محدث أديب، ولد سنة: ٤٥٨هـ، من مصنفاته: "الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوى البدع والفضول"، و"الذرائع في علم الشرائع"، توفى سنة: ٥٣٢هـ، انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٣٧/٦)، والعبر للذهبي (٤٤٣/٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (١٦٥/٦)،

(٢) جواب الاعتراضات المصرية (١٧٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٧٤/١٤).

(٤) سبق تخريجه ص٢٢٦.

(٥) انظر: التوحيد (٥٣٣/٢-٥٤٧).

(٦) سبق تخريجه ص٢٢٥.

(٧) انظر: التوحيد (٣٧٧/١، ٣٦٨)، و(٤٢٥/٢- ٤٢٦، ٤٣١).

كان يذكر بعض العبارات التي تشير أن رأيه متعلقٌ بخلق آدم على صورة الرحمن دون إرادة الصورة مطلقًا، وسيأتي بعض كلامه لاحقًا بعون الله.

الثاني: منهج ابن خزيمة في مسألة خلق آدم على صورة الرحمن

بناءً على ما تقدم بيانه من ألفاظ الأحاديث المنوعة الدالة على خلق آدم على صورة الرحمن جل جلاله، ومن خلال النظر في كلام ابن خزيمة ~ في هذا الباب؛ رأيتُ تقسيم هذه المسألة وبيان منهجه فيها حسب إيراده لكل دليل:

❐ أولاً: رأيه في أحاديث خلق آدم على صورته جل جلاله التي اقترنت بالنهي عن ضرب الوجه وتقبيحه.

فقد ذكر ابن خزيمة ستة أحاديث منها:

-قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يقولن أحدكم لأحد قبح الله وجهك، ووجهًا أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته))[1].

-وقوله: ((إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته))[2].

-وقوله: ((إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته))[3].

ثم أعقب ذكره للأحاديث كلامه الذي يوضح فيه معتقده ورأيه في هذه المسألة.

فقد صدَّر كلامه بذكر قول جمهور أهل السنة في أن الضمير في هذه الأحاديث يعود على الله سبحانه، وهو قولٌ يراه خطأ، وقد ذكره على سبيل الرد عليه فقال: ((توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله: على صورته يريد صورة الرحمن،

---

(١) التوحيد (٨٢/١).

(٢) المصدر السابق (٨٢/١).

(٣) المصدر السابق (٨٣/١).

عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر))[١].

ثم ذكر بعد ذلك رأيه بأن معنى الحديث عنده ليس المقصود به صورة الرحمن جل جلاله، وذلك أن الضمير في هذه الأحاديث في قوله: "على صورته" يعود إلى المضروب، ثم ذكر علة نهي النبي ﷺ عن ذلك، وهي أن وجه آدم شبيه بوجه بنيه، فإذا قبح أحدٌ وجه بني آدم يكون هذا التقبيح راجعًا لآدم عليه السلام، يقول ~ : ((معنى قوله (خلق آدم على صورته) الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه فزجر أن يقول: "ووجه من أشبه وجهك" لأن وجه آدم شبيه وجوه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: "قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك" كان مقبحًا وجه آدم صلوات الله عليه وسلامه، الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم))[٢].

❑ ثانيًا: رأيه في حديث (فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن).

وصف ابن خزيمة هذا اللفظ بالغموض في ما يدل عليه في بداية ذكره له، فقال: ((وقد رويت في نحو هذا لفظة أغمض -يعني من اللفظة التي ذكرناها في خبر أبي هريرة... عن ابن عمر قال: قال رسول الله: (لا تقبحوا الوجه؛ فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن))[٣].

وبعد إيراده للحديث ذكر قول من اعتقد -بناء على هذا اللفظ- أن الصورة التي خلق الله عليها آدم هي صورته تعالى، مخطِّئًا لهم، بل إنه وصف أصحاب هذا الرأي بشناعة القول، والوقوع فيما نزه الله نفسه عنه وهو التشبيه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فقال في ذلك: ((وقد افتتن بهذه اللفظة التي في خبر عطاء عالمٌ ممن

---

(١) التوحيد (٨٤/١).

(٢) المصدر السابق (٨٤/١).

(٣) المصدر السابق (٨٥/١).

لم يتحر العلم، وتوهموا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر من إضافة صفات الذات، فغلطوا في هذا غلطًا بينًا، وقالوا مقالة شنيعة مضاهية لقول المشبهة أعاذنا الله وكل المسلمين من قولهم))[١].

وبعد ذلك ذكر ابن خزيمة قوله وما يعتقده في معنى الحديث، معلِّقًا رأيه بثبوت صحة الحديث، وبين ذلك بأن الحديث عنده فيه علل قد تقدح في صحته وثبوته.

أما العلل التي ذكرها فهي في سنده:

أولاً: أن الثوري[٢] خالف الأعمش[٣]، فرواه عن حبيب بن أبي ثابت[٤]، عن عطاء[٥]، عن رسول الله ﷺ: مرسلاً.

---

(١) التوحيد (٨٥/١).

(٢) هو: أبو عبدالله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، الإمام الفقيه المحدث الجليل، توفي بالبصرة سنة: ١٦٢هـ، انظر: الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد الزهري، د.ط، (دار الفكر، د.ت) (٣٧١/٦)، الجرح والتعديل للرازي (٥٥/١)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٥١/٩)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢٠٣/١).

(٣) هو: أبو محمد، سليمان بن مهران، مولى بني كامل من ولد أسد، المعروف بالأعمش الكوفي، الإمام المشهور، شيخ المقرئين والمحدثين، كان ثقة عالماً فاضلاً، ولد سنة: ٦١هـ، وقيل سنة: ٦٠هـ، وتوفي سنة: ١٤٨هـ. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣/٩)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤٠٠/٢)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢٦/٦).

(٤) هو: أبو يحيى، حبيب بن قيس ويقال: هند بن دينار الأسدي مولاهم، الكوفي، فقيه جليل، كان كثير الإرسال والتدليس، مات سنة: ١٢٢هـ، انظر: الجرح والتعديل للرازي (١٣٩/١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢٨/٥)، وتقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، د.ط، (دار المعرفة، بيروت، د.ت) (١٤٨/١).

(٥) هو: أبو محمد، عطاء بن أبي رباح أسلم، القريشي مولاهم، المكي، من أئمة التابعين، ولد في خلافة عثمان، كان عابدًا، فقيهًا عالمًا، كثير الحديث، مات سنة: ١١٤هـن وقيل سنة: ١١٥هـ، انظر: الجرح والتعديل للرازي (٣٣٠/٦)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٧٨/٥)، وشذرات الذهب لابن العماد (٦٩/٢).

ثانيًا: أن الأعمش مدلس، وقد عنعن.

ثالثًا: أن حبيب بن أبي ثابت مدلس، وقد عنعن.

يقول ~ : ((فإن في الخبر عللا ثلاثًا:

إحداهن أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده، فأرسل الثوري ولم يقل عن ابن عمر.

والثانية أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

والثالثة أن حبيب بن أبي ثابت أيضا مدلس، لم يعلم أنه سمعه من عطاء))(١).

ثم بعد أن ذكر العلل التي قد ترد على حديث ابن عمر السابق، ذكر أن الحديث إن سلم منها؛ فإن الخبر يؤول على أن الإضافة في الحديث من إضافة الخلق لا إضافة الصفة؛ وعليه يكون معنى الحديث: أن ابن آدم خُلق على الصورة التي صور الرحمنُ آدمَ عليها حين خلقه، وهي المذكورة في حديث "خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا.."

يقول ~ : ((فمعنى هذا الخبر عندنا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه، لأن الخلق يضاف إلى الرحمن إذ الله خلقه، وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن لأن الله صورها، ألم تسمع قوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾(٢)، فأضاف الله الخلق إلى نفسه إذ الله تولى خلقه))(٣).

وهو بذلك أيد تأويله بأمرين:

الأول: قاعدة المضاف إلى الله.

---

(١) التوحيد (٨٧/١).

(٢) سورة: لقمان، الآية: ١١.

(٣) التوحيد (٩٠/١).

الثاني: حديث ((خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا)).

فالقاعدة أن المضاف إلى الله ﷻ نوعان، إضافة أعيان وإضافة أوصاف، وقد جعل ابن خزيمة الصورة في هذا الحديث من إضافة الخلق لا إضافة الصفة، ثم إنه أورد ~ أمثلة عدة من القرآن لتأكيد دلالة تلك القاعدة على تأويله كناقة الله، يقول: ((كذلك قول الله ﷻ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾[1] فأضاف الله الناقة إلى نفسه وقال: ﴿تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾[3] قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[4]؛ فأضاف الله الأرض إلى نفسه إذ الله تولى خلقها فبسطها وقال: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[5]، فأضاف الله الفطرة إلى نفسه إذ الله فطر الناس عليها فما أضاف الله إلى نفسه على معنيين:

أحدهما إضافة الذات والآخر إضافة الخلق فتفهموا هذين المعنيين لا تغالطوا))[6].

أما حديث ((خلق آدم على صورته وطوله ستون ذراعا))، فقد استدل به على تأويله أن معنى الصورة في قوله ﷺ (على صورة الرحمن) هي ((صورة آدم ستون ذراعا التي أخبر النبي أن آدم ؈ خلق عليها))[7]، وأكد بأن هذا هو مراد الحديث وليس المراد ((ما توهم بعض من لم يتحر العلم فظن أن قوله على صورته صورة الرحمن صفة

---

(١) سورة: الأعراف، الآية: ٧٣.

(٢) سورة: الأعراف، الآية: ٧٣.

(٣) سورة: النساء، الآية: ٩٧.

(٤) سورة: الأعراف، الآية: ١٢٨.

(٥) سورة: الروم، الآية: ٣٠.

(٦) التوحيد (٩١/١).

(٧) المصدر السابق (٩٤/١).

من صفات ذاته))[١].

ومن خلال ما سبق تبين رأيه في حديث ((خلق آدم على صورته وطوله ستون ذراعًا)) حيث إنه جعل الضمير فيه عائدًا على آدم عليه السلام، ونزه الله سبحانه وتعالى عن جعل الضمير عائدًا له، لأن في ذلك -على رأيه- تشبيهًا له بالمخلوق، ووصفه سبحانه ((بالموتان والأبشار))[٢]، بل جعله قولاً مشابهًا للجهمية والرافضة الغالين، حيث يقول: ((جل وعلا عن أن يوصف بالموتان والأبشار، قد نزه الله نفسه وقدس عن صفات المخلوقين فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣] وهو كما وصف نفسه في كتابه على لسان نبيه، لا كصفات المخلوقين من الحيوان، ولا من الموتان كما شبه الجهمية معبودهم بالموتان، ولا كما شبه الغالية من الروافض معبودهم ببني آدم، قبح الله هذين القولين وقائلهما))[٤].

لذا ختم ~ هذا الباب بإيراد حديث نزول سورة الإخلاص، إشارةً منه إلى تأكيد تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشبيه بقول القائل إن الله خلق آدم على صورته، قال:))عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله: أنسب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[٥]، قال: ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء))[٦].

مناقشة أقوال ابن خزيمة في أحاديث الصورة.

أولاً: مناقشة قوله بأن الضمير في أحاديث النهي عن ضرب الوجه وتقبيحه عائد على المضروب:

---

(١) التوحيد (٩٤/١).

(٢) المصدر السابق (٩٤/١).

(٣) سورة: الشورى، الآية: ١١.

(٤) التوحيد (٩٤/١).

(٥) سورة: الإخلاص، الآية: ١-٤.

(٦) التوحيد (٩٥/١).

تبين مما سبق أن ابن خزيمة ~ ترجح عنده القول بأن الضمير في هذه الأحاديث عائدٌ على المضروب لا على الله ﷻ، وهذا القول قول مخالف لصريح الأحاديث، وهو قول محجوج بإجماع جماهير السلف، يقول عبدالله بن الإمام أحمد: ((قال رجل لأبي: إن رجلاً قال: خلق آدم على صورته، أي: صورة الرجل، فقال: كذب، هو قول الجهمية))(١).

وقد بين ابن تيمية موقف ابن خزيمة ذاكرًا أن قوله ليس عليه دليل فقال:

((وفيمن جعل الضمير عائدًا على المضروب في الحديث ابن خزيمة، لكنه لم يحتج في ذلك بحديث، لأنه كان إمامًا في الحديث والفقه يعلم أنه ليس في هذا حديث))(٢).

وذكر ابن تيمية ثلاثة عشر وجهًا لإبطال هذا القول منها:

١-أنه لو كان المراد كذلك لما صح أن يكون الضمير مفردًا "صورته"؛ ذلك أن الله خلق آدم على صور بنيه كلهم، يؤكد هذا قوله ﷺ:"وإذا قاتل أحدكم"، "وإذا ضرب أحدكم" فهو بلا ريب عام في كل مضروب، فتخصيص واحد بالذكر بعيد المعنى.

٢-أن ذرية آدم هم المخلوقون على صورة آدم، لم يخلق آدم على صورهم، فمثل هذا الخطاب إنما يقال فيه: خُلق الثاني المتأخر في الوجود على صورة الأول المتقدم في الوجود، لا العكس، فالمقيس يكون متأخرًا في الذكر على المقيس عليه.

٣-أنه لو أريد مجرد المشابهة لآدم وذريته لم يحتج إلى لفظ: خلق على كذا؛ فإن عبارة "خلق" إنما تستعمل فيما فعل على مثال غيره، بل يقال: فإن وجهه يشبه وجه آدم، أو فإن صورته تشبه صورة آدم.

٤-أنه لو كانت العلة في النهي عن شتم الوجه وتقبيحه أنه يشبه وجه آدم؛ لنُهيَ

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٨٣/٥).

(٢) جواب الاعتراضات المصرية (١٧٤).

أيضًا عن الشتم والتقبيح لسائر الأعضاء، لا يقولن أحدكم قطع الله يدك ويد من أشبه يدك.

٥-أن الرواية التي ذُكر فيها "على صورة الرحمن" لفظ قاطع في رد هذا التأويل[1].

ثانيًا: مناقشة قوله في لفظ على "صورة الرحمن" وفي حديث "خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا.." من جهتين:

الأولى: من جهة سند حديث "على صورة الرحمن"

فقد أورد ابن خزيمة عللاً ثلاثًا لهذه الرواية وقد تصدى لهذه العلل والرد عليها العلماء، وبيان ذلك بما يأتي:

أما العلة الأولى وهي مخالفة الثوري للأعمش وروايته عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن رسول الله مرسلاً؛ فقد أجاب ابن تيمية على هذه العلة بتصحيح الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه للحديث، ((وهما أجل من ابن خزيمة، باتفاق الناس.

وأيضًا: فمن المعلوم أن عطاء بن أبي رباح إذا أرسل هذا الحديث عن النبي ﷺ، فلا بد أن يكون سمعه من أحد، وإذا كان في أحد الطريقين قد بين أنه أخذه من ابن عمر كان هذا بيانًا وتفسيرًا لما تركه وحذفه من الطريق الأخرى، ولم يكن هذا اختلافًا أصلاً.

وأيضًا: فلو قُدر أن عطاء لم يذكره إلا مرسلاً عن النبي ﷺ، فمن المعلوم أن عطاء من أجل التابعين قدرًا... ومعلوم أن مثل عطاء لو أفتى في مسألة فقه بموجب خبر أرسله لكان ذلك يقتضي ثبوته عنده، فإذا كان قد جزم بهذا الخبر عن النبي ﷺ أيستجيز ذلك من غير أن يكون ثابتًا عنده؟! أو يكون سمعه من مجهول لا يُعرف، أو كذاب، أو سيئ الحفظ؟!

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/٤٨٠).

وأيضاً: فاتفاق السلف على رواية هذا الخبر ونحوه، مثل: عطاء بن أبي رباح، وحبيب بن أبي ثابت، والأعمش، والثوري، وأصحابهم، من غير نكير سُمع من أحد لمثل ذلك في ذلك العصر، مع أن هذه الروايات المتنوعة مظنة الاشتهار، دليل على أن علماء الأمة لم تنكر إطلاق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن[(١)].

أما تعليل الحديث بكون الأعمش مدلسًا، فهذا لا يوجب رد حديثه، فإن ابن حجر عدّه من الطبقة الثانية من المدلسين، وهم ((من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له في الصحيح لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى))[(٢)].

وقد أجاب ابن تيمية عن العلة الثانية والثالثة بتلقي العلماء رواية الأعمش عنه، وموافقة الثوري والعلماء على روايته عن ذلك الشيخ بعينه، وكذلك في قوله حبيب مدلس، فقد أخذه عنه هؤلاء الأئمة[(٣)].

كما أنه بين أن أقل أحوال هذا اللفظ (على صورة الرحمن) الحكم بحسنه، قال ~ : ((وأيضًا فقد روي بهذا اللفظ من طريق أبي هريرة، والحديث المروي من طريقين مختلفين لم يتواطأ رواتهما، يؤيد أحدهما الآخر، ويستشهد به، ويعتبر به، بل قد يفيد ذلك العلم... ولهذا يجعل الترمذي وغيره الحديث الحسن: ما روي من وجهين ولم يكن في طريقه متهم بالكذب، ولا كان مخالفًا للأخبار المشهورة،

----

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٦/٤٤٣-٤٤٦)،.

(٢) طبقات المدلسين (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس)، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عاصم عبدالله القريوتي، الطبعة: الأولى، (مكتبة المنار، الأردن، ، د.ت) (١٣)، وانظر للاستزادة بحث (في قوله: ﷺ:خلق الله آدم على صورته)، لبدر بن محمد ناضرين، (ضمن بحوث السنة المنهجية لمرحلة الدكتوراه، قسم العقيدة، جامعة: أم القرى، عام: ١٤٢٨هـ، ١٤٢٩هـ)، الموقع: jannah.com٢www.way،ففيه تحقيق جيد أفدتُ منه في مناقشة علل ابن خزيمة في حديث خلق آدم على صورة الرحمن.

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/٤٥٠-٤٥١)، وانظر للاستزادة بحث (في قوله: ﷺ خلق الله آدم على صورته)، لبدر بن محمد ناضرين، (١٣-١٦).

وأدنى أحوال هذا اللفظ أن يكون بهذه المنزلة))[(١)].

الجهة الثانية إعادة الضمير إلى آدم عليه السلام.

ذكر ابن خزيمة تأويلاً لقوله ﷺ ((على صورة الرحمن)) -حال ثبوت صحة الحديث- أن الصورة هنا ليست مما يضاف إلى الله إضافة صفة، بل إنما أضيفت إلى الله إضافة خلق، فهي الصورة التي خلق آدمَ عليها، وهو المعنى المراد من حديث "خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا.." فالضمير فيه يعود على آدم، وعلى هذا نجد أن قوله في الحديثين متفق على أن الضمير فيهما يعود على آدم عليه السلام، وهذا القول مردود غير صحيح، وقد أجاب ابن تيمية على ذلك التأويل، ومما أجاب به ما يأتي:

١- أنه لم يكن لآدم قبل خلقه صورة مخلوقة، خلق آدم عليها.

٢- لا بد أن يكون للعين المضافة معنى يختص بها، وإلا فإن الصورة المخلوقة مشاركة لجميع الصور في كون الله خلقها، وأيضًا سائر الأعضاء مشاركة للصورة التي هي الوجه في كون الله خلق ذلك جميعه.

٣- لو كانت الإضافة إضافة خلق، لوجب ألا يُضرب شيء من الأعضاء، لأن الله خلقها كلها.

٤- ولو كان النهي عن ضرب الوجه لكونه مشابهًا لصورة الله خلقها، لكان هذا عدولاً عن العلة الكاملة إلى علة ناقصة، فمعلوم أن النهي عن ضرب الوجه لكون الله خلقه أبلغ من النهي عن ضربه لمشابهة صورة الله خلقها.

٥- من المعلوم عن الخاصة والعامة أن الله خلق آدم، فلو لم يكن معنى الحديث إلا إضافة الخلق، لكان قوله: (خلق آدم) كافيًا[(٢)].

وبعد هذا العرض تبين أن ابن خزيمة ~ لم ينفِ إضافة الصورة إلى الله

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٦/٤٤٦-٤٤٧)، وانظر بحث (في قوله: ﷺ خلق الله آدم على صورته)، لبدر بن محمد ناضرين، (١٣-١٦).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/٤٣٣-٤٤١)،

سبحانه، ولكنه تأول أحاديث خلق آدم على صورته ﷻ بجميع ألفاظه، ولم يثبت حقائقها الظاهرة.

وتأويله ذلك لم يتابعه عليه الأئمة لا قبله ولا بعده[(١)]، بل جمهور السلف على إثبات أحاديث الصورة وأن الله خلق آدم ﵇ على صورته، فقوله ~ محجوج بإجماع جماهير السلف كما سبق، وقوله هذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فهذا وأمثاله من التأويل لا نقبله، ولا نلتفت إليه، بل نوافق ما اتفق الجمهور عليه))[(٢)].

وبالرغم من ذلك فقد عُدَّ قول ابن خزيمة ذلك خطأً منه وزلة، وهو خطأٌ لا يطعن فيه ولا يقدح في إمامته، والأمر في هذا كما قال ابن المديني[(٣)] فيما نقله عنه شيخ الإسلام فقال: ((ذكر الحافظ أبو موسى المديني فيما جمعه من مناقب الإمام المقلب بقوام السنة: أبي القاسم إسماعيل بن محمد التميمي، صاحب كتاب الترغيب والترهيب، قال: سمعته يقول: أخطأ محمد بن إسحاق بن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه بذلك بل لا يؤخذ عنه فحسب، قال أبو موسى: أشار بذلك إلى أنه قلَّ من إمام إلا وله زلة، فإذا ترك ذلك الإمام لأجل زلته، ترك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يفعل)) [(٤)].

ويقول الذهبي: ((ولو كل من أخطأ في اجتهاده –مع صحة إيمانه وتوخيه الحق-

---

(١) انظر: جواب الاعتراضات المصرية لابن تيمية (١٧٠).

(٢) المصدر السابق (١٧٠).

(٣) هو: أبو موسى، محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى المديني، الأصبهاني، الشافعي، شيخ المحدثين، ولد سنة: ٥٠١هـ، تقدم في علم الرواية وعلو الإسناد، وبلغ مبلغًا في الحفظ والإتقان، كان متواضعًا ورعًا عابدًا، له تصانيف عدة، منها: "معرفة الصحابة"، و"الطوالات"، وغيرها، توفي سنة: ٥٨١هـ، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٣٣٤/٤) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٥٢/٢١).وشذرات الذهب لابن العماد (٤٤٨/٦)

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٤٠٩/٦).

أهدرناه وبدعناه لقل من يسلم من الأئمة))[1]، ذلك أن ابن خزيمة ~ معروف بإمامته في السنة وتقدم معرفته بها، وله قدم صدق في إثبات الصفات والذب عنها أمام كل منحرف فيها بتعطيل أو تأويل.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٧٤).

المطلب الرابع: صفة العين

صفة العين من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله(١)، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(الطور:٤٨).

وهي من الصفات الذاتية الخبرية(٢).

وقد ذكر ابن خزيمة هذه الصفة في كتابه، وبين منهج أهل السنة فيها، على ما سأبين -بإذن الله تعالى- في هذا المطلب.

ويتضمن الحديث عن هذه الصفة المسائل الآتية:

۞ المسألة الأولى: الأدلة على صفة العين

دل على صفة العين لله ﷻ الكتاب والسنة والإجماع.

أولاً: الأدلة من القرآن.

ذُكرت العين في القرآن بصيغة المفرد، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾(طه:٣٩)، وذكرت كذلك بصيغة الجمع والآيات فيها ما يأتي:

١-قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(هود:٣٧).

٢-وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(الطور:٤٨).

٣-وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾(القمر:١٤).

ثانيًا: الأدلة من السنة

١-قوله ﷺ عندما ذُكر عنده الدجال: ((إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس

---

(١) انظر: نقض الدارمي (٣٠٥/١)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٣١/٣)، والإبانة عن أصول الديانة للأشعري (٤٥/١)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٢٦٢/٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١٧٢/٢)، والأسماء والصفات للبيهقي (١٨٨/٢)، وكتاب الاعتقاد للبيهقي (٣٨-٤١).

(٢) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (٢٥٧/١).

بأعور -وأشار بيده إلى عينه- وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية))[١].

٢-حديث أبي هريرة أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[٢] إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[٣]، قال: ((رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه))[٤].

ثالثًا: الإجماع

تقرر إجماع السلف -رحمهم الله- على إثبات صفة العين.

يقول أبو الحسن الأشعري: ((هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة، جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرارُ بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردّون من ذلك شيئاً، وأن الله سبحانه إله واحد فرد صمد... إلى أن قال: وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾))[٥].

ويقول الصابوني: ((وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها

----

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾، (٣٨٩/١٣، برقم:٦٩٧٢)، من حديث نافع بن عبدالله ﷺ، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، (١٠٧/١، برقم: ٤٤٤)، من حديث عبدالله بن عمر { ، واللفظ للبخاري.

(٢) سورة: النساء، الآية: ٥٨.

(٣) سورة: النساء، الآية: ٥٨.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في الجهمية، (٣٧٣/٤، برقم:٤٧٣٠)، والحاكم في المستدرك، كتاب: الإيمان، (٧٥/١، برقم: ٦٣)، من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ لأبي داود.

(٥) مقالات الإسلاميين (٣٤٣/١)، وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٨٢/١).

القرآن، ووردت بها الأخبار من السمع والبصر والعين والوجه))[١].

وقد نقل ابن خزيمة إجماع أهل السنة على إثبات العين لله ﷻ[٢].

۞ المسألة الثانية: منهج أهل السنة في صفة العين

-يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله يبصر بعين على ما يليق به ﷻ، من غير تحريف ولا تعطيل لمعناها، ومن غير اعتقاد كيفية لها ولا تمثيل بصفات المخلوقين[٣].

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي[٤] في كتاب العقيدة له: ((أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله الاستواء والنزول والنفس واليد والعين، فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل، إذ لولا أخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى))[٥].

-ويعتقد كذلك أهل السنة أن لله عينان تليقان به ﷻ[٦].

وقد دل على أنها عينان:

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٧).

(٢) انظر: التوحيد (١/١١٤).

(٣) انظر: نقض الدارمي (١/٣٠٥)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٣/١٣١)، والإبانة عن أصول الديانة للأشعري (١/٤٥)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٦/٢٦٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/١٧٢)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٨٨)، وكتاب الاعتقاد للبيهقي (٣٨-٤١).

(٤) هو: أبو حفص، وأبو عبدالله، شهاب الدين، عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله القرشي التيمي البكري السهروردي، صوفي، شافعي، ولد سنة: ٥٣٩هـ، من مصنفاته: "عوارف المعارف"، و"المشيخة"، و"أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى"، وغيرها، توفي في بغداد سنة: ٦٣٢هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢/٣٧٥) وطبقات الشافعية للسبكي (٨/٣٣٨)، وشذرات الذهب لابن العماد (٧/٢٦٨).

(٥) نقله ابن حجر، فتح الباري (١٠/١٥٦).

(٦) انظر: نقض الدارمي (١/٣٠٥)، وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤/١٥)، ومختصر الصواعق للموصلي (١/٦٦).

-الإجماع، فقد أجمع أهل السنة على أن لله عينين.

يقول الأشعري: ((وقال أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله ﷻ أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ، فنقول: وجه بلا كيف، ويدان وعينان بلا كيف))[1].

وقال في موضع آخر: ((وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله... وأن له عينين بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾))[2].

ويقول ابن خزيمة حاكيًا الإجماع على ذلك: ((نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما))[3].

-الاستدلال بحديث (إن ربكم ليس بأعور)، يقول الدارمي بعد إيراده لهذا الحديث: ((ففي تأويل قول رسول الله أن الله ليس بأعور بيان أنه بصيرٌ ذو عينين خلاف الأعور))[4].

ويقول ابن القيم: ((وقول النبي ﷺ: ((إن ربكم ليس بأعور)) صريحٌ في أنه ليس المراد إثبات عين واحدة، فإن ذلك عورٌ ظاهرٌ تعالى الله عنه))[5].

ولا تعارض بين الإجماع على أنهما عينان وبين ذكر العين في القرآن بصيغة الجمع والإفراد، ذلك أن القاعدة عند أهل اللغة[6] أن المثنى إذا أضيف إلى ضمير

----

(١) مقالات الإسلاميين (٢٩٠/١).

(٢) الإبانة عن أصول الديانة (٢٦).

(٣) التوحيد (١١٤/١).

(٤) نقض الدارمي (٣٢٧/١)، وانظر: وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١٥/٤).

(٥) مختصر الصواعق للموصلي (٦٦/١).

(٦) يقول ابن مالك: ((إذا أضيف جزآن إلى كليهما، ولم يفرق المضاف إليه جاز في المضاف أن يجمع، وأن يوحد، وأن يثنى، والجمع أجود كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، وكقوله عليه الصلاة والسلام: "إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه"))، شرح الكافية الشافية، لجمال الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني، تحقيق: الدكتور أحمد عبدالمنعم هريدي، الطبعة: الأولى، (دار المأمون =

التثنية أو ضمير الجمع؛ فإن الأفصح أن يجمع، مع جواز التثنية، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾(التحريم:٤)، وإنما هما قلبان[(١)].

۞ المسألة الثالثة: منهج ابن خزيمة في تقرير صفة العين والرد على المخالفين

أولاً: منهجه في إثبات الصفة والاستدلال لها

بوب ابن خزيمة في كتابه التوحيد: "باب ذكر إثبات العين لله جل وعلا"، نبه في أوله أن إثبات هذه الصفة مبنيٌ على ما يرد في الكتاب والسنة، قال: ((على ما ثبته الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه))[(٢)].

ثم بعدها سرد أدلة إثبات صفة العين له ﷻ من القرآن والسنة، فذكر الآيات المذكورة في بداية المطلب، ثم روى بسنده بعد ذلك الأحاديثَ الدالة على صفة العين وهي:

أولاً: ذكر حديث أبي هريرة ﷺ: ((أنه قال في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾(النساء:٥٨)، رأيت رسول الله يضع أبهامه يديه على أذنه، وأصبعه التي تليها على عينه قال أبو هريرة ﷺ: رأيت رسول الله يفعل ذلك))[(٣)].

ثانيًا: ذكر حديث: ((إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأنها عنبة طافية))[(٤)].

و الظاهر أنه باستدلاله بهذا الحديث يشير إلى إثبات العينين لله تعالى؛ لذا قال

= للتراث، عام: ١٤٠٢هـ) (١٧٨٧/٤).

(١) انظر: مختصر الصواعق للموصلي، (٧١/١-٧٢).

(٢) التوحيد (٩٦/١).

(٣) سبق تخريجه ص٢٤٩.

(٤) سبق تخريجه ص٢٤٨.

بعدها: ((فبين النبي أن لله عينين، فكان بيانه موافقًا لبيان محكم التنزيل))[١].

وقد ركز أثناء استدلاله على قضيتين مهمتين:

الأولى: في بيان الواجب على المسلم تجاه ما يرد من صفات الله في كتابه أو سنة رسوله ﷺ، وهو التسليم لها والإيمان بها، بل إنه نفى الإيمان عن كل من نفى شيئاً مما ورد من صفاته.

الثانية: وهي قضية غاية في الأهمية؛ ألا وهي: أن السنة جاءت مبينة لما في القرآن الكريم ومتممة، وكأنه بذلك يشير إلى من يردُّ شيئًا من الصفات لكونه لم يَرِدْ في القرآن الكريم، والقول بنفي الإيمان عنه، ومن ذلك إثبات العينين لله ﷻ، وهذا الذي صرح به، يقول ~ : ((فواجبٌ على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالقُ البارئُ لنفسه من العين، وغيرُ مؤمنٍ من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبته الله في محكم تنزيله ببيان النبي الذي جعله الله مبيناً عنه ﷻ في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢] فبين النبي أن لله عينين، فكان بيانه موافقًا لبيان محكم التنزيل، الذي هو مسطورٌ بين الدفتين، مقروءٌ في المحاريب والكتاتيب))[٣].

ثانيًا: منهجه في ذكر المخالفين والرد عليهم

بعد أن ذكر ابن خزيمة منهج أهل السنة في صفة العين أشار إلى منهج المعطلة ورد عليهم من خلال دفاعه عن أهل السنة المثبتين للصفات، وتبرئتهم من فرية الجهمية المعطلة؛ ألا وهي دعواهم بأنهم مشبهة لإثباتهم العين لله، وهم كذلك براء من هذا الإدعاء؛ كيف لا وهم خير الخلق بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

يقول ~ : ((فاسمعوا يا ذوي الحجا ما نقول في هذا الباب، ونذكر بهت

---

(١) التوحيد (٩٧/١).

(٢) سورة: النحل، الآية: ٤٤.

(٣) التوحيد (٩٧/١).

الجهمية وزورهم وكذبهم على علماء أهل الآثار، ورميهم خيار الخلق بعد الأنبياء بما اللهُ قد نزههم عنه وبرأهم منه، بتزور الجهمية على علمائنا إنهم مشبهة، فاسمعوا ما أقول وأبين من مذاهب علمائنا؛ تعلموا وتستيقنوا بتوفيق خالقنا أن هؤلاء المعطلة يبهتون العلماء ويرمونهم بما الله نزههم عنه))[1].

ثم فصّل بعد ذلك في بيان سلامة منهج أهل السنة من الوقوع في التشبيه، الأمر الذي تضمن في ثناياه الردَّ على هؤلاء المعطلة المنكرين لصفة العين، وقد شمل هذا الرد الجوانب الآتية:

-رده عليهم بذكر الفروق بين عين الله وأعين المخلوقين، فالله سبحانه له ((عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السموات العلى وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفى على خالقنا خافيةٌ في السموات السبع والأرضين السبع، ولا مما بينهم ولا فوقهم ولا أسفل منهن، لا يغيب عن بصره من ذلك شيءٌ، يرى ما في جوف البحار ولُجَجِها، كما يرى عرشَه الذي هو مستوٍ عليه))[2].

وفرقٌ بين من كانت هذه صفة عينه وبين بني آدم اللذين ((وإن كانت لهم عيونٌ يبصرون بها فإنهم إنما يرون ما قرب من أبصارهم مما لا حجاب ولا ستر بين المرئي، وبين أبصارهم وما يبعد منهم، وإن كان يقع اسمُ القرب عليه في بعض الأحوال؛ لأن العرب التي خوطبنا بلغتها قد تقول: قريةُ كذا منا قريبة، وبلدةُ كذا قريبةٌ منا ومن بلدنا، ومنزلُ فلان قريبٌ منَّا، وإن كان بين البلدين وبين القريتين وبين المنزلين فراسخُ، والبصير من بني آدم لا يدرك ببصره شخصًا آخر من بني آدم وبينهما فرسخان فأكثر، وكذلك لا يرى أحدٌ من الآدميين ما تحت الأرض إذا كان فوق المرئي من الأرض والتراب قدر أنملة أو أقل منها بقدر ما يغطى ويوارى الشيء، وكذلك لا يدرك ببصره إذا كان بينهما حجاب من حائط أو ثوب صفيق أو غيرهما

---

(١) التوحيد (١/١١٤).

(٢) المصدر السابق (١/١١٤).

مما يستر الشيء عن عين الناظر))[(١)].

وهو بذلك يؤكد على القاعدة التي استقاها أهلُ العلم بعده من سلفهم الصالح، وهي قاعدة: (صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته)[(٢)].

وهذه القاعدة من أهم القواعد التي اعتمدها أهل العلم في تقرير الصفات والرد على المخالفين، ومما يؤكد أهميتها: أن عدم فهمها يؤدي إلى الانحراف في باب الصفات، يقول ابن تيمية: ((ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه))[(٣)].

والقاعدة -كما سبق ذكره- تفيد أنه لا تناسب بين الخالق والمخلوق، فالله ﷻ متصفٌ بالعين حقيقةً والإنسان كذلك، ولا يلزم من ذلك أن تكون عينُهُ من جنس عينِ المخلوق، ولا يلزم منه تشبيهَ عينِ الله ذي الكمال والجلال، بعين المخلوق ذي النقص والافتقار.

لذا أتبع ابنُ خزيمة ذلك البيان بالاستفهام مستنكرًا على المعطلة قولهم فيقول:))فكيف يكون يا ذوى الحجا مشبِّهًا من يَصِفُ عينَ الله بما ذكرنا وأعْيُن بني آدم بما وصفنا))[(٤)].

ومما أضافه ~ لزيادة البيان والتوضيح في تأكيد الفرق بين الخالق والمخلوق وعدم المشابهة بينهما قوله: ((ونزيد شرحًا وبيانًا نقول: عينُ الله ﷻ قديمةٌ لم تزل باقية، ولا يزال محكومٌ لها بالبقاء، منفيٌ عنها الهلاكَ والفناءَ، وعيونُ بني آدم محدثةٌ مخلوقةٌ، كانت عدماً غيرَ مُكَوَّنةٍ فكوَّنها اللهُ وخلقها بكلامه الذي هو

---

(١) التوحيد (١١٤/١).

(٢) انظر: الفتوى الحموية لابن تيمية (٨٦/١).

(٣) المصدر السابق (٨٦/١).

(٤) التوحيد (١١٥/١).

صفة من صفات ذاته، وقد قضى اللّهُ وقدَّر أن عيونَ بني آدم تصير إلى بلاء عن قليل، واللّهَ نسأل خيرَ ذلك المصير، وقد يعمي اللّهُ عيونَ كثير من الآدميين فيذهب بأبصارها قبل نزول المنايا بهم، ولعل كثيراً من أبصار الآدميين قد سلط خالقُنا عليها ديدانَ الأرض حتى تأكُلَها وتفنيها بعد نزول المنية))(١).

وبيانه ذلك يؤكد منافاة التناسب بين صفات الخالق وصفات المخلوق، لذا استنكر ~ قول من تذرع بذريعة التشبيه لنفي الصفات بعد توضيحه ذلك قائلاً: ((فما الذي يشبه يا ذوي الحجا عين اللّه التي هي موصوفة بما ذكرنا عيون بني آدم التي وصفناها بعد))(٢).

-استخدامه المجادلة العقلية والمحاجة باستخدام قاعدة القدر المشترك.

فقد ألزم ابن خزيمة ~ المعطلة بتأكيده على أن الاشتراك في الاسم لا يلزم منه التشابه في الحقيقة بين الخالق والمخلوق، وألزمهم أيضًا بالتسليم لهذه الحقيقة، وبيان ذلك بما يأتي:

-ذكر ~ ابتداء أنه لو قيل لمخلوق ((لا عِلةَ بعينْهِ ولا نقصَ، بل هو أعينُ، أكحلُ، أسودُ الحدق، شديدُ بياض العينين، أهدبُ الأشفار: عينُك كعين فلان الذي هو صغيرٌ أزرقُ العين أحمرُ بياضِ العينين، قد تناثرت أشفارُه وسقطت، أو كان أخفشَ العين، أزرقَ، أحمرَ بياضِ شَحْمِها، يرى الموصوفُ الأوَّل الشخصَ من بعيد، ولا يرى الثاني مثل ذلك الشخص من قدر عُشْر ما يرى الأول، لعلةٍ في بصره أو نقصٍ في عينه))(٣) لَمَا استقام له هذا التشبيه، بل إن المشبَّه لا يسمع ذلك التشبيه ((إلا غضب من هذا وأنف منه، فلعله يخرج إلى القائل له ذلك إلى المكروه من الشتم والأذى))(٤)،

(١) التوحيد (١/١١٥).

(٢) المصدر السابق (١/١١٥)، وقال المحقق في الهامش عند هذه العبارة: "العبارة التي بين القوسين يظهر أنها هكذا: (فمن الذي...بعيون بني آدم...)، لأن هذا أظهر في الدلالة على المعنى، (١/١١٥).

(٣) المصدر السابق (١/١١٦).

(٤) المصدر السابق (١/١١٦).

بل إنه إضافة إلى ذلك فقد ((يُكَذِّب هذا المشبِّه عينَ أحدِهما بعين الآخر ويرميه بالْعَتَهِ والخَبَلِ والجنون، ويقول له: لو كنتَ عاقلاً، يجرى عليك القلمُ؛ لم تُشَبِّهْ عيني أحدهما بعيني الآخر))[1].

-وبعد ذلك أكد ~ هذا التباين بين المخلوقين فيما يكون بين الإنسان وغيره من الحيوانات، فبالرغم من التسليم الذي لا مرية فيه من أن كلاهما بصيران وكلاهما لهما أعين، لكن ((لو قيل له: عينُك كعينِ الخنزير والقردِ والدبِ والكلبِ أو غيرهما من السباع أو هوام الأرض والبهائم))[2]، يأنف لذلك التشبيه ((إذ لم يَجُزْ تشبيهُ أعين بني آدم بعيون المخلوقين من السباع والبهائم والهوام، وكلها لها عيون يبصرون بها، وعيون جميعهم محدثة مخلوقة خلقها الله بعد أن كانت عدمًا، وكلها تصير إلى فناء وبلى، وغير جائز إسقاط اسم العيون والأبصار عن شيء منها))[3]،

لذا ألزمهم بإيراد سؤالٍ بعد بيانه ذلك، مخاطبًا أهل العقول والحجا فقال: ((أَبَيْنَ عيني خالقنا الأزلي الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال، وبين عيني الإنسان من الفرقان أكثر، أو مما بين أعين بني آدم وبين عيون ما ذكرنا؟))[4].

وليس لذي لب بعد ذلك البيان إلا أن يحكم على تهمة المعطلة لأهل الآثار بالتشبيه بقوله: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾(النور:١٦).

-إيراد اللوازم الباطلة للقول، وهذا منهج آخر سلكه ابن خزيمة في الرد على شبهة المعطلة، وهو مسلك يوجب بطلان قولهم، وهذه اللوازم هي:

-تحريم قراءة القرآن الكريم، ومحو كل آية فيها ذكر هذه الصفات المشتركة من حيث اللفظ لا الحقيقة، كاليد والعين.

---

(١) التوحيد (١١٦/١).

(٢) المصدر السابق (١١٦/١).

(٣) المصدر السابق (١١٧/١).

(٤) المصدر السابق (١١٦/١).

- وكذلك يلزم من قولهم الكفر -والعياذ بالله- بكل آية فيها من صفات الرب التي وصف بها المخلوقين كوجوب الكفر بالتشبيه، لأنه في الإيمان بها وقوع بما يجب الكفر به وهو التشبيه.

يقول ~ : ((فلو كان كل ما وقع عليه الاسم كان مشبهًا لما يقع عليه ذلك الاسم؛ لم يجُزْ قراءةُ كتاب الله، ووجب مَحْوُ كلِّ آيةٍ بين الدفتين فيها ذكرُ نفْسِ اللّهِ، أو عينه أو يده، ولوجب الكفرُ بكل ما في كتاب الله ﷻ من ذكر صفات الرب كما يجب الكفر بتشبيه الخالق بالمخلوق))[1].

ولعل القوم معذورون؛ فهم في غمرة شبهاتهم يعمهون، وفي ظلمة سُبُلهم يتيهون، وهم في حقيقة حالهم كما قال ابن خزيمة ~ : ((جهلةُ لا يفهمون العلم، ولا يحسنون لغةَ العرب فيَضلون ويُضلون))[2].



----

(١) التوحيد (١١٧/١).

(٢) المصدر السابق (١١٧/١).

المطلب الخامس: صفة السمع والبصر

وردت صفتا السمع والبصر في كلام ابن خزيمة مقترنتين؛ لذا سيكون البحث في هاتين الصفتين معًا.

ولعل السبب في إيراده للسمع والبصر مجتمعَيْن كثرةُ اقترانهما في النصوص.

والسمع والبصر من صفات الله الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة(١).

والبحث فيهما يشمل المسائل الآتية:

۞ المسألة الأولى: معنى السمع والبصر.

من خلال كلام أهل العلم يتبين أن السمع هو: إدراك المسموعات، والبصر هو: إدراك المرئيات.

يقول البيهقي: ((السميع من له سمع يدرك به المسموعات ... والبصير من له بصر يرى به المرئيات))(٢).

ويقول ابن القيم: ((السميع الذي يلزمه إدراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات))(٣).

۞ المسألة الثانية: الأدلة على إثبات صفتي السمع والبصر.

أولاً: أدلة السمع

الآيات الدالة على السمع كثيرة جدًا، وقد ((عبرت عنه الآيات بكل صيغ

---

(١) انظر: نقض الدارمي (٣٠٠/١)، والإبانة للأشعري (٣٢٤)، وشرح السنة للبربهاري (٣٠)، والتوحيد لابن منده (٥٦/١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١٦٣/٢-١٦٤)، والأسماء والصفات للبيهقي (٤١٣/١)، والاعتقاد للبيهقي (٣٠)، (١٢٩)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١٧٦)، وأقاويل الثقات للمرعي (١٤٠).

(٢) الاعتقاد (٢١).

(٣) بدائع الفوائد (٢٧٧/٢).

الاشتقاق، وهي: سمع ويسمع وسميع ونسمع وأسمع))[1].كما ورد لفظ "مستمع"، وكذلك ورد المصدر (سمْع).

وقد ورد اسمه "السميع" الدال على هذه الصفة في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة.

ومن هذه الآيات:

١-قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة:١).

٢-وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه:٤٦).

٣-وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾(الزخرف:٨٠).

٤-وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ (الشعراء:١٥).

أما أدلة السنة فمنها:

١-قوله ﷺ: ((أيها الناس! ارْبَعُوا[2] على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا))[3].

٢-قول عائشة < للنبي ﷺ: ((هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهموم على

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، لمحمد خليل هراس مراجعة: عبدالرزاق عفيفي، د.ط، (مكتبة الضياء، جدة مطبعة المدني، مصر، د.ت) (٤٣).

(٢) الربع: بمعنى الرفق، أو بمعنى التوقف والانتظار، انظر: النهاية لابن الأثير، (١٨٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، (٣٧٢/١٣، برقم:٦٩٥٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، (٢٠٧٦/٤، برقم:٢٧٠٤)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم)) الحديث[1].

قول عائشة < : ((الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات؛ فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾))[2].

ثانيًا: أدلة البصر

من أسماء الله سبحانه التي دلت على صفة البصر "البصير"، وقد كثر وروده في القرآن الكريم، فورد أكثر من أربعين مرة، ومن هذه الآيات:

١-قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (آل عمران:١٥).

٢-وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (النساء:١٣٤).

٣-وقوله تعالى: ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ:١١).

أما أدلة السنة المثبتة لصفة البصر فمنها:

١-حديث أبي هريرة أنه قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (النساء:٥٨)، قال: ((رأيت رسول ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه))[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، (٣١٢/٦، برقم: ٣٢٣١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (١٤٢٠/٣، برقم: ١٧٩٥)، واللفظ للبخاري.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه (مع الفتح) تعليقًا، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، (٣٧٢/١٣)، وأخرجه مسندًا النسائي في سننه، كتاب: الطلاق، باب: الظهار، (٣٦٨/٣، رقم: ٥٦٥٤)، وابن ماجة في سننه، باب فيما أنكرت الجهمية، (٦٧/١، برقم:١٨٨)، والإمام أحمد في المسند، (٤٦/٦، برقم:٢٤٢٤١).

(٣) سبق تخريجه ص٢٤٩.

وثبوت السمع والبصر لله مجمعٌ عليه؛ يقول أبو الحسن الأشعري: ((وأجمعوا على أنه ﷻ يسمع ويرى))[١].

۞ المسألة الثالثة: منهج أهل السنة في إثبات صفتي السمع والبصر.

-يؤمن أهل السنة والجماعة بأن الله يسمع كل مسموع، لا يعزب عنه أي مسموع سرًا كان أم جهرًا، ويؤمنون بأنه سبحانه يبصر كل شيء بعينه ويراه، ولا يغيب عنه شيءٌ سبحانه[٢].

-يؤمنون بأن سمعه وبصره سبحانه حقيقة، والسمع يراد به إدراك المسموعات، والبصر يراد به إدراك المرئيات، ولا يفسرون السمع والبصر بالعلم[٣].

-يؤمنون كذلك بأن سَمْع الله ﷻ وبَصَره لا يماثل سمع المخلوقين وبصرهم[٤].

-سمع الله ﷻ له معنيان:

الأول: السمع بمعناه العام؛ وهو: إدراك المسموعات، وهو الذي سبقت الإشارة إليه ودلت عليه الأدلة السابقة.

الثاني: السمع بمعنى الإجابة، وقد دلت الأدلة من القرآن والسنة على هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[إبراهيم:٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف:٢٠٠]، وقول المصلي: (سمع الله لمن حمده)[٥].

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٥).

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٤٩/١)، والأسماء والصفات للبيهقي (٧٩/١)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١٧٩).

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٤١٣/١)، والاعتقاد للبيهقي (٣٠).

(٤) انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (٢١٣)، وكتاب التوحيد لابن منده (٤٩/١)، والأسماء والصفات للبيهقي (٧٩/١)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١٧٩).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٣/١٣)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٣٤٦/٣).

۞ المسألة الرابعة: منهج ابن خزيمة في إثبات صفتي السمع والبصر والرد على المخالفين.

أولاً: منهجه في إثبات السمع والبصر والاستدلال عليهما.

أكد ابن خزيمة على وجوب الإيمان بهاتين الصفتين وأن عدم إثباتهما قادحٌ في الإيمان بالله، يقول ~ : ((إثبات السمع والرؤية لله جل وعلا الذي هو كما وصف نفسه سميع بصير، ومن كان معبوده غير سميع بصير فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق الباري الذي هو سميع بصير))(١).

وبعد تقريره ذلك بدأ بالاستدلال على هاتين الصفتين -كعادته في منهجه- من الكتاب والسنة.

استدلاله بالآيات:

فمن الكتاب استدلاله ~ بالآيات، ومنها:

قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾(آل عمران:١٨١).

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُم﴾(الزخرف:٨٠).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾(طه:٤٦).

وغيرها من الآيات.

ومما استدل به ~ الآيات التي ورد فيها اسم الله السميع والبصير، لدلالتهما على صفتي السمع والبصر؛ لأن كل اسم يتضمن صفة كقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾(الإسراء:١).

ولم يطل في سرد تلك الآيات ذلك لأن ((استقصاء ذكر قوله السميع البصير

---

(١) التوحيد (١٠٦/١).

وسميع بصير يطول بذكر جميعه الكتاب))(١).

وقد اتجه ~ في استدلاله بالآيات إلى التوضيح والبيان، فقال بعد إيراده لقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾: ((وقال ﷻ لكليمه موسى وأخيه ابن أمه هارون يؤمنهما فرعون حين خافا أن يفرط عليهما أو أن يطغى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾، فأعلم الرحمن جل وعلا أنه سمع مخاطبة كليمه موسى وأخيه هارون عليهما السلام وما يجيبهما به فرعون))(٢).

وقال أيضًا أثناء استدلاله بقوله لموسى وأخيه: ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾(الشعراء:١٥): ((وقال ﷻ لكليمه موسى ولأخيه هارون صلوات الله عليهما: ﴿كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ فأعلم جل وعلا عباده المؤمنين أنه كان يسمع ما يقول لكليمه موسى وأخيه))(٣).

أما استدلاله بالسنة فقد استدل بحديثين:

منها: قوله ﷺ أيضا: ((أيها الناس إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعًا قريبًا))(٤).

ومن الملحوظ أنه اقتصر على أحاديث صفة السمع دون البصر، ولعل السبب في ذلك أنه اكتفى في ذلك بما أورده من أحاديث في صفة العين والتي دلت على صفة البصر(٥).

ثانيًا: منهجه في الرد على المخالفين.

لم يصرح ابن خزيمة في كلامه بمنهج المخالفين في صفتي السمع والبصر،

---

(١) التوحيد (١/١٠٨).

(٢) المصدر السابق (١/١٠٧).

(٣) المصدر السابق (١/١٠٨).

(٤) سبق تخريجه ص٢٦٠.

(٥) انظر: ص٢٥٥.

وإنما يُستنتج ذلك من خلال رده على من خالف فلم يثبت السمع والبصر، وكذلك من خلال إشارته عند ذكره للمحاجة العقلية التي جرت بين إبراهيم وأبيه فقال: ((تدبروا أيها العلماء ومقتبسو العلم مخاطبة خليل الرحمن أباه وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد تعقلوا بتوفيق خالقنا جل وعلا صحة مذهبنا وبطلان مذهب مخالفينا من الجهمية المعطلة))[1].

وهو يشير بهذا الكلام إلى المنكرين لهاتين الصفتين وهم الجهمية[2].

وقد كان رده عليهم بما يأتي:

أولاً: رد عليهم بقاعدة القدر المشترك.

ثانيًا: استخدامه للمحاجة العقلية والتي جرت بين إبراهيم وأبيه.

-أما ما يتعلق بقاعدة القدر المشترك؛ فقد ذكر ~ أن كلاً من الاستماع والرؤية قد يوصف بها المخلوق كما أن الله وصف نفسه بها، وهذا من الاشتراك في أصل المعنى لا في حقيقته وكيفيته، فقال بعد ذكره للآية: ﴿كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾: ((وهذا من الجنس الذي أقول: استماع الخالق ليس كاستماع المخلوق، قد أمر الله أيضًا موسى عليه السلام أن يستمع لما يوحي فقال: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ فلفظ الاستماعين واحد ومعناهما مختلف، لأن استماع الخالق غير استماع المخلوقين، عز ربنا وجل عن أن يشبهه شيء من خلقه، وجل عن أن يكون فعل أحد من خلقه شبيهًا بفعله عز وجل، وقال الله عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3]، وليس رؤية الله أعمال من ذكر عملهم في هذه الآية كرؤية رسول الله والمؤمنين، وإن كان اسم الرؤية يقع على رؤية الله أعمالهم وعلى رؤية رسول الله ورؤية المؤمنين))[4].

---

(١) التوحيد (١/١٠٩).

(٢) انظر كلام الجهمية في الصفات: الملل والنحل للشهرستاني (١/٧٣).

(٣) سورة: التوبة، الآية: ١٠٥.

(٤) التوحيد (١/١٠٨).

-ومما رد به على المعطلة المحاجة العقلية، وهذه المحاجة هي التي أثنى الله بها على إبراهيم، لأنها كانت حجة قاطعة -بقوة ما برهنت به- لإبطال ما ذهب إليه قومه من الضلال في عبادة غير الله، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾(الأنعام:٨٣)، ذلك أن إبراهيم عليه السلام لما قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾(مريم:٤٢)؛ قال ذلك ((مُهَجِّنًا له عبادة الأوثان...(فقال له): لم تعبد أصنامًا ناقصة في ذاتها وفي أفعالها، فلا تسمع ولا تبصر...فهذا برهان جلي دالٌ على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبحٌ عقلاً وشرعًا))[1].

لذا نجد ابن خزيمة استخدم هذه المجادلة العقلية، فهو يحتج على المعطلة الجهمية الذين نفوا عن الله السمع والبصر، تعالى أن يكون ((ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة))[2]، و((عز ربنا وجل عن أن يكون غير سميع ولا بصير))[3].

ذلك أنه من المحال أن ((يقول خليل الرحمن لأبيه آزر لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر))[4].

ولو قلنا بقول الجهمية ذلك فكأننا جعلنا الباري ((كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضا))[5]، بل إن حال من نفى عن الله السمع والبصر ((كعابد الأوثان والأصنام لا يسمع ولا يبصر أو كعابد الأنعام))[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١٩/٢).

(٢) التوحيد (١٠٩/١).

(٣) المصدر السابق (١٠٩/١).

(٤) المصدر السابق (١٠٩/١).

(٥) المصدر السابق (١٠٩/١).

(٦) المصدر السابق (١٠٩/١).

ذلك أن الله أعلمنا ((أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلاً))[1]، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(الفرقان:٤٤).

ومن كان مسلوب العقل والسمع هم الأنعام الضالة، بل قد يكون أضل من الأنعام[2].

---

(١) التوحيد (١/١١٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/٢٥٥).

المطلب السادس: صفة اليد

صفة اليد من صفات الله الذاتية الخبرية[(١)].

وهي من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله[(٢)].

وقد أورد ابن خزيمة هذه الصفة في كتابه التوحيد وأسهب الكلام فيها؛ حيث بلغ عدد الأبواب لهذه الصفة التي ذكرها: التوحيد خمسة عشر بابًا، ذكر فيها منهج أهل السنة مع استدلالهم ومنهج المخالفين لهم من المعطلة مع الرد عليهم.

ويتضمن مطلب صفة اليد المسائل الآتية:

۞ المسألة الأولى: الأدلة على صفة اليد

استفاضت الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين[(٣)]، وإجماع السلف على إثبات هذه الصفة.

فمن أدلة القرآن:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ (المائدة:٦٤).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾(ص:٧٥).

وقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾(الفتح:١٠).

وغيرها من الآيات الدالة على صفة اليد.

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٧٨/١)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢٥٧/١).

(٢) انظر: نقض الدارمي (٢٣٠/١)، والسنة لابن أبي عاصم (٢٣٨/١)، والإبانة عن أصول الديانة للأشعري (١٢٩)، والشريعة للآجري (١١٧٤/٣)، واعتقاد أهل الحديث للإسماعيلي (٣)، والتوحيد لابن منده (٨٨/٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤١٢/٣)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٦٢)، والاعتقاد للبيهقي (٣٨)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١٨٥)، وأقاويل الثقات لمرعي المقدسي (١٥٠).

(٣) انظر في أقوال الصحابة والتابعين: نقض الدارمي (٢٦١/١-٢٧٥).

أما أدلة السنة فهي كثيرة جدا ومنها:

-قوله ﷺ: ((احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحجَّ آدمُ موسى، قال موسى: أنت آدمُ الذي خلقك اللّهُ بيدِهِ، ونفخ فيك من روحِهِ، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته)) الحديث [١].

-وقوله ﷺ: ((إنَّ اللّه ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها))[٢].

-وقوله ﷺ: ((يد اللّه ملأى لا يَغِيضُها[٣] نفقة، سَحَّاء[٤] الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يَغِضْ ما في يده، وقال: وكان عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع))[٥].

وغيرها من الأدلة الكثيرة على هذه الصفة، يقول ابن القيم: ((ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك، والطي، والقبض والبسط))[٦].

وكذلك أجمع علماء الأمة على إثبات صفة اليد للّه ﷻ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: القدر، باب: تحاج آدم وموسى عند اللّه، (١١/٥٠٥، برقم: ٦٦١٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (١٦/٤٤٠، برقم:١٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، (٤/٢١١٢، برقم:٢٧٥٩)، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) ((أي لا ينقصها))، النهاية، لابن الأثير (٣/٤٠١).

(٤) ((أي دائمة الصب والهطل بالعطاء))، المصدر السابق (٢/٣٤٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: قول اللّه تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (١٣/٣٩٣، برقم:٧٤١١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، (٢/٦٩١، برقم:٣٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ للبخاري.

(٦) مختصر الصواعق للموصلي (٣/٩٨٤).

يقول أبو الحسن الأشعري حاكيًا هذا الإجماع: ((وأجمعوا على أنه ﷻ يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه))[(١)].

ويقول الإمام أبو بكر الإسماعيلي[(٢)]: ((اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أن مذهبَ أهل الحديث أهلِ السنة والجماعة: الإقرارُ بالله وملائكته وكتبه ورسله... وخلق آدم عليه السلام بيده، ويداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء))[(٣)].

۞ المسألة الثانية: منهج أهل السنة في إثبات صفة اليد.

يعتقد أهل السنة والجماعة أن لله يدين حقيقةً، تليقان به ﷻ، ويثبتونها كبقية الصفات، دون تحريف أو تعطيل لمعناها، ودون اعتقاد كيفية أو تمثيل لها[(٤)].

يقول أبو بكر الإسماعيلي: ((ويداه مبسوطتان كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف يداه، إذ لم ينطق كتابُ الله تعالى فيه بكيف))[(٥)].

كذلك ذكر أبو عثمان الصابوني أن أهل السنة يقولون ((إنه خلق آدم بيديه،

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر (١٢٧).

(٢) هو: أبو بكر، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، الجُرجاني، الإسماعيلي، الشافعي، الإمام الحافظ الحجة، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام، ولد سنة: ٢٧٧هـ، إمام أهل جرجان، برع في الفقه والحديث، وله مصنفات كثيرة، منها: "المستخرج على الصحيح"، و"المعجم"، وله مسند كبير في نحو مائة مجلد، وتوفي سنة: ٣٧١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩٢/١٦)، وطبقات الشافعية للسبكي (٧/٣)

(٣) اعتقاد أهل الحديث (٣).

(٤) انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (١٢٩)، والشريعة للآجري (١١٧٤/٣)، واعتقاد أهل الحديث للإسماعيلي (٣)، والتوحيد لابن منده (٨٨/٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤١٢/٣)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٦٢)، والاعتقاد للبيهقي (٣٨)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١٨٥).

(٥) اعتقاد أهل الحديث (٣).

كما نص سبحانه عليه في قوله -عز من قائل-: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[(١)]، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة الجهمية -أهلكهم الله- ولا يكيفونهما بكيف، أو يشبهونهم بأيدي المخلوقين، تشبيه المشبهة خذلهم الله))[(٢)].

۞ المسألة الثالثة: منهج ابن خزيمة في صفة اليد

أولاً: منهجه في إثبات الصفة والاستدلال لها

-حشد ~ جملة من أدلة الكتاب والسنة الدالة على إثبات هذه الصفة، مع شفعها بالتوضيح والبيان، يقول ~ : ((البيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه قال عز وجل لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[(٣)] وقال جل وعلا تكذيبًا لليهود حين قالوا ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾[(٤)] فكذبهم في مقالتهم وقال ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾[(٥)]... و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[(٦)] وقال: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[(٧)] وقال: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[(٨)] وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ (يس:٧١)))[(٩)].

---

(١) سورة: ص، الآية: ٧٥.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٦١-١٦٢).

(٣) سورة: ص، الآية: ٧٥.

(٤) سورة: المائدة، الآية: ٦٤.

(٥) سورة: المائدة، الآية: ٦٤.

(٦) سورة: الفتح، الآية: ١٠.

(٧) سورة: يس، الآية: ٨٣.

(٨) سورة: آل عمران، الآية: ٢٦.

(٩) التوحيد (١١٨/١).

-أما استدلاله ~ بالأحاديث فقد تميز بما يأتي:

-تصديره لباب السُنن الواردة في إثبات صفة اليد بقاعدة مهمة وهي: موافقة صحيح السنة للقرآن الكريم وتنزيه النبي ﷺ عن مخالفة الوحي، يقول في بيان ذلك: ((باب ذكر البيان من سنة النبي على إثبات يد الله جل وعلا موافقًا لما تلونا من تنزيل ربنا، لا مخالفاً، قد نزه اللهُ نبيَّه وأعلى درجته ورفع قدره عن أن يقول إلا ما هو موافق لما أنزل الله عليه من وحيه))(١).

وبناء على تقريره لهذه القاعدة نجده ~ يشير إليها أثناء استدلالاته بالأحاديث تأكيدًا لها، فقال بعد إيراده لأحاديث احتجاج آدم وموسى: ((فكليم الله خاطب آدم عليهما السلام أن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه على ما هو محفوظ بين الدفتين من إعلام الله جل وعلا عباده المؤمنين أنه خلق آدم عليه السلام بيده))(٢).

وكذلك عند ذكره للسُّنة الرابعة المثبتة ليدي الله ﷻ قال: ((باب ذكر سُنّة رابعة مبينة لِيَديِّ خالقنا ﷻ، مع البيان أن لله يدين كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم بيديه، وكما أعلمنا أن له يدين مبسوطتين ينفق كيف يشاء))(٣).

وقال في موضع آخر: ((باب ذكر سُنّة عاشرة تثبت يد الله، وهو إعلام النبي أمته قبض الله الأرض يوم القيامة، وطيه جل وعلا سمواته بيمينه، مثل المعنى الذي هو مسطورٌ في المصاحف مَتْلوٌّ في المحاريب والكتاتيب))(٤).

وأقواله في تقرير ذلك كثيرة.

-ومما تميز به استدلاله بالأحاديث أنها شملت الأحاديث المتعلقة بإثبات صفة اليد، وما يتعلق بها من ذكر البسط والقبض والطي والحمل على الأصابع، وإثبات

---

(١) التوحيد (١/١١٩).

(٢) المصدر السابق (١/١٢٥).

(٣) المصدر السابق (١/١٣٦).

(٤) المصدر السابق (١/١٦٦).

أنها يدان وأنهما يمين، ومن تلك الأحاديث التي أوردها:

-حديث احتجاج آدم وموسى المتفق عليه والذي سبق ذكره في أول المطلب.

قوله ﷺ: ((إن أحدكم ليتصدق بالتمرة من طيب -ولا يقبل الله إلا طيبًا- فيجعلها الله في يده اليمنى ثم يربيها كما يربي أحدكم فُلُوَّه[١]، أو فَصِيلَه[٢] حتى تصير مثل أُحُد))[٣].

-قوله ﷺ: ((يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك فأين ملوك الأرض؟))[٤]. وغيرها من الأحاديث التي أوردها بروايات متعددة.

-وكذلك تميز استدلاله بالأحاديث بحرصه على بيان معانيها، وتوضيح ما قد يُشْكل فيها، وإزالة ما قد يُظَن أن ظاهره معارضٌ لأحاديث أخرى[٥].

وبعد ذكره لأدلة صفة اليد شرع في توضيح معتقد أهل السنة فيها، فقد جمع ~ شتات الموضوع وأجمل وفصّل، حتى إنه جمع الباب كله أصوله وفروعه.

---

(١) الفُلُوّ أو الفِلْو: المُهْر الصغير، من: فلوْتُهُ أي: فصلته وعزلته من الرضاع، انظر: العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، (بدون معلومات الطباعة) (١٨٩/٢)، مادة (فلو)، وتهذيب اللغة، للأزهري (٣٧٥/١٥)، مادة (فال).

(٢) الفَصِيْل: ولد الناقة إذا افْتُصِل عن أمه، أي: فُصِل عن اللبن، انظر: مجمل اللغة لابن فارس (٧٢٢/٣)، مادة (فصل)، ولسان العرب لابن منظور (١١، ٥٢١)، مادة (فصل).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الزكاة، باب: لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب، (٢٧٨/٣، برقم:١٣٤٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، (٧٠٢/٢، برقم: ٦٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، (٣٧٢/١١، برقم: ٦٥١٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، (٢١٤٨/٤، برقم:٢٧٨٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) انظر: التوحيد (١٤٠/١، ١٨٥).

كما أنه لم يغفل في تبويبه الإشارة إلى طرفي الانحراف المشبهة والمعطلة كما سيأتي تفصيله في منهجه في الرد على المخالفين، وبيان تقريره فيما يأتي:

١- الإثبات: ذكر ابن خزيمة ~ أن لله ﷻ يدين حقيقة على ما يليق به، يقول: ((مذهبنا مذهب أهل الآثار ومتبعي السنن... نحن نقول لله جل وعلا يدان))[(١)].

وقال أيضًا: ((قول الله ﷻ: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أراد عز ذكره باليدين اليدين، لا النعمتين كما ادعت الجهمية المعطلة))[(٢)].

لذا فقد بيّن أن الواجب فيها: الإيمان بها كغيرها من الصفات فقال: ((ما نقوله في هذا الباب في ذكر اليدين كنحو قولنا في ذكر الوجه والعينين))[(٣)].

وقد أكد على ذلك في أكثر من موضع، مؤيدًا قوله بالأدلة من الكتاب والسنة، قال في مستهل باب صفة اليد: ((البيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه))[(٤)]، ثم سرد الأدلة من القرآن على ما قال.

وقال في موضع استدلاله بالسنة: ((باب ذكر سُنة ثامنة تبين وتوضح أن لخالقنا جل وعلا يدين))[(٥)].

وقال في باب آخر: ((باب تمجيد الرب ﷻ نفسه عند قبضته الأرض بإحدى يديه، وطيه السماء بالأخرى))[(٦)].

وكان ~ يستدل لما يقرر في كل باب بما يناسبه.

٢- التنزيه: نزّه ابنُ خزيمة ربنا ﷻ عن مشابهة يده ليد المخلوقين، وهذا هو

(١) التوحيد (١/١٩٣).

(٢) المصدر السابق (١/١٥٩).

(٣) المصدر السابق (١/١٩٣).

(٤) المصدر السابق (١/١١٨).

(٥) المصدر السابق (١/١٥٩).

(٦) المصدر السابق (١/١٧٠).

المتقرر من منهج أهل السنة والجماعة كما مر في بداية المطلب، فقال: ((عز ربنا وجل عن أن تكون يده كيد المخلوقين))[(١)] ، وتأكد هذا المنهج السوي عند ابن خزيمة أثناء ذكره للفروق بين يده سبحانه وأيدي المخلوقين حينما تصدى لمن رمى أهل السنة المثبتين للصفات بأنهم مشبهة فقال: ((ويداه قديمتان لم تزالا باقيتين، وأيدي المخلوقين مخلوقة محدثة غير قديمة، فانية غير باقية، بالية تصير ميتة ثم رميمًا ثم ينشئه الله خلقا آخر تبارك الله أحسن الخالقين، فأي تشبيه يلزم أصحابنا أيها العقلاء إذا أثبتوا للخالق ما أثبته الخالق لنفسه وأثبته له نبيه المصطفى؟))[(٢)].

٣- كلتا يديه سبحانه يمين: قرر ابن خزيمة ~ ((أن لخالقنا جل وعلا يدين كلتاهما يمين))[(٣)] ، وذكر ذلك أيضًا في باب تمجيد الله ﷻ نفسه ((عند قبضته الأرض بإحدى يديه، وطيه السماء بالأخرى، وهما يمينان لربنا))[(٤)] ، وقال: ((بل الأرض جميعًا قبضة ربنا جل وعلا بإحدى يديه يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه وهي اليد الأخرى، وكلتا يدي ربنا يمين))[(٥)] ، وقال في موطن تقرير منهجه واعتباره ((منهج أهل الآثار ومتبعي السنن))[(٦)] : ((نقول كلتا يدي ربنا عز وجل يمين))[(٧)].

وقد استدل على هذه المسألة بأدلة منها حديث: ((اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة)) الحديث [(٨)].

---

(١) التوحيد (١٣٨/١).

(٢) المصدر السابق (١٩٥/١).

(٣) المصدر السابق (١٥٩/١).

(٤) المصدر السابق (١٧٠/١).

(٥) المصدر السابق (١٩٧/١).

(٦) المصدر السابق (١٩٣/١).

(٧) المصدر السابق (١٩٣/١).

(٨) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن، باب: (٩٤)، بعد تفسير سورة المعوذتين، (٤٢٢/٥-٤٢٣، برقم: ٣٣٦٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، لمحمد =

ورأى ~ أن في نفي الشمال عن الله ﷻ تنزيهًا له عن مشابهة الخلق إذ ((كون إحدى اليدين يسارًا إنما يكون من علامات المخلوقين))[1].

يقول ~ : ((لا يسار لخالقنا إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجلَّ ربنا عن أن يكون له يسار))[2]، وقال في موضع آخر: ((وهما يمينان لا شمال له تعالى ربنا عن صفات المخلوقين))[3].

وهذه المسألة -وهي وصف إحدى يديه ﷻ بالشمال- فيها قولان لأهل السنة:

القول الأول:

يقولون إن إحدى يدي الله توصف بالشمال، وقد ذهب إلى هذا القول الدارمي[4]، وأبو يعلى الفراء[5]، وغيرهما.

واستدل أصحاب هذا القول بورود لفظ "الشمال" في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[6] يقول ﷺ: ((يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟)).

ورأى أصحاب هذا القول أن معنى "كلتا يدي ربي يمين"[7] كما ورد في

= ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير شاويش، الطبعة: الأولى، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠٨هـ) (١٣٧/٣).

(١) التوحيد (١٩٨/١).

(٢) المصدر السابق (١٥٩/١).

(٣) المصدر السابق (١٧٠/١).

(٤) انظر: نقض الدارمي (٦٩٨/٢).

(٥) انظر: إبطال التأويلات (١٧٦).

(٦) كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، (٢١٤٨/٤، برقم: ٢٧٨٨)، من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

(٧) سبق تخريجه ص٢٧٥.

الأحاديث أنها في البركة والخير، وذلك دفعا لتوهم النقص، تعظيمًا له ﷻ، يقول الدارمي: ((إنما عنى رسول الله باليدين فقال: "كلتا يدي الرحمن يمين" إجلالاً لله وتعظيمًا أن يوصف بالشمال، ولو لم يجز أن يقال: كلتا يدي الرحمن يمين؛ لم يَقُلْه رسول الله))(١).

القول الثاني: ذهب أصحاب هذا القول إلى أنه لا توصف إحدى يدي الله ﷻ بالشمال، وأن كلتا يديه يمين، وقد قال بهذا القول الإمام أحمد(٢)، والبيهقي(٣)، وهذا الذي ذهب إليه ابن خزيمة ~ .

ودليلهم في ذلك قوله ﷺ: ((إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا))(٤)، وأحاديث أخرى، ويرون أن لفظ "الشمال" في حديث مسلم لفظٌ شاذ، فهو إذًا ضعيف(٥).

أما قول ابن خزيمة أن في إثبات الشمال لله ﷻ تشبيهًا له بالمخلوق ففيه نظرٌ؛ ذلك لما يأتي:

---

(١) نقض الدارمي (٢/٦٩٨).

(٢) انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، رواية محمد بن عوف بن سفيان الطائي الحمصي أبو جعفر، (٣٤٢/٢، رقم: ٤٣٦).

(٣) انظر: الأسماء والصفات (٢/٢٥٤-٢٥٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (١٤٥٨/٣، برقم:١٨٢٧)، من حديث عبدالله بن عمرو { .

(٥) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٢٥١)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، الطبعة: الثانية، (دار ابن كثير، بيروت، عام: ١٤٢٠هـ) (٣٩٢/٧-٣٩٣)، وقد أفدتُ من بحث بعنوان: القول المبين في أن كلتا يدي الرحمن يمين، للدكتور: علي بن محمد بن سعيد الشهراني، (مجلة الحكمة، العدد: ٢٨، عام:١٤٢٥هـ).

أولاً: أن إثبات الشمال قولٌ ذهب إليه أئمة من أهل السنة -كما سبق ذكره-، وهم في إثباتهم الشمال ينزهون الله عن مماثلة المخلوق، كما قالوا في إثبات اليمين.

ثانيًا: إذا كان إثبات الشمال يقتضي التشبيه فإثبات اليمين -الذي يقول به ابن خزيمة وسائر أهل السنة- يقتضيه أيضًا؛ فلا فرق بين هذا وهذا، وإذا قيل إن إثبات اليمين إنما كان على ما يليق به سبحانه ولا يماثل المخلوق فإثبات الشمال كذلك.

وعليه فالفيصل في إثبات هذا اللفظ وعدمه إنما هو ثبوته عن النبي عليه الصلاة والسلام دون التعليل الذي أورده ابن خزيمة ~ والله أعلم.

٤-ذكر ابن خزيمة ~ بعض ما يفعله الله سبحانه وتعالى بيده، مستدلاً عليها بأدلة من القرآن أو السنة، وهذه الأفعال هي:

-خلق آدم عليه السلام بيديه، وهو ما احتج به موسى على آدم عليهما السلام[(١)].

-قبض الأرض يوم القيامة بيده سبحانه وتعالى[(٢)].

-طي السماء بيمينه يوم القيامة[(٣)].

-خط التوراة لكليمه موسى عليه السلام، وهو الذي حج به آدم موسى عليهما السلام[(٤)].

-تقبل صدقة المؤمنين وأخذها وتربيتها بيمينه عز وجل[(٥)].

-غرس كرامة أهل الجنة بيده سبحانه وتعالى[(٦)].

-بسط يده جل جلاله لمسيء الليل ليتوب بالنهار، ولمسيء النهار ليتوب بالليل، حتى

---

(١) انظر: التوحيد (١/١٥١، ١٢٥، ١١٨، ١٩٥، ١٥٣-١٩٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/١٦٦، ١١٨-١٧٣، ١٩٧، ١٩٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/١٦٦-١٩٧، ١٩٤، ١٧٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/١٢٦-١٩٦، ١٩٥، ١٢٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/١٣٨-١٥٠).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/١٦٤).

تطلع الشمس من مغربها[١].

أشار ابن خزيمة إلى بعض صفات يده ﷻ من خلال ما أورده من نصوص وهي:

-أن كلتا يديه ﷻ يمين[٢]، وهي المسألة التي أشرتُ إليها سابقًا.

-أن يديه ﷻ مبسوطتان، يقول ~ : ((أعلمنا أن له يدين مبسوطتين))[٣].

-أن ((يد الله هي العليا، كما أخبر الله في محكم تنزيله ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤]، فخبر النبيُّ أيضًا أن يدَ الله هي العليا أي: فوق يد المُعْطِي والمعْطَى جميعًا))[٥].

هناك أمور تتعلق بصفة اليد لم يبسط ابن خزيمة فيها الكلام، وإنما أثبتها من خلال إيراده الأدلة عليها، وذلك كإثبات الكف لله ﷻ[٦].

ثانيًا: بيانه لمنهج المخالفين والرد عليهم

كما مر سابقًا فإن صفة اليد من أكثر الصفات التي نالت نصيبًا من جهود ابن خزيمة تأصيلاً وردًا على المخالفين، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة المخالفين في هذه الصفة ذلك الوقت.

وقد أشار ~ إلى فساد منهج المعطلة بعبارات موجزة تمهيدًا منه لدفع قولهم والتأكيد على ضلال مسلكهم، وذلك قبل رده عليهم.

وبعد ذلك بدأ ببيان أقوالهم في اليد مبتدئًا بذكر شبهتهم والرد عليها ثم أقوالهم والرد عليها.

---

(١) انظر: التوحيد (١/١٧٦-١٧٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/١٩٨، ١٩٧، ١٩٣، ١٧٠، ١٥٩).

(٣) المصدر السابق (١/١٣٦).

(٤) سورة: الفتح، الآية: ١٠.

(٥) التوحيد (١/١٥٤).

(٦) انظر: المصدر السابق (١/١٣٩-١٥٠).

وقد ذكر ~ قولين للمعطلة في اليد وهما:

القول الأول: قالوا إن المراد باليد النعمة[1]، يقول ~: ((وزعمت الجهمية المعطلة أن معنى قوله ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[2] أي: نعمتاه))[3]، وهذا القول بلا ريب ((تبديل لا تأويل))[4]؛ فمن زعم أن الله ((خلق آدم بنعمته كان مبدلاً لكلام الله))[5]، وقد رد عليهم ~ بما يأتي:

أولاً: ((أن نعم الله كثيرة لا يحصيها إلا الخالق البارئ، ولله يدان لا أكثر منهما كما قال لإبليس عليه لعنة الله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[6] فأعلمنا جل وعلا أنه خلق آدم بيديه))[7]، لذا لما ((قال الله ﷻ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[8] كان العلم محيطًا أنه ثبت لنفسه يدين لا أكثر منهما، وأعلم أنهما مبسوطتان ينفق كيف يشاء))[9].

وهذه حجة قوية منه ~ تفي برد ذلك التأويل، فَنِعَمُ الله لا يبلغها الحصر فضلاً عن كونها اثنتين، وهل يُعقل أن نعمتين ((من أنعمه قط مبسوطتان؟ فإن أنعمه

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢٩٠)، وأصول الدين، لأبي منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي، الطبعة الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٣٤٦هـ) (١١٠)، وأساس التقديس، لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، د.ط، (مكتبة الكليات الأثرية، القاهرة، عام: ١٤٠٦هـ) (١٦١).

(٢) سورة: المائدة، الآية: ٦٤.

(٣) التوحيد (١/١٩٧).

(٤) المصدر السابق (١/١٩٧).

(٥) المصدر السابق (١/١٩٧).

(٦) سورة: ص، الآية: ٧٥.

(٧) التوحيد (١/١٩٧).

(٨) سورة: المائدة، الآية:٦٤.

(٩) التوحيد (١/١٩٨).

أكثر من أن تحصى، أفلم يبسط منها على عباده إلا اثنتين، وقبض ما سواهما))[(١)]، هذا بلا شك من المحال.

ثانيًا: هل المعنى الذي يعقله المؤمنون من قوله تعالى ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾(الزمر:٦٧) أن الأرض تكون قبضة إحدى نعمتيه يوم القيامة، وأن السموات مطوية بالنعمة الأخرى؟ بالتأكيد أن هذه ((الدعوى التي يدعيها الجهمية جهلٌ، أو تجاهلٌ شرٌ من الجهل، بل الأرض جميعًا قبضة ربنا جل وعلا بإحدى يديه يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه))[(٢)].

وهكذا سائر نصوص صفة اليد كالطي والبسط والكتابة لو عُرض عليها تأويل اليد بالنعمة؛ لعلمنا أنها -كما قال الدارمي-: ((تفاسير مقلوبة خارجة عن كل معقول، لا [يقبلها][(٣)]. إلا كل جهول))[(٤)].

ثالثًا: مما ذكره ابن خزيمة في الدلالة على بطلان تأويل اليد بالنعمة الآية ذاتها؛ فقوله: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾(المائدة:٦٤) ردٌ على اليهود بقولهم في حق الله في أول الآية: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ لذا قال الله بعد ذلك: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، فهو ﷻ لم يُرِدْ بقوله: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾: نعمهم، ولا اليهود أرادت بقولها: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾: نعم الله مغلولة، وإنما الآية ردٌ على قولهم في يدي الله، وإثبات أن يديه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﷻ[(٥)].

رابعًا: ذكر ابن خزيمة وجهًا في الرد على تأويل اليد بالنعمة من جهة اللغة فقال: ((وافهم ما أقول من جهة اللغة تفهم وتستيقن أن الجهمية مبدلة لكتاب الله لا متأولة. قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ لو كان معنى اليد النعمة كما ادعت الجهمية لقرئت بل يداه مبسوطة أو منبسطة؛ لأن نعم الله أكثر من أن تحصى، ومحال أن تكون نعمه

---

(١) نقض الدارمي (٢٨٥/١).

(٢) التوحيد (١٩٧/١).

(٣) في الأصل: (لا يقبله)، ولعل ما أثبته هو الصواب.

(٤) نقض الدارمي (٢٨٩/١).

(٥) انظر: التوحيد (١٩٨/١).

نعمتين لا أكثر))[١].

القول الثاني: قالوا: إن المراد باليد القوة[٢]، فزعم ((بعض الجهمية أن معنى قوله: خلق الله آدم بيديه أي: بقوته فزعم أن اليد هي القوة))[٣]، وهذا القول بلا شك ((من التبديل أيضًا))[٤].

وقد رد عليهم ~ بالردود الآتية:

أولاً: رد عليهم من جهة اللغة، فاللغة تأبى هذا التأويل، قال مبينًا ذلك: ((القوة إنما تُسمى الأيد في لغة العرب))[٥] [٦]، وقول الجهمية هذا ((جهلٌ بلغة العرب))[٧]، لذا يقال لهم: الذي ((لا يفرق بين اليد والأيد فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتاتيب أحوج منه إلى الترؤس والمناظرة))[٨].

---

(١) المصدر السابق (١٩٧/١)، وكلامه ~ مشكلٌ لغةً؛ فالصفة في اللغة تتبع الموصوف إفرادًا وتثنية وجمعًا، واليدان هنا مثناة والوصف الذي ذكره ابن خزيمة في رده وهو:(مبسوطة أو منبسطة) مفرد، وقد يكون ثمة تصحيف، والجملة في الأصل: (بل يده مبسوطة)، ويُستأنس لهذا التوجيه بما قاله ابن بطة في جوابه القريب من جواب ابن خزيمة حيث قال: ((... فقالت الجهمية معنى اليد: النعمة، ولو كان كما زعموا لم يَقُل يداه، ولقال: بل مبسوطة))، أي على تقدير (بل يده مبسوطة)، انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣١٦/٣).

(٢) ممن أول اليد بالقوة الرازي؛ حيث ذكر أن معنى اليمين لله القوة، انظر أساس التقديس (١٧٣)، أما تأويلها بالقدرة فانظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٩٠/١)، وأصول الدين للبغدادي (١١٠)، وأساس التقديس للرازي (١٦١).

(٣) التوحيد (١٩٩/١).

(٤) المصدر السابق (١٩٩/١).

(٥) المصدر السابق (١٩٩/١).

(٦) الأَيْدُ: القُوَّة، انظر: العين للخليل بن أحمد، (١٣٢/٢)، مادة (أيد)، ولسان العرب، لابن منظور (٧٦/٣)، مادة (أيد).

(٧) التوحيد (١٩٩/١).

(٨) المصدر السابق (١٩٩/١).

ثانيًا: لو كان المقصود باليد القدرة أو القوة لم تكن لمزية آدم -وهي خلقه سبحانه له بيديه- أهمية في تقريع الله لإبليس على الاستكبار عن السجود له و((لا شك ولا ريب أن الله ﷻ قد خلق إبليس عليه لعنة الله أيضًا بقوته، أي إذا كان قويًا على خلقه فما معنى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(ص:٧٥).عند هؤلاء المعطلة؟))[1]، وهذا يدل على أن إبليس كان أفقه من هؤلاء المعطلة لأنه أدرك أن هذه خصوصية لآدم ليست لغيره فلم يعترض ويقول: وأنا أيضًا خلقتني بيدك أي بقدرتك[2].

وليس إبليس فقط الذي خُلق بقدرته ﷻ بل إن ((البعوض والنمل وكل مخلوق فالله خلقهم عنده بأيد وقوة))[3].

وعلى اختلاف القولين السابقين إلا أنهما اتفقا على صرف اليد عن حقيقتها وحملها على المجاز.

وما ذكره ابن خزيمة في الرد على المعطلة من أشهر ما ذُكر، فصفة اليد من الصفات التي تحبرت بها كتب الأئمة ردًا على أهل الكلام، ومما يُضاف في الرد على القولين:

أولاً: مما يؤكد أن اليد على معناها الحقيقي ويحيل كونها على المجاز؛ ورودُ لفظ اليد في النصوص باستعمالات وتصرفات منوعة، كالقبض والبسط والطي والإمساك والأخذ وغيرها[4].

ثانيًا: اليد بالمعنى المجازي لا يُعرف عند العرب إلا لمن كان له يد حقيقية، والشواهد على ذلك كثيرة، ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا

---

(١) التوحيد (١/١٩٩).

(٢) انظر: تعليق الهراس على كتاب التوحيد لابن خزيمة (٨٥).

(٣) التوحيد (١/١٩٩).

(٤) انظر: مختصر الصواعق للموصلي (٣/٩٤٧).

تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (الإسراء:٢٩)، كناية عن البخل والتقتير والإسراف، ولكن هذا يلزم منه حقيقة اليد التي يكون بها الإسراف وضده[(١)].

ثالثًا: منهجه في بيان شبهة المخالفين والرد على تلك الشبهة.

لم يغفل ابن خزيمة ذكر الشبهة التي تمسكت بها المعطلة لما ذهبت إليه؛ فقد أشار إلى تلك الشبهة وهي: اعتقادهم أن إثبات الصفات على حقيقتها يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق؛ فقال عند بيانه لنزاهة منهج أهل السنة وعدالته ورمي المعطلة لهم - ظُلْمًا - بالمشبهة: ((فتدبروا يا أولي الألباب ما نقوله في هذا الباب في ذكر اليدين كنحو قولنا في ذكر الوجه والعينين؛ تستيقنوا -بهداية الله إياكم وشرحه جل وعلا صدوركم للإيمان- بما قَصَّه اللهُ جل وعلا في محكم تنزيله وبَيَّنَهُ على لسان نبيه من صفات خالقنا ﷻ وتعلموا -بتوفيق الله إياكم- أن الحقَ والصواب والعدل في هذا الجنس مذهبُنا: مذهبُ أهل الآثار ومتبعي السنن؛ وتقفوا على جهل من يسميهم مشبهة، إذ الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه))[(٢)].

وقد رد ابن خزيمة ~ على تلك الشبهة بما يأتي:

أولاً: رد عليهم بالمباينة بين يد الله وأيدي المخلوقين.

فبين أن لله يدين و((يداه قديمتان))[(٣)]، بينما ((أيدي المخلوقين مخلوقة محدثة غير قديمة))[(٤)]، كذلك فإن يد الله ﷻ لا تزال باقية، وأيدي المخلوقين ((فانية غير باقية، بالية، تصير ميتةً ثم رميماً، ثم ينشئه الله خلقًا آخر))[(٥)].

ولعل في هذا الفرق غُنية لكل ذي لب بأن أهل السنة أنزه عن تشبيه الله بخلقه

---

(١) انظر: نقض الدارمي (٢٣٥/١-٢٣٦)، ومختصر الصواعق للموصلي (٩٤٦/٣-٩٩٢)

(٢) التوحيد (١٩٣/١).

(٣) المصدر السابق (١٩٥/١).

(٤) المصدر السابق (١٩٥/١).

(٥) المصدر السابق (١٩٥/١).

((إذا أثبتوا للخالق ما أثبته الخالق لنفسه وأثبته له نبيه))[(١)] ﷺ.

وأكد تلك المباينة بتأكيد عجز أكمل الخلق وأقواهم وأشدهم بطشًا عن ((أن يقبض على قدر أقل من شعرة واحدة من جزءٍ من أجزاء كثيرة على أرضٍ واحدة من سبع أرضين))[(٢)]، وربنا سبحانه ((يقبض الأرض جميعًا بإحدى يديه، ويطوي السماء بيده الأخرى))[(٣)]، بل لو أن ((جميع من خلقهم الله من بني آدم إلى وقتنا هذا وقضى خلقهم إلى قيام الساعة؛ لو اجتمعوا على معونة بعضهم بعضًا وحاولوا على قبض أرض واحدة من الأرضين السبع بأيديهم؛ كانوا عاجزين عن ذلك، غيرَ مستطيعين له، وكذلك لو اجتمعوا جميعًا على طي جزء من أجزاء سماء واحدة لم يقدروا على ذلك ولم يستطيعوا وكانوا عاجزين عنه))[(٤)].

لذا قال لهم مستنكرًا عليهم تهمتهم: ((فكيف يكون يا ذوي الحجا من وصف يد خالقه بما بينا من القوة [والأيد][(٥)]، ووصف يد المخلوقين بالضعف والعجز مشبهًا يدَ الخالق بيدِ المخلوقين؟))[(٦)]، ولا شك أن أهل السنة براءٌ من تلك التهمة الشنيعة: تهمة التشبيه، وما سبق ذكره في مستهل هذا المطلب من منهج أهل السنة في إثبات هذه الصفة يبهت تلك الشبهة ويردها في نحور أصحابها.

ثانيًا: استخدم ابن خزيمة في إلجام الجهمية أسلوب المحاجة العقلية وذكر اللوازم الباطلة المترتبة على قولهم وهي:

أن قول المعطلة بأن إثبات اليد يستلزم التشبيه ((يوجب أن كل من يقرأ كتاب الله ويؤمن به إقرارًا باللسان وتصديقًا بالقلب فهو مشبه؛ لأن الله ما وصف نفسه في

---

(١) التوحيد (١/١٩٥).

(٢) المصدر السابق (١/١٩٤).

(٣) المصدر السابق (١/١٩٤).

(٤) المصدر السابق (١/١٩٤).

(٥) في الأصل: (الأيدي)، والصواب ما أثبته.

(٦) التوحيد (١/١٩٤).

محكم تنزيله بزعم هذه الفرقة))[١]، وذلك ((لأنهم يزعمون أن آيات الصفات من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه))[٢].

وبناء على اللازم السابق فإنه يجب أن ((يُكْفَر بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه عليهم لعائن الله))[٣]، وذلك حتى لا يكون ((من وصف يد خالقه))[٤] -كما هو ثابت في القرآن والسنة- ((يُشَبِّهُ الخالقَ بالمخلوق))[٥]، وفي رده هذا على شبهتهم ردٌ على قولهم كذلك.

ثالثًا: استخدم ابن خزيمة في الرد على شبهة المعطلة قاعدة: (القدر المشترك)؛ فقد ذكر أن ((الاسم الواحد قد يقع على الشيئين مختلفي الصفة، متبايني المعاني))[٦]، وبناء على ذلك فليس ((كل ما وقع عليه اسم اليد جاز أن يشبه ويمثل إحدى اليدين بالأخرى))[٧]، فلفظ اليد يتفق فيه الله ﷻ والإنسان من جهة الاسم فقط، لكن في الحقيقة الاتفاق ممنوع، فيدُ الله سبحانه لا تشبه يد المخلوق، وهذا ما اتضح سابقًا في ذكر المباينة بين الخالق والمخلوق.

وهذا الأمر -وهو الاشتراك في اللفظ دون الحقيقة- واقع بين المخلوقات، فالإنسان له يد والحيوان كالقرد مثلاً كذلك له يد، ولا يمكن أن نقول إن يد الإنسان تشبه يد القرد وإن اشتركا في التسمية.

فإن كان غير جائز إطلاق اسم التشبيه لو قلنا: ((لابن آدم وللقرد يدان،

---

(١) التوحيد (١/١٩٥).

(٢) تعليق الهراس على كتاب التوحيد لابن خزيمة (٨٤).

(٣) التوحيد (١/١٩٥).

(٤) المصدر السابق (١/١٩٥).

(٥) المصدر السابق (١/١٩٥).

(٦) المصدر السابق (١/١٩٦).

(٧) المصدر السابق (١/١٩٦).

وأيديهما مخلوقتان)[1]، ((فكيف يجوز أن يُسَمَّى مشبِّهاً من يقول: للّه يدان على ما أعلم في كتابه وعلى لسان نبيه)) ﷺ[2] و((لبني آدم يدان))[3] وهو مُقِرٌّ بأن يدي اللّه قديمةٌ و((بهما خلق آدم، وبيده كتب التوراة لموسى عليه السلام، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، وأيدي بني آدم مخلوقة))[4].

وقد أضاف ~ مثالاً لتأكيد هذه القاعدة التي تبطل ما تذرعت به المعطلة وتؤكد جهلهم بحقيقة التشبيه، فذكر أنه لو ((شبَّه بعضُ الناس يدَ قوى الساعدين شديدِ البطش، عالمٍ بكثير من الصناعات جيدِ الخط سريعِ الكتابة، بيد ضعيفِ البطش من الآدميين خلو من الصناعات والمكاسب، أخرق، لا يحسن أن يخط بيده كلمةً واحدةً، أو شبه يد من ذكرنا أولاً بالقوة والبطش الشديد، بيَدِ صبي في المهد أو كبير هرم يرعش، لا يقدر على قبض ولا بسط ولا بطش))[5]، فلن يكون جواب ذوي الحجا لصاحب تلك المقالة وذلك التشبيه إلا أن يقول: ((أخطأتَ يا جاهلَ التمثيل، ونكست بالتشبيه، ونطقت بالمحال من المقال))[6].



---

(١) التوحيد (١/١٩٦).

(٢) المصدر السابق (١/١٩٦).

(٣) المصدر السابق (١/١٩٦).

(٤) المصدر السابق (١/١٩٦-١٩٧).

(٥) المصدر السابق (١/١٩٦).

(٦) المصدر السابق (١/١٩٦).

المطلب السابع: صفة الأصابع

الأصابع من صفات الله الذاتية الخبرية الثابتة له، والتي انفردت بإثباتها السنة دون الكتاب، وأجمع على إثباتها أهل السنة والجماعة[(١)].

وقد أورد ابن خزيمة هذه الصفة في كتابه التوحيد ضمن حديثه عن صفة اليد نظرًا للارتباط بين هاتين الصفتين.

ويتضمن مطلب صفة الأصابع المسائل الآتية:

۞ المسألة الأولى: الأدلة على صفة الأصابع

سبق بأن صفة الأصابع وردت في السنة دون القرآن، ومن الأحاديث الدالة عليها ما يأتي:

-حديث عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال: ((جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك رسول النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الْحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(الزمر:٦٧)))[(٢)].وهذه سنة تقريرية للدلالة على الصفة، وذلك في قول ابن مسعود:) تصديقًا لقول الحبر).

---

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة (٧١)، والسنة لابن أبي عاصم (٢٨٩/١)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٤٥٢/١)، والشريعة للآجري (١١٥٦/٣)، والصفات للدارقطني (١٩)، وكتاب التوحيد لابن منده (١١٠/١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤٢١/٣)، وشرح السنة للبغوي (١١١/١٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التفسير، تفسير سورة الزمر، باب: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾، (٥٥٠/٨، برقم:٤٨١١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (٢١٤٧/٤ ،رقم: ٢٧٨٦)، من حديث عبدالله ابن مسعود ﷺ.

ويؤكد تقريرَه ﷺ، قراءتُه للآية بعد سماعه لكلام اليهودي، فهو استشهد لكلامه بآية من القرآن موافقة لما أخبر به(١).

-قوله ﷺ: ((إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم مصرف القلوب! صرِّف قلوبنا على طاعتك))(٢).

۞ المسألة الثانية: منهج أهل السنة في صفة الأصابع

يؤمن أهل السنة بأن الله تعالى ﷻ متصفٌ بالأصابع حقيقة، على ما يليق بجلالته وعظمته، وأنه يجب الإيمان بها على ظاهرها دون تأويل لمعناها، ودون تشبيه لها بأصابع المخلوقين(٣).

يقول الآجري: ((باب: الإيمان بأن قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرب ﷻ بلا كيف))(٤).

ويقول ابن قتيبة: ((فإن قال لنا: ما الأصبع عندك ههنا؟ قلنا: هو مثل قوله في الحديث الآخر: (يحمل الأرض على أصبع) وكذا على أصبعين، ولا يجوز أن تكون الأصبع ههنا نعمة، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾(٥)، ولم يجز ذلك، ولا نقول أصبع كأصابعنا ولا يد كأيدينا ولا قبضة كقبضاتنا، لأن كل شيء منه ﷻ لا يشبه شيئًا منّا))(٦).

---

(١) انظر كلام النووي في شرح صحيح مسلم (١٧/١٣٦)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٥١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، (٤/٢٠٤٥، برقم: ٢٦٥٤)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﴿.

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١٩٤)، والشريعة للآجري (٣/١١٥٦)، وشرح السنة للبغوي (١/١٦٨-١٧٠).

(٤) الشريعة (٣/١١٥٦).

(٥) سورة: الزمر، الآية: ٦٧.

(٦) تأويل مختلف الحديث (١٩٤).

۞ المسألة الثالثة: منهج ابن خزيمة في صفة الأصابع

لم يُفْرد ابن خزيمة ~ لصفة الأصابع حديثًا مستقلاً؛ إنما أوردها ضمن حديثه عن صفة اليد، حيث ذكر منهج أهل السنة مع الاستدلال على ذلك والتعريج على من عارض تلك الأدلة وعطّل الصفة.

أولاً: منهجه في تقرير الصفة والاستدلال عليها

يتلخص منهج ابن خزيمة -والذي وافق فيه أهل السنة- فيما يأتي:

-ذكر ~ أن الأصابع من صفات الله الذاتية(١).

-أكد على تنزيه الرب تبارك وتعالى ((عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه، وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه))(٢).شأنها شأن بقية الصفات له ﷻ.

أما ما يتعلق باستدلاله ~ على هذه الصفة فقد استدل بما استدل به أهل السنة من الأحاديث السابقة وهي:

١-حديث ((أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع)) الحديث(٣).

٢-وحديث ((ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه))(٤).

---

(١) انظر: التوحيد (١٧٨/١).

(٢) المصدر السابق (١٧٨/١).

(٣) سبق تخريجه ص٢٨٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب: فيما أنكرت الجهمية، (٧٢/١، برقم: ١٩٩)، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثالثة، (مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٨هـ) (٤٠/١)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التعبير، باب: قوله ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾، (١٥٦/٧، برقم:٧٦٩١)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٨٢/١)، وأخرجه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ بلفظ (إن قلوب بني آدم كلها) انظر: ص٢٩١.

ثانيًا: منهجه في ذكر المخالفين والرد عليهم

صفة الأصابع شأنها شأن كثير من صفاته ﷻ والتي لم تسْلم من لوثة التعطيل.

فلما لم يرُق لعقول المعطلة إثباتها لجأوا إلى تأويلها عن ظاهرها وحقيقتها، فزعموا أن المراد بها القدرة والسلطان(١).

ولم يكتفِ المعطلة بذلك بل إنهم اتخذوا من الطعن في أحاديث رسول الله ﷺ سبيلاً لترويج بضاعتهم المزجاة في تعطيل صفات الرب ﷻ؛ فقالوا:

- إن هذا كلام اليهودي وليس من كلام رسول الله ﷺ، فلا يكون حجة في إثبات الصفة(٢).

- ذهبوا إلى أن ضحك النبي ﷺ تعجب واستخفاف باليهودي لا تصديق له(٣).

ولم يصرِّح ابن خزيمة بما ذهبت إليه المعطلة، بل إنه اكتفى بتلميحات إلى ما احتجَّ به المعطلة في تأويلهم للأصابع، وهو الطعن في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي فيه خبر اليهودي، الأمر الذي يُستدل به على تأويلهم للصفة.

فقال في أول حديثه عن صفة الأصابع: ((وقد أجل الله قدر نبيه عن أن يوصَف الخالق البارئ بحضرته بما ليس من صفاته، فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكًا تبدو نواجذه تصديقًا وتعجبًا لقائله، لا يصفُ النبيَّ بهذه الصفة مؤمنٌ مصدقٌ برسالته))(٤)، ثم بعدها أورد حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) انظر: نقض الدارمي (٣٨٤/٣٧١/١)، وأساس التقديس للرازي (١٧٨)، وفتح الباري لابن حجر (٣٩٨/١٣)، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد، لإبراهيم بن محمد ابن أحمد البيجوري المصري الشافعي، تحقيق: جمعة الشافعي، الطبعة: الأولى، (دار السلام، القاهرة، عام: ١٤٢٢هـ) (١٥٩).

(٢) انظر: أساس التقديس للرازي (١٧٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٧٨)، وفتح الباري لابن حجر (٣٩٨/١٣).

(٤) التوحيد (١٧٨/١).

ثم كرر الإشارة إلى انحراف المعطلة ودفعهم لحديث ابن مسعود ﷺ لمخالفته لعقولهم بقوله: ((باب إثبات الأصابع لله ﷻ من سنة النبي قيلاً له لا حكايةً عن غيره، كما زعم بعض أهل الجهل والعناد أن خبر ابن مسعود ليس هو من قول النبي وإنما هو من قول اليهود، وأنكر أن يكون ضحك النبي تصديقا لليهودي))(١).

ومن خلال كلامه السابق يمكن توضيح رده على من خالف في صفة الأصابع ورد الأحاديث الواردة فيها في النقاط الآتية:

أولاً: رد عليهم في قولهم: إن خبر ابن مسعود من كلام اليهودي وليس من كلام رسول الله ﷺ؛ وذلك بقوله -عند تبويبه لإثبات الأصابع-: ((باب إثبات الأصابع لله ﷻ من سنة النبي قيلاً له لا حكايةً عن غيره، كما زعم بعض أهل الجهل والعناد أن خبر ابن مسعود ليس هو من قول النبي وإنما هو من قول اليهود))(٢).

فكأنه ~ بذلك الكلام يقول لهم: لو سلمنا لكم -جدلاً- أن هذا من كلام اليهودي فأين أنتم من أحاديث أخرى صريحة من أقواله عليه الصلاة والسلام تثبت تلك الصفة، كقوله ﷺ: ((ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه))؟(٣).

فالحقيقة عند المعطلة ليست في تحري صحة الأحاديث إنما هو جَزَعٌ من إثبات تلك الصفة؛ لذا يقول الدارمي رادًّا على المخالف برده لحديث ابن مسعود ﷺ: ((ولئن جزعت من حديث ابن مسعود عن النبي في قصة الحبر؛ مالك راحة في رواية عائشة وأم سلمة وغيرهم مما يحقق حديث ابن مسعود ويثبت روايته))(٤)، ثم شرع في إيراد حديث الباب برواياته وهو قوله ﷺ: ((ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن)) السابق ذكره.

---

(١) التوحيد (١٧٨/١).

(٢) المصدر السابق (١٧٨/١).

(٣) سبق تخريج الحديث ص٢٩٠.

(٤) نقض الدارمي (٣٧٥/١).

- ويُضاف إلى ذلك أن المعطلة فاتهم أن دليل أهل السنة في خبر ابن مسعود إقرار النبي ﷺ لا قول اليهودي، فهو سنة تقريرية.

- ومما يمكن أن يضاف إلى قوله في الرد عليهم أن يقال: إن في اعتقادهم أن الحديث من كلام اليهودي الإساءة إلى أصحاب رسول الله ﷺ الذين رووا الحديث وقد فهموا منه إقراره عليه الصلاة والسلام اليهودي على ما ذكره من عظيم قدرته سبحانه وتعالى.

وهذا المعنى أكده ابن حجر بقوله إن في اعتقاد أن الخبر من كلام اليهودي: ((الطعن على ثقات الرواة))(١).

ثانيًا: رد على زعمهم بأن ضحك النبي ﷺ لكلام اليهودي إنما كان تعجبًا لا تصديقًا له، بأن في ذلك قدحًا فيه عليه الصلاة والسلام، ذلك أن قولهم يلزم منه -كما قال ابن حجر-: ((تقرير النبي ﷺ على الباطل وسكوته عن الإنكار وحاشا لله من ذلك))(٢)، وقد قرر ذلك ابن خزيمة بقوله: ((وقد أجلَّ الله قدر نبيه عن أن يوصف الخالق البارئ بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكًا تبدو نواجذه تصديقًا وتعجبًا لقائله))(٣)، بل ((لا يصفُ النبيَّ بهذه الصفة مؤمنٌ مصدق برسالته))(٤).

ثالثًا: الرد على تأويل الأصابع بالقدرة

لم يعرِّج ابن خزيمة على قول المعطلة بأن المراد بالأصابع القدرة والرد على تلك الفرية، ولأهل السنة ردودٌ على تلك الدعوى، أذكر بعضها تتميماً للفائدة:

- أن الأصل في الكلام حمله على حقيقته، وصرفه عن حقيقته مخالفة للأصل.

---

(١) فتح الباري (٣٩٩/١٣).

(٢) المصدر السابق (٣٩٩/١٣).

(٣) التوحيد (١٧٨/١).

(٤) المصدر السابق (١٧٨/١).

- أنه لا يُعرف في لغة العرب أن الأصابع بمعنى القدرة.

- لم يعهد إطلاق معنى القدرة بلفظ التثنية له ﷻ، بل إن اللفظ الأشمل والأعم لفظ الإفراد، حتى يشمل جميع الحقيقة وذلك كقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (البقرة:١٦٥).

- لو فُسر الإصبع بالقدرة فكيف يصنع أهل التأويل بحديث: ((ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن))، فعلى تأويلهم هل سيكون لله قدرتان؟ هذا مما لا يُعقل؛ فإن قدرة الله ﷻ واحدة عظيمة شاملة لكل شيء، وقدرته ﷻ وسعت كل مخلوقاته، فكيف يخص رسول الله ﷺ القلوب من بين تلك المخلوقات بقدرتيه سبحانه؟ هذا بلا شك مما تأباه اللغة وتدفعه النصوص والعقول[1].

وشبهة المعطلة -كما يُفهم من كلام ابن خزيمة-: أن في إثبات الأصابع لله ﷻ تشبيهًا له بالمخلوق، لأن المخلوق موصوف بها؛ لذا قال مبطلاً تلك الدعوى: ((كيف يكون مشبهًا من يثبت أصابع على ما بينه النبي المصطفى ﷺ للخالق البارئ))[2].

فالحق أن هناك تباينًا بين أصابع الخالق والتي جاء في الخبر عنها: ((أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع)) الحديث، وبني آدم جميعهم فإنهم ((منذ خلق الله آدم إلى أن ينفخ في الصور لو اجتمعوا على إمساك جزء من أجزاء كثيرة من سماء من سمواته أو أرض من أراضيه السبع بجميع أبدانهم كانوا غير قادرين على ذلك، ولا مستطيعين له بل عاجزين عنه))[3].



---

(١) انظر: نقض الدارمي (١/٣٨٣، ٣٧٠)، ومختصر الصواعق للموصلي (٣/٩٥٠، ٩٤٦).

(٢) التوحيد (١/١٩٤).

(٣) المصدر السابق (١/١٩٤-١٩٥).

المطلب الثامن: صفة الرِّجل (القَدَم)

صفة القدم من الصفات الذاتية الخبرية الثابتة لله ﷻ، والتي دلت عليها السنة دون الكتاب(١).

وقد تناول ابن خزيمة هذه الصفة في كتابه مقررًا لها ومستدلاً عليها بالأحاديث الصحيحة.

ويتضمن مطلب صفة القدم المسائل الآتية:

۞ المسألة الأولى: الأدلة على صفة القدم

كما سبق بأن صفة القدم وردت في السنة المطهرة دون القرآن الكريم، ومن تلك الأحاديث الدالة عليها:

١-قوله ﷺ: ((اختصمت الجنة والنار إلى ربهما، فقالت الجنة: يا ربِّ ما لها لا يدخلها إلا ضعفاءُ الناس وسَقَطُهم، وقالت النار -يعني- أُوثِرتْ بالمتكبرين، فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما مِلْؤُها، قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وإنه يُنْشِئُ للنار من يشاء فيُلْقَون فيها فتقول: هل من مزيد ثلاثًا، حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ، ويُرَدُّ بعضها إلى بعضٍ وتقول قطْ قطْ قطْ))(٢).

---

(١) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/٣٨-٤٨)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٣/٩٠)، وشرح السنة للبربهاري (٦)، والشريعة للآجري (٢/٢٧١)، والصفات للدارقطني (١-٥١، ١٣)، والتوحيد لابن منده (١١٦-١٢٤)، والرد على الجهمية لابن منده (١٦)، ووشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/١٩٣)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/٢٩٦-٣٠١)، وشرح السنة للبغوي (١٥/٢٥٦)، (١/١٧٠)، وأقاويل الثقات لمرعي الكرمي (١٧٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، (١٣/٤٣٤، برقم:٧٤٤٩)، وفي التفسير، تفسير سورة (ق)، باب: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، حديث رقم (٤٨٥٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (٤/٢١٨٨، برقم:٣٤) من حديث =

٢-قوله ﷺ: ((لا تزال جهنمُ يُلْقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضعَ ربُّ العزة فيها قدمه، فيَنْزَوى بعضها إلى بعض وتقول: قَط قَط، بعِزَّتِك وَكَرَمِكَ، ولا يزال في الجنة فضلٌ حتى يُنْشئَ اللهُ لها خلقاً، فيسكنهم فضلَ الجنة))[1].

وغيرها من الأحاديث.

۞ المسألة الثانية: منهج أهل السنة في إثبات صفة القدم

يثبت أهل السنة صفة القدم حقيقة لله ﷻ، إثباتًا يليق بجلاله كما نصت الأحاديث على ذلك، وهم يثبتونها دون تأويل لمعناها ودون اعتقاد كيفية لها، ودون تشبيه لقدمه ﷻ بقدم المخلوق[2].

ويعتقد أهل السنة أن لله ﷻ قدمين، ودليلهم في ذلك أثر ابن عباس رضي الله عنه: ((الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره))[3].

= أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، في التفسير، تفسير سورة (ق)، باب: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، (٥٩٤/٨، برقم:٤٨٤٨)، وكتاب: الأيمان والنذور، باب: الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، برقم:٦٦٦١)، وكتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ - سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ - وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾، (برقم:٧٣٨٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (٢١٨٨/٤، برقم:٣٨)، من حديث أنس رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: الجامع الصحيح للترمذي (٥٩٧/٤)، ونقض الدارمي (٣٩٧/١)، وشرح السنة للبربهاري (٦)، والشريعة للآجري (٢٧١/٢)، والتوحيد لابن منده (١١٦-١٢٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤٦٧/٢)، وأقاويل الثقات لمرعي الكرمي (١٧٧).

(٣) رواه ابن خزيمة في التوحيد (٢٤٨/١، رقم:١٥٤)، وابن أبي شيبة، انظر:العرش، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق: الدكتور: محمد خليفة التميمي، الطبعة: الأولى، (مكتبة الرشد، الرياض، عام: ١٤١٨هـ) (٦١)، والدارمي في الرد على المريسي، (٤٠٠،١)، والحاكم في المستدرك، (٢٨٢/٢)، وصححه على شرط الشيخين، وصححه الألباني في مختصر العلو (١٠٢).

۞ المسألة الثالثة: منهج ابن خزيمة في إثبات صفة القدم والاستدلال عليها.

أورد ابن خزيمة في كتابه التوحيد بابًا في إثبات القدم لله ﷻ، بوب له بقوله: ((باب ذكر إثبات الرجل لله ﷻ))(١)، وفي اختياره للفظ "الرجل" استناد إلى بعض ألفاظ الحديث التي وردت فيها "الرجل" وهما بمعنى واحد(٢).

ومن الملاحظ أن هذا الباب من الأبواب التي لم يطل حديثه فيها؛ ذلك أنه اقتصر على ذكر مقدمة موجزة قرر فيها الصفة معارضا فيها مذهب الجهمية الذين أنكروها، مع الرد الموجز، ثم الاستدلال عليها.

وقد تكون العلة في اختصاره قلة المعارض له في زمنه لتلك الصفة.

ومما قرره ~ وجوب الإيمان بصفة القَدَم له سبحانه على حقيقتها، وذلك من خلال حُكْمه على المعطلة المنكرين لها بالكفر بصفاته سبحانه وتعالى(٣).

وقد أكد ما قرره بذكر قاعدة أهل السنة في باب الصفات: وهي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات وما أثبته له رسوله ﷺ(٤).

أما ما استدل به ~ فقد أورد أدلة من السنة منها:

١- حديث: ((اختصمت الجنة والنار)) الحديث(٥).

٢- حديث: ((يجمع الله الناس يوم القيامة... (وفيه) حتى إذا أَوْعَبُوا(٦) فيها وضع الرحمن قدمه فيها وَأَزْوَى(٧) بعضها إلى بعض)) الحديث(٨).

---

(١) التوحيد (٢٠٢/١).

(٢) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١٥٦/١).

(٣) انظر: التوحيد (٢٠٢/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢٠٢/١).

(٥) سبق تخريجه ص٢٩٥.

(٦) الإيعاب: الاستقصاء في كل شيء، انظر: النهاية لابن الأثير (٢٠٥/٥).

(٧) زوى: أي جمع وضم، انظر: المصدر السابق (٣٢٠/٢).

(٨) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار، =

حديث: ((لا تزال جهنمُ يُلْقى فيها وتقول: هل من مزيد)) الحديث[١] وقد ساقه بأسانيد عدة.

۞ المسألة الرابعة: منهج ابن خزيمة في بيان منهج المخالفين والرد عليهم.

أشار ابن خزيمة ~ إلى منهج المعطلة المخالفين لأهل السنة، بقوله: ((إثبات الرجل لله ﷻ، وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية، الذين يكفرون بصفات خالقنا ﷻ التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى))[٢].

ولم يسهب ~ في الرد عليهم بل إنه اقتصر على التأكيد بأن نفي القَدَم نقصٌ؛ فإثباته كمال؛ لذا قال ﷻ مؤكداً نقص وعجز ما يدعونهم من دون الله: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ (الأعراف:١٩٥)، فأراد ﷻ بهذه الآية بيانه أن ((من لا رِجْل له، ولا يد، ولا عين، ولا سمع؛ فهو كالأنعام بل هو أضل))[٣].

وكل من عطل الله ﷻ عن نعوت كماله كالجهمية ((الذين هم شر من اليهود والنصارى والمجوس))[٤] فَحَالُهُ ((كالأنعام بل هم أضل))[٥].

واستدلال ابن خزيمة بهذه الآية قد اعترض عليه بعض المعترضين، كما سبقت الإشارة إلى ذلك[٦].

= (٥٩٦/٤، برقم:٢٥٥٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي، (٣١٧/٢).

(١) سبق تخريجه ص٢٩٩.

(٢) التوحيد (٢٠٢/١).

(٣) المصدر السابق (٢٠٢/١).

(٤) المصدر السابق (٢٠٢/١).

(٥) المصدر السابق (٢٠٢/١).

(٦) انظر: ص٩١.

ولم يتعرض ابن خزيمة لما ذهبت إليه المعطلة من أقوال في تأويل القَدَم، ويمكن ذكر أهمها -لتتم الفائدة- وهي:

-أن المراد بالقَدَم: الذين قدمهم الله تبارك وتعالى للنار من أهلها، وفَرطَهم السابق أي: ما قدموه من أعمال، أو أهلها الذين تقدم في علم الله أنهم يلقون فيها.

-أن المراد بالقَدَم: قوم تأخر دخولهم في النار.

-وقيل إن القدم: خلق يخلقه الله يوم القيامة.

- المراد بالقدم: الأخير، فيكون المعنى: حتى يضع الله في النار آخر أهلها.

وقيل المعنى إذلال جهنم، فإذا طغت بطلب المزيد أذلها الله ووضعها تحت القدم مجازا وليس على الحقيقة[1].

إلى غيرها من الأقوال.

وكل هذه الأقوال فاسدة، ظاهرة البطلان، وهي تحريف للكلام البيِّن. وقد ذكر ابن تيمية ~ جملةً من الردود لإبطال تلك التأويلات تتلخص فيما يأتي:

١-أن النبي ﷺ قال: ((حتى يضع)) ولم يقل: ((حتى يُلقى))، كما قال في قوله: ((لا يزال يُلقى فيها)).

٢-أن قوله: ((قدمه)) لا يفهم منه هذا لا حقيقة ولا مجاز كما تدل عليه الإضافة.

٣- أن أولئك المؤخرين إن كانوا من أصاغر المعذبين فلا وجه لانزوائها واكتفائها بهم، فإن ذلك إنما يكون بأمر عظيم وإن كان من أكابر المجرمين فهم في الدرك الأسفل وفي أول المعذبين لا في أواخرهم.

---

(١) انظر في ذكر أقوالهم: نقض الدارمي (٣٩٤/١)، والملل والنحل للشهرستاني (٧٣/١)، وأساس التقديس للرازي (١٨٥-١٨٧)، وفتح الباري لابن حجر (٥٩٦/٨)، وأقاويل الثقات لمرعي الكرمي (١٧٦-١٨١).

٤- أن قوله فينزوي بعضها إلى بعض دليل على أنها تنضم على من فيها، فتضيق بهم من غير أن يلقى فيها شيء.

٥- أن قوله: ((لا يزال يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها قدمه)) جعل الوضع الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء ويكون عندها الانزواء، فيقتضي ذلك أن تكون الغاية أعظم مما قبلها وليس في قول المعطلة معنى للفظ قدمه إلا وقد اشترك فيه الأول والآخر، والأول أحق به من الآخر(١).

وبما سبق يتبين أن قول المعطلة ليس إلا تعطيلاً للحق، وتحريفًا للكلم عن مواضعه، عياذًا بالله من ذلك.



(١) انظر: مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، لبدر الدين أبي عبدالله محمد بن علي الحنبلي البعلي، تحقيق: عبدالمجيد سليم، د.ط، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) (٦٤٧)، وانظر ردًا قويًا للدارمي في نقضه على المريسي (٤٠١/١).

المطلب التاسع: صفة العلو

العلو من الصفات الثابتة لله ﷻ[١]، وهي من صفاته الذاتية التي لا تنفك عنه سبحانه، ومن أسمائه ﷻ الأعلى والعلي والمتعالي.

وقد اتفق السلف على إثباتها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فالسلف والأئمة يقولون إن الله فوق سمواته، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وكما عُلم المباينة والعلو بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه))[٢].

وقد اشتد النزاع بين السلف ومخالفيهم في هذه الصفة، حتى غدا إثباتها من العلامات الفارقة بين أهل السنة وأهل البدعة[٣].

---

(١) انظر: العرش لابن أبي شيبة (٢٨٦)، وسنن ابن ماجة (٦٩/١)، ونقض الدارمي (٤٣٤/١-٤٥٠)، والسنة لابن أبي عاصم (٢١٥/١)، والإبانة للأشعري (١١٩)، وشرح السنة للبربهاري (٢٤)، والشريعة للآجري (١٠٧٩/٣)، والعظمة، لأبي محمد عبدالله بن محمد جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفوري، د.ط، (دار العاصمة، الرياض، د.ت). (٥٤٣/٢)، والتوحيد لابن منده (١٨٥/٣)، ورياض الجنة بتخريج أحاديث أصول السنة، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الأندلسي (الشهير بابن أبي زمنين)، تحقيق: عبدالله بن محمد بن عبدالرحيم البخاري، الطبعة: الأولى، (مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، عام: ١٤١٥هـ) (٨٨)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣٨٧/٣)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٧٥)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢٤٩)، وإثبات صفة العلو، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: الدكتور أحمد عطية على الغامدي، الطبعة: الأولى، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، عام: ١٤٠٩هـ) (٦٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٧/٢)، والعلو للذهبي (٢٤٥/١)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٩٦)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩٧/٢).

(٣) النزاع بين أهل السنة وأهل البدعة كان في إثبات علو الذات، أما علو القدر والقهر فقد اتفق عليه أهل القبلة، انظر: ص٣٠٨.

ولأهمية إثبات هذه الصفة وخطورة القول بإنكارها أُفردت فيها مؤلفات مستقلة[(١)].

والعلو والفوقية من الصفات التي ذكرها ابن خزيمة في كتابه، إثباتًا لها واستدلالاً عليها، ومواجهةً للمخالفين لأهل السنة فيها.

والبحث في هذه الصفة يتضمن عدة مسائل:

۞ المسألة الأولى: معنى العلو.

قال ابن فارس: ((العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوًا أو ألفًا: أصل واحدٌ يدل على السمو والارتفاع))[(٢)]، يُقال: تعالى النهارُ أي: ارتفع.

- ويطلق العلو على العظمة والتجبر والغلبة، من قولهم: علا الملِكُ في الأرض علوًا كبيرًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(القصص:٤).

- ويُراد بالعلو الشرف والرفعة، من قولهم: فلانٌ من عِلْية الناس، أي: من أهل الشرف[(٣)].

يقول الخليل[(٤)]: ((العلو لله ﷻ عن كل شيء، فهو أعلى وأعظم مما يُثنى عليه، لا إله إلا الله وحده لا شريك له... والله تبارك وتعالى هو العلي العالي المتعالي ذو العُلا

(١) من هذه المؤلفات: إثبات صفة العلو لابن قدامة، والعلو للذهبي.

(٢) مقاييس اللغة (١١٢/٤)، مادة (علو).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١٨٣/٣)، مادة (على)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٦٩٠)، مادة (علو)، ولسان العرب لابن منظور (٨٣/١٥)، مادة (علا).

(٤) هو: أبو عبدالرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، لغوي ومعجمي ومنشئ علم العروض، ولد سنة:١٠٠هـ، من مصنفاته: "العين"، و"العروض"، و"الشواهد"، كان ذا ذكاء خارق وفطنة كانت مضربًا للمثل في عصره، معدودًا من الزهاد، مات سنة ١٧٠هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٤٤/٢)، وبغية الوعاة للسيوطي (٥٥٧/١).

والمعالي، تعالى عما يقول الطاعنون علوًا كبيرًا))[(١)].

ويقول ابن منده[(٢)] في معنى العلي: ((قال أهل المعرفة بالتأويل معنى العلي: تعالى على الخلق وهو أعلى من كل شيء، وتعالى في كل شيء، فلا شيء أعلى منه))[(٣)].

۞ المسألة الثانية: الأدلة على صفة العلو.

تنوعت الدلائل وتعددت الشواهد على علو الله تبارك وتعالى، من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وإجماع أهل السنة.

أما أدلة القرآن الكريم فهي تتجاوز الألف دليل[(٤)]، وهي متفرعة من أنواع عديدة أوصلها أهل العلم إلى عشرين نوعًا[(٥)]، وهذه الأنواع كالتصريح بالعلو والفوقية، والعروج والصعود إليه، ورفع المخلوقات إليه، وتنزيل الكتاب منه، وأنه سبحانه في السماء، وغيرها من الأنواع، ومن تلك الآيات:

-قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾(الأنعام:١٨).

-وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج:٣-٤).

-وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾(آل عمران:٥٥).

-وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ (الملك:١٦).

---

(١) العين (٢/٢٤٥)، مادة (علو).

(٢) هو: أبو عبدالله، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، الإمام الحافظ، ولد سنة: ٣١٠هـ، أكثر من الرحلة في طلب العلم، وكان جبلاً من جبال العلم، له تصانيف عدة، منها: "الرد على الجهمية"، و"معرفة الصحابة"، توفي سنة: ٣٩٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/٢٨)، وشذرات الذهب لابن العماد (٤/٥٠٤).

(٣) كتاب التوحيد (٣٩٢).

(٤) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٤/٣١٨)، ومختصر الصواعق للموصلي (١/١٢٢).

(٥) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٩٦)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٦٣).

وغيرها من الآيات القاطعة والتي تزيل كل شك في علوه ﷻ، يقول ابن رشد[(١)] -بعد إيراده لنصوص العلو-: ((إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط عليها التأويل؛ عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل إنها من المتشابهات؛ عاد الشرع كله متشابهاً؛ لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى))[(٢)].

أما أدلة السنة على علو الله تبارك وتعالى فهي متوافرة، وقد جمعت بين سنته ﷺ القولية والفعلية والتقريرية. فمن سننه القولية:

-قوله ﷺ: ((ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء))[(٣)].

-وقوله ﷺ: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون))[(٤)].

---

(١) هو: أبو الوليد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، ابن رشد الحفيد، القرطبي المالكي، ولد سنة: ٥٢٠هـ، كان فقيهًا عالمًا، واتجه إلى الفلسفة، له تصانيف كثيرة في فنون عدة: كالفقه، والطب والمنطق، توفي سنة: ٥٩٥هـ، انظر: العبر للذهبي (١١١/٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٥٢٢/٦).

(٢) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد تقديم محمد عابد الجابري، الطبعة: الأولى، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عام: ١٩٩٨م) (١٤٥)،

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب، (٦٧/٨، برقم ٤٣٥١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، (٧٤١/٢، برقم:١٤٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، (٣٣/٢، برقم: ٥٥٥)، وكتاب:بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، (برقم:٣٢٢٣)، وكتاب: التوحيد، باب: قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، (برقم:٧٤٢٩)، وكتاب: التوحيد، باب: ذكر كلام =

-أما سنته ﷺ الفعلية فهي رفعه إصبعه السبابة إلى السماء ونكتها إلى الناس وهو يخطب يوم عرفة ثم قوله: ((اللهم اشهد)) يقولها ثلاثًا [١].

-وكذلك سنته ﷺ التقريرية وهي: سؤاله لجارية معاوية بن الحكم رضي الله عنه بقوله: ((أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة))[٢].

وقد أجمع سلف الأمة قاطبة على وجوب الإيمان بأن الله تبارك وتعالى فوق سماواته، عالٍ على خلقه، بائنٌ منهم.

قال الأوزاعي ~ : ((كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله -تعالى ذكره- فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا))[٣].

وقال ابن عبدالبر[٤] ~ في معرض كلامه عن قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾(المجادلة:٧): ((لأن علماء الصحابة والتابعين الذي حملتُ عنهم التأويل في القرآن في تأويل هذه الآية: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد

= الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، (برقم:٧٤٨٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، (٤٣٩/١، برقم:٢١٠)، من حديث هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، (٨٨٦/٢، برقم:١٤٧)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، (٣٨١/١، برقم:٣٣).

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٢).

(٤) هو: أبو عمر، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري، القرطبي، المالكي، فقيه حافظ مشهور، ولد سنة: ٣٦٨هـ، وتوفي بشاطبة سنة: ٤٦٣هـ، من مؤلفاته: "التمهيد"، و"الاستذكار"، و"الكافي"، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٦/٧)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٥٣/١٨)، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف (١١٩/١).

يحتج بقوله))[١].

وقد كثرت أقوال الصحابة والتابعين وأئمة السلف في إثبات علو الله[٢].

يقول ابن القيم ~ : ((قال شيخ الإسلام: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله، وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة، مملوء مما هو نص أو ظاهر في أن الله ﷻ فوق كل شيء، وإنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه))[٣].

كذلك دانت العقول السليمة والفِطَر القويمة بإثبات علوه ﷻ [٤].

۞ المسألة الثالثة: منهج أهل السنة في إثبات صفة العلو

- يعتقد أهل السنة أن الله ﷻ عالٍ على كل شيء، وفوق كل شيء، ولا شيء فوقه، بائنٌ ﷻ من خلقه، كما يليق بجلاله، دون تكييف له ولا تمثيل[٥].

- ويعتقد أهل السنة أن لله ﷻ العلو المطلق من سائر الوجوه، فيثبتون له:

١-علو الذات: فالله ﷻ علا على جميع المخلوقات بذاته وباينها.

٢-وعلو القدر: وهو علو صفاته وعظمتها؛ فصفاته جليلة لا يماثلها صفات أحد،

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي، تحقيق: محمد التائب وسعيد أحمد أعراب، د.ط، (المركز الإسلامي للطباعة، مصر، د.ت) (١٣٨/٧-١٣٩)، وانظر في حكاية الإجماع على ذلك: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (٢٣١)، وإثبات صفة العلو لابن قدامة (١٢٣-١٢٤).

(٢) انظر في أقوال الصحابة والتابعين في إثبات علو الله ﷻ: إثبات صفة العلو لابن قدامة (٩٨)، والعلو للذهبي (١٢١)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١١٨).

(٣) المصدر السابق (٩٦).

(٤) انظر في دلالة العقل والفطرة على صفة علوه ﷻ: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٦٩).

(٥) انظر: نقض الدارمي (٤٤٣/١)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٧٦)، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة (١٢)، والعلو للذهبي (٢٤٧/١).

ولا يحيط العلم بكيفيتها، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾(الإسراء:٤٣).

٣-وعلو القهر: فالله قهر كل شيء، وكل مخلوقاته دانت له سبحانه وخضعت[1]، فكل ذلك ثابتٌ لله ﷻ،

يقول ابن القيم ~ :

وله العلو من الجهات جميعها ذاتاً وقهراً مع علو الشان[2].

وقد كان الخلاف بين أهل السنة وأهل البدع واقعًا في علو الذات، ذلك أن أهل القبلة كلهم أجمعوا على إثبات علو القهر وعلو القدر، ولم ينكروه[3].

۞ المسألة الرابعة: منهج ابن خزيمة في صفة العلو.

ويتضمن بيان منهجه ما يأتي:

أولاً: منهجه في تقرير صفة العلو والاستدلال عليها.

أكد ابن خزيمة ~ على إثبات صفة العلو لله كما يليق به ﷻ، وبين أن ((الله ﷻ في السماء، كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه))[4] ﷺ، ونصّ على ((أن الإقرار بأن الله ﷻ في السماء من الإيمان))[5]، واستدل على ذلك بحديث الجارية السابق.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لشمس الدين أبي عبدالله، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالعزيز الجُليّل، الطبعة: الأولى، (دار طيبة، الرياض، عام: ١٤٢٣هـ) (٨٨/١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز، (٢٦٨).

(٢) الكافية الشافية لابن القيم (٧٣).

(٣) انظر: أساس التقديس للرازي (٢٠٤)، ومختصر الصواعق للموصلي (٥١٤/٢)، وشرح الفقه الأكبر، لملا على القاري، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ) (١٧١)، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري (١٥٧).

(٤) التوحيد (٢٥٤/١).

(٥) المصدر السابق (٢٧٨/١-٢٨٩).

وما قرره إنما هو تأصيلٌ لمنهج السلف رضي الله عنهم، وقد أورد أدلة كثيرة على علو الله سبحانه وفوقيته وهي:

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم، فذكر ما يتجاوز العشر آيات في إثبات علوه سبحانه، منها ما ذُكر في أول المطلب، وقد تميز استدلاله بما يأتي:

١-أسلوب العرض للأدلة: فنجده ~ ، غالبًا ما يُصَدِّر الدليل بقوله: ((ألم تسمعوا؟))[(١)].

٢-بيان أوجه الدلالة من الآيات، مما يؤكد به على صحة منهج أهل السنة وفساد منهج مخالفيهم.

٣- بيان معاني الآيات، وأوجه الدلالة منها باستعمال دلالات الألفاظ من جهة اللغة.

ومما ذكره من أدلة القرآن: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾(غافر:٣٦-٣٧).

وذكر أن وجه الدلالة من هذه الآية أنها تؤكد ((أن موسى قد كان أعلمه أن ربه -جل وعلا- أعلى وفوق))[(٢)]، وإلا لما أمر ببناء الصرح، إذ إن معنى هذه الآية كما يقول ابن جرير: ((لعلي أبلغ من أسباب السموات أسبابًا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى... وإني لأظنّ موسى كاذبًا فيما يقول ويدّعي من أن له في السماء ربًا أرسله إلينا))[(٣)].

٤-دقة استدلاله: فمن لطائف ما استدل به ~ على علو الباري سبحانه، استدلاله بمحاجة إبراهيم عليه السلام لقومه، وإبطال عبودية ما يعبدونه من الأجرام، يقول: ((وخليل الله إبراهيم عليه السلام عالمٌ في ابتداء النظر إلى الكواكب والقمر والشمس أن

---

(١) التوحيد (٢٥٦،٢٦٤/١).

(٢) المصدر السابق (٢٦٤/١).

(٣) جامع البيان للطبري (٦٥/١٢-٦٦).

خالقه عالٍ فوق خلقه، حين نظر إلى الكواكب والقمر والشمس، ألا تسمع قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، ولم يطلب معرفة خالقه من أسفل إنما طلبه من أعلى، مستيقنًا عند نفسه أن ربه في السماء لا في الأرض))[1].

فإبراهيم عليه السلام قال لهم مناظرًا: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[2]، وقوله ذلك دالٌ على إقراره وتقريره لقومه بعلو الله؛ فقد أكد على دلالة تلك المناظرة على علو الله من جهتين:

الأولى: قول الأنبياء عليهم السلام، وإقرارهم بهذه الصفة العظيمة.

الثانية: الفطرة، ذلك أنه لما خاطب الخليلُ المشركين خاطبهم بشيء مستقر في فطرهم وأن الله تبارك وتعالى في العلو.

ثانيًا: الأدلة من السنة، فقد ذكر ~ بابًا في السُنن المثبتة لعلو الله وفوقيته سبحانه أورد فيه عددًا من الأحاديث بأسانيد عدة، ومما ذكره:

- قوله ﷺ: ((اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شئ، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدَّيْن وأغننا من الفقر))[3]. وغيرها من الأحاديث، إلى أن أورد حديث الإسراء والمعراج[4]، فقال بعده: ((وفي الأخبار دلالةٌ واضحةٌ أن النبيَّ عُرج به من الدنيا إلى

---

(١) التوحيد (٢٦٤/١).

(٢) سورة: الأنعام، الآية: ٧٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، (٢٠٨٤/٤، برقم:٦١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، (٣٠٢/٦، برقم:٣٢٠٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، (١٤٥/١، برقم:٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

السماء السابعة، وأن الله تعالى فرض عليه الصلوات على ما جاء في الأخبار، فتلك الأخبار كلها دالة على أن الخالق البارئ فوق سبع سمواته، لا على ما زعمت المعطلة أن معبودهم هو معهم في منازلهم وكنفهم، على ما هو على عرشه قد استوى))[١].

ثالثًا: استدلاله بدليل الفطرة؛ فذكر أن علو الله ﷻ: ((مفهوم في فطرة المسلمين: علمائهم وجهّالهم، أحرارهم ومماليكهم، ذكرانهم وإناثهم، بالغيهم وأطفالهم: كل من دعا الله جل وعلا فإنما يرفع رأسه إلى السماء ويمد يديه إلى الله إلى أعلاه لا إلى أسفل))[٢].

ثانيًا: منهجه في بيان المخالفين والرد عليهم

المخالفون لأهل السنة في علو الله ﷻ على أقوال أشهرها[٣]:

القول الأول: قول الجهمية المعطلة -وهم نفاة الجهمية-: إن الله لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا عن يمينه ولا عن شماله، ولا فوق ولا تحت.

القول الثاني: قول الجهمية الحلولية[٤]: وهم يزعمون أن الله بذاته في كل مكان، وحالٌّ في كل شيء، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

القول الثالث: قالوا بأن الله بذاته فوق العلم، وهو بذاته في كل مكان[٥].

وقد ذكر ابن خزيمة الجهمية في أكثر من موضع، فقال: ((فاسمعوا الآن ما

---

(١) التوحيد (٢٧٣/١).

(٢) المصدر السابق (٢٥٤/١).

(٣) ثمة انحرافات أخرى دقيقة في هذه المسألة؛ غير أنها في مجملها لا تخرج عما ذكرت.

(٤) الحلولية: فرقة مفسدة من فرق الجهمية، ظهرت في دولة الإسلام، زعموا أن الله حالٌّ في كل شيء حتى الأماكن المستقذرة -تعالى الله عن قولهم-، يتمسكون بمتشابه القرآن كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، انظر: التنبيه والرد للملطي (٧٤)، والتبصير في الدين للإسفراييني (١٣٠).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٣٦/١-٢٨٦، ٢٣٧)، وأصول الدين للبغدادي (٧٦-٧٨)، أساس التقديس للرازي (١٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٩/٢).

أتلو عليكم من كتاب ربنا الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب مما هو مصرّح في التنزيل، أن الرب جل وعلا في السماء، لا كما قالت الجهمية المعطلة: إنه في أسفل الأرضين، فهو في السماء، عليهم لعائن الله التابعة[١]))[٢].

وقال في موضع آخر: ((والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ووحيه وأعلمنا أنه (العلي العظيم)، أفليس العلي يا ذوى الحجا ما يكون عليًا؟ لا كما تزعم المعطلة الجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط، ومع كل شيء وفي كل موضع من أرض وسماء، وفي أجواف جميع الحيوان))[٣].

وقال أيضًا بعد إيراده لخبر المعراج: ((فتلك الأخبار كلها دالة على أن الخالق البارئ فوق سبع سمواته، لا على ما زعمت المعطلة أن معبودهم هو معهم في منازلهم وكنفهم))[٤].

والذي يظهر أن ابن خزيمة ~ وجّه حديثه إلى الجهمية الحلولية لا المعطلة، وتسمية الجهمية بالمعطلة عند ابن خزيمة تسمية مطلقة، لا يريد بها أنهم المعطلة الذين هم في مقابل الحلولية، وهذه من المسائل التي تم التفصيل فيها[٥].

ومما تميز به رده في هذا الباب أنه كان يستدل ثم يُتْبِع ذلك بإلزام الخصم بالتسليم من خلال التوضيح وبيان أوجه الدلالة مما يذكره من النصوص، ومن خلال طرح الأسئلة عليهم، فكان رده كما يأتي:

---

(١) في الأصل كذا، ولعل الصواب: المتتابعة، وهذا ما استظهره محقق كتاب التوحيد عبدالعزيز الشهوان، انظر: (٢٥٥/١).

(٢) التوحيد (٢٥٥/١).

(٣) المصدر السابق (٢٥٧/١).

(٤) المصدر السابق (٢٧٣/١).

(٥) انظر: ص٢٤.

أولاً: رد عليهم بذكر الأدلة القاطعة من القرآن والسنة على علوه سبحانه، وكما سبق ذكره أنه لم يكتفِ بذكر الدليل؛ بل إنه كان يتبعه بوجه الدلالة ومناقشة الجهمية، الأمر الذي يقضي ببطلان ما ذهبوا إليه، وقد تكرر ذلك كثيرًا في استدلالاته.

فقال عند ذكره لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾(الملك:١٦): ((أفليس قد أعلمنا يا ذوي الحجا خالق السموات والأرض وما بينهما في هاتين الآيتين أنه في السماء؟))[١].

وقال أيضاً عند قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾(فاطر:١٠): ((أفليْسَ العلم محيطًا يا ذوي الحجا والألباب أن الرب جل وعلا فوق من يتكلم بالكلمة الطيبة فتصعد إلى الله كلمته؟ لا كما زعمت المعطلة الجهمية أنه تهبط إلى الله الكلمة الطيبة كما تصعد إليه))[٢].

وقد استعان ~ بوضع اللغة في توضيح وتأكيد دلالة ما ذكره على العلو، من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾(النساء:١٥٨)، فمعنى الرفع ((في لغة العرب الذين بلغتهم خوطبنا لا تكون إلا من أسفل إلى أعلى وفوق))[٣]، ففي قوله (رفعه) دلالة قوية أنه سبحانه في علو.

وأهل اللغة يقررون ذلك، يقول ابن فارس: ((الراء والفاء والعين أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على خلاف الوضع، تقول: رفعتُ الشيءَ رفعًا، وهو خلاف الخَفْض))[٤].

وكذلك اسم الله الأعلى الذي ذُكر كثيرًا في القرآن ((فالأعلى مفهوم في اللغة

---

(١) التوحيد (١/٢٥٥).

(٢) المصدر السابق (١/٢٥٥).

(٣) المصدر السابق (١/٢٥٦).

(٤) مقاييس اللغة (٤١٥)، مادة (رفع).

أنه أعلى كل شيء، وفوق كل شيء))(١).

ثانيًا: ومما استعمله ابن خزيمة في رد قول القائلين بأن الله في كل مكان: المجادلة العقلية والمحاجة في آية جلية لمن تدبرها وفَقِه معناها، وهي قوله الله تبارك وتعالى ((لما سأله كليمه موسى عليه السلام أن يريه ينظر إليه: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ (الأعراف:١٤٣).

ففي هذه الآية دلالة على علو الله لكونه بائنًا سبحانه من خلقه، وتضمنت كذلك الرد على الجهمية الحلولية وذلك من جهتين:

الأولى: التجلي؛ وذلك أن ((الله ﷻ لو كان في كل موضع، ومع كل بشر وخلق -كما زعمت المعطلة- لكان متجليًا لكل شيء))(٢)، لا للجبل فقط.

الثانية: الدك؛ وبيان ذلك أن الله تبارك وتعالى ((لو كان مُتجليًا لجميع أرضه سهلها ووعرها، وجبالها وبراريها ومفاوزها، ومدنها وقراها وعمرانها وخرابها، وجميع ما فيها من نبات وبناء؛ لجعلها دكًّا كما جعل اللّهُ الجبلَ الذى تجلّى له دكًّا))(٣)، فبعد تلك الدلالة وذلك البيان يتأكد أن الجهمية بنفيهم لعلو الله سبحانه ((جهال لا يفهمون ما يقولون، وبأن لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم))(٤).

والاستدلال بهذه الآية في رد قول الحلولية قد انفرد بإيراده ابن خزيمة -فيما أعلم- وهذا يدل على سعة فهمه ودقيق فقهه(٥).

---

(١) التوحيد (٢٥٧/١).

(٢) المصدر السابق (٢٥٨/١).

(٣) المصدر السابق (٢٥٨/١).

(٤) المصدر السابق (٢٥٧/١).

(٥) تم الرجوع إلى عدد كبير من المراجع العقدية المتقدمة والمتأخرة عن عصر ابن خزيمة؛ فلم أقف على هذا الاستدلال؛ إلا أنه ذكر عن الإمام أحمد أنه قال: ((وقلنا للجهمية: حين زعمتم أن الله تعالى في كل مكان قلنا: أخبرونا عن قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ كان في الجبل بزعمكم؛ فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن تجلى له، بل كان سبحانه على العرش، فتجلي الشيء لم يكن فيه، =

أما شبهة الجهمية فلم يتعرض لها ابن خزيمة، وهي من الأمور التي ذكرها كثير من أهل العلم، عرضًا وتفنيدًا لها [(١)].

وهكذا نجد ابن خزيمة ~ شديد المنابذة لأهل البدع المنكرين لعلوه ﷻ، ومما يؤيد ذلك قوله: ((من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته، بائن من خلقه؛ فهو كافر يستتاب؛ فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على مزبلة لئلا، يتأذى بريحته أهل القبلة وأهل الذمة)) [(٢)].

وقد أشار إلى قوله ذلك العلماء، يقول ابن القيم ~ :

وبأنه سبحانه حقًا على الـ ... عرش الرفيع فجل ذو السلطان

وهو الذي قد شجع ابن خزيمة ... إذ سل سيف الحق والعرفان

وقضى بقتل المنكرين علوه ... بعد استتابتهم من الكفران

وبأنهم يلقون بعد القتل فو ... ق مزابل الميتات والأنتان

فشفى الإمام العالم الحبر الذي ... يدعى أمام أئمة الأزمان[(٣)].

= ورأى الجبل شيئًا لم يكن رآه قط قبل ذلك))، انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٥٩).

(١) انظر: نقض الدارمي (٤٣٤/١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤١٠/٣)، ومختصر الصواعق للموصلي (١٠٦٠/٣).

(٢) ذكره الحاكم في معرفة علوم الحديث (٢٨٥)، والذهبي في العلو (١٢١٤/٢).

(٣) الكافية الشافية (٨٧).

المطلب العاشر: النفْس

ورد في الكتاب والسنة إضافة النفس لله ﷻ[1]، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (آل عمران:٣٠).

وقد عدّ ابن خزيمة النفس من الصفات الثابتة لله تبارك وتعالى.

والحديث عن النفس يتضمن مسائل عدة، وهي:

۞ المسألة الأولى: الأدلة على النفْس.

ورد ذكر النفس في آيات عدة، وكذلك ورد ذكرها في سنة النبي ﷺ، ومن أدلة القرآن ما يأتي:

١-قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة:١١٦).

٢-وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام:٥٤).

٣-وقوله أيضًا: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه:٤١).

ومن الأحاديث الدالة على النفس ما يأتي:

١-قوله ﷺ في الحديث القدسي: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا)) الحديث[2].

٢-وقوله: ((ليس أحدٌ أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحدٌ أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش)) [3].

---

(١) انظر: نقض الدارمي (٢/٧٠٣)، ، والسنة لابن أبي عاصم (١/٦٤)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١/٦٩)، وكتاب التوحيد لابن منده (١/٣٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/١٧٢)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٨٨)، وكتاب الاعتقاد لأبي يعلى (١٠)، وشرح السنة للبغوي (١/١٦٩-١٧٨)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٩/١٤٢)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، (٤/١٩٩٤، برقم:٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ =

٣-وقوله ﷺ في الحديث القدسي أيضًا: ((أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ هم خير منهم)) الحديث[١].

ونظائر ذلك من أدلة الكتاب والسنة.

۞ المسألة الثانية: منهج أهل السنة في إثبات النفْس.

أثبت أهل السنة النفس لله تبارك وتعالى، ولهم في المراد بالنفس قولان:

القول الأول: أن النفس صفة لله ﷻ كغيرها من الصفات؛ فالنفس صفة زائدة على الذات[٢]، وممن قال بهذا القول أبو يعلى وعبد الغني المقدسي[٣] والبغوي[٤].

= نَفْسَهُۥ﴾ وقول الله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ (٣٨٣/١٣، برقم: ٧٤٠٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، (٢١١٣/٤، برقم:٢٧٦٠)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وقول الله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾، (٣٨٦/١٣، برقم: ٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى، (٢٠٦١/٤، برقم: ٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: لمعة الاعتقاد لابن قدامة (٣٠)، والإبانة الصغرى لابن بطة (١٥٠)، وإبطال التأويلات لأبي يعلى (٤٤١/٢)، وتذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبدالغني المقدسي، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الطبعة: الأولى، (غراس للنشر والتوزيع، الكويت، عام: ١٤٢٤هـ) (١٦٣).

(٣) هو: أبو محمد، عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي، الدمشقي الحنبلي، ولد سنة: ٥٤١هـ، انتهى إليه علم الحديث وحفظه متنًا وإسنادًا، مع تميزه بالورع والتمسك بالأثر، توفي سنة: ٦٠٠هـ، من مصنفاته: "الاقتصاد في الاعتقاد"، و"كتاب التوحيد"، انظر: العبر للذهبي (١٢٩/٣). وشذرات الذهب لابن العماد (٥٦١/٦).

(٤) هو: أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، الشافعي، الإمام، المفسر، لقب بمحيي السنة، ولد في أوائل العقد الرابع من القرن الخامس، وتوفي سنة ٥١٦هـ، وقيل: ٥١٠هـ، من مؤلفاته: شرح السنة، الجمع بين الصحيحين، وتفسيره المسمى معالم التنزيل، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١٣٦/٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣٩/١٩)، وطبقات الشافعية للسبكي (٧٥/٧)، وطبقات =

يقول أبو يعلى: ((نثبت نفسًا هي صفة زائدة على الذات، كما نثبت له حياة، فقلنا حي بحياة، وباقٍ ببقاء... فإن قيل، ليس المراد بالنفس هاهنا إثبات صفة، وإنما المراد بذلك الذات، كما تقول العرب: هذا نفس الأمر... قيل: هذا غلط؛ لأنه إن جاز حمل النفس على الذات؛ جاز حمل الحياة والبقاء على الذات))(١).

وقال عبدالغني المقدسي: ((ومما نطق بها القرآن، وصح بها النقل من الصفات: النفْس))(٢). ثم سرد بعدها الأدلة عليها.

القول الثاني: أن نفس الله هي ذاته ﷻ المتصفة بالصفات الثابتة له(٣)، وهو قول جمهور العلماء(٤).

وممن نص عليه الدارمي، حيث يقول: ((ونفس الله هو: الله، والنفس تجمع الصفات كلها؛ فإذا نفيت النفس نفيت الصفات، وإذا نفيت الصفات كان لا شيء))(٥).

وقال الشوكاني(٦) في قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(آل عمران:٢٨): ((أي ذاته المقدسة))(٧).

وهذا القول هو الراجح؛ فإن النفس هي الشيء عينه؛ ففي الصحاح: ((النفس

= المفسرين للسيوطي (٤٩).

(١) إبطال التأويلات (٢/٤٤٥).

(٢) تذكرة المؤتسي لعبد الرزاق البدر (١٦٣).

(٣) انظر: نقض الدارمي (٢/٨٤٨)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢١٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/٢٩٢)، وفتح الباري لابن حجر (٣/٣٨٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/٢٩٢).

(٥) نقض الدارمي (٢/٨٤٨).

(٦) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني الصنعاني، فقيه محدث أصولي، ولد سنة ١١٧٣هـ، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ، من مؤلفاته: "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار"، و"إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول". انظر: الأعلام للزركلي (٦/٢٩٨)، ومعجم المؤلفين لكحالة (٣/٥٤١).

(٧) فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، د.ط، (دار الفكر، بيروت، عام: ١٤٠٣هـ). (١/٣٣١).

الشيء: عينه))[١].

وجاء في الكليات: ((النفس هي ذات الشيء وحقيقته، وبهذا تطلق على الله تعالى))[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: الله نفسه، التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتًا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ))[٣].

والمتأمل في النصوص يدرك أن هذا القول هو الحق؛ فالله سبحانه يقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (آل عمران:٢٨)، أي هو سبحانه، ويقول: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ (طه:٤١)، ولا يقال: إنه اصطنعه لصفة من صفاته! ويقول: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ (المائدة:١١٦)، ولا يقال: إن المعنى: ولا أعلم ما في صفة من صفاتك!، ويقول: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام:٥٤)، ولا يقال: إنه كتبها على صفة من صفاته!

والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: منهج ابن خزيمة في إثبات النفْس.

أولًا: منهجه في التقرير والاستدلال:

قرر ابن خزيمة أن النفس من صفات الله تعالى، وجعلها أُولى الصفات في كتابه التوحيد؛ فقال: ((فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا ذكر

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن جماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة: الرابعة، (دار العلم للملايين، بيروت، عام: ١٩٩٠م) (٩٨٤/٢)، مادة (نفس)، وانظر: لسان العرب (٢٣٣/٦)، مادة (نفس).

(٢) (٤٨٠/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٩٢/٩).

نفسه جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه وعز أن يكون عدمًا لا نفس له))[1].

وقد أورد أدلة عدة من الكتاب على إثباتها، وأكّد -بتلك الأدلة- أن الله أعلمنا ((أن له نفسًا كتب عليها الرحمة))[2]، ((واصطنع لها كليمه موسى عليه السلام))[3]، وأن روح ((الله عيسى بن مريم يعلم أن لمعبوده نفسًا))[4].

كما أنه استدل بأحاديث عدة من أخبار ((النبي ﷺ في إثبات النفس لله عز وجل على مثل موافقة التنزيل الذي بين الدفتين مسطور، وفي المحاريب والمساجد والبيوت والسكك مقروء))[5].

فظاهر كلامه اعتبار النفس صفة لله تعالى كغيرها من الصفات، يشير إلى ذلك قوله السابق: ((فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا ذكر نفسه))[6].

والذي يترجح لدي -والله تعالى أعلم- أن ابن خزيمة ~ لم يقصد

من إيراده النفس عند ذكر الصفات أنها صفة زائدة على الذات، وإنما قصد الرد على الجهمية التي أنكرت ذلك فادّعت أن إضافة النفس هي إضافة المخلوق إلى الخالق كما سيتبين عند الحديث عن منهجه في الرد على المخالفين.

وهذا الأمر نبّه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ~ ؛ حيث قال أثناء حديثه عن النفس: ((فإن طائفة من متأخري أهل الإثبات جعلوا النفس في هذه النصوص صفة لله زائدة على ذاته لما سمعوا إدخال المتقدمين لها في ذكر الصفات، ولم يكن مقصود

---

(١) (١/١١).

(٢) التوحيد (١/١١).

(٣) المصدر السابق (١/١٢).

(٤) المصدر السابق (١/١٢).

(٥) المصدر السابق (١/١٣).

(٦) المصدر السابق (١/١٣).

المتقدمين ذلك، وإنما قصدهم الرد على من ينكر ذلك من الجهمية))[١]، ثم أورد كلام ابن خزيمة في النفس ضمن تصريح أئمة السنة بأن المراد بالنفس هو الذات، وقال معقبًا على كلام ابن خزيمة:: ((فهذا أيضًا يبين أنهم قصدوا الرد على الجهمية حيث منعوا ثبوت النفس لله، حتى جعلوا مسماها غيره))[٢].

وعلى هذا يكون إيراد ابن خزيمة للنفس في استهلاله إثبات الصفات من باب إثبات وإطلاق ما أطلقه الله ﷻ وذكره عن ذاته في كتابه وسنة نبيه ﷺ. لا أنها صفة زائدة عن الذات

ومما يؤكد أنه أراد بنفس الله ذاته: ذكرُهُ بأن نفي النفس يعني نفي الذات، وأنه عدمًا -تعالى الله عن قولهم-، يقول ~ : ((عز ربنا أن يكون عدمًا لا نفس له))[٣].

ثانيًا: منهجه في الرد على المخالفين:

بين ابن خزيمة ~ إنكار الجهمية للنفس؛ ذلك أن الجهمية ادعت أن النفس المضافة إلى الله في نصوص القرآن والسنة: من مخلوقات الله، يقول ~ : ((كفرت الجهمية بهذه الآي وهذه السنن، وزعم بعض جهلتهم أن الله تعالى إنما أضاف النفس إليه على معنى إضافة الخلق إليه، وزعم أن نفسه غيره، كما أن خلقه غيره))[٤].

وقد رد ~ تلك الدعوى الضالة بمجادلة عقلية مفحمة تؤكد أن ما ادعوه ((لا يتوهمه ذو لب وعلم، فضلاً عن أن يتكلم به))[٥].

يقول ~ في مجادلته للجهمية: ((قد أعلم الله في محكم تنزيله أنه كتب على

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤٢٧/٧).

(٢) المصدر السابق (٤٥٢/٧).

(٣) التوحيد (١١/١).

(٤) المصدر السابق (١٩/١).

(٥) المصدر السابق (١٩/١).

نفسه الرحمة، أفيتوهم مسلم أن الله تعالى كتب على غيره الرحمة؟ وحذر اللهُ العبادَ نفسه، أفيحل لمسلم أن يقول إن الله حذر العباد غيره؟ أو يتأول قوله لكليمه موسى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾[1] فيقول معناه: واصطنعتك لغيري من المخلوق، أو يقول أراد روح الله بقوله: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾[2] أراد ولا أعلم ما في غيرك؟ هذا لا يتوهمه مسلم ولا يقوله إلا معطل كافر))[3].



---

(١) سورة: طه، الآية: ٤١.

(٢) سورة: المائدة، الآية: ١١٦.

(٣) التوحيد (١٩/١).

المبحث الثالث

منهج ابن خزيمة في إثبات الصفات الفعلية

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: صفة الاستواء على العرش.

المطلب الثاني: صفة النزول.

المطلب الثالث: صفة الضحك.

المطلب الرابع: صفة الكلام.

المطلب الخامس: رؤية الله تعالى.

* *　**　* *

المطلب الأول: صفة الاستواء على العرش

الاستواء على العرش من صفات الله الفعلية الثابتة له بنص الكتاب والسنة(١).

وهو من الصفات الخبرية التي لا تُعلم إلا بالسمع(٢).

والعلو والاستواء بينهما تقارب؛ إذ إن الاستواء علوٌ خاص(٣)، وهو من لوازم علوه ﷻ(٤).

وقد تناول ابن خزيمة ~ هذه الصفة، مقررًا منهج أهل السنة في إثباتها، وقول المخالفين لهم.

والبحث في هذه الصفة يتضمن عدة مسائل:

---

(١) انظر: العرش لابن أبي شيبة (٢٨٥)، والرد على الجهمية للدارمي (٣٣)، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/٣٠٠-٣٠٧)، والإبانة للأشعري (١١٩-١٢٧)، وشرح السنة للبربهاري (٢٤)، والشريعة للآجري (٣/١٠٨١-١٠٩١)، والتوحيد لابن منده (٣/١٨٥-١٩٦)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (٨٨)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/٣٨٧-٤٠٢)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٧٥)، والاعتقاد للبيهقي (٤٧-٤٨)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢٤٩)، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة (١٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/٢٧-٢٨)، والعلو للذهبي (١/٢٤٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٩٦)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٥٤)، وأقاويل الثقات لمرعي الكرمي (١٢٠).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية، (٤٨٧)، ومدارج السالكين لابن القيم (١/٧٦).

(٣) أي أن: كل مستو على شيء عال عليه، وليس كل عال على شيء مستو عليه.انظر: شرح حديث النزول لابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى) (٥/٥٢٢)، والصارم المنكي في الرد على السبكي، لمحمد بن أحمد بن عبدالهادي، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري، الطبعة: الأولى، (مؤسسة الريان، بيروت، عام: ١٤١٢هـ) (٢٣٢).

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/٦٤).

۞ المسألة الأولى: معنى الاستواء ومعنى العرش

أولًا: معنى الاستواء:

تدور أقوال السلف -رحمهم الله- في تفسير معنى استواء الله ﷻ على عرشه على معانٍ أربعة:

الأول: العلو، قال مجاهد: ((استوى: علا على العرش))[1].

الثاني: الارتفاع، روى الطبري بسنده، عن الربيع بن أنس[2] أن معناه: ((ارتفع إلى السماء))[3].

الثالث: الصعود، قال البغوي عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (الأعراف:٥٤): ((قال أبو عبيدة[4]: صعد))[5].

الرابع: الاستقرار، قال البغوي أيضًا عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(الأعراف:٥٤):

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه (مع الفتح)، (معلقًا عن مجاهد)، كتاب: التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٤٠٣/١٣)، وانظر العلو للذهبي (١٢٢٧/٢).

(٢) هو: الربيع بن أنس بن زياد، البكري الخراساني، من أهل البصرة، كان عالم مرو في زمانه، رمي بالتشيع، مات سنة: ١٣٩هـ، وقيل سنة:١٤٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦٩/٦)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢٠٧/٣)

(٣) جامع البيان (١٩١/١). وانظر: العلو للذهبي (١٢٥٩٨/٢).

(٤) هو: أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي مولاهم، البصري، اللغوي، ولد سنة: ١١٠هـ، اتهم بشيء من رأي الخوارج، صدوق، له باع في العلم، وكان من أعلم الناس بأنساب العرب وأيامهم، له تصانيف عدة، منها: "المجاز"، اختلف في وفاته؛ فقيل: سنة: ٢٠٩هـ، وقيل سنة: ٢١٠هـ، وغير ذلك، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٤٥/٩)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٢١/١٠)، وشذرات الذهب لابن العماد (٥٠/٣).

(٥) معالم التنزيل (٢٣٥/٣).

((قال الكلبي[(١)] ومقاتل[(٢)]: استقر))[(٣)].

وقد جمع ابن القيم هذه المعاني بقوله:

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك ار ... تفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره ... أدرى من الجهمي بالقرآن[(٤)].

وهذه المعاني التي ذكرها السلف كلها معانٍ متقاربة تفيد معنى العلو والارتفاع.

ثانيًا: معنى العرش:

قال ابن فارس: ((العرش: السرير))[(٥)]، وجاء في اللسان: ((العرش: سرير المَلِك))[(٦)].

وكذلك ذكر السلف أن العرش بمعنى: سرير الملك، قال البيهقي: ((العرش هو

---

(١) هو: أبو النضر، محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث، الكلبي الكوفي، المفسر، كان رأسًا في الأنساب، اتهم بالرفض، متروك الحديث، مات سنة: ١٤٦هـ، انظر: العبر للذهبي (١/١٥٨)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢/٢١١).

(٢) هو: أبو الحسن، مقاتل بن سليمان بن بشير الخراساني البلخي، من كبار المفسرين، اتهم بالتشبيه، قيل عنه: أن الناس عيال عليه في التفسير، له مكان عند أهل التفسير لكن الحفاظ ضعفوه؛ فكان متروك الحديث، مات سنة: ١٥٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/٢٠١)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/٢٤٩).

(٣) معالم التنزيل (٣/٢٣٥).

(٤) الكافية الشافية (٨٥).

(٥) مجمل اللغة (٣/٦٥٨)، مادة (عرش).

(٦) (٦/٣١٣) مادة (عرش)، وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادي (٢/٢٧٧)، مادة (عرش).

السرير))[١].

وعرّف شارح الطحاوية[٢] العرش بأنه: ((السرير الذي للمَلِك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[٣]))[٤].

۞ المسألة الثانية: الأدلة على صفة الاستواء.

توافرت الأخبار من القرآن والسنة على أن الله ﷻ مستوٍ على عرشه، وقد ورد استواء الله على عرشه في القرآن في سبعة مواضع منها:

-قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف:٥٤).

-و قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾(طه:٥).

كذلك جاءت السنة بإثبات استوائه ﷻ على العرش، ومن هذه الأحاديث:

-قوله ﷺ: ((لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي))[٥]، وغيره من الأحاديث[١].

---

(١) الاعتقاد (٤١).

(٢) هو: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الصالحي الحنفي، قاضي دمشق. ولد سنة ٧٣١هـ، وتوفي بدمشق سنة ٧٩٢هـ. من مؤلفاته: "شرح العقيدة الطحاوية"، انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٧٨/٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣٢٦/٦).

(٣) سورة: النمل، الآية: ٢٣.

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٥٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، (٢٨٧/٦، برقم:٣١٩٤)، وكتاب: التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، حديث رقم (٧٤٢٢)، وباب: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾، حديث رقم (٧٤٥٣)، وباب: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾، حديث رقم (٧٥٥٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (٢١٠٧/٤، برقم:٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقد أجمع أئمة أهل السنة على إثبات استواء الله ﷻ.

قال أبو عمر الطلمنكي[٢] : ((أجمع المسلمون من أهل السنة... وأن الله فوق السموات بذاته، مستوٍ على عرشه كيف شاء))[٣].

ونقل كذلك ابن عبدالبر الإجماع بعد ذكره لحديث النزول بقوله: ((وفيه دليل على أن الله ﷻ في السماء على العرش، من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة))[٤].

۞ المسألة الثالثة: منهج أهل السنة في صفة الاستواء[٥].

١- يعتقد أهل السنة أن الله تبارك وتعالى فوق سمواته، مستوٍ على عرشه، استواء حقيقيًا يليق بجلاله، لا يشبه استواء المخلوقين.

يقول الإمام الصابوني: ((يعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله سبحانه فوق سبع سمواته، على عرشه مستوٍ، كما نطق به كتابه))[٦].

٢- واستواؤه سبحانه معلوم المعنى، ومعناه كما ذُكر من تفسير السلف السابق

---

(١) انظر فيمن جمع أحاديث الاستواء: العرش لابن أبي شيبة (٢٩٣)، والاعتقاد للبيهقي (٤٢)، وإثبات صفة العلو لابن قدامة (٩٠)، والعلو للذهبي (٢٤٩/١).

(٢) هو: أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبدالله الطلمنكي المعافري الأندلسي، ولد سنة: ٣٤٠هـ، من المقرئين، وهو أول من أدخل القراءات إلى الأندلس، كان عالمًا في علم القرآن وعلوم الحديث، وكان سيفًا مسلولاً على أهل البدع، توفي سنة: ٤٢٩هـ، انظر: غاية النهاية لابن الجزري (١١٠/١). وشذرات الذهب لابن العماد (١٤٧/٥).

(٣) ذكره الذهبي في العلو (١٣١٥/٢).

(٤) التمهيد (١٢٩/٧)،

(٥) انظر في بيان منهج أهل السنة في الاستواء: الإبانة للأشعري (١٢٦)، والتمهيد لابن عبدالبر (١٣١/٧)، والاعتقاد للبيهقي (٤٣)، ومختصر الصواعق للموصلي (٨٨٨/٣)، وأقاويل الثقات لمرعي الكرمي (١٣٢).

(٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٧٥).

له، فلا يؤولون معناه، أما كيفيته فمجهولة. قال الإمام مالك لمن سأله عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾(طه:٥)، كيف استوى؟: ((الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً))[١].

۞ المسألة الرابعة: منهج ابن خزيمة في صفة الاستواء

أولاً: منهجه في تقرير الصفة والاستدلال عليها.

-أثبت ابن خزيمة استواء الله على عرشه فقال: ((فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستوٍ على عرشه))[٢].

-أشار ~ إلى أن هذه الصفة من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته جل جلاله، وذلك بقوله عند تبويبه: ((باب: ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى، الفعّال لما يشاء، على عرشه، فكان فوقه وفوق كل شيء عالياً))[٣].

-ذكر منهجه -الذي هو منهج أهل السنة- في إثبات هذه الصفة، وهو الإيمان بها حقيقةً، دون تأويلٍ لمعناها فقال: ((لا نبدل كلام الله، ولا نقول غير الذي قيل لنا، كما قالت الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى))[٤].

-عضّد معتقده ذلك بالأدلة المثبتة له من القرآن والسنة، وأقوال الصحابة.

وكان مما ذكر من أدلة: حديث الأوعال[٥]، وهو حديث العباس ابن

---

(١) أخرج قصة الإمام مالك الدارمي في الرد على الجهمية (٥٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٩٨/٣)، وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٨٥)، والبيهقي في الاعتقاد (٤٣)، والذهبي في العلو (٩٥٢/٢).

(٢) التوحيد (٢٣٣/١).

(٣) المصدر السابق (٢٣١/١).

(٤) المصدر السابق (٢٣٣/١).

(٥) انظر: ص١١٩.

عبدالمطلب رضي الله عنه الذي قال فيه: ((كنت في البطحاء[1] في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرّت بهم سحابة، فنظر إليها فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: السحاب، قال: والمُزن، قالوا: والمزن، قال: والعَنان، قالوا: والعنان، قال: هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا ندري قال: إن بُعد ما بينهما: إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك، حتى عدّ سبع سموات، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك))[2].

أورد بعض الأحاديث والآثار في العرش وحملته من الملائكة، والكرسي، وهي أمور ذات صلة بصفة الاستواء[3].

ثانيًا: منهجه في ذكر المخالفين والرد عليهم.

لم يتوسع ابن خزيمة في بيان قول المخالفين لأهل السنة وذكر شبهتهم والرد عليها، بالرغم من كثرة الجدل والكلام في هذه الصفة، ووفرة من تصدّى للرد عليهم ومناقشة أدلتهم من أهل العلم.

---

(١) سبق التعريف بها، انظر: ص١١٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في الجهمية والمعتزلة، (٦٤٣/٢، برقم:٤٧٢٣)، وابن ماجه في السنن، باب: فيما أنكرت الجهمية، (٦٩/١، برقم:١٩٣)، والترمذي في سننه، في التفسير، ومن سورة الحاقة، (٤٠٣/٥، برقم:٣٣٢٠)، والحديث مختلف في تصحيحه؛ فممن صححه الترمذي، والحاكم في المستدرك (٣٩٠٣)، وابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (٢٢١-٢٢٣)، وممن ضعفه ابن عدي، انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، تحقيق: لجنة من المختصين بإشراف الناشر، د.ط، (دار الفكر، د.ت) (٢٦٥٦/٧)، والألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام:١٤٠٥هـ) (١٢٤٧)، وعلى احتمال ضعفه فإن دلالته على علو الله واستوائه لا يُطعن فيها، وذلك لدلالة أحاديث أخرى على ذلك كما سبق.

(٣) انظر: التوحيد (٢٤٨/١-٢٥٠).

وقد اقتصر حديثه على بيان قول الجهمية في صفة الاستواء؛ فالجهمية لا يثبتون الاستواء حقيقةً لله تبارك وتعالى، بل إنهم يؤولون نصوصه، فزعموا أن الاستواء على العرش معناه: الاستيلاء عليه[1]، أي: القهر والغلبة، يقول ~: ((لا نبدل كلام الله، ولا نقول غير الذي قيل لنا، كما قالت الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى عليه))[2].

وذكر أن الجهمية بتأويلهم الباطل للاستواء بدّلوا ((قولاً غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود كما أمروا أن يقولوا: (حطة)، فقالوا: (حنطة)، مخالفين لأمر الله - جل وعلا- كذلك الجهمية))[3].

ففعلهم يشبه فعل اليهود، لذا قيل: لام الجهمية كنون اليهودية، يقول ابن القيم:

أمر إليهود بأن يقولوا حطة فأبوا وقالوا حنطة لهوان

وكذلك الجهمي قيل له استوى فأبى وزاد الحرف للنقصان

إلى أن قال:

نون اليهود ولام جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان

وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان[4].

وقد تعددت المذاهب في صفة الاستواء إلى أقوال أذكرُ أشهرها:

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٣٧/١)، وشرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار بن أحمد، تحقيق: الدكتور عبدالكريم عثمان، الطبعة الرابعة، (مكتبة وهبة، القاهرة، عام: ١٤٢٧هـ) (٢٢٦)، وأصول الدين للبغدادي (١١٢)، وتحفة المريد للبيجوري (١٥٧).

(٢) التوحيد (٢٣٣/١).

(٣) المصدر السابق (٢٣٣/١).

(٤) الكافية الشافية (١١١).

١-أن الاستواء بمعنى الاستيلاء، وهو القهر والغلبة[١].

٢-ذهبت بعض الفرق إلى أن الاستواء بمعنى المُلْك[٢].

٣-قيل إن الاستواء بمعنى أن الله فعل في العرش فعلاً سمّاه استواء[٣].

٤-وقيل إن الاستواء معناه أن الله أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه[٤].

وكل ما ذُكر أقوالٌ باطلة عارية من الدليل.

وأكثر تلك الأقوال شيوعًا: القول الأول؛ لذا نجد أن ردود أهل العلم تركزت عليه، وهي كثيرة جدًا حتى إن ابن القيم أوْرد أكثر من أربعين وجهًا في الرد على ذلك[٥]، ومما ذُكر من تلك الردود:

١-أن تفسير الاستواء بالاستيلاء غير معروف، ولم ينقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم.

٢-أن هذا التفسير لم يقُلْه أحد من أئمة السلف، بل إجماعهم منعقد أن الله استوى على عرشه حقيقةً لا مجازًا، ومنعقدٌ كذلك على أن هذا التأويل مُتَلقّى من الجهمية والمعتزلة والخوارج[٦].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٣٧/١)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (٢٢٦)، وأصول الدين للبغدادي (١١٢)، وتحفة المريد للبيجوري (١٥٧).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (٢٢٧)، وأصول الدين للبغدادي (١١٣)، وتحفة المريد للبيجوري (١٥٧).

(٣) انظر: أصول الدين للبغدادي (١١٢).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، لأبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، د.ط، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، عام: ١٤٢٦هـ) (٦٥٢/١).

(٥) انظر: مختصر الصواعق للموصلي (٨٨٨/٣).

(٦) انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (١٣١)، والتمهيد لابن عبدالبر (١٣١)، وانظر كلاما لابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية (٤١٧/١).

٣-لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء لم يمنع إضافته إلى العرش إضافته إلى ما سواه من المخلوقات كالشمس والقمر والبحر، وهذا مما لا يصح قوله.

٤-دلّت آيات الاستواء أن الله تبارك وتعالى استوى على العرش بعد خلقه للسموات والأرض، فعلى زعمهم: مَنْ الذي كان مستوليًا على العرش قبل خلق السموات والأرض؟ وهل نقول إن الله لم يكن مستوليًا عليه قبل ذلك؟ هذا بلا ريب لا يقوله مسلم[1].

والمعطلة في نفيهم وتعطيلهم يزعمون تنزيه الله عن مشابهة المخلوق، يقول أبو الحسن الأشعري: ((يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه؟ فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل))[2]، فهي حجة واهية لم تزد المعطلة إلا بُعدًا عن الإيمان الحق بتلك الصفات الجليلة.



(١) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (٣٤)، ونقض الدارمي (١/٤٥٤/٤٨٤)، والإبانة للأشعري (١١٩/١٢٧)، ومختصر الصواعق للموصلي (٣/٨٨٨/٩٤٦).

(٢) الإبانة (١٢٦).

المطلب الثاني: صفة النزول

النـزول إلى سماء الدنيا من الصفات الفعلية الخبرية الثابتة لله ﷻ[1]، والسلف قاطبة يثبتون هذه الصفة على الكيفية التي تليق بجلاله وعظمته.

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا.

وهذه الصفة تعددت فيها المذاهب وتنازعت فيها الآراء، وكثر المخالفون لأهل السنة فيها.

وقد تناولها ابن خزيمة ~ ،وبيّن منهج أهل السنة في إثباتها، وأدلتهم عليها.

والبحث في هذه الصفة يتضمن عدة مسائل:

۞ المسألة الأولى: أدلة صفة النزول.

-نزول الرب ﷻ الوارد في الأدلة على تسعة أنواع هي:

-نزوله ﷻ إلى سماء الدنيا كل ليلة.

-نزوله ﷻ عشية عرفة.

-نزوله تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان.

-نزوله ﷻ بعد أن ينادي المنادي بين يدي الساعة.

---

(١) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (٦٣)، والسنة لابن أبي عاصم (٢١٦/١)، والسنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (٢٧٢/١)، والشريعة للآجري (١١٢٤/٣)، واعتقاد أهل الحديث للإسماعيلي (٤٢)، والنزول للدارقطني، والتوحيد لابن منده (٢٩١/٣)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (١١٠)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤٣٤/٣)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٩١)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢٤٨)،وشرح حديث النزول لابن تيمية (ضمن محموع الفتاوى (٣٢١/٥)، والعلو للذهبي (٧٠٠/١)، مختصر الصواعق للموصلي (١١٠٠/٣)، أقاويل الثقات لمرعي الكرمي (١٩٨).

-نزوله جل وعلا إلى الأرض بين النفختين في الصور.

-نزوله ﷻ يوم القيامة.

-نزوله جل وعلا من العرش إلى الكرسي يوم القيامة.

-نزوله ﷻ على القنطرة يوم القيامة.

-نزوله تبارك وتعالى لأهل الجنة[(١)].

وإيراد الأدلة هنا متعلق بالنوع الأول؛ لأنه الذي تناوله ابن خزيمة في عامة كلامه؛ وهو نزوله جل في عُلاه كل ليلة إلى سماء الدنيا، والأحاديث المثبتة له متواترة، وقد حكى التواتر جمعٌ من الأئمة.

يقول ابن عبدالهادي[(٢)]: ((وحديث النزول متواترٌ عن رسول الله ﷺ))[(٣)].

ومن هذه الأحاديث:

١-حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((ينزل ربنا -تبارك وتعالى- كل

----

(١) انظر أدلة هذه الأنواع وتخريجها: صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها، لعبد القادر بن محمد بن يحيى الغامدي الجعيدي، الطبعة: الأولى، (مكتبة: دار البيان الحديثة، الطائف، عام: ١٤٢١هـ) (٥٦-١٥١).

(٢) هو: أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي الصالحي الحنبلي، ولد سة: ٧٠٥هـ، وكان رأسًا في التفسير والحديث والقراءات واللغة، وعني بالحديث ومعرفة رجاله وعلله، وكان أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، من مصنفاته: "الصارم المنكي في الرد على السبكي"، و"المحرر في الأحكام"، توفي سنة: ٧٤٤هـ، انظر: العبر للذهبي (١٣٢/٤)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٤٥/٨).

(٣) الصارم المُنكي (٢٢٩)، وقد نقل التواتر أيضاً: عبدالغني المقدسي، انظر: تذكرة المؤتسي، لعبد الرزاق البدر، (١١١)، وابن تيمية في شرح حديث النزول، ضمن مجموع الفتاوى (٣٢٣)، والذهبي في العلو (٧٠٠/١)، وابن القيم، انظر: تهذيب السنن، لابن القيم أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: الدكتور إسماعيل غازي مرحبا، الطبعة: الأولى، (مكتبة المعارف، الرياض، عام: ١٤٢٨هـ) (٢١٩٩/٤-٢٢٠٠).

ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟))[(١)].

٢-قوله ﷺ: ((إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل يُعطى، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له؟، حتى ينفجر الصبح))[(٢)].

والأحاديث في ذلك كثيرة كما مر من ذكر تواترها.

وقد انعقد الإجماع على إثبات هذه الصفة ووجوب الإيمان بها[(٣)].

۞ المسألة الثانية: منهج أهل السنة في إثبات صفة النزول.

أهل السنة والجماعة يثبتون صفة النزول لله ﷻ إلى السماء الدنيا كل ليلة، ونزوله سبحانه نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته، فلا يؤولون معناه عن ظاهره، ولا يكيفون نزوله، ولا يشبهونه بنزول المخلوقين. يقول أبو إسماعيل الصابوني: ((ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب ﷻ كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله، وينتهون فيه إليه))[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، (٢٩/٣، برقم:١١٤٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل والإجابة فيه، (٥٢١/١، برقم: ١٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، (٤٦٤/١٣، برقم:٧٤٩٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل والإجابة فيه، (٥٢٢/١، برقم:١٧٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) انظر فيمن نقل الإجماع: الدارمي في الرد على الجهمية (٧٩)، والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٩١)، وابن عبدالبر في التمهيد (١٣٤/٧)، وابن عبدالهادي في الصارم المُنكي (٢٢٩).

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٩١)، وانظر في بيان اعتقاد أهل السنة: الرد على الجهمية =

۞ المسألة الثالثة: منهج ابن خزيمة في إثبات صفة النزول.

أولاً: منهجه في التقرير والاستدلال

أثبت ابن خزيمة ~ صفة نزول الرب ﷻ إلى سماء الدنيا، مقررًا منهج أهل السنة والجماعة فيها، يقول ~: ((نشهد شهادة مُقِرٍ بلسانه، مصدقٌ بقلبه، مستيقنٌ بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية))[1]، ثم قال بعدها: ((فنحن قائلون، مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته، أو بصفة الكيفية))[2].

وفيما سبق يُلحظ تركيزه على نفي الكيفية لهذه الصفة، فالنزول من الصفات الخبرية التي لا سبيل للعقل إلى إثباتها؛ وإنما هي متوقفة على الخبر.

يقول الدارمي ~: ((لا ينكرها [أي صفة النزول] منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله ﷺ برد، وتشمروا لدفعها بجد، فقالوا: كيف نُزُولُه هذا؟ قلنا: لم نكلف معرفة كيفية نُزُولِه في ديننا، ولا تعقله قلوبنا))[3].

وقد سار على ما نهجه ابن خزيمة في التأكيد على نفي الكيفية عند إيراد هذه الصفة أئمة أهل السنة؛ يقول الآجري - عند ذكر نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة-: ((الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يَرُد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف))[4].

= للدارمي (٧٩)، والشريعة للآجري (١١٢٤/٣)، واعتقاد أهل الحديث للإسماعيلي (٤٢)،والتمهيد لابن عبدالبر (١٤٣/٧)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٤٨/١-٤٩).

(١) التوحيد (٢٩٠/١).

(٢) المصدر السابق (٢٩٠/١).

(٣) الرد على الجهمية (٧٩).

(٤) الشريعة (١١٢٤/٣).

كذلك يقول الإسماعيلي: ((وأنه ﷻ ينزل إلى السماء، على ما صح به الخبر عن رسول الله، بلا اعتقاد كيف فيه))[(١)].

وقد علل ابن خزيمة نفي الكيفية بأن ((نبينا المصطفى لم يصِفْ لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل))[(٢)].

والنبي ﷺ حريص على أمته، فلو كان العلم بكيفية الصفات مما للناس إليه حاجة لم يترك الله ((ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم))[(٣)].

أما استدلاله فبيانه كما يأتي:

أورد أحاديث عدة رواها جمعٌ من الصحابة رضوان الله عليهم في نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة.

تعددت ألفاظ النزول في الأحاديث، فجاء في بعضها: ((ثم يهبط إلى سماء الدنيا))[(٤)]، وفيما يحصل يوم عرفة: ((وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة))[(٥)]، وفي بعضها: ((إن الله ﷻ يتدلى في جوف الليل))[(٦)]، وهي معانٍ متقاربة؛ فالهبوط والتدلي والدنو كلها تحمل معنى النزول من علو، وعلى هذا أطبق أهل اللغة[(٧)].

----

(١) اعتقاد أهل الحديث (٤٢)، وانظر: عقيد السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٩٤).

(٢) التوحيد (١/٢٩٠).

(٣) المصدر السابق (١/٢٩٠).

(٤) سيأتي تخريجه ص٣٣٨.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج باب: فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، (٢/٩٨٢، برقم: ١٣٤٨)، من حديث عائشة < .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٢/١٧٤، برقم: ١٩٤٣٢)، وابن منده في التوحيد (٣/٢٩٨، برقم: ٨٨٣)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٣/٤٤٥)، وابن عبدالبر في التمهيد (٤/١٤)، وصححه ابن عبدالبر انظر: التمهيد (٤/٢٤).

(٧) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣٣٦)، مادة (دني)، ولسان العرب لابن منظور (١٤/٢٦٦)، باب:(دلا).

وهي بمجموعها تؤكد النزول الحقيقي لله ﷻ وتدفع شُبه المؤولين.

وقد اقتصر ابن خزيمه في استدلاله على لفظتي (النزول والهبوط)؛ أما النزول فقد ذكر أحاديث عدة سبق ذكر بعض منها في أدلة أهل السنة، وذَكَر في الهبوط قوله ﷺ: ((إن الله يفتح أبواب السماء في ثلث الليل الباقي، ثم يهبط إلى سماء الدنيا فيبسط يديه: ألا عبد يسألني فأعطيه؟ فما يزال كذلك حتى تسطع الشمس))[1].

أشار ابن خزيمة إلى أن في أحاديث النزول دلالة واضحة على ((أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا))[2].

ولم يزل أهل العلم -قبل ابن خزيمة وبعده- يتواردون على هذا؛ وهو الاستدلال بنزول الله على علوه تبارك وتعالى.

يقول ابن أبي عاصم: ((وأخبار النزول دالة على أنه في السماء دون الأرض))[3].

ويقول ابن أبي زمنين[4] -بعد إيراده لحديث النزول-: ((وهذا الحديث بيّن أن الله ﷻعلى عرشه في السماء دون الأرض))[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠١/٧)، برقم: ٤٢٦٨)، والدارمي في الرد على الجهمية (٦٦) حديث (١٣٠)، والآجري في الشريعة (١١٤٠/٣)، حديث (٧١٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤٤٢/٣-٤٤٣)، والدارقطني في النزول (٩٨-١٠٠)، حديث (٨). من طرق حسّن بعض طرقه ابن القيم في مختصر الصواعق (١٢٤٢/٣-١٢٤٣)، وحكم على بعضها بالصحة الألباني، انظر: إرواء الغليل (١٩٨/٢-١٩٩).

(٢) التوحيد (٢٩٠/١).

(٣) ظلال الجنة (٢٢١/١).

(٤) هو: أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن عيسى المري، الأندلسي الإلبيري، المعروف بابن أبي زمنين، فقيه مالكي، ولد سنة: ٣٢٤هـ، وتوفي سنة: ٣٩٩هـ، كان راسخا في العلم مقتفيًا للآثار، مصنفاته كثيرة، منها: "أصول السنة"، و"منتخب الأحكام"، انظر:سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٨/١٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (٥٢١/٤).

(٥) أصول السنة (١١٣).

لذا استخدم أهل السنة دليل النزول في محاجّة المخالفين الذين أنكروا علو الله ﷻ، يقول الدارمي: ((وقلّ حديثٌ رُوي عن النبي ﷺ أنقض لدعواكم من الله[١] في كل مكان من حديث النزول))[٢].

وما ذكره ~ هو مقتضى لغة العرب؛ ذلك أن ((مفهوم الخطاب أن النزول من أعلا إلى أسفل))[٣]، و((محالٌ في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلا))[٤].

وما ذكره ابن خزيمة متقررٌ عند أهل اللغة بلا ريب، يقول الخليل بن أحمد: ((نزل فلان عن الدابة، أو من علو إلى سفل))[٥].

ويقول الزمخشري: ((نزل بالمكان ونزل في المكان نزلة واحدة، ونزل من علوٍ إلى سفل))[٦].

ثانيًا: منهجه في ذكر المخالفين والرد عليهم

لم يتعرض ابن خزيمة لمقالة المخالفين في هذه الصفة، مع أهميتها وكثرة الخلاف فيها؛ لذا أشار أهلُ العلم إلى شَرَق المعطلة بأحاديث النزول، يقول نُعيم بن حماد: ((حديث الجهمية يرد على الجهمية قولهم))[٧]، وأشار إلى هذا أيضًا الدارمي بقوله عن حديث النزول إنه: ((أغيظ حديث للجهمية وأنقض شيء لدعواهم؛ لأنهم لا يُقّرون أن الله فوق عرشه فوق سمواته، ولكنه في الأرض كما هو في السماء،

---

(١) هكذا الأصل، ولعل الصواب: (من أن الله) والله أعلم.

(٢) نقض الدارمي (٤٩٤/١).

(٣) التوحيد (٢٩٠/١).

(٤) أصول السنة، لابن أبي زمنين (١١٣).

(٥) العين (٣٦٧/٧)، مادة (نزل).

(٦) أساس البلاغة (٢٦٣/٢).

(٧) أورده ابن عبدالبر في التمهيد (١٤٤/٧).

فكيف ينزل إلى السماء الدنيا من هو تحتها في الأرض وجميع الأماكن منها؟))[(١)].

وإغفال الكلام عن المخالفين -ولو بإشارة- غير معهود من نهج ابن خزيمة.

وأشير هنا إلى أن المخالفين النفاة قد تمحلوا تأويلات عدة لأحاديث النزول، ومن أبرزها:

-أن المقصود بالنزول نزول مَلَك من ملائكته[(٢)].

-وقيل: إن المقصود نزول رحمته وأمره[(٣)].

والقولان يصدران عن منبع التأويل الفاسد، وقد رد أهل العلم على تلك الأباطيل بالحجج القوية، ومن تلك الردود:

أولاً: أن لفظ الحديث ينقض ذلك التأويل؛ فكيف يتكلم أمره وسلطانه بهذا ويدعو الناس إلى استغفاره وسؤاله دون الله، كذلك ملائكته، فالله -تقدست أسماؤه- وحده الذي يملك ذلك دون ما سواه.

ثانيًا: أن نزول أمره ورحمته لا يختص بالثلث الأخير من الليل، بل هو دائم لا ينقطع، ولازم قولهم أن رحمة الله إذا انفجر الصبح تُرفع؛ وهذا باطل.

ثالثًا: مما يُرد به عليهم أنه يلزم من تأويلهم أن الملائكة وأمر الله ورحمته تنزل إلى سماء الدنيا فقط، ولا تنزل إلى الأرض حيث العباد قائمون راغبون في رحمته ﷻ.

رابعًا: أن نزول الله -تبارك وتعالى- قد تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع، فكيف لا يريد حقيقته مع إعادته له، بل كيف لا يقرن قوله بما يدل على أنه ليس على حقيقته، وإنما الوارد يدل إرادة حقيقة الكلام، كقوله: ((من يسألني فأعطيه، من يستغفرني

---

(١) نقض الدارمي (١/٥٠٠).

(٢) انظر: تحفة المريد للبيجوري (١٥٨)، وأساس التقديس للرازي (١٤٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٤٥).

فأغفر له))[١].

خامسًا: مما يؤكد أن نزوله ﷻ حقيقة تنوع ألفاظ النزول -كما سبق بيانه-، كالهبوط والتدلي والدنو[٢] والله أعلم.



---

(١) سبق تخريج الحديث ص٣٣٥.

(٢) انظر في بسط هذه الردود: نقض الدارمي (١/٤٩٤-٤٩٦)، ومختصر الصواعق للموصلي (٣/١١٠٨).

المطلب الثالث: صفة الضحك

الضحك من الصفات الفعلية الثابتة لله ﷻ[١]، وهي من الصفات الخبرية التي الواردة في صحيح السنة دون الكتاب.

ولم يزل أهل السنة يوردونها في عقائدهم ويثبتونها على ما يليق بجلاله.

وقد تناول ابن خزيمة ~ هذه الصفة وبيّن منهج أهل السنة في إثباتها، مع بيان الأدلة المثبتة لها.

والبحث في هذه الصفة يتضمن عدة مسائل:

۞ المسألة الأولى: الأدلة على صفة الضحك

دلّ على صفة الضحك أحاديث صحيحة منها:

١- قوله ﷺ: ((يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتِل هذا في سبيل الله فيُقْتَلُ، ثم يتوب اللهُ على القاتلِ فَيُسْتَشْهَدُ))[٢].

٢- وقوله ﷺ: ((آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكْبُو[٣] مرة، وتَسْفَعُهُ[٤] النارُ مرة... فيقول: يا ابن آدم ما يَصْرِيني[٥] منك؟ أيُرضيك أن أعطيك

---

(١) انظر: نقض الدارمي (٢/٧٦٩)، والسنة لابن أبي عاصم (١/٢٤٤)، والشريعة للآجري (٢/١٠٥١)، وكتاب التوحيد لابن منده (٣/١٩٧)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٦٥)، وإبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/٢١١)، والأسماء والصفات للبيهقي (٣٢٨)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٤٢٩)، لمعة الاعتقاد لابن قدامة (٧٦٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/١٢١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، (٦/٣٩، برقم:٢٨٢٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، (٣/١٥٠٤، برقم:١٨٩٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ للبخاري.

(٣) قال ابن الأثير: (((الكَبْوة): الوقفة كوقفة العاثر))، النهاية (٤/١٤٦).

(٤) أي: تسَوِّدُهُ النار وتؤثر فيه، انظر المصدر السابق (٢/٣٧٤).

(٥) قال ابن الأثير: ((أي: ما يقطع مسْألتُك ويمنعك من السؤال))، المصدر السابق (٣/٢٧).

الدنيا ومِثْلَها معها؟ قال: يا ربِّ أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مِمّ أضحك؟ فقالوا: مِمّ تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مِمّ تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر))[1].

وأجمع أهل السنة على ثبوت تلك الصفة، يقول الآجري: ((باب: الإيمان بأن الله ﷻ يضحك... وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع... ولا ينكر هذا إلا من لا يُحْمد حاله عند أهل الحق))[2].

۞ المسألة الثانية: منهج أهل السنة في إثبات صفة الضحك

- يثبت أهل السنة الضحك صفة لله ﷻ على الوجه اللائق به، ولا يعتقدون لضحكه كيفية، وضحكه سبحانه لا يشبه ضحك المخلوقين، شأنه شأن كل صفاته.

-ويعتقد أهل السنة أن ضحكه سبحانه حقيقة لا مجاز؛ فلا يؤولونه، ولا يقولون: ضحكه: رضاه وإنعامه، بل إنهم يعتقدون أنه ((يضحك مما يحب ويرضى))[3]، و((لا يضحك إلا عن رضى، فيجتمع منه الضحك والرضا))[4].

يقول ابن قدامة[5]: ((وقوله ﷺ: ((يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر، ثم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: باب آخر أهل النار خروجاً، (١٧٤/١، برقم:٣١٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الشريعة (١٠٥١/٢).

(٣) التوحيد لابن منده (١٩٧/٣).

(٤) نقض الدارمي (٧٧٣/٢)، وانظر في بيان معتقد أهل السنة والجماعة في هذه الصفة: نقض الدارمي (٧٧٣/٢-٧٨٠)، والشريعة للآجري (١٠٦٨/٢)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٦٥)، والتمهيد لابن عبدالبر (١٤٨/٧).

(٥) هو: أبو محمد، موفق الدين، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي، فقيه أصولي محقق، ولد سنة ٥٤١هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٢٠هـ، من مؤلفاته: "المغني"، و"روضة الناظر"، =

يدخلان الجنة))[١]، فهذا وما أشبهه مما صح سنُدُه، وعُدِّلت رواته، نؤمن به ولا نرده ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحْدَثين، ونعلم أن الله ﷻ لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(الشورى:١١)))[٢].

۞ المسألة الثالثة: منهج ابن خزيمة في إثبات صفة الضحك

منهجه في التقرير والاستدلال.

ضمّن ابن خزيمة كتابه التوحيد بابًا في ((ذكر إثبات ضحك ربنا ﷻ))[٣]، أورد فيه عدة أحاديث دالة على إثبات هذه الصفة الجليلة، منها ما ذكر في بداية المطلب.

وبيّن منهجه في اعتقاد تلك الصفة، وذكر أنه يثبت الضحك ((بلا صفةٍ تصف ضحكه جل ثناؤه، لا ولا يشبه ضحكه بضحك المخلوقين وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك كما أعلم النبي ونسكت عن صفه ضحكه جل وعلا، إذ الله ﷻ استأثر بصفة ضحكه، لم يُطْلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي، مصدّقون بذلك بقلوبنا منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه))[٤].

ومن خلال كلامه السابق تتبين قواعد هامة لأهل السنة في الصفات وهي:

-نفي الكيفية لصفات الباري جل وعلا وعدم التعرض لها، وهذا ما سار عليه سلف الأمة.

= انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن الجوزي (١٣٣/٢)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦٥٩/٢٢)، الدر المنضد للعلمي (٣٤٦٩/١).

(١) سبق تخريج الحديث ص٣٤٢.

(٢) لمعة الاعتقاد (١٢).

(٣) (٥٦٧/٢).

(٤) المصدر السابق (٥٦٧/٢).

يقول الإمام أحمد ~ : ((يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول))[(١)].

وقد علّل ابن خزيمة نفي الكيفية بأن ((الله ﷻ استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك))[(٢)]؛ فالكيف ((مما استأثر الله بعلمه))[(٣)].

-تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة صفات المخلوقين، وذلك بقوله: ((ولا يشبه ضحكه بضحك المخلوقين))[(٤)].

وما ذكره ابن خزيمة يؤكد براءة أهل السنة مما يرميهم به من أصيب بداء التعطيل بتسميتهم لهم "المشبهة أو المجسمة"، وبراءتهم من الأوهام العقلية، فأهل السنة قومٌ هُداهُم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١)، وضياؤهم في إثباتهم للصفات ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(طه:١١٠).

وقد اكتفى ابن خزيمة في إثباته لصفة الضحك بتقرير منهجِهِ: منهجِ أهل السنة مع ذكر أدلة ذلك عن ذكر المخالفين لهم فيها، ولعل السبب هو قلة المخالفين في هذه الصفة في عصره -والله تعالى أعلم-.



---

(١) ذكره القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات (٢١٧).

(٢) التوحيد (٥٦٧/٢).

(٣) المصدر السابق (٥٦٧/٢).

(٤) المصدر السابق (٥٦٧/٢).

المطلب الرابع: صفة الكلام

صفة الكلام من صفات الباري -جل جلاله- الثابتة له بالكتاب وصريح السنة[(١)]، وهو من الصفات الذاتية باعتبار، الفعلية باعتبار آخر[(٢)].

ومسألة إثبات الكلام لله من كبريات المسائل التي كثر فيها النزاع بين أهل السنة ومخالفيهم من أهل البدع.

لذا اعتنى العلماء بتقريرها، وتحبّرت كتبهم بإقامة البراهين النقلية والعقلية في الرد على من أنكرها.

وإثبات كلام الله ﷻ إثباتٌ للرسالة والنبوة، يقول ابن القيم ~ : ((حقيقة الإرسال: تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى، فإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة))[(٣)].

وابن خزيمة أحد الأئمة الذين اعتنوا بتقرير هذه الصفة وأطالوا الحديث فيها؛

---

(١) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٣٢)، والسنة لابن أبي عاصم (٢٢٥/١)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٢٨٠/١)، وصريح السنة، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، الطبعة الثانية، (دار الخلفاء، عام: ١٤٢٦هـ) (٢٤)، والسنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، الطبعة: الأولى، (دار الراية، الرياض، عام: ١٤١٠هـ) (٣١١/٤)، والإبانة للأشعري (٨٥)، وشرح السنة للبربهاري (٤٢)، والشريعة للآجري (١١٠٧/٣)، واعتقاد أهل الحديث للإسماعيلي (٣٩-٤٠)، وكتاب التوحيد لابن منده (١٢٩/٣)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (٨٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢١٦/٢)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٦٥)، والأسماء والصفات للبيهقي (١٣٨)، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢١١)، ولمعة الاعتقاد للمقدسي (١٥)، ومختصر الصواعق للموصلي (١٢٧٣/٣-١٤٠٠/٤)، ولوامع الأنوار للسفاريني (١٣٢/١).

(٢) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٥٥)، وكتاب التوحيد لابن منده (١٢٩/٣)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩١/٦-٢٩١)، ومختصر الصواعق للموصلي (١٣١٥/٤)، ولوامع الأنوار للسفاريني (١٣٤/١).

(٣) مختصر الصواعق (١٣٠١/٤).

فقد عقد أكثر من عشرة أبواب في "كتاب التوحيد" في إثبات الكلام لله وبيان منهجه -منهج أهل السنة- فيها، مع التعرض للمخالفين وتفنيد أقوالهم.

وصفة الكلام يتضمن الحديث عنها مسائل عدة وهي:

۞ المسألة الأولى: الأدلة على صفة الكلام لله

الأدلة على إثبات هذه الصفة الجليلة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل تفوق الحصر وتفوت العد، أجتزئ شيئاً منها فيما يأتي:

أولاً: أدلة القرآن الكريم.

١-قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾(الأعراف:١٣٤).

٢-وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(الفتح:١٦).

٣-وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾(البقرة:٢٥٣).

ويدخل في معنى الكلام: الآيات الدالة على القول والحديث والنداء والمناجاة[1]، والآيات فيها كثيرة كذلك.

ثانيًا: أدلة السنة.

١- قوله ﷺ: ((يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار))[2].

٢- وقوله ﷺ: ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم،

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١٤٤). وإعلام الموقعين لابن القيم (٢/٢٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (سبأ: ٢٣)، (١٣/٤٥٣، برقم: ٧٤٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة))[(١)].

ثالثًا: الإجماع.

أجمع أئمة السلف على إثبات صفة الكلام لله تعالى.

يقول الآجري: ((قول المسلمين الذين لم يزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديمًا وحديثًا: أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقا))[(٢)].

ويقول ابن تيمية: ((فالسلف يقولون: لم يزل متكلمًا إذا شاء))[(٣)].

رابعًا: الدليل العقلي.

وبيان ذلك: أن الكلام من صفات الكمال، وضدّه من صفات النقص، والله تبارك وتعالى له الكمال المطلق، بل كل كمال فهو أولى به؛ لذا عاب الله على بني إسرائيل عبادتهم للعجل لكونه عاجزًا عن الكلام، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾(الأعراف:١٤٨).

يقول الدارمي ~ : ((ففيما عاب الله به العجل في عجزه عن القول والكلام بيانٌ بيّنٌ أن الله ﷻ غير عاجز عنه، وأنه متكلم وقائل؛ لأنه لم يكن يعيب العجل بشيء هو موجود به))[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، (٤٧٤/١٣، برقم: ٧٥١٢)، وكتاب: الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، (٧٠٣/٢، برقم: ١٠١٦)، من حديث عدي بن حاتم ﵁.

(٢) الشريعة (١١٠٧/٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣٢/٦)، وانظر في نقل الإجماع: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (١٢٥)، والتمهيد لابن عبدالبر (٢٦١/٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١٣٧).

(٤) الرد على الجهمية (١٣٣)، وانظر: مختصر الصواعق للموصلي (١٣٠٢/٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١٢٩).

۞ المسألة الثانية: منهج أهل السنة في إثبات صفة الكلام.

-يعتقد أهل السنة أن الكلام صفة لله، وكلامه سبحانه قديم النوع حادث الآحاد؛ فالله ﷻ لم يزل متكلمًا، ويتكلم إذا شاء متى شاء وكيف يشاء من شاء من خلقه[1].

-ويعتقدون أن الله ﷻ يتكلم بحرف وصوت، لقوله ﷺ: ((يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت)) الحديث[2].

-ويعتقدون أن كلامه حقيقة لا مجاز، ولا يشبه كلام المخلوقين.

-ويعتقدون أن كلام الله نوعان:

كلام كوني قدري: وهو الذي توجد به الأشياء وتُخلق، وهو المعْنِيُّ بقوله ﷺ: ((من نزل منزلاً، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيءٌ حتى يرتحل من منزله ذلك))[3].

وكلام ديني شرعي: وهو الذي يأمر به سبحانه وينهى ويحل ويحرم، ومنه القرآن والكتب المنزلة، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾(التوبة:٦)[4].

والقرآن من كلام الله، تكلم به حقًا، ليس قولَ مَلَك ولا بشر، وإنما هو

---

(١) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (١٢٩/٣)، والاعتقاد للبيهقي (٤٣)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩١/٦-٢٩١)، ومختصر الصواعق للموصلي (١٣١٥/٤)، ولوامع الأنوار للسفاريني (١٣٤/١).

(٢) سبق تخريجه ص٣٤٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، (٢٠٨٠/٤، برقم: ٥٤)، من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها.

(٤) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١٥٣/١)، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عمر سليمان الحفيان، الطبعة: الأولى، (مكتبة العبيكان، الرياض، عام: ١٤٢٠هـ) (٧٧٢/٢)، والكواشف الجلية للسلمان (٣٦٦-٣٦٧).

((جميعه: حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به وليس بمخلوق))(١).

۞ المسألة الثالثة: منهج ابن خزيمة في إثبات صفة الكلام.

أولاً: منهجه في إثبات الصفة والاستدلال عليها.

قرّر ابن خزيمة معتقد أهل السنة في صفة الكلام، ويتبين منهجه فيما يأتي:

-قرّر ثبوت الكلام صفةً لله تبارك وتعالى، مستدلاً على ذلك بالآيات البينات كالآيات الدالة على تكليمه موسى عليه السلام، و((سنن النبي ﷺ الصريحة بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه))(٢). كالأحاديث ((المبينة أن الله اصطفى موسى بكلامه خصوصية خصه الله بها من بين سائر الرسل عليهم السلام))(٣).

-وأكد ابن خزيمة أن كلام الله -ككلامه مع موسى عليه السلام- هو كلام الله حقيقةً ولا ((يجوز أن يكون من ألفاظ ملك مقرب، ولا ملك غير مقرب))(٤) إذ إنه مما يستقر شرعًا وعقلاً أنه ((غير جائز أن يخاطِب ملكٌ مقربٌ موسى فيقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٥)، أو يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾(٦)))(٧).

- أبرز ابن خزيمة منهج أهل السنة في نفي مشابهة الله لخلقه ومن ذلك كلامه سبحانه وتعالى، يقول ~ : ((كلام ربنا لا يشبه كلام المخلوقين؛ لأن كلام الله كلام متواصل لا سكْت بينه ولا سمْت(٨)، لا ككلام الآدميين الذي يكون بين كلامهم

---

(١) مختصر الصواعق للموصلي (١٣١٦/٤).

(٢) التوحيد (٣٣٥/١).

(٣) المصدر السابق (٣٣٥/١).

(٤) المصدر السابق (٣٣٤/١).

(٥) سورة: القصص، الآية: ٣٠.

(٦) سورة: طه، الآية: ١٢.

(٧) التوحيد (٣٣٤/١).

(٨) السمْت: له معانٍ عدة ذكرها أهل اللغة، وأقربها هنا ما ذكره العسكري في: الفروق اللغوية قال: ((السمْت: هو حسن السكوت، وقالوا: هو كالصمت فأبدل الصاد سينًا)) (١٧٥).

سكْت وسمْت، لانقطاع النَّفَس أو التذاكر أو العي، منزه الله، مقدس من ذلك أجمع تبارك وتعالى))[1].

ونفي مماثلة صفاته سبحانه لصفات خلقه، وتنزيهها عن النقص هو ما درج عليه السلف رحمهم الله تعالى في كلامه سبحانه وفي كل صفاته، يقول أبو جعفر الطحاوي: ((كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر))[2].

غير أن قول ابن خزيمة هنا في الكلام أنه: (متواصل لا سكت بينه ولا سمت) فيه وقفة؛ فإن هذا التعبير ليس من طريقة السلف رحمهم الله في تقرير هذه الصفة فيما أعلم.

ولا يخفى أن الحديث في كلام الله وسائر صفاته حديث في أمور الغيب التي تفتقر إلى الدليل؛ وليس ثمة دليل على ما ذكره ~ ؛ وإنما قد دلّ الدليل وأجمع السلف على أن الله سبحانه يتكلم إذا شاء، هذا شيء.

وشيء آخر: وهو أن ما يكون من فَصْلٍ بين الجمل والكلمات المتعاقبة ثابتٌ ضرورةً لا يمكن إنكاره، فكيف يُطلق أنه (لا سكت بينه)؟ اللهم إلا أن يقال: لا سكت بينه ناشئ عن عيب -كما يُشعر بذلك آخر كلامه-.

وبكل حال فالوقوف عند حد الوارد وترك الخوض فيما زاد على ذلك هو المتعين، وهو الأسلم، مع اعتقاد تنزيه كلام سبحانه عن كل عيب ونقص من عي أو آفة.

ولعل هذا التنزيه هو مراده ~ في كلامه السابق، والله تعالى أعلم.

ومما ينَبّه إليه هنا أن أبا إسماعيل الأنصاري نقل عن ابن خزيمة قوله: ((أن الله

---

(١) التوحيد (٣٤٩/١).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١٢٧).

متكلم، إن شاء تكلم وإن شاء سكت))[١]، وبادي الرأي أن لابن خزيمة رأيان متعارضان في السكوت، ويمكن الجمع بين القولين بأن نفي السكوت عن كلام الله الذي يكون نقصًا؛ كالسكوت الذي يعرض لكلام البشر الناتج عن انقطاع النفس مثلاً، كما أشار إليه حين نفيه عن كلامه ﷻ، وهذا لا يلزم من نفيه نفي تعلق كلام الله بالمشيئة، وهو الذي أثبته ~ ، والله أعلم.

-ذكر ابن خزيمة مَن كلّمهُم الله ومن يكلمهم وهم:

أولاً: موسى عليه السلام، فقد بيّن أن: ((تكليم الله كليمه موسى خصوصية خصّه الله بها من بين الرسل))[٢]، قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾(الأعراف:١٤٤).

وقد نبّه -من خلال النصوص التي ذُكر فيها بعض ما كلم الله به موسى عليه السلام- على أن تكليم الله له كان ((من وراء حجاب، من غير أن يكون بين الله تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام رسول يبلغه كلام ربه، ومن غير أن يكون موسى عليه السلام يرى ربه ﷻ في وقت كلامه إياه))[٣].

ولم ينسَ ~ الإشارة إلى ((الجهات التي كلم الله عليها من عُلم من الرسل... فأعلم أنه كلّم بعضهم وحيًا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء))[٤]، كما نصّت الآيات على ذلك.

ثانيًا: تكليم الله لعباده يوم القيامة، فقد ذكر ابن خزيمة -وهو ما دلت عليه النصوص واعتقده أهل السنة قاطبة- أن ممن يكلمهم الله تعالى ((عباده يوم القيامة،

---

(١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧٨/٦).

(٢) التوحيد (٣٢٨/١).

(٣) المصدر السابق (٣٤٦/١).

(٤) المصدر السابق (٣٣٣/١).

من غير ترجمان يكون بين الله ﷻ وبين عباده))(١).

كما وضّح أن تكليم الله لعباده في الآخرة غير مقصور على المؤمنين بل ((إن الله جل وعلا يكلم الكافر والمنافق أيضًا))(٢)، ((إلا أن الله يكلم المنافقين على غير المعنى الذي يكلم به المؤمنين؛ فيكلم المنافقين على معنى التوبيخ والتقرير، ويكلم المؤمنين يبشرهم بما لهم عند الله ﷻ، كلام أوليائه وأهل طاعته))(٣)، لأن كلامه للمؤمن كلام ((الذي قد ستر عليه ذنوبه في الدنيا، وهو يريد مغفرتها له في الآخرة))(٤) أما ((كلام الله الكافرَ الذي كان في الدنيا غير مؤمن بالله العظيم، كاذبًا على ربه، ضالاً عن سبيله كافرًا بالآخرة))(٥). فهو كما قال ﷺ في حديث النجوى: ((وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾(٦)))(٧).

ثالثًا: تكلّم الله بالوحي؛ وقد استدلّ ابن خزيمة على ذلك بقول ابن مسعود رضي الله عنه: ((إذا تكلم الله بالوحي سمع أهلُ السموات شيئًا، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادَوْا: ماذا قال ربُّكُم؟ قالوا: الحقّ))(٨)، وفي هذا الأثر دلالة

---

(١) التوحيد (٣٥٩/١).

(٢) المصدر السابق (٣٦٥/١).

(٣) المصدر السابق (٣٨٤/١).

(٤) المصدر السابق (٣٨٦/١).

(٥) المصدر السابق (٣٨٦/١).

(٦) سورة: هود، الآية: ١٨.

(٧) أخرجه البخاري (مع الفتح)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، (٣٥٣/٨، برقم: ٤٦٨٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (٢١٧٧/٤، برقم: ٢٧٦٨)، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٨) علقه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، =

قوية على أن الكلام صفة من صفاته تبارك وتعالى؛ لذا قال البخاري ~ - بعد إيراده لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[١]-: ((ولم يقل ماذا خلق ربكم))[٢].

وفيما ذكره ابن خزيمة من تكليم الله وما استدل به تقرير منه وتأكيد على إثبات الكلام لله ﷻ.

ثانيًا: منهجه في ذكر المخالفين والرد عليهم

تعددت الأقوال في كلام الله ﷻ ومن أشهر تلك الأقوال[٣]:

- قول الجهمية والمعتزلة الذين زعموا أن كلام الله ﷻ مخلوق[٤].

- قول الأشاعرة[٥]: إن الله ﷻ متصف بالكلام، ولكن كلامه سبحانه معنى قائم بذاته؛ لذا فالقرآن عبارة عن كلام الله تعالى[٦].

= (٤٥٢/١٣-٤٥٣).

(١) سورة: سبأ، الآية: ٢٣.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) (٤٥٢/١٣).

(٣) انظر في عرض تلك الأقوال: مختصر الصواعق للموصلي (١٣٠٢/٤-١٣١٦)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١٢٨-١٢٩).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٣٣٨/١)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (٥٢٨)، والفصل لابن حزم (١١/٣)، والأربعين في أصول الدين، لفخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، الطبعة: الأولى، (دار الجيل، بيروت، عام: ١٤٢٤هـ) (١٧١)، ونهاية الإقدام في علم الكلام، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، الطبعة: الأولى (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤٢٥هـ) (١٥٩).

(٥) الأشاعرة من الفرق الكلامية، تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري، المتوفى سنة: ٣٢٤هـ، وعامة الأشاعرة يثبتون لله سبع صفات فقط، وهي: "الحياة، والكلام، والبصر، والسمع، والإرادة، والعلم، والقدرة" على اختلاف مع أهل السنة في إثباتها، ومن أقوال الأشاعرة: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، أما قول اللسان وعمل الجوارح فهو فروع للإيمان. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٨١/١).

(٦) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٨٣/١)، وتحفة المريد للبيجوري (١٢٩).

- قول الكلابية[(١)] والماتريدية[(٢)]: وهم كسابقيهم؛ يثبتون لله الكلام الذي هو معنى أزلي قائم بالذات، غير أن القرآن عندهم حكاية عن كلام الله تعالى[(٣)].

والجهمية أصحاب القول الأول هم المعْنِيُّون بكلام ابن خزيمة؛ حيث إنه صرّح بمقولتهم، وذكر أنهم «يزعمون أن كلام الله مخلوق، جل ربنا وعز عن ذلك»[(٤)]، وقال في موضع آخر: «قوله (كن)، لو كان خلقًا على ما زعمت الجهمية المفترية على الله؛ كان الله إنما يخلق الخلق ويكونه بخلق»[(٥)].

وقد كان لابن خزيمة في باب صفة الكلام -تقريرًا وردًّا- منهج مستقل؛ حيث إنه سرد أبوابًا عدة في تقريره لمنهج أهل السنة في إثبات الكلام مع التلميح إلى المخالفين، ثم أتبع ذلك بباب مستقلٍ في الرد على المخالفين؛ فكان رده على الجهمية

---

(١) الكلابية: من الفرق الكلامية المخالفة لأهل السنة، تنسب إلى عبدالله بن سعيد بن كلاب رأس المتكلمين بالبصرة، من معتقداتهم: إن الإيمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان وأنه لا يزيد ولا ينقص، وينكر الكلابية بعض صفات الباري كالاستواء، انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٤٩/١)، والماتريدية ربيبة الكلابية (مع حوار مع أشعري)، لمحمد بن عبدالرحمن الخميس، الطبعة: الأولى، (مكتبة المعارف، الرياض، عام: ١٤٢٦هـ) (١٥٥).

(٢) الماتريدية: طائفة من طوائف أهل الكلام، تنتسب إلى أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة: ٣٣٣هـ، وهي موافقة للأشاعرة في كثير من معتقداتها، ومن معتقداتها: وجوب معرفة الله بالعقل قبل السمع، والتقبيح والتحسين، وقالوا بالمجاز في النصوص، وضلت هذه الطائفة كذلك في باب الصفات، فأثبتت ثمان صفات فقط، وهي: "الحياة، والكلام، والبصر، والسمع، والإرادة، والعلم، والقدرة، والتكوين"، وقالوا: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، وبعضهم أضاف له القول باللسان. انظر: التوحيد، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، تحقيق: الدكتور: بكر طوبان أوغلي ومحمد أروشي، د.ط، (دار صادر، بيروت، د.ت)، والتمهيد في أصول الدين، لأبي معين النسفي الحنفي الماتريدي، تحقيق: محمد عبدالرحمن الشاغول، د.ط، (المكتبة الأزهرية، القاهرة، د.ت).

(٣) انظر: شرح العقائد النسفية، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: محمد عدنان درويش، د.ط، (د.ت). (١٠٨).

(٤) التوحيد (٣٩٠/١).

(٥) المصدر السابق (٣٩٢/١).

من جهتين:

الأولى: الإشارة إلى فساد قولهم من خلال مناقشة الأدلة المثبتة للصفة؛ فقد نبّه على أن الكلام الوارد في تلك النصوص كلام الله حقيقة، وليس كلامًا مخلوقًا كما ادعت الجهمية.

يقول ~ بعد إيراده لحديث الرؤية وفيه: ((فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه)) الحديث[1] -: ((غير جائز أن يقول غير الله الخالق البارئ لبعض عباده أو لجميعهم: أنا ربكم، ولا يقول: أنا ربكم غير الله))[2]، وفي هذا تلميحٌ منه لمن ينكر كلام الله؛ إذ إن جملة: (أنا ربكم) قول الله تبارك وتعالى لا قول غيره كما تزعم الجهمية المعطلة.

الثانية: الرد على الجهمية في باب مستقل أكّد فيه بطلان ((قول الجهمية الذين يزعمون أن كلام الله مخلوق، جل ربنا وعز عن ذلك))[3]، وكان ردّه ببيان ((الفرق بين كلام الله ﷻ الذي به يكون خلقه، وبين خلقه الذي يُكَوِّنُهُ بكلامه وقوله))[4].

ومما استدل به في ذلك:

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف:٥٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل:٤٠).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، (٤١٩/١٣، برقم: ٧٤٣٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، (١٦٣/١، برقم: ٢٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) التوحيد (٣٨٤/١).

(٣) المصدر السابق (٣٩٠/١).

(٤) المصدر السابق (٣٩٠/١).

واستدلاله مركبٌ من الدليلين؛ ففي الآية الأولى فرّق ((اللهُ بين الخلق والأمر الذي به يخلق الخلق))(١).

إذ إن معنى (الأمر) هنا: كلام الله، يقول الشوكاني في هذه الآية: ((والخلق: المخلوق، والأمر: كلامه، وهو "كن"))(٢).

وهذه الآية استدل بها أهل السنة كلهم في رد قول الجهمية.

يقول البيهقي استدلالاً بالآية على كلام الله: ((ففرّق بين خلقه وأمره بالواو الذي هو حرف الفصل بين الشيئين المتغايرين؛ فدلّ على أن قوله غير خلقه))(٣).

ويؤيد هذا: الآيةُ الأخرى؛ وهي قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، فقد ((علّمنا الله جل وعلا في محكم تنزيله أنه يخلق الخلق بكلامه))(٤)، والله تبارك وتعالى: ((يكَوّن كل مكَوَّن من خلقه بقوله: كن فيكون، وقوله: (كن)، هو كلامه الذي به يكون الخلق))(٥).

وما ذكره ابن خزيمة واستدل به الأئمة غيره دليلٌ قوي في الرد على القائلين: إن كلام الله مخلوق، يقول القرطبي(٦): ((وفي تفرقته بين الخلق والأمر دليلٌ بيّنٌ على فساد قول من قال بخلق القرآن؛ إذ لو كان كلامه الذي هو أمر مخلوقًا؛ لكان قد قال: (ألا له الخلق والخلق)، وذلك عيٌّ من الكلام ومستهجن ومستغثٌّ، والله يتعالى

---

(١) التوحيد (٣٩١/١).

(٢) فتح القدير (٢١١/٢).

(٣) الاعتقاد (٤٤).

(٤) التوحيد (٤٠٤/١).

(٥) المصدر السابق (٤٠٤/١).

(٦) هو: أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، القرطبي، المالكي، المفسِّر، توفي في شوال سنة ٦٧١هـ ودفن بمنية بني خصيب بالصعيد، من مؤلفاته: "الجامع لأحكام القرآن"، و"التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة"، انظر: الديباج المذهب لابن فرحون (٣٠٨/٢)، وطبقات المفسرين للداوودي (٦٩/٢-٧٠)، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف (١٩٧/١).

عن التكلم بما لا فائدة فيه))[١].

واستدل كذلك بقوله ﷺ لجويرية < : ((لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته))[٢].

ووجه الدلالة من الحديث كما ذكر ابن خزيمة أنه في الحديث فرّق: ((بين خلق الله وبين كلماته، ولو كانت كلمات الله من خلقه لما فرّق بينهما))[٣].

ويؤكد هذا أنه ((حين ذكر العرش -الذي هو مخلوق- نطق بلفظة لا تقع على العدد فقال: (زنة عرشه) والوزن غير العدد))[٤].

ففي الحديث ذكرٌ لوصفين من أوصاف المخلوقين وهما: العدد والوزن، وكلمات الله خارجة عن هذين الوصفين؛ فكلام الله لا عدد له ولا يوصف بالوزن، يؤيد هذا أن ((الله جلا وعلا قد أعلم في محكم تنزيله أن كلماته لا يعادلها ولا يحصيها محص من خلقه، ودل ذوى الألباب من عباده المؤمنين على كثرة كلماته، وأن الإحصاء من الخلق لا يأتي عليها فقال ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[٥]))[٦].

وقد استند ابن خزيمة إلى المجادلة العقلية الرصينة في تأكيد تجاوز كلمات الله تعالى وتعاليها عن العد والإحصاء بآيتين إحداهما مجملةٌ والأخرى مفسِّرةٌ:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤٢/٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والتوبة والدعاء والاستغفار، باب: التسبيح أول النهار وعند النوم، (٢٠٩٠/٤، برقم:٢٧٢٦).

(٣) التوحيد (٣٩٦/١).

(٤) المصدر السابق (٣٩٦/١).

(٥) سورة: الكهف، الآية: ١٠٩.

(٦) التوحيد (٣٩٦/١).

فالمجملة قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾(الكهف:١٠٩)، والمفسِّرة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(لقمان:٢٧).

وقد استقصى ~ هذا المعنى استقصاء دقيقًا بكل تفاصيله لِيَصِل إلى أن الخلق معدودون، أما كلماته التي هي من صفاته غير مخلوقة ولا يصح عليها العدد، والشاهد أنها لو كتبت بمداد البحر على كثرتها -وهي مخلوقة- فلن تفي بكلماته ﷻ، وفي ذلك ردٌ على القائلين بأن كلمات الله مخلوقة.

يقول ابن القيم ~ : ((ولا تنفد كلماته ولا تبدل، ولو أَن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مدادًا، وأَشجار الأَرض أَقلامًا، فكُتب بذلك المداد وبتلك الأَقلام؛ لنفد المداد وفنيت الأَقلام، ولم تنفد كلماتُه؛ إِذ هي غير مخلوقة، ويستحيل أَن يفنى غير المخلوق بالمخلوق، ولو كان كلامه مخلوقًا -كما قاله من لم يقدره حق قدره، ولا أَثنى عليه بما هو أَهله- لكان أَحق بالفناءِ من هذا المداد وهذه الأَقلام، لأَنه إِذا كان مخلوقًا فهو نوع من أَنواع مخلوقاته، ولا يحتمل المخلوق إفناءَ هذا المداد وهذه الأَقلام وهو باق غير فان))[1].

وزيادة في بيان المعنى بيّن ابن خزيمة أنه ليس المقصود بكلمة (البحر) في قوله: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ بحرًا واحدًا من البحار، فالله ﷻ أوقع اسم البحر على البحار كلها وهذا جائز ويدل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾(يونس:٢٢)، والمؤكد أن الله سبحانه لم يرد في هذه الآية ((بحرًا واحدًا من البحار، لأن الله يُسيّر من أراد من عباده في البحار))[2].

واستدلال ابن خزيمة ~ بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق استدلالٌ ينِم عن جودة في الفكر وبعد في النظر، ولعله انفرد بهذا الاستدلال؛ حيث إني لم

(١) طريق الهجرتين (٢٣٥-٢٣٦).

(٢) التوحيد (٣٩٧/١).

أقف على من ذكره في الرد على أن كلامه تعالى مخلوقٌ.

ومما استدل به كذلك قوله ﷺ: ((من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك))[١].

ووجه الدلالة من الحديث: أن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد نصّ الأئمة، كأحمد وغيره: على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق))[٢] وفي استعاذة النبي ﷺ بكلمات اللّه دليل قاطع على أنها غير مخلوقة، ومن المعلوم ((أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق اللّه من شر خلقه))[٣]، بل ((لا يقوله ولا يجيز القول به مسلمٌ يعرف دين اللّه))[٤].

مما أورده ابن خزيمة ~ في الرد على الجهمية مجادلتُهم بإيراد اللوازم الباطلة لقولهم، وهذه اللوازم هي:

-أنه لو كان قول اللّه مخلوقًا وهو الذي يكوّن به الخلق؛ لزم منه أن اللّه يخلق الخلق ويكونه بخلق، وهذا أمر باطل.

-ولازم الأمر السابق: أن قوله تعالى: (كن) يقع بقول آخر، وهذا يؤدي إلى ما لا نهاية له وهو فاسد، وفساد ذلك يوجب فساد القول بأن كلام اللّه مخلوق[٥].

يقول ابن خزيمة مشيرًا إلى تلك اللوازم: ((قوله: (كُنْ) لو كان خلقًا -على ما زعمت الجهمية- المفترية على اللّه كان اللّه إنما يخلق الخلق ويُكَوِّنُه بخلق))[٦]... إلى أن قال محاجًا للجهمية القائلين بأن كلامه سبحانه مخلوق: ((أليس قود مقالتكم

---

(١) سبق تخريجه ص٣٣٩.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢٧/١٥).

(٣) التوحيد (٤٠١/١).

(٤) المصدر السابق (٤٠٢/١).

(٥) انظر: الإبانة للأشعري (٨٧)، والاعتقاد للبيهقي (٤٤).

(٦) التوحيد (٣٩٢/١).

الذي تزعمون: أن قوله (كُنْ) إنما يخلقه بقول قبله، وهو عندكم خلق، وذلك القول يخلقه بقول قبله وهو خلق، حتى يصير إلى ما لا نهاية له ولا عدد ولا أول))[(١)].

كذلك فإن لزوم الأمر السابق يستوجب ((إبطال تكوين الخلق وإنشاء البرية وإحداث ما لم يكن قبل أن يحدث الله الشيء وينشئه ويخلقه))[(٢)]، وهذا كما هو فاسد شرعاً فهو ((قول لا يتوهمه ذو لب لو تفكر فيه ووفق لإدراك الصواب والرشاد))[(٣)].

ثالثًا: القول في القرآن الكريم

عقد ابن خزيمة في كتابه التوحيد بابًا يؤكد فيه أن ((القرآن كلام الله الخالق، وقوله غير مخلوق))[(٤)].

وأكد في موضع آخر على تكفير من قال بخلق القرآن، فقد ذكر الذهبي في ترجمته قوله: ((القرآن كلام الله تعالى، ومن قال: إنه مخلوق. فهو كافر))[(٥)].

وهذه المسألة وهي القول بأن القرآن كلامه ﷻ، وأنه صفة من صفاته، وليس من مخلوقاته من المسائل العظام التي شمر لها أهل السنة عن ساعدهم، وقامت على إثرها محنٌ قبل عصر ابن خزيمة وبعده.

وقد اقتصر ابن خزيمة في هذا الباب على الاستدلال على هذه المسألة بحديث نيار بن مكرم الأسلمي صاحب رسول الله ﷺ قال: ((لما نزلت ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾[(٦)] إلى آخر الآيتين، خرج رسول

---

(١) التوحيد (٣٩٢/١).

(٢) المصدر السابق (٣٩٢/١)، وانظر: مختصر الصواعق للموصلي (١٣٠١/٤-١٣٠٢).

(٣) التوحيد (٣٩٢/١).

(٤) المصدر السابق (٤٠٤/١).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣٧٤/١٤).

(٦) سورة: الروم، الآيات: ١-٣.

الله فجعل يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾، فقال رؤساء مشركي مكة: يا ابن أبي قحافة هذا مما أتى به صاحبك. قال: لا والله ولكنه كلام الله وقوله)) الحديث[(١)].

ويتضح أن ابن خزيمة لم يستوعب الحديث في هذه المسألة المهمة بذكر الأدلة المتوافرة، وذكر من خالف أهل السنة فيها والرد عليهم، والقول بكفر القائلين بأن القرآن مخلوق، كما صنع الأئمة في عصره أو قبله أو بعده، وهذا موضع تساؤل، خاصة أن هذه المسألة من المسائل التي أثارها المخالفون من المعطلة في عصره، وقامت الفتنة بينه وبين بعض جلسائه كما ذُكر في ترجمته.

ولعل اقتصار ابن خزيمة ذلك واختصار حديثه الشديد في هذه المسألة الكبيرة يرجع إلى أسباب وهي:

الأول: لعل الإمام ابن خزيمة لم يتيسر له إملاء ما يتعلق بهذه المسألة تقريرًا وردًا على المخالفين في كتابه التوحيد؛ ومما يرجح هذا قوله في نهاية الباب السابق لهذا الباب: ((ولذكر القرآن إنه غير مخلوق مسألة طويلة تأتي في موضعها من هذا الكتاب إن وفّق الله ذلك لإملائها))[(٢)]، فقد يفهم من كلامه هذا أن له جهودًا في مواجهة هذه الفتنة والسعي لإبطالها غير ما هو موجود في كتابه التوحيد.

ويؤيد هذا أمور:

١-أن هذه الفتنة كانت على أشدها في عصره، وأنه كان له قدم صدق في مجابهتها؛ فقد نقل ابن تيمية ~ عن أبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري في اعتقاد أهل السنة وما وقع عليه إجماع أهل الحق من الأمة قوله: ((ثم جاءت طائفة

---

(١) أخرجه الترمذي بنحوه في سننه، كتاب: التفسير، باب: سورة الروم، (٣٤٤/٥، برقم: ٣١٩٤)، ثم قال: ((هذا حديث صحيح حسن غريب، من حديث: نيار بن مكرم، لا نعرفه إلا من عبدالرحمن بن أبي الزناد))، وقد حسن سنده محقق كتاب التوحيد: سمير الزهيري (٣٦٦/١)، إلا أن لفظ الشاهد وهو قوله: (ولكنه كلام الله وقوله) غير موجود عند الترمذي.

(٢) التوحيد (٤٠٣/١).

فقالت: لا يتكلم بعد ما تكلم، فيكون كلامه حادثاً، قال: وهذه سخارة أخرى تقذى في الدين غير عين واحدة، فانتبه لها أبو بكر بن إسحاق... فطار لتلك الفتنة ذاك الإمام أبو بكر، فلم يزل يصيح بتشويهها، ويصنف في ردها كأنه منذر جيش، حتى دوّن في الدفاتر وتمكن في السرائر ولقن في الكتاتيب ونقش في المحاريب: أن الله متكلم، إن شاء تكلم وإن شاء سكت، فجزى الله ذاك الإمام وأولئك النفر الغر عن نصرة دينه وتوقير نبيه خيراً))(١).

٢-ما وجد له من أقوال في مسألة القول بخلق القرآن في الكتب التي ترجمت له، فقد ذكر الذهبي في ترجمة ابن خزيمة أنه قال: ((القرآن كلام الله تعالى، ومن قال: إنه مخلوق. فهو كافر، يستتاب فإن تاب وإلا قُتِل، ولا يدفن في مقابر المسلمين))(٢).

الثاني: لعل ابن خزيمة رأى أن فيما قرره من إثبات صفة الكلام والاستدلال عليها كفاية في تأكيد كون القرآن كلام الله.

الثالث: ومما يقد يُعتذَر له به اكتفاؤه ~ بما كان يعقده من مساجلات ومناظرات ينازل بها خصومه القائلين بخلق القرآن، الأمر الذي صرّح به ~ في ذكره لسبب تأليفه لكتاب التوحيد(٣).



---

(١) مجموع الفتاوى (١٧٨/٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٧٤/١٤).

(٣) انظر: ص٩.

المطلب الخامس: الرؤية

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة من أجلّ المسائل وأشرفها، ((وهي الغاية العظمى التي شمر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحُرمها الذين هم عن ربهم محجوبون))[1].

وقد تواترت النصوص واتفق السلف -رحمهم الله- على إثباتها[2].

كذلك اعتنى سلف الأمة بتقريرها ودفع شُبه نافيها وصنفوا المصنفات في ذلك[3].

والرؤية أكثر الموضوعات التي نالت عناية ابن خزيمة في كتابه التوحيد: تقريرًا واستدلالاً وردًا على المخالفين.

ويتضمن موضوع الرؤية مسائل وهي:

۞ المسألة الأولى: الأدلة على الرؤية

تضافرت أدلة الكتاب والسنة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، فمن أدلة الكتاب:

١. قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(القيامة:٢٢-٢٣).

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١٥٣).

(٢) انظر: نقض الدارمي (٣٥٩/١)، والسنة لابن أبي عاصم (١٨٥/١)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٢٢٩/١)، وصريح السنة للطبري (٣)، والسنة للخلال (٣١١/٤)، والإبانة للأشعري (٦٥)، والشريعة للآجري (٩٧٨/٢)، والرؤية للدارقطني (٢٢)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (١٢٠)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤٥٤/٣)، إبطال التأويلات لأبي يعلى (٢٨١/٢)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (٢٦٣)، والاعتقاد للبيهقي (٥٨)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٥٠٦/١)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، د.ط، (دار الفكر، بيروت، د.ت) (١٩٥/١)، ولمعة الاعتقاد للمقدسي (٢٠)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (١٥٣)، أقاويل الثقات لمرعي الكرمي (١٩٤).

(٣) كتاب: "الرؤية للدارقطني"، و"رؤية الله لابن النحاس".

٢. وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس:٢٦)، وقد فسر رسول الله ﷺ الزيادة بالنظر إلى الله سبحانه[١]، وكذلك فسرها جمع من الصحابة رضوان الله عليهم[٢].

أما أدلة السنة فهي متواترة منها:

١-قوله ﷺ: ((إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامونَ في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ (ق:٣٩)))[٣].

٢-وقوله ﷺ: ((إنكم سترون ربكم عيانًا))[٤].

۞ المسألة الثانية: منهج أهل السنة في الرؤية.

ينقسم الحديث عن منهج أهل السنة في رؤية الباري سبحانه إلى قسمين:

القسم الأول: رؤية الله في الحياة الدنيا.

اتفق أئمة السلف على أن الله ﷻ لا يراه الناس في الدنيا رؤية عيان[٥]، ويدلّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، (١٣٦/١، برقم: (٢٩٨).

(٢) انظر في تفسير الصحابة للزيادة في الآية: جامع البيان للطبري (٦٣/١٥)، والشريعة للآجري (٩٩٤/٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤٥٥/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، (٣٣/٢، برقم: ٥٥٤)، وكتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، (٤٣٩/١، برقم: ٢١١)، من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، (٤١٩/١٣، برقم:٧٤٣٥)، من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

(٥) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٠٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣٣٦/١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١٦٢).

على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾(الأعراف:١٤٣).

وقوله ﷺ: ((تعلّموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه ﷻ حتى يموت))(١).

أما رؤية النبي ﷺ له في الدنيا وهي رؤيته له ليلة أسري به فهي محل نزاع؛ ويحسُن فيها عرض أقوال الصحابة أولاً، ثم إتباعها بأقوال أهل العلم حتى تكون واضحة المعالم، لاسيما أن ابن خزيمة ~ قد أفاض في الكلام عنها.

أما آثار الصحابة فهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: آثار أثبتت الرؤية مطلقًا؛ كقول ابن عباس رضي الله عنه: ((إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً ﷺ بالرؤية))(٢).

وبمثل قوله قال غيره كأنس بن مالك، وأبي هريرة رضي الله عنهم(٣).

القسم الثاني: آثار أثبتت الرؤية المقيدة بالقلب؛ كقول ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾(النجم:١٣): ((رآه بقلبه))(٤).

كذلك قال أبو ذر رضي الله عنه: ((رأى النبي ﷺ ربه بقلبه))(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد، (٢٢٤٥/٤، برقم: ١٦٩).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٨٩/١، برقم: ٤٣٦)، وقال محقق الكتاب: ((إسناده صحيح موقوف))، وأخرجه الآجري في الشريعة (١٥٤١/٣، برقم: ١٠٣١).

(٣) انظر: السنة لابن أبي عاصم (١٨٨/١)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٧٦/١و٢٩٨)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥١٢/٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾، (١٥٨/١، برقم: ٢٨٤).

(٥) أخرجه اللالكائي (٥١٩/٣، برقم: ٩١٥)، وأبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في الرؤية، تحقيق: إبراهيم محمد العلي وأحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١١هـ. (٣١٣، برقم: ٢٠٤).

القسم الثالث: آثار نفت الرؤية مطلقًا؛ كالذي ورد عن عائشة < ؛ فعن مسروق ﷺ قال: ((كنت متكئًا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفِرية، قلت: وما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئًا فجلستُ فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجلين، ألم يقُل الله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[1] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[2] فقالت: < : أنا أول هذه الأمة سأل عن هذا رسول الله ﷺ، فقال: جبريل؛ لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء والأرض، قالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[3]؟ قالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ...﴾... قرأت إلى قوله ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[4]))[5].

وكذلك قول أبي ذر ﷺ قال: ((سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: نورٌ أنّى أراه))[6].

وبناء على هذه الآثار تعددت أقوال العلماء في الرؤية على أقوال، أشهرها:

القول الأول: إثبات الرؤية البصرية.

وهو قول جماعة من أهل العلم كابن خزيمة -كما سيتضح- وأبي الحسن

----

(١) سورة: التكوير، الآية: ٢٣.

(٢) سورة: النجم، الآية: ١٣.

(٣) سورة: الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة: الشورى، الآية: ٥١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح) -مع اختلاف يسير-، كتاب: التفسير، سورة النجم، (٦٠٦/٨، برقم: ٤٨٥٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله ﷻ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، (١٥٩/١، برقم:٢٨٧)، واللفظ لمسلم.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: في قوله عليه السلام: نور أنّى أراه، وفي قوله: رأيت نوراً، (١٦١/١، برقم:٢٩١).

الأشعري[(١)].

القول الثاني: إثبات الرؤية القلبية.

وذهب إلى هذا القول الإمام أحمد في أحد روايتيه[(٢)]، وقال به أيضًا القرطبي[(٣)]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[(٤)]، وابن أبي العز[(٥)].

القول الثالث: التوقف في المسألة.

وذهب إلى هذا القول القاضي عياض[(٦)] [(٧)]، والذهبي[(٨)].

يقول القاضي عياض: ((وأما وجوبه لنبينا ﷺ، والقول بأنه رآه بعينه؛ فليس فيه

---

(١) نسب القول إليه القاضي عياض في الشفا (١٩٨/١)، وابن كثير، انظر: البداية والنهاية (٢٧٩/٤)، وابن حجر في الفتح (٦٠٨/٨)، ولم أقف على قوله في كتبه، كالإبانة ورسالة إلى أهل الثغر ومقالات الإسلاميين.

(٢) نقله عنه القاضي أبو يعلى، انظر: الروايتين والوجهين، مسائل من أصول الديانات، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، تحقيق: الدكتور سعود بن عبدالعزيز الخلف، الطبعة: الأولى، (أضواء السلف، الرياض، عام ١٤١٩هـ) (٦٥).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦١/١٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥٠٩/٦-٥١٠).

(٥) انظر: شرح الطحاوية (١٦٢-١٦٣).

(٦) هو: أبو الفضل، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليَحصبي المالكي، من علماء المالكية، فقيه محدث، ولد سنة ٤٧٦هـ ،وقيل غير ذلك، وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ. من مؤلفاته: "الإعلام بحدود وقواعد الإسلام"، و"إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم"، و"ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، انظر: إنباه الرواه على أنباه النحاة، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القطفي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، (دار الفكر العربي، مصر، عام: ١٤٠٦هـ) (٣٦٣/٢)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤٨٣/٣)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٣٠٤/٤)، والديباج المذهب لابن فرحون (١٦٨).

(٧) انظر: الشفا في حقوق المصطفى (٢٠١/١)

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء (١١٤/١٠).

قاطع أيضاً ولا نص، إذ المعول فيه على آيتي (النجم)، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي ﷺ بذلك)) (١).

والذي يظهر -والله تعالى أعلم- أن القول بإثبات الرؤية القلبية هو الأرجح؛ ذلك أن آثار الصحابة رضوان الله عليهم السابقة ليس فيها نص صريح في إثبات رؤية العين، وإنما جاءت إما مطلقة نفيًا أو إثباتًا للرؤية، وإما مقيدة بالرؤية القلبية، وبالجمع بين هذه الآثار حمل أهل العلم المطلق على المقيد؛ يقول شيخ الإسلام: ((وأما الرؤية؛ فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: (رأى محمد ربه بفؤاده مرتين)، وعائشة أنكرت الرؤية: فمن الناس من جمع بينهما، فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: (رأى محمد ربه)، وتارة يقول: (رآه محمد)، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه... وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدلّ كما في صحيح مسلم عن أبى ذر قال: (سألت رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنّى أراه) (٢)))(٣).

القسم الثاني: رؤية الله في الآخرة.

رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة تكون في موضعين:

الموضع الأول: في عرصات القيامة.

وقد تنازع أهل العلم في كون هذه الرؤية عامة للمؤمنين والكافرين أم أنها خاصة بالمؤمنين، والأقوال في هذا ثلاثة(٤):

---

(١) الشفا في حقوق المصطفى (٢٠١/١).

(٢) سبق تخريجه ٣٦٧.

(٣) مجموع الفتاوى (٥٠٩/٦-٥١٠)، وانظر كلامًا لابن كثير: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، الطبعة الثانية، (دار المعرفة، بيروت، عام: ١٤٠٨هـ) (١٤٠٣).

(٤) انظر: إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (٢٩٠/٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨٧/٦)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١٦٢).

-أن الرؤية حاصلة للمؤمنين فقط.

-أنها تكون للمؤمنين والمنافقين وبقايا من أهل الكتاب، لكنه يحتجب الله عنهم دون المؤمنين.

-أن الرؤية تكون لأهل الموقف كلهم مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم.

وسيأتي ذكر الأدلة على هذه المسألة والترجيح في الكلام عن منهج ابن خزيمة فيها.

الموضع الثاني: في الجنة.

وهذه الرؤية ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله.

أما أدلة القرآن فيغني عنها ما ذُكر في أدلة الرؤية في مستهل المطلب.

والسنة تواترت في إثبات هذه الرؤية(١).

ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ: ((إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ))(٢).

وكذلك دل عليها الإجماع؛ يقول الدارمي بعد أن ساق الأحاديث المثبتة للرؤية: ((على تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديماً وحديثاً يروونها ويؤمنون بها، لا يستنكرونها ولا ينكرونها، ومن

---

(١) انظر: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤٦٩/٣)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢٤٥/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤٦٩/٦)، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: زائد أحمد النشيري، الطبعة: الأولى (دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، عام: ١٤٢٨هـ) (٢٧٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، (١٦٣/١، برقم:٢٩٧)، من حديث صهيب ﷺ.

أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال، بل كان من أكبر رجائهم، وأجزل ثواب الله في أنفسهم: النظر إلى وجه خالقهم، حتى ما يعدلون به شيئًا من نعيم الجنة))(١).

۞ المسألة الثالثة: منهج ابن خزيمة في الرؤية.

أولاً: منهجه في التقرير والاستدلال.

مسألة الرؤية من المسائل التي أسهب فيها ابن خزيمة، فقد أفاد ~ في تلك المسألة تقريرًا وردًا، والحديث عن منهجه يتناول شقي مسألة الرؤية وهما:

١- رؤية الله في الآخرة.

قرر ابن خزيمة ثبوت رؤية الله يوم القيامة في موضعين:

الموضع الأول: في عرصات القيامة؛ فقد أثبت أن ((جميع أمة النبي برهم وفاجرهم مؤمنهم ومنافقهم، وبعض أهل الكتاب يرون الله ﷻ يوم القيامة))(٢).

فهو يذهب إلى القول الثاني المذكور في المسألة؛ وهو أن الرؤية تكون للمؤمنين والمنافقين وبقايا من أهل الكتاب، أما الكافرون فلا يرون ربهم.

وقد استدل على ((أن الله ﷻ ينظر إليه جميع المؤمنين يوم القيامة برهم وفاجرهم))(٣) بأحاديث عدة منها:

حديث الرؤية الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارُّون في رؤية الشمس في الظهيرة من غير سحاب؟ قال: قلنا: لا، قال: فهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب؟ قال: قلنا: لا،

---

(١) الرد على الجهمية (١٠٣)، وانظر في نقل الإجماع: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (١٣٤)، والتمهيد لابن عبدالبر (١٥٤/٧)، ومجموع فتاوى لابن تيمية (٤٦٩/٦).

(٢) التوحيد (٤٢٠/٢).

(٣) المصدر السابق (٤٢٠/٢).

قال: فإنكم لا تضارُّون في رؤيته كما لا تضارُّون في رؤيتهما))[(١)].

كذلك استند على إجماع السلف في إثبات رؤية المؤمنين لربهم، فقال: ((أهل قبلتنا من الصحابة والتابعات والتابعين ومن بعدهم إلى من شاهدنا من العلماء من أهل عصرنا، لم يختلفوا ولم يشكوا ولم يرتابوا: أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة عيانًا))[(٢)].

أما المنافقون:

فقد ذكر أنهم غير داخلين في الحجب المذكور في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين:١٥)، ذلك أن المقصودين في هذه الآية الكفار -كما سيأتي بيانه- ((دون المنافقين الذين كانوا يكذبون بضمائرهم، ويقرّون بألسنتهم بيوم الدين رياء وسمعةً))[(٣)].

ومما استدل به كذلك على رؤية المنافقين وبعض أهل الكتاب: قوله ﷺ في حديث الرؤية الذي رواه أبو هريرة: ((ويبقى المؤمنون ومنافقوهم بين أظهرهم، وبقايا من أهل الكتاب، يقلّلهم بيده، فيقال لهم: ألا تتبعون ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله ولم نرَ اللهَ، قال: فيكشف عن ساق، فلا يبقى أحدٌ كان يسجد لله إلا خر ساجدًا، ولا يبقى أحدٌ كان يسجد رياء وسمعة إلا وقع على قفاه، ثم يوضع الصراط بين ظهري جهنم)) الحديث[(٤)].

بيّن أن رؤية المنافقين لله تبارك وتعالى ليست إكرامًا لهم؛ لأنها ليست ((رؤية

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: التفسير، باب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، (٢٤٩/٨، برقم:٤٥٨١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، (٤٣٩/١، برقم:٣٠٢).

(٢) التوحيد (٥٤٨/٢)، وانظر: (٥٨٢/٢-٥٨٧).

(٣) المصدر السابق (٤٣٠/٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٢٦/١٦، برقم: ١٠٩٠٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٨٣/١، برقم: ٦٣٤)، وقال الألباني: "إسناده جيد وهو على شرط مسلم وقد أخرجه" ظلال الجنة (٢٨٤/١).

سرور وفرح وتلذذ بالنظر في وجه ربهم ﷻ))[١] كحال المؤمنين، وبيان ذلك من وجهين كما ذكرهما ~ :

الأول: ((أن المنافقين يرونه للاختبار والامتحان، فيريدون السجود فلا يقدرون عليه))[٢].

الثاني: أن ((حجبه إياهم بعد ذلك عن رؤيته حسرة عليهم وندامة))[٣]، وذلك جزاء وفاق؛ ((إذ لم يصدقوا به بقلوبهم وضمائرهم، ووعده ووعيده، وما أمر به وما نهى عنه، وبيوم الحسرة والندامة))[٤].

بينما نظر المؤمنين -أهلِ ولايته- ((إلى وجهه نظر فرح وسرور وتلذذ))[٥].

رؤية الكفار لله تبارك وتعالى يوم القيامة

ذهب ابن خزيمة إلى القول بأن الكفار لا يرون الله تبارك وتعالى يوم القيامة، واستدل على ذلك بما يأتي:

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(المطففين:١٥)، وقال: ((إنما أراد الكفار الذين يكذبون بيوم الدين بضمائرهم، فينكرون ذلك بألسنتهم))[٦]، وأشار إلى أن ما يؤيد هذا: سياقُ الآيات قبل هذه الآية وبعدها، حيث يقول موضحًا وجه الدلالة من الآية: ((ألا تسمع إلى قوله ﷻ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٧]، إلى قوله:

---

(١) التوحيد (٤٢٠/٢).

(٢) المصدر السابق (٤٢٣/٢).

(٣) المصدر السابق (٤٣٢/٢).

(٤) المصدر السابق (٤٣٢/٢).

(٥) المصدر السابق (٤٢١/٢).

(٦) المصدر السابق (٤٣٢/٢).

(٧) سورة: المطففين، الآيات: ٤-٥.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾(١)، إلى قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(٢) أي: المكذبون بيوم الدين))(٣)، ثم قال: ((فأعلمنا الله ﷻ أن من حُجِبَ عنه يومئذ هم المكذبون بذلك في الدنيا، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾(٤)))(٥).

ومما استدل به كذلك قوله ﷺ: ((فيتبع الذين كانوا يعبدون الشمسَ الشمسَ؛ فيتساقطون في النار، ويتبع الذين كانوا يعبدون القمرَ القمرَ فيتساقطون في النار، ويتبع الذين كانوا يعبدون الأوثانَ الأوثانَ، والأصنامَ الأصنامَ، وكل من كان يعبد من دون الله فيتساقطون في النار)) الحديث(٦).

يقول ~ موضحًا وجه الدلالة: ((وفي خبر أبي سعيد: (فلا يبقى من كان يعبد صنمًا ولا وثنًا ولا صورة؛ إلا ذهبوا حتى يتساقطون في النار)؛ فالله ﷻ يحتجب على هؤلاء الذين يتساقطون في النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر ومنافق وبقايا أهل الكتاب))(٧).

وقد أورد ابن خزيمة حديثًا هو -كما يذكر ابن تيمية- ((من أقوى ما يتمسك به المثبتون))(٨) لرؤية الكافرين لربهم يوم القيامة، وهو حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه يقول ﷺ: ((فيلقى العبدَ فيقول: أي فُلْ(٩)! ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك

---

(١) سورة: المطففين، الآيات ١٠-١١.

(٢) سورة: المطففين، الآية ١٥.

(٣) التوحيد (٢/٤٣٠).

(٤) سورة: المطففين، الآية ١٧.

(٥) التوحيد (٢/٤٣١).

(٦) سبق تخريجه ص٣٧٢.

(٧) التوحيد (٢/٤٣٠-٤٣١).

(٨) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/٤٨٩).

(٩) أي: يا فلان، انظر: النهاية لابن الأثير (٣/٤٧٣).

الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني)) الحديث[١].

ثم ذكر كلامًا في التفريق بين اللقاء والرؤية؛ فقال: ((فاللقاء الذي في هذا الخبر غير التراءي؛ لأن الله ﷻ يتراءى لمن قال له هذا القول، وهذا الكلام الذي يكلم به الرب -جل ذكره- عبْدَه الكافرَ يوم القيامة: كلامٌ من وراء الحجاب، من غير نظر الكافر إلى خالقه، في الوقت الذي يكلم به ربه ﷻ، وإن كان كلام الله إياه كلام توبيخ وحسرة وندامة للعبد، لا كلام بِشْرٍ وسرور وفرح ونضرة وبهجة))[٢].

وتأكيدًا على أن اللقاء غير الرؤية أورد جملةً من النصوص، فقال: ((ولا شك ولا ارتياب أن قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[٣] ليس معناه: ورؤية الآخرة))[٤].

• ذكر ~ أن موضع رؤية جميع أمة النبي: برهم وفاجرهم، مؤمنهم ومنافقهم، وبعض أهل الكتاب لله تبارك وتعالى تكون ((قبل أن يوضع الجسر بين ظهري جهنم))[٥]، وذلك استنباطًا من قوله عليه الصلاة والسلام في رؤية المنافقين وبعض أهل الكتاب لله ﷻ: ((ثم يوضع الصراط بين ظهري جهنم))[٦].

الموضع الثاني: رؤية الله تعالى في الجنة.

ذكر ابن خزيمة أن رؤية الله تعالى في الجنة فضيلة ((يختص بها أولياءه يوم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، (٢٢٧٩/٤، برقم: ١٦).

(٢) التوحيد (٤٣٢/٢).

(٣) سورة: الأعراف:١٤٧.

(٤) التوحيد (٤٣٧/٢).

(٥) المصدر السابق (٤٢٠/٢).

(٦) سبق تخريجه ص٣٧٢.

القيامة))[١]، ويكون ذلك ((بعد دخول أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ، فيزيد الله المؤمنين كرامةً وإحسانًا إلى إحسانه، تفضلاً منه وجودًا، بإذنه إياهم النظر إليه، ويحجب عن ذلك جميع أعدائه))[٢].

واستدل عليها بما استدل به جميع أهل السنة:

كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة:٢٢-٢٣).

كما أنه استدل بقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس:٢٦). مبينًا تفسير النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم للزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم[٣].

وما ذهب إليه سبقت الإشارة إليه بشيء من التفصيل في بيان منهج أهل السنة والجماعة فيها، مما يغني عن التوسع في الحديث عنها في هذا الموضع[٤].

٢- رؤية الله تعالى في الدنيا.

الحديث في هذه المسألة في شقين:

الأول: رؤية الناس له سبحانه في الدنيا.

الثاني: رؤية النبي ﷺ له في الدنيا.

أما بالنسبة للشق الأول فاتفاق أهل السنة على أن الناس لا يرون الله ﷻ في الدنيا، وهذا ما قرّره ابن خزيمة ~ ؛ حيث قرر أن: ((المؤمنين يرون خالقهم جل ثناؤه بعد الموت، وأنهم لا يرونه قبل الممات))[٥].

---

(١) التوحيد (٢/٤٤٣).

(٢) التوحيد (٢/٤٤٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/٤٤٥- ٤٥٨).

(٤) انظر: ص٣٧٣.

(٥) المصدر السابق (٢/٤٥٨).

واستدل على ذلك بقوله ﷺ: ((لن تروا ربكم حتى تموتوا)) الحديث[١].

رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا:

رؤية النبي ﷺ له في حياته من المسائل الخلافية بين أهل السنة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وقد أطال ابن خزيمة في هذه المسألة، وبيان قول من أثبتها ومن نفاها، وأكثر مِنْ سرد النصوص من القرآن والسنة وآثار الصحابة رضوان الله عليهم فيها، ويتلخص منهجه فيما يأتي:

• أشار ~ إلى الخلاف في هذه المسألة بقوله: ((اختلف العلماء: هل رأى النبي ﷺ خالقه ﷻ قبل نزول المنية بالنبي ﷺ؟))[٢]، وأشار كذلك إلى خلاف الصحابة رضوان الله عليهم فيها فذكر أن: ((عائشة < وأبا ذر وابن عباس - { -، وأنس بن مالك ﷺ، قد اختلفوا هل رأى النبي ربه؟ فقالت عائشة < : لم يرَ النبيُّ ربه، وقال أبو ذر وابن عباس { : قد رأى النبيُّ ربه))[٣].

• قرّر ابن خزيمة إثبات ((رؤية النبي خالقه العزيز العليم المحتجب عن أبصار بريته قبل اليوم الذي تُجزى فيه كل نفس بما كسبت، يوم الحسرة والندامة))[٤]، وذكر أن هذه الرؤية ((اختصاص الله نبيه محمدًا))[٥]، ((كما خص نبيه إبراهيم

----

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: الفتن، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، (١٣٥٩/٢، برقم: ٤٠٧٧)، وأبو داود في سننه، كتاب: الملاحم، باب: ذكر خروج الدجال، (٥١٩/٢، برقم: ٤٣١٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١٨٦/١، برقم:٤٢٩)، وصحح الحديث الشيخ الألباني في الظلال (١٨٧/١)، وقوله ﷺ: (لن تروا ربكم حتى تموتوا) ثابت في صحيح مسلم، وقد سبق تخريجه ص.

(٢) التوحيد (٥٤٨/٢)، وانظر (٥٨٢/٢).

(٣) المصدر السابق (٥٥٦/٢).

(٤) المصدر السابق (٤٧٧/٢).

(٥) المصدر السابق (٤٧٧/٢).

بالخلة من بين جميع الرسل، وخص الله كل واحد منه بفضيلة وبدرجة سَنِيّة، كرمًا منه وجودًا))[١].

• وقد أشار ابن خزيمة إلى أن هذه الرؤية كانت ليلة المعراج؛ فذكر أن النبي ﷺ ((مخصوصًا برؤية خالقه وهو في السماء السابعة، لا أن النبي ﷺ رأى ربه وهو في الدنيا)) [٢].

وقد استدل على ذلك بقول ابن عباس { : ((إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدًا ﷺ بالرؤية))[٣].

وقوله أيضًا: ((رأى محمد ﷺ ربه))[٤].

• عرّج على حقيقة الرؤية: هل هي رؤية قلبية أم إنها رؤية عين؛ فذكر قولين:

القول الأول: أن الرؤية كانت قلبية، ودليل من ذهب إلى ذلك قول ابن عباس { في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ((رآه بفؤاده))[٥].

إلا أن ابن خزيمة ~ نازع في استدلالهم هذا بقوله: ((وليس هذا التأويل الذي تأولوه لهذه الآية بالبيّن، وفيه نظر؛ لأن الله إنما أخبر في هذه الآية أنه رأى من آيات ربه الكبرى، ولم يُعْلم الله في هذه الآية أنه رأى ربه جل وعلا، وآيات ربنا ليس هو

---

(١) المصدر السابق (٤٧٧/٢).

(٢) التوحيد (٥٨٧/٢).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٨٩/١، برقم:٤٣٦)، وقال محقق الكتاب الشيخ الألباني: ((إسناده صحيح موقوف))، وأخرجه الآجري في الشريعة (١٥٤١/٣، برقم: ١٠٣١).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٨٩/١، برقم:٤٣٥)، وقال محقق الكتاب الشيخ الألباني: ((إسناده صحيح موقوف))، وأخرجه الآجري في الشريعة (١٥٤٢/٣، برقم: ١٠٣٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥١٥/٣، برقم: ٩٠٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، (١٥٨/١، برقم: ٢٨٥).

ربنا جل وعلا))[١].

القول الثاني: أنها رؤية عين، وذكر مستند أصحاب هذا القول، وهو تفسير ابن عباس ‹ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ (الإسراء:٦٠)، قال: ((هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به))[٢].

• ثم ذكر بعد ذلك آثارًا عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، كان له رأي في كل منها وهي:

❑ أولاً: أخبار عبدالله بن مسعود ﷺ.

أورد آثارًا عدة عن ابن مسعود ﷺ في تفسير بعض آيات الرؤية قال: إن المعنيَّ بها جبريلُ ﷺ[٣].

ثم قال بعد هذه الآثار: ((فأخبار ابن مسعود دالة على أن قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[٤] تأويله أي: رأى جبريل على الصفة التي ذكرت في هذه الأخبار، وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[٥] فغير مستنكر أن يكون معنى هذه الآية على ما قال ابن عباس: أن النبي رأى ربه مرتين، لا تأويل قوله: لقد رأى من آيات ربه الكبرى))[٦].

---

(١) التوحيد (٢/٤٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، (٨/٣٩٨، برقم: ٤٧١٦)، وكتاب: القدر، باب: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، وكتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج.

(٣) انظر: صحيح البخاري (مع الفتح)،كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم والملائكة في السماء..، (٦/٣١٣)، وكتاب التفسير، باب: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، (٨/٦١٠)، وباب: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، (٨/٦١١)، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١/١٥٨).

(٤) سورة: النجم، الآية: ١٨.

(٥) سورة: النجم، الآية: ١٣.

(٦) التوحيد (٢/٥٠٨).

فابن خزيمة يوافق تأويل ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾(النجم:١٨)، ويعارضه في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾(النجم:١٣).

❐ ثانيًا: أقوال أبي ذر رضي الله عنه.

فقد أورد له أثراً وهو ((أن عبدالله بن أبي شفيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، فقال: عن أي شيء تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألته فقال: أنى أراه))[١].

وقد رأى ابن خزيمة أن هذا الأثر غير صريح في إثبات الرؤية لاحتمالها النفي والإثبات؛ يقول ~ : ((قوله: (أنّى) يحتمل معنيين:، أحدهما النفي والآخر الإثبات))[٢]، وعليه ((فيجوز أن يكون معنى خبر أبي ذر (أنّى أراه) فمعنى (أنّى) في هذا الموضع: أي كيف شئتم وأين شئتم، ويجوز أن يكون معنى خبر أبي ذر (أنّى أراه) أي: أين أراه أو كيف أراه فهو نور))[٣].

ورجح جانب النفي؛ ((لأن أبا ذر قد ثبت عنه أن النبي ﷺ قد رأى ربه بقلبه))[٤]، وذلك في قوله رضي الله عنه في الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾(النجم:١٣): ((رآه بقلبه))[٥].ولم يرَ ابن خزيمة صحة هذا التأويل للآية لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ أن المقصود بالرؤية في هذه الآية جبريل عليه السلام.

وعلى احتمال صحة تأويل أبي ذر فإنه لا يدل على نفي الرؤية؛ وذلك لأنه يحتمل أن أبا ذر سأل رسول الله ﷺ ((في بعض الأوقات: هل رأى ربه جل وعلا، ولم يكن رآه بعد، فأعلمه أنه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: قوله عليه السلام: (نور أنى أراه) وفي قوله: (رأيت نوراً)، (١٦١/١، برقم: ٢٩١).

(٢) التوحيد (٥١٤/٢).

(٣) المصدر السابق (٥١٤/٢).

(٤) المصدر السابق (٥١٥/٢).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥١٩/٣، برقم:٩١٥).

لم يره، ثم رأى ربه جل وعلا بعد ذلك، فتلا عليه الآية وأعلمه أنه رآه بقلبه))(١).

❑ ثالثًا: أخبار أنس ﷺ.

ذكر حديث الإسراء الذي رواه أنس بن مالك ﷺ وفيه: ((ودنا الجبار رب العرش فتدلى)) الحديث(٢)، والدال على أن ((معنى قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾(٣) إنما دنا الجبار رب العزة، لا جبريل))(٤).

❑ رابعًا: أخبار عائشة < .

الآثار عن عائشة < تنفي ((رؤية النبي ﷺ تسليمًا، قبل نزول المنية بالنبي ﷺ))(٥).

وهذه الآثار متقاربة المعنى؛ منها: ما جاء عن مسروق ﷺ، قال: ((كنت متكئًا عند عائشة < فقالت: يا أبا عائشة: ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفِرية، قلت: وما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئًا فجلستُ فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجلين، ألم يقُل الله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾(٦) ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾(٧) فقالت: < : أنا أول هذه الأمة سأل عن هذا رسول الله، فقال: جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظمُ خلقه ما بين السماء والأرض،

---

(١) التوحيد (٥١٩/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، (٤٧٨/١٣، برقم:٧٥١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، (١٤٥/١، برقم: ٢٥٩).

(٣) سورة: النجم:٨.

(٤) التوحيد (٥٢١/٢).

(٥) المصدر السابق (٥٤٨/٢).

(٦) سورة: التكوير، الآية: ٢٣.

(٧) سورة: النجم، الآية: ١٣.

قالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]؟ قالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ...﴾... قرأت إلى قوله: ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[2]) الحديث[3].

وقد عارض ابن خزيمة تلك الآثار بما يأتي:

أولًا: أن عائشة < إنما نَفَت الرؤية ولم تُخْبِر، و((النفي لا يوجب علمًا، والإثبات هو الذي يوجب العلم))[4].

وما اعتمده هنا في الرد: قاعدة أصولية، وهي: (أن المُثْبِتَ مقدّمٌ على النَّافي)[5]، غير أنه ينازع ~ في صحة الإثبات -إثبات الرؤية البصرية-؛ فليس ثمة دليل صريح صحيح على رؤية النبي ﷺ لربه بعينه، يقول شيخ الإسلام ~: ((وليس في الأدلة ما يقتضى أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل))[6].

ثانيًا: أن عائشة < تكلمت عن فهم الآيتين:

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام:١٠٣)، و﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الشورى:٥١)، وأشار ابن خزيمة إلى أن فهمها غير صحيح، ثم أول الآيتين.

أما قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، فذكر أنه يحتمل معنيين:

---

(١) سورة: الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة: الشورى، الآية: ٥١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح) -مع اختلاف يسير-، كتاب: التفسير، سورة النجم، (٦٠٦/٨، برقم: ٤٨٥٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله ﷻ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾، (١٥٩/١، برقم:٢٨٧).

(٤) التوحيد (٥٥٦/٢).

(٥) انظر: المنخول من تعليقات الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: الدكتور محمد حسن هيتو، الطبعة: الثانية، (دار الفكر، دمشق، عام: ١٤٠٠هـ) (٤٣٤).

(٦) مجموع الفتاوى (٥٠٩/٦).

المعنى الأول: أنها على تأويل ابن عباس ﷺ أنه إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء.

المعنى الثاني: أي لا تدركه أبصار الناس؛ إذ أن لفظ ((أبصار إنما يقع على أبصار جماعة))[١]، وبصر النبي ﷺ لا يطلق عليه أبصار.

أما استدلالها بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ...﴾، فقد رد عليه بأن ورود الخبر بتكليم الله ﷻ نبيه ﷺ لم يكن في الوقت الذي كان يرى فيه ربه[٢].

ثالثًا: لا يظن بابن عباس وأنس بن مالك وأبي ذر -رضي الله عنهم- أن يخبروا برؤية النبي ﷺ لربه بظَنٍّ ورأي، خاصة أن هذا لجنس من العلوم ((لا يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى))[٣].

وبعد استعراض ما قرره ابن خزيمة في مسألة رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا تجدر الإشارة إلى بعض الملامح لتقريره تتلخص فيما يأتي:

١-نهج ابن خزيمة في عرض مسألة رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا نهجًا لم يكن من عادته؛ ذلك أنه لم يذكر عبارة صريحة تبين قوله فيها أهي رؤية بصر أم رؤية قلب، الأمر الذي كان واضحًا في المسائل الأخرى، ولعل ذلك يرجع إلى قوة الخلاف فيها.

٢-قد يوحي عرض ابن خزيمة بترجيحه للقول بإثبات مطلق الرؤية دون تقييدها بالقلب أو البصر؛ إلا أنه عند تأمل كلامه ومناقشته يترجح أنه يميل إلى القول بإثبات رؤية العين؛ وقد أشار إلى ذلك ابن كثير حيث قال: ((ورأى -أي النبي ﷺ- ربه ﷻ ببصره على قول بعضهم، وهو اختيار الإمام أبي بكر بن خزيمة من أهل

---

(١) التوحيد (٥٥٧/٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٥٥٨/٢).

(٣) المصدر السابق (٥٥٩/٢).

الحديث))[١]، كذلك يقول ابن حجر: ((وجنح ابن خزيمة في "كتاب التوحيد" إلى ترجيح الإثبات وأطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه))[٢].

ويُتلمس ميله إلى القول بأنها رؤية بالعين من أمور، وهي:

الأمر الأول: مناقشته وردّه لأدلة القائلين برؤية القلب كما مر سابقًا.

الأمر الثاني: قوله عند رده على الجهمية وتوجيهه لما ذكروه: ((الرؤية جهرة: هي الرؤية التي يراه كل من كان بصره مثل بصر الناظر إلى الشيء، والله ﷻ يحتجب عن أبصار أهل الدنيا، لا يرى أحدٌ ربه في الدنيا جهرةً، وقد أعلمنا قبل معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ وأنه جائز أن يكون النبي ﷺ مخصوصاً برؤية خالقه وهو في السماء السابعة، لا أن النبي ﷺ رأى ربه وهو في الدنيا))[٣].

هذا الذي يظهر لي في المسألة والله تعالى أعلم.

٣-أسهب ابن خزيمة في إيراد أدلة الرؤية، وكان إيراده للأدلة شاملاً جميع ما يتعلق بالرؤية وهي:

الأخبار المثبتة للرؤية كأقوال ابن عباس وأنس والحسن رضوان الله عليهم.

الأخبار المحتملة لإثبات الرؤية ونفيها كخبر أبي ذر ﷺ.

الأخبار التي تنفي الرؤية كأخبار عائشة < .

كما أنه أشار إلى بعض الأدلة التي تؤيد ما ذهب إليه من إثبات الرؤية، لكنه ترك الاستدلال بها لعدم ثبوت صحتها عنده، مما يدل على تجرده ~ ، يقول الشيخ

---

(١) الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، الطبعة: الأولى، (مؤسسة، دار القلم، دمشق-بيروت، عام: ١٣٩٩-١٤٠٠هـ) (٢٤٠).

(٢) فتح الباري (٦٠٨/٨).

(٣) التوحيد (٥٨٧/٢).

محمد خليل هراس[(١)]: ((وإنا لنكبر في المؤلف ~ هذه الروح العلمية النزيهة التي لا يحملها التعصب للمذهب على المهاترة ومحاولة تأييده بكل ممكن من واهي الأخبار وسقيمها، كما هو دأب كثير من أهل المذاهب المنحرفة))[(٢)].

٤-أورد ابن خزيمة -أثناء ردِّه على قول عائشة < في نفي الرؤية- كلمة كان غيرها أحسن منها؛ حيث قال: ((هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها في وقت غضب، كانت لفظة أحسن منها يكون فيها دركا لبغيتها كان أجمل بها، ليس يحسن في اللفظ أن يقول قائل أو قائلة: فقد أعظم ابن عباس الفرية، وأبو ذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربهم، ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التي يكون غيرها أحسن وأجمل منها))[(٣)].

وكلامه ~ فيه ما فيه، وأم المؤمنين < بَنَتْ كلامها على ما فهمته من كتاب الله؛ فلها إذن عذرها. وليس عندنا من دليل أنها قصدت مَنْ ذكر من الصحابة[(٤)].

ومهما يكن من شيء؛ فليته ~ وقد تمنّى أن لو استعملت عبارة أحسن وأجمل مما قالتْ- استعمل عبارة أحسن وأجمل مما قال، تليق بمقام أم المؤمنين < .

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) هو: خليل بن محمد حسن هراس، العلامة المحقق، ولد في طنطا في مصر، سنة: ١٣٣٤هـ، وتخرج من الأزهر من كلية أصول الدين، أفنى حياته في طلب العلم وتعليمه، وكان شديدًا في الحق، ذا حجة وبيان، من مؤلفاته: "دعوة التوحيد أصولها، الأدوار التي مرت بها؛ مشاهير دعاتها" "تحقيق كتاب ((المغني)) لابن قدامة"، و"شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية"، وغيرها، توفي سنة: ١٣٩٥هـ، انظر: مقدمة شرح العقيدة الواسطية، لمحمد خليل حسن هراس، تحقيق: علوي عبدالقادر السقاف، الطبعة: الثالثة، (دار الهجرة، د.ت) (٤١).

(٢) تعليقه على كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢١٥).

(٣) التوحيد (٥٥٦/٢).

(٤) يقول الشيخ محمد خليل هراس: ((إن عذر عائشة < أنها كانت تستعظم ذلك وتستنكره، ولهذا قالت لمسروق (لقد قف شعري مما قلت)، وليس من حق المؤلف أن يُعلِّم أمه الأدب، فهي أدرى بما تقول منه)). كتاب التوحيد (٢٢٦).

ثانيًا: منهجه في عرض قول المخالفين والرد عليهم.

أنكرت كل من الجهمية والمعتزلة رؤية الله ﷻ[(١)]، وتأول بعضهم رؤيته بمعنى العلم به[(٢)]، وهذا القول باطل بلا ريب؛ بل هو مخالف للكتاب والسنة وإجماع أهل السنة.

وقد تعرض ابن خزيمة لبيان قول الجهمية الباطل ورد عليهم.

فذكر أن الجهمية ادعت بأن ((الله لا يُرى، وأن النبي ﷺ لا يرى ربه يوم القيامة، ولا المؤمنون))[(٣)].

وذكر أن متَمسّك الجهمية قولُ ابن مسعود ﷺ: ((من زعم أن الله يُرى جهرة فقد أشرك، ومن زعم أن موسى سأل ربه أن يراه جهرة فقد أشرك))[(٤)].

وهذا الخبر كما قال ابن خزيمة: ((كذبٌ موضوعٌ، باطلٌ، وَضَعَهُ بعضُ الجهمية))[(٥)].

ويتأكد بطلانه لاستحالة مخالفة ابن مسعود ﷺ لصريح الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

وقد رد ابن خزيمة ~ على قول الجهمية وبيّن بطلان ما تمسكوا به بما يأتي:

-بيّن كفر الجهمية بزعمهم الباطل؛ فقال: ((ومن أنكر رؤية المؤمنين خالقهم يوم المعاد فليسوا بمؤمنين عند المؤمنين، بل هم أسوأ حالاً في الدنيا -عند العلماء- من

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٣٤٠، ٢٣٣)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (٢٣٢).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢٣٨).

(٣) التوحيد (٢/٥٨٣).

(٤) المصدر السابق (٢/٥٨٢).

(٥) المصدر السابق (٢/٥٨٣).

اليهود والنصارى والمجوس))[١].

والحكم بكفر الجهمية لإنكارهم الرؤية أمرٌ متقررٌ عند سلف الأمة، يقول الإمام أحمد —وقد بلغه عن رجل أنه قال: إن الله تعالى لا يُرى في الآخرة، فغضب غضبًا شديدًا-: ((من قال إن الله تعالى لا يُرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه))[٢].

وقال الإمام مالك -وقد قيل له: إنهم يزعمون أن الله لا يُرى-: ((السيف السيف))[٣].

ويقول أبو بكر الآجري: ((فإن قال الجهمي: أنا لا أؤمن بهذا، قيل له: كفرت بالله العظيم، فإن قال: وما الحجة؟ قيل: لأنك رددت القرآن والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم، وقول علماء المسلمين، واتبعت غير سبيل المؤمنين))[٤].

-رد على ادعائهم بإبطال قول ابن مسعود المزعوم من كلام ابن مسعود نفسه الثابت عنه، حيث قال: ((وعندنا بحمد الله ونعمته خبران بإسنادين متصلين عن ابن مسعود، خلاف هذا الخبر الموضوع))[٥]، ثم أورد تلك الأخبار[٦]، ثم ذكر بعدها أن هذين: ((يصرحان أن ابن مسعود كان يُقر أن المسلمين يرون خالقهم ﷻ يوم القيامة إذا كشف عن ساق، وأن المؤمنين يخرون لله سجدًا إذا رأوه في ذلك الوقت؛ فكيف يكفر من يقول بما هو عنده حق وصدق وعدل؟))[٧].

---

(١) المصدر السابق (٥٨٧/٢).

(٢) أورده الآجري في الشريعة (٩٨٦/٢)، وابن بطة في الإبانة (١٨١أ) وأبو يعلى في طبقات الحنابلة (٢٥٣/١).

(٣) أورده اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٠٢/٣).

(٤) الشريعة (٩٨٠/٢).

(٥) التوحيد (٥٨٣/٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (٥٨٣/٢-٥٨٥).

(٧) المصدر السابق (٥٨٦/٢).

-بيّن ابن خزيمة توجيهًا لقول ابن مسعود -على احتمال ثبوته- بإرادة الرؤية الدنيوية فقال: ((ولو ثبت هذا الخبر عن ابن مسعود؛ لكان للخبر عندنا معنىً صحيحًا، لا كما توهمه الجهمي عليه لعائن الله، ونحن نقول: إن من زعم أن الله يُرى جهرة في الدنيا فقد كذب وافترى))[1].

ولم يتعرض ابن خزيمة ~ لتأويل بعض المبتدعة الرؤية بالعلم -كما سبقت الإشارة إليه- والرد على ذلك باختصار:

١-أن تفسير الرؤية بالعلم بالله تفسير باطل عارضَ تفسيرًا مأثورًا عن رسول الله ﷺ ((فأي شقي من الأشقياء، وأي غوي من الأغوياء يترك تفسير رسول الله ﷺ المقرون بحديثه، المعقول عند العلماء، الذي يصدقه ناطق الكتاب))[2] ثم يقبل تفسير المعطلة؟

٢-لو كانت الرؤية بمعنى العلم ((فما موضع بشرى رسول الله ﷺ المؤمنين برؤية ربهم يوم القيامة؟ إذ كل مؤمن وكافر في الرؤية يومئذ سواء عندك، إذ كل لا يعتريه فيه شك ولا ريبة))[3].يقول ابن الماجشون[4] ((وكيف لم يعتبر بقول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾، أفيظنّ أن الله يقصيهم ويغنيهم ويعذبهم بأمر يزعم الفاسق أنه وأولياءه فيه سواء))[5].



---

(١) المصدر السابق (٥٨٦/٢).

(٢) نقض الدارمي (٣٦٠/١).

(٣) المصدر السابق (٣٦١/١).

(٤) هو: أبو عبدالله، عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة، المدني، كان إمامًا مفتيًا فقيهًا، ذا ورع، توفي سنة: ١٦٤هـ. انظر: الجرح والتعديل للرازي، (٣٨٦/٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٠٩/٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٩٠/٢)،

(٥) أورده اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٠٣/٣).



منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل اليوم الآخر

<u>وفيه مبحثـــــان</u> : -

المبحث الأول: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الشفاعة

المبحث الثاني: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الإيمان

* *   * ** *   * *

المبحث الأول

منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الشفاعة

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: معنى الشفاعة.

المطلب الثاني: الأدلة على الشفاعة.

المطلب الثالث: منهج أهل السنة في تقرير مسائل الشفاعة.

المطلب الرابع: منهج ابن خزيمة قي تقرير مسائل الشفاعة.

* *   * *   * *

المبحث الأول:
منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الشفاعة

الشفاعة من المسائل العظيمة الثابتة بالكتاب والسنة[1]، وهي من المسائل التي شرِق بها طوائف من أهل البدع، وهدى الله أهل السنة إلى السير على النهج السديد فيها -كما هو شأنهم في جميع مسائل الدين-.

وقد تناول ابن خزيمة الشفاعةَ في كتابه: التوحيد وأسهب فيها.

والبحث في موضوع الشفاعة يتضمن ما يأتي:



---

(١) انظر في تقرير مسائل الشفاعة: السنة لابن أبي عاصم (٣٥٠/١)، والإبانة للأشعري (٢١١)، وشرح السنة للبربهاري (٢٦)، والشريعة للآجري (١١٩٢/٣)، واعتقاد أهل السنة للإسماعيلي (٤٨)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (١٧٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٧٨٢/٤) و(١٤٣/٥)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (٢٥٨)، والاعتقاد للبيهقي (١٠٤)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٤٥٩/١)، ولمعة الاعتقاد للمقدسي (٢٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٠٢).

المطلب الأول:
معنى الشفاعـــة

۞ المسألة الأولى: معنى الشفاعة في اللغة:

يقول ابن فارس: ((الشين والفاء والعين: أصلٌ صحيحٌ يدل على مقارنة الشيئين؛ ومن ذلك: الشفع: خلاف الوتر... يُقال: "ناقة شفوع": وهي التي تجمع مِحْلَبين في حَلْبة واحدة))(١)، وهي القرون(٢).

((والشفيع صاحب الشُفعة، وصاحب الشفاعة))(٣).

وسمي الشافع شافعًا لأنه ينضم إلى السائل في طلب حصول مقصوده(٤).

۞ المسألة الثانية: معنى الشفاعة في الاصطلاح:

((هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم))(٥).

وعُرّفت أيضًا بأنها: ((السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه))(٦)، وكذلك جاء في تعريفها أنها: ((سؤال الخير للغير))(٧).

ومن خلال تأمل التعريفات السابقة يتبين أن الشفاعة تشمل دفع المضرة وجلب المنفعة معًا.

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٠١)، مادة (شفع).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٨/١٣٨)، مادة (شفع).

(٣) انظر: الصحاح للجوهري (١/٣٦١)، مادة (ش.ف.ع).

(٤) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (٢/٢٠٤).

(٥) النهاية لابن الأثير (٢/٤٨٥).

(٦) التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، د.ط، (مكتبة لبنان، بيروت، طبعة عام: ١٩٨٥م) (١٢٧).

(٧) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/٢٠٤).

والبحث في الشفاعة في علم الاعتقاد يختص بالشفاعة الأخروية، التي تُطْلب من الله ﷻ، وهي التي عليها مدار البحث هنا.

المطلب الثاني:
الأدلة على الشفاعة

الأدلة على ثبوت الشفاعة متضافرة من الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

الآيات الواردة في القرآن تتعلق بثبوتها وشروطها، وانتفائها عن غير مستحقيها، ومن هذه الآيات:

١-قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ (البقرة:٢٥٥).

٢-وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ (طه:١٠٩).

٣-وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ (المدثر:٤٨).

ثانيًا: الأدلة من السنة.

الأحاديث المثبتة للشفاعة كثيرة جدًا، بلغت حد التواتر(١)، ومن هذه الأحاديث:

١-قوله ﷺ: ((لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة))(٢).

٢-قوله ﷺ: ((أُعطيت خمسًا لم يعْطَهُنّ أحدٌ قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا... وأُعْطيت الشفاعة)) الحديث(٣).

---

(١) ممن حكى التواتر: ابن أبي عاصم في السنة (٣٩٩/٢)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣١٤/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، (٩٦/١١، برقم: ٥٩٤٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، (١٨٨/١، برقم:١٩٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التيمم، باب: قوله تعالى: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ﴾ (المائدة:٦)، (٤٣٦/١، برقم: ٣٣٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، (٣٧٠/١، برقم:٥٢٠)، من حديث جابر رضي الله عنه.

ثالثًا: الإجماع.

أجمع أهل السنة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على إثبات الشفاعة، وعَدُّوها من معاقد الدين[(١)].

يقول أبو حاتم[(٢)] وأبو زرعة[(٣)] الرازيان -رحمهما الله-: ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار ... فكان من مذهبهم ... الشفاعة حق))[(٤)].



---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٧٦/١)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٣٥/٣)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٨/١)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢٠٨/٢).

(٢) هو: أبو حاتم، محمد بن إدريس بن المنذر بن داود، بن مهران الحنظلي، حافظ للحديث من أقران البخاري ومسلم، توسع في الرحلة في طلب العلم والحديث، ولد سنة: ١٩٥هـ، وتوفي سنة: ٢٧٧هـ، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٥٦٧/٢)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣٢١/٣).

(٣) هو: أبو زرعة، عبيد الله بن عبدالكريم القرشي الرازي، إمام حافظ محدث، له شأن عظيم في الحديث، من مؤلفاته: "الضعفاء والمتروكون"، توفي سنة: ٢٦٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٥/١٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٧٨/٢)،

(٤) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٧/٢).

المطلب الثالث:
منهج أهل السنة في تقرير مسائل الشفاعة

يعتقد أهل السنة أن الشفاعة الواردة في النصوص قسمان[(١)]:

الأول: الشفاعة المثبتة: وهي الشفاعة التي توافرت فيها شروطها؛ والشروط هي:

رضى الله عن المشفوع له؛ ودليل هذا الشرط قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ (الأنبياء:٢٨).

إذن الله تبارك وتعالى بالشفاعة؛ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (طه:١٠٩) [(٢)].

يقول ابن القيم ~ : ((فأخبر أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضاء قول المشفوع له وإذنه للشافع فيه؛ فأما المشرك فإنه لا يرتضيه ولا يرضى قوله؛ فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه، فإنه سبحانه علقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة))[(٣)].

الثاني: الشفاعة المنفية: وهي التي انتفى فيها أحد شروط صحتها، وهي المُرادة بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(البقرة :٢٥٤)، ونحوها من الآيات.

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الشفاعة يوم القيامة تكون للنبي ﷺ ولغيره[(٤)]؛

---

(١) انظر: الحسنة والسيئة، لتقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، د.ط، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) (١٤٠/٢)، ومدراج السالكين لابن القيم (٣٤١/١).

(٢) انظر: الحسنة والسيئة لابن تيمية (١٤٠/٢)، ومدراج السالكين لابن القيم (٣٤١/١)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢١١/٢).

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، الطبعة: الأولى، (دار التراث العربي بالقاهرة، عام: ١٤٠٣هـ) (٢٢٠/١).

(٤) انظر: شرح السنة للبربهاري (٢٦)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (١٨٠)، ولمعة الاعتقاد للمقدسي (٢٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٠٦)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢٠٩/٢).

أما شفاعته عليه الصلاة والسلام فهي أنواع ذكرها أهل العلم -رحمهم الله- ، وقد تعرض لها ابن خزيمة كما سيأتي ذكره -إن شاء الله-.

كذلك يشفع غيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، وسيأتي الحديث عن ذلك في بيان منهج ابن خزيمة ~ .



المطلب الرابع:
منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الشفاعة

۞ المسألة الأولى: منهجه في التقرير والاستدلال.

أورد ابن خزيمة أكثر من عشرين بابًا في الشفاعة في كتابه: التوحيد، وأشار في صحيحه إلى شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، وأنها مستحقةٌ لمن سأل الله ﷻ الوسيلة له عليه الصلاة والسلام عند سماع النداء[1]، ويمكن جمع ما قرره في الشفاعة في خمسة محاور:

المحور الأول: ذكر ~ أن ((للنبي ﷺ شفاعات يوم القيامة في مقام واحد، واحدة بعد الأخرى))[2]؛ فهي ليست شفاعة واحدة، واستدل بألفاظ عدة دالّةٍ على تعدد شفاعاته عليه الصلاة والسلام يوم القيامة منها:

قوله ﷺ: ((ثم أعود الثانية، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قُلْ يُسْمع، سَلْ تُعْطَه، واشْفَع تُشَفّع؛ فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًا فيدخلهم الجنة، ثم أعود في الثالثة، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله يدعني، ثم يقال: ارفعْ محمد، قُلْ يُسْمَع، سَلْ تُعْطَه، واشْفَعْ تُشَفّع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًا فيدخلهم الجنة، ثم آتيه الرابعة، أو أعود الرابعة))[3].

ثم ساق أحاديث أخرى متقاربة في معناها، وقال بعد ذكره للحديث: ((قوله في هذا الخبر...: (فيخرج لي حدًا من النار) دالٌ على أن الشفاعة ليست الشفاعة الأولى

----

(١) انظر: (٢١٩/١).

(٢) التوحيد (٦٠٢/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (٤٣٩/١١، برقم:٦٥٦٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١٨٠/١، برقم:١٩٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

التي في خبر أبي هريرة ﷺ، وليخلصوا من ذلك الموقف الذي ذكر في خبر ابن عمر أنه سأل ربه ﷻ أن يقضي بين الخلق، وفي خبر ابن عباس أنه سأل أن يعجل حسابهم ابتداء وهو القضاء بينهم))(١).

وتعدد شفاعاته عليه الصلاة والسلام أشار إليها العلماء استنباطًا من الأحاديث، يقول ابن حجر بعد إيراده للحديث السابق: ((فظهر أنه ﷺ أول ما يشفع ليقضي بين الخلق، وأن الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك))(٢).

المحور الثاني: ذكر ~ ما تقرر عند أهل السنة من ثبوت شفاعات النبي عليه الصلاة والسلام وهي:

الشفاعة العظمى:

وهي ((التي خص الله بها النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء صلى الله عليهم))(٣)، وأسماها بالشفاعة الأولى، فهي ((أول الشفاعات))(٤)، و((هي التي يشفع فيها النبي ﷺ ليقضي الله بين الخلق))(٥)و((ليخلصهم الله من الموقف الذي قد جُمعوا فيه يوم القيامة... وقد دنت الشمس منهم فآذتهم من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون))(٦).

واستدل على هذه الشفاعة بحديث أبي هريرة ﷺ: ((يجمع اللهُ الناسَ -الأولين والآخرين- في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون؛ فيقول الناس: ألا ترون ما قد

---

(١) التوحيد (٦٠٩/٢).

(٢) فتح الباري (٢٥٩/٦).

(٣) التوحيد (٥٨٩/٢).

(٤) المصدر السابق (٥٩٦/٢).

(٥) المصدر السابق (٥٨٩/٢).

(٦) المصدر السابق (٥٨٩/٢-٥٩٢).

بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم... فيأتون محمدًا ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي ﷻ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفعْ رأسك، سلْ تعطه واشفعْ تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة)) الحديث(١).

وهذا الحديث استدل به أهل السنة على وقوع الشفاعة العظمى مع خفاء وجه الدلالة فيه عليها، وقد ذكر ابن خزيمة تلك الدلالة بقوله: ((هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات: هي التي يشفع بها النبي ليقضي الله بين الخلق؛ فعندها يأمره الله ﷻ أن يُدخِل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن))(٢).

وقد بيّن القرطبي ~ وجه الدلالة ذلك بصورة أوضح؛ فقال: ((وقوله: (فيقال: يا محمد أَدخِلْ الجنة مِن أمتك مَن لا حساب عليه) يدل على أنه شُفِّع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف؛ فإنه لما أُمِر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شُرِع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم))(٣).

وثبوت هذه الشفاعة مجمعٌ عليه عند أهل القبلة، ولم يخالف فيه أحدٌ(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التفسير، باب: سورة بني إسرائيل الإسراء، (٣٩٥/٨، برقم:٤٧١٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١٨٤/١، برقم:١٩٤).

(٢) التوحيد (٥٩٣/٢).

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي، الطبعة: الثالثة، (دار الريان، القاهرة، عام: ١٤١١هـ) (٢٨١).

(٤) التوحيد (٥٩٣/٢).

الشفاعة الثانية:

وهي شفاعته ((الإخراج من قد أُدخل النار من أمته بما قد ارتكبوا من الذنوب والخطايا في الدنيا، التي لم يشأ اللهُ أن يعفو عنها ويغفرها لهم تفضلاً وكرمًا وجودًا))(١)، ((فيخرجون من النار بشفاعته))(٢)، فهي شفاعة ((الإخراج أهل التوحيد من النار))(٣).

والأحاديث الدالة على هذه الشفاعة وافرة، ذكرها ابن خزيمة ومنها:

١-قوله ﷺ: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))(٤)، وأهل الكبائر في الحديث هم ((من ارتكب من الذنوب الكبائر فأدخلوا النار بالكبائر، إذ الله ﷻ وعد تكفير الذنوب الصغائر باجتناب الكبائر))(٥)، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء:٣١).

٢-وقوله ﷺ: ((أُريتُ ما تلقى أمتي بعدى، وسفك بعضهم دماء بعض، وسبق ذلك من الله كما سبق على الأمم قبلهم، فسألته أن يولِّيني شفاعةً يوم القيامة فيهم، ففعل))(٦).

---

(١) التوحيد (٢/٥٩٢).

(٢) المصدر السابق (٢/٦٥٦).

(٣) المصدر السابق (٢/٦٠٢).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: الشفاعة، (٤/٥٣٩، برقم: ٢٤٣٥)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه"، وأبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في الشفاعة، (٤/٢٣٦، برقم: ٤٧٣٩)، من حديث أنس بن مالك ﷺ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٩٥، برقم: ١٩٨٣).

(٥) التوحيد (٢/٦٥٦).

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، (٢/٣٥٨)، وقال الألباني: "إسناده صحيح على شرط البخاري"، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٦٨) وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

ففي هذا الحديث ((سأل رسول الله خالقه وبارئه ﷻ أن يوليه شفاعةً فيمن سفك بعضهم دماء بعض من أمته؛ فأجيب إلى مسألته وطلبه، وسفكُ دماء المسلمين من أعظم الكبائر إذا سُفكت بغير حق، ولا كبيرة بعد الشرك بالله والكفر أكبر من هذه الحوبة))(١).

وقد أجمع أهل السنة على ثبوت هذه الشفاعة؛ يقول أبو الحسن الأشعري: ((أجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يُخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حُمَمًا))(٢).

ومن خلال العرض السابق يتبين أن ابن خزيمة اقتصر على التنصيص على نوعين من شفاعاته ﷺ، والإشارة إلى شفاعة ثالثة ورابعة بإيراد أدلتها –كما سيأتي.

وشفاعات النبي عليه الصلاة والسلام كما ورد في النصوص عديدة منها(٣):

-الشفاعة العظمى، وهي شفاعته لأهل الموقف؛ وقد سبق ذكرها والاستدلال عليها.

-شفاعته ﷺ لأهل الجنة في دخولها؛ وقد أورد ابن خزيمة ~ دليلها لكنه لم ينص عليها، وهو قوله ﷺ: ((يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة؛ فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك... فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له))

---

(١) التوحيد (٢/٦٥٧).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (٩٠).

(٣) اختلفت أقوال العلماء وتعددت طرقهم في ذكر أنواع الشفاعة؛ فبعضهم جعلها خمسة أنواع وبعضهم جعلها ستة وزاد بعضهم على ذلك، ولعل السبب في ذلك عود بعض الشفاعات في بعض، أو عدم ورود النصوص أو ضعفها، وما ذكرته هو الأشهر منها، انظر: التذكرة للقرطبي (٢٤٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤٧٢-٤٧٨)، وفتح الباري لابن حجر (١١/٤٢٨-٤٢٩)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/٢١١-٢١٢).

الحديث[١].

-شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب ((بسبب نصرته ومعونته، فإنه تنفعه شفاعته في تخفيف العذاب عنه، لا إسقاط العذاب بالكلية))[٢]، ودليلها أن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: ((يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء؛ فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم هو في ضَحْضَاحٍ[٣] من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار))[٤].

-شفاعته ﷺ في إدخال أناس من أمته الجنة بغير حساب، ودليلها قوله ﷺ: ((فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة)) الحديث[٥]، وقد أورد ابن خزيمة هذا الدليل وذكر مسألة إدخال النبي ﷺ مَنْ لا حساب عليه الجنة من أمته، دون أن ينص على أنها من شفاعاته عليه الصلاة والسلام[٦].

وهذه الشفاعة ذكر بعض أهل العلم أنها خاصة به عليه الصلاة والسلام كالقاضي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١٨٦/١، برقم: ١٩٥)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٤/١).

(٣) يقول ابن الأثير: ((الضَّحْضاح في الأصل: ما رقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار))، النهاية (٧٥/٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: مناقب الأنصار، باب: قصة أبي طالب، (١٩٣/٧، برقم:٣٨٨٣)، وكتاب: الأدب، باب: كنية المشرك، وكتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه، (١٩٤/١، برقم: ٢٠٩).

(٥) سبق تخريجه ص٤٠٠.

(٦) انظر: التوحيد (٥٩٦/٢).

عياض والنووي[١]، وتردد في اختصاص النبي بها ابن دقيق العيد[٢] وابن حجر[٣].

-شفاعته فيمن دخل النار من أهل التوحيد أن يخرج منها[٤]، وهذه ذكرها ابن خزيمة وأطال في تقريرها والاستدلال عليها كما مر سابقاً.

وهذه الشفاعة عامة له عليه الصلاة والسلام ولغيره من الشفعاء؛ من الملائكة والنبيين والمؤمنين[٥].

-شفاعته ﷺ لقوم استوجبوا دخول النار بأعمالهم ألا يدخلوها، وهذه الشفاعة لم يرد نص صريح في إثباتها، إلا أن كثيرًا من العلماء تضافرت أقوالهم في إثباتها كالقرطبي[٦]، والنووي[٧]، وابن تيمية[٨]، وابن حجر[٩].

واستدل بعضهم عليها بقوله ﷺ: ((ونبيكم قائم على الصراط يقول: ربِّ سلِّم سلِّم)) الحديث[١٠]، ففي الحديث دعاء من الرسول ﷺ وهو نوع من الشفاعة[١١].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٣/٣٥).

(٢) هو: أبو الفتح، تقي الدين، محمد بن علي بن وهب القُشَيري المصري الشافعي، المشهور بابن دقيق العيد -وهو لقب لجده وهب-، عالمٌ محقق في كثير من العلوم، ولد سنة: ٦٢٥هـ، وتوفي بمصر سنة: ٧٠٢هـ، من مؤلفاته: "شرح الإلمام" -ولم يكمله-، و"إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام"، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/١٤٨١)، وطبقات الشافعية للسبكي (٩/٢٠٧)، والدرر الكامنة لابن حجر (٤/٥٨).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٥٢١).

(٤) انظر: الشريعة للآجري (١/٣٣٤)، والتذكرة للقرطبي (٢٨٦)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٠٦).

(٥) انظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية، (ضمن مجموع الفتاوى)، (٣/١٤٧).

(٦) انظر: التذكرة (٣٠١).

(٧) انظر: شرح صحيح مسلم (٣/٣٥).

(٨) انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٤٧).

(٩) انظر: فتح الباري (١١/٥٢١).

(١٠) سبق تخريجه ص٤٠١.

(١١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٣٦).

وقد توقف في إثباتها بعض العلماء، يقول ابن القيم ~ : ((ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس أحدهما: في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها؛ وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون؛ فلم أظفر فيه بنص))(١).

والدليل السابق ينهض بالاستدلال عليها، ويعضده عموم قوله ﷺ: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))(٢).

يقول الصنعاني(٣): ((ويدل عليها: أن شفاعته ﷺ تعمل في العفو عن أهل الجرائم، وفي زيادة ثواب المحسن؛ فإذا عملت في العفو بعد الدخول، فَعَمَلُها في العفو عن بعض أمته حتى لا تدخلها أولى، لأن النجاة من النار إنما هي بعفو الله تعالى، والله تعالى يُظْهر للخلائق يوم القيامة من منزلة رسوله ﷺ وقبول شفاعته، وسمع كلمتِهِ ما يغبطه أهل الجمع، ومعلومٌ أن عدم دخول النار بشفاعته ﷺ أعظم لمنزلته وجاهه ﷺ وكرامته عليه من الخروج منها بشفاعة))(٤).

المحور الثالث: المقام المحمود.

مال ابن خزيمة إلى القول المشهور، والذي عليه عامة أهل السنة في تفسير المقام

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق أبي الطيب محمد العظيم الآبادي، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤١٠هـ) (٢٢٦٩/٥).

(٢) سبق تخريجه ص٤٠١.

(٣) هو: أبو إبراهيم، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الكحلاني الصنعاني، المعروف بالأمير، العالم المشهور، صاحب التصانيف. ولد سنة: ١٠٩٩هـ، وتوفي سنة: ١١٨٢هـ بصنعاء، من مؤلفاته: "سبل السلام مع شرح بلوغ المرام"، و"إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة"، انظر: البدر الطالع، للشوكاني، (٦٤٩)، والأعلام للزركلي (٣٨/٦).

(٤) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، الطبعة: الأولى، (دار ابن حزم، بيروت، عام: ١٤٢٠هـ) (٤٤٤-٤٤٥).

المحمود الموعود به ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ (الإسراء:٧٩)، أنه الشفاعة لأهل الموقف(١).

وقد أيّد قوله بأدلة منها: قوله ﷺ: ((ما يزال الرجل يسأل، حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعَةُ(٢) لحم، وقال: إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبيناهم كذلك استغاثوا بآدم، فيقول: لست صاحب ذلك، ثم بموسى، فيقول كذلك، ثم بمحمد ﷺ فيشفع بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة، فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا، يحمده أهل الجمع كلهم))(٣).

ولأهل العلم أقوالٌ عدة في تفسير المقام المحمود من أشهرها(٤):

-شفاعته ﷺ لأهل الموقف.

-إعطاؤه ﷺ لواء الحمد يوم القيامة.

-إخراجه ﷺ طائفة من النار.

-شفاعته ﷺ رابع أربعة؛ جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى.

-ثناؤه ﷺ على ربه يوم القيامة.

-أخذه ﷺ بحلقة باب الجنة.

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٤٤/١٥-١٤٨)، والتذكرة للقرطبي (٢٨٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٥/٣-٥٨)، وفتح الباري لابن حجر (٤٢٦/١١).

(٢) المزعة النتفة من اللحم، من قول القائل مزعت اللحم إذا قطعته، انظر: غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم العزباوي، د.ط، (دار الفكر، دمشق، عام: ١٤٠٢هـ) (١٤١/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: الزكاة، باب: من سأل الناس تكثرًا، (٣٣٨/٣، برقم:١٤٧٤)، من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (١٤٤/١٥-١٤٨)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١١١٢/٦)، والتذكرة للقرطبي (٢٨٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٥/٣-٥٨)، وفتح الباري لابن حجر (٤٢٦/١١).

-أن يكون يوم القيامة بين الجبار تبارك وتعالى وبين جبريل؛ فيغبطه لمقامه ذلك أهلُ الجمع.

وهذه الأقوال وإن تعددت فقد حاول بعض أهل العلم التوفيق بينها، وإن كان لا يخلو بعض ذلك من تكلف، يقول ابن حجر ~ : ((ويمكن ردّ الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة؛ فإن إعطاءه لواء الحمد، وثناءه على ربه وكلامه بين يديه، وجلوسه على كرسيه، وقيامه أقرب من جبريل: كل ذلك صفات المقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق، وأما شفاعته في إخراج المذنبين من النار فمِنْ توابع ذلك))[(١)].

المحور الرابع: شروط الشفاعة

لم أقف على كلام لابن خزيمة في شروط الشفاعة، إلا أنه ألمح إلى شرط الإذن في الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها لكونهم ليسوا من أهل الخلود؛ فقال: ((قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾(سبأ:٢٣)، أي: لمن يأذن الله له الشفاعة ممن يموت في النار موْتةً واحدةً ممن ليس من أهلها أهل الخلود))[(٢)].

ثم إنه أشار إلى أدلة شروط الشفاعة بإيرادها والإحالة إلى بسطها في كتابه "معاني القرآن" وهو من كتبه المفقودة، كما تبين عند سرد مؤلفاته.

يقول ~ : ((قد كنت بينت معنى قوله: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[(٣)] و﴿إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾[(٤)] في كتاب معاني القرآن في كتاب الأول))[(٥)].

المحور الخامس: الشفعاء غير الرسول ﷺ.

نبّه ابن خزيمة على أن شفاعة غير النبي ﷺ يوم القيامة مستفادةٌ من حديث: ((أنا

---

(١) فتح الباري (٤٢٧/١١).

(٢) التوحيد (٦٨٧/٢).

(٣) سورة: الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٤) سورة: سبأ، الآية: ٢٣.

(٥) التوحيد (٦٨٧/٢).

أول شفيع في الجنة)) الحديث[١]؛ حيث قال: ((وفيه دلالة أن يوم القيامة قد يشفع بعد نبينا غيره... إذ غير جائز في اللغة أن يُقال: أوّل لما لا ثاني له بعد ولا ثالث))[٢].

ثم إنه قرر بعد ذلك أنه يشفع كلٌ ((من الملائكة والصديقين والشهداء والشفعاء غيره، ممن كان لهم إخوة في الدنيا: يُصلُّون معهم، ويصومون معهم، ويحجُّون معهم، ويغزون معهم))[٣]، فيخرجونهم من النار بشفاعتهم.

ومن خلال ما أورده من أدلة على شفاعة غير النبي عليه الصلاة والسلام يتبين أن الشفعاء هم:

الملائكة: وقد استدل أهل السنة على شفاعتهم بقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾(النجم:٢٦).

ومن السنة ذكر ابن خزيمة قوله ﷺ: ((فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين)) الحديث[٤].

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ودليلها قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق: ((وشفع النبيون)).

المؤمنون: والنصوص الدالة على شفاعة المؤمنين كثيرة؛ أورد ابن خزيمة أحاديث عدة، منها قوله ﷺ: ((يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قيل: يا رسول الله سواك؟ قال: سواي))[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: باب في قول النبي ﷺ: أنا أول الناس يشفع في الجنة، (١/١٨٨، برقم:٣٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) التوحيد (٢/٦١٨).

(٣) المصدر السابق (٢/٧٢٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (١٣/٤٢٠، برقم:٧٤٣٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، (١/١٧٠، برقم:٣٠٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٥/١٨٨)، حديث رقم: (١٥٨٥٧)، وقال الأرناؤوط: ((إسناده صحيح))، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، (٤/٥٤٠، برقم:٢٤٣٨)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: ذكر
=

الشهداء: وأدلة ذلك عديدة منها قوله ﷺ: ((للشهيد عند الله ست خصال... ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه))[(١)].

وقد جاءت نصوص دالة على شفاعة أولاد المؤمنين: فإنهم يشفعون لآبائهم المؤمنين يوم القيامة، ودليل ذلك قوله ﷺ: ((صغارهم دعاميص[(٢)] الجنة يتلقى أحدهم أباه، أو قال: أبويه، فيأخذ بثوبه، أو قال: بيده، كما آخذ أنا بصَنِفَة[(٣)] ثوبك هذا، فلا يتناهى، أو قال: فلا ينتهي، حتى يدخله الله وأباه الجنة))[(٤)]، وهذه الشفاعة لم يتعرض لها ابن خزيمة.

وقد ذكر ابن خزيمة في ثنايا تقريره مسألتين متعلقتين بالشفاعة:

الأولى:

عقد ابن خزيمة بابًا في كتابه التوحيد وسمه بقوله: ((باب ذكر الدليل أن جميع الأخبار التي تقدم ذكري لها إلى هذا الموضع في شفاعة النبي في إخراج أهل التوحيد من النار: إنما هي ألفاظ عامة مرادها خاص))[(٥)]، ومراده من هذا الباب: التوفيق بين

= الشفاعة، (١٤٤٣/٢، برقم:٤٣١٦)، من حديث عبدالله بن أبي الجدعاء ﷺ.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤١٩/٢٨، برقم: ١٧١٨٢)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: فضل الجهاد، باب: في ثواب الشهيد، (١٦١/٤، برقم:١٦٦٣)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، وابن ماجه في سننه، كتاب: الجهاد، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، (٩٣٥/٢، برقم: ٢٧٩٩)، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٢٩/٢، برقم: ٢٢٥٧)، من حديث المقداد بن معد يكرب ﷺ.

(٢) قال ابن الجوزي: ((الدعاميص: جمع دعموص، وهو دويبة من دواب الماء صغيرة))، غريب الحديث، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تعليق: عبدالمعطي أمين قلعجي، د.ط، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤٢٥هـ) (٣٣٩/١).

(٣) قال ابن الأثير: ((صَنِفة الإزار -بكسر النون-: طرفُه مما يلي طرته))، النهاية (٥٦/٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضل البر والصلة والآداب، باب: فضل من يموت له ولد فيحتسبه، (٢٠٢٩/٤، برقم:١٥٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) التوحيد (٧٢٧/٢).

بقاء أناس من أهل التوحيد في النار ممن يخرجون بشفاعة غير النبي ﷺ، وبين أمر الله نبيه ﷺ بإخراج من كان في قلبه وزن كذا من الإيمان، كما وردت بذلك النصوص، فذكر أن هذه الأحاديث لها معنيان:

المعنى الأول: أن معنى ((أخرجوا من النار من كان في قلبه وزن كذا من الإيمان إن معناه: بعض من كان في قلبه قدر ذلك الوزن من الإيمان؛ لأن النبي قد أعلم أنه يشفع ذلك اليوم أيضًا غيره، فيشفعون، فيأمر الله أن يخرج من النار بشفاعة غير نبينا محمد من كان في قلوبهم من الإيمان قدر ما أعلم أنه يخرج بشفاعة نبينا محمد))(١) ﷺ.

المعنى الثاني: أن معناه أن ((من يشفع من أمة النبي إنما يشفع بأمره... وجائز أن تنسب الشفاعة إلى النبي لأمره بها))(٢).

وقد استدل على ذلك باللّغة حيث قال: ((العرب تضيف الفعل إلى الآمر كإضافتها إلى الفاعل، ومعروف أيضًا في لغة العرب الذين بِلُغَتِهِم خوطبنا أن يقال: أخْرِج الناس من موضع كذا وكذا، والقوم أو من كان معه كذا، أو عنده كذا، وإنما يراد بعضهم لا جميعهم، لا ينكر من يعرف لغة العرب أنها بلفظ عام يريد الخاص))(٣).

الثانية: ترتيب الشفعاء بعد النبي ﷺ.

ذكر ابن خزيمة رأيًا -متوقِّفًا فيه على صحة الحديث- فذكر أن الصديقين ((يتلون النبي في الشفاعة يوم القيامة، ثم سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يتلون الصديقين، ثم الشهداء يتلون الأنبياء عليهم السلام))(٤).

---

(١) التوحيد (٧٢٨/٢).

(٢) المصدر السابق (٧٢٨/٢).

(٣) المصدر السابق (٧٢٨/٢).

(٤) المصدر السابق (٧٣٤/٢).

واستدلّ على ما ذهب إليه بقوله ﷺ: ((ثم يقال: ادع الصديقين ليشفعوا، ثم يقال: ادع الأنبياء، قال: فيجئ النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادع الشهداء فيشفعون لمن أرادوا)) الحديث[1].

ثم إنه ذكر توجيهًا لقوله عليه الصلاة والسلام: (الصديقين)، فذكر أن لها معنيين:

الأول: ((الصديقون من الأنبياء، أي: الأفضل منهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾))[2]، فيكون منهم صديقون))[3].

الثاني: ((أن الصديقين من هذه الأمة من يأمرهم النبي بأن يشفعوا؛ فتكون هذه الشفاعة التي يشفعها الصديقون من أمة النبي بأمره شفاعة للنبي مضافة إليه لأنه الآمر... فتكون هذه الشفاعة مضافة إلى النبي لأمره بها، ومضافة إلى المأمور بها فيشفع لأنه الشافع بأمر النبي ﷺ))[4].

وقد تعقّب محقق كتاب التوحيد: الهراس ~ رأي ابن خزيمة بقوله: ((لو صح هذا الحديث؛ فمعناه -والله أعلم-: أن الصديقين من هذه الأمة يُدْعَون ليشفعوا لمن بقي في النار من هذه الأمة بعد شفاعة نبيها، ثم يُدْعى الأنبياء ليشفعوا في أممهم، ثم الصديقون من أممهم يشفعون بعدهم وهكذا، وإلا فلا يُعْقل تقدم أحد على الأنبياء لا في شفاعة ولا في غيرها))[5]، ثم قال: ((وهل يُعْقل أن يكون نبي غير صديق، وقد عطف القرآن الصديقين على النبيين؛ فدلّ على أنهم غيرهم، وأنهم متأخرون عنهم في الرتبة، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾[6]))[7].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٩٥/١، برقم:١٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: ((إسناده حسن)).

(٢) سورة: الإسراء، الآية: ٥٥.

(٣) التوحيد (٧٤٤/٢).

(٤) المصدر السابق (٧٤٥/٢).

(٥) المصدر السابق (٣١١-٣١٢).

(٦) سورة: النساء، الآية: ٦٩.

(٧) التوحيد (٧٤٥/٢).

ويبقى التنبيه على أن طائفة من الشفعاء -وهم الملائكة كما سبق- لم يرد ذكرهم ضمن ترتيب الشفعاء في كلام ابن خزيمة ولا في الحديث الذي ذكره، فالله أعلم بذلك.

۞ المسألة الثانية: منهجه في ذكر المخالفين والرد عليهم.

أشار ابن خزيمة ~ إلى فرقتين ضلّتا في باب الشفاعة وهما: المعتزلة والخوارج عند الحديث عن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر، ذلك أن كلاً من الخوارج والمعتزلة أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر، بناءً على حكمهم على صاحب الكبيرة بالقول بخلوده في النار(١).

وسوف يتم -بإذن الله- عرض أقوالهم وشبهاتهم ومناقشتها عند الحديث عن مسائل الإيمان.

وما سبق تقييده من مسائل الشفاعة يؤكد سلامة منهج ابن خزيمة ~ فيها، واقتفاءه هدي الوحيين: الكتاب والسنة.



---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (٦٨٨)، وأصول الدين للبغدادي (٢٤٤).

المبحث الثاني

منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الجنة والنار

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الأدلة على الجنة والنار.

المطلب الثاني: منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الجنة والنار.

المطلب الثالث: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الجنة والنار.

* *   * *   * *

المبحث الثاني:
منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الجنة والنار

الإيمان بالجنة والنار من أعظم الأصول الواجب اعتقادها[(١)]، وهما مآل كل مخلوق من إنس وجان؛ فالجنة دار كرامة أولياء الله، والنار دار أعداء الله، ومن شاء الله تعذيبه من العصاة.

وقد تناول ابن خزيمة بعض الأمور المتعلقة بالجنة والنار من خلال تقريره لبعض المسائل -كما سيتبين لاحقًا-.

ويتعلق بموضوع الجنة والنار مسائل عدة، أذكر أهمها في المطالب الآتية:



(١) انظر: الشريعة للآجري (١٣٤٣/٣)، وأصول السنة السلف لابن أبي زمنين (٢٣٧)، وعقيدة وأصحاب الحديث للصابوني (٢٦٤)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٤٧١/١)، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة (٢٧)، التذكرة للقرطبي (٤١٦).

المطلب الأول:
الأدلة على الجنة والنار

دل على الجنة والنار ووجوب الإيمان بهما القرآن والسنة والإجماع.

فمن أدلة القرآن:

١-قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (الحج:٢٣).

٢-وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾(غافر:٦).

أما أدلة السنة فهي متنوعة بين الترغيب في الجنة والترهيب من النار، ووصف ما أعدّ الله فيهما لأهلهما، ومنها:

قوله ﷺ: ((من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق؛ أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء))[1].

والأحاديث في تقرير ذلك كثيرة، ولعل فيما ذكرت كفاية.

وكذلك أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بهما، وأنهما حق، يقول أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان: ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا-؛ فكان من مذهبهم... والجنة حق والنار حق))[2].



---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الأنبياء، باب: قوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ...﴾، (٤٧٤/٦، برقم:٣٤٣٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، (٥٧/١، برقم:٤٦)، من حديث عبادة ﷺ، واللفظ لمسلم.

(٢) نقله عنهما اللالكائي، انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٦/١)، وانظر: الشريعة للآجري (١٣٤٣/٣)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (٢٦٤).

المطلب الثاني:
منهج أهل السنة في تقرير مسائل الجنة والنار

من أهم ما يعتقده أهل السنة في الجنة والنار ما يأتي:

أولاً: أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان؛ فأهل السنة عامة متفقون على ذلك[(١)]، يقول الصابوني: ((ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان))[(٢)].

ودل على ذلك آيات وأحاديث عدة منها:

قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾(آل عمران:١٣٣).

وقوله تعالى في النار: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾(آل عمران:١٣١)، ففي قوله في الآيتين: ﴿أُعِدَّتۡ﴾ فعل في الزمن الماضي، والمقصود بالإعداد: التهيئة[(٣)]، ففيه تصريح بتحقق وجودهما.

ونصوص السنة الدالة على وجود الجنة والنار كثيرة جدًا منها:

حديث الإسراء والمعراج، وفيه يقول ﷺ: ((ثم أدخلتُ الجنة؛ فإذا فيها جَنَابِذ[(٤)] اللؤلؤ وإذا تُرابها المِسك))[(٥)].

وقد خالف أهلَ السنة في هذه المسألة المعتزلةُ والجهميةُ؛ فقالوا: إنما ينشئهما

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (١٣٤٣/٣)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (١٣٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٤٢٠).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٦٤).

(٣) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢٩/٤)، باب: (عد).

(٤) ((الجَنَابِذ: جمع جُنْبُذَة، وهي القبة))، النهاية لابن الأثير (٣٠٥/١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: الأنبياء، باب: ذكر إدريس ﷺ، (٣٧٤/٦، برقم:٣٣٤٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، (١٤٨/١، برقم:٢٦٣)، من حديث أنس ﷺ، واللفظ لمسلم.

الله يوم القيامة، ذلك أن خَلْقَهما الآن عبث والله منزّهٌ عن العبث[(١)].

ولعل ما سبق ذكره من الأدلة كافٍ في رد هذه المقولة الباطلة.

ثانيًا: يعتقد أهل السنة أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان، وهذا أمر متَّفقٌ عليه عندهم[(٢)].

يقول أبو الحسن الأشعري: ((وقال أهل الإسلام جميعًا: ليس للجنة والنار آخر، وأنهما لا تزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة يتنعمون، وأهل النار لا يزالون في النار يعذبون وليس لذلك آخر))[(٣)].

يقول ابن أبي زمنين: ((وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان))[(٤)].

والأدلة على بقاء الجنة والنار كثيرة، منها:

• قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ (ص:٥٤).

• وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (فاطر:٣٦).

وآيات الخلود لأصحاب الدارين عديدة في القرآن الكريم، وهي دالة على بقائهما.

وما ورد من أدلة في هذا الباب كثير؛ كقوله ﷺ في حديث ذبح الموت: ((يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت))[(٥)].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/١٦٨)، وأصول الدين للبغدادي (٢٣٧).

(٢) انظر: الشريعة للآجري (٣/١٣٧١)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (٢٦٤)، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة (٢٧).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/٢٤٤).

(٤) أصول السنة (١٣٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، (٨/٤٣٨، برقم:٤٣٧٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها =

وقد خالف في بقاء الجنة والنار الجهمية، وقالوا: إن الجنة والنار تفنيان[1].

وخالف قلةٌ من أهل السنة الحقَّ في هذه المسألة؛ فقالوا بفناء النار دون الجنة[2].



= الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (٤/٢١٨٨، برقم:٤٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/١٦٧)، وأصول الدين للبغدادي (٢٣٨).

(٢) انظر في ذلك: فتح الباري لابن حجر (١١/٤٢٣)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٤٢٨).

المطلب الثالث:
منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الجنة والنار

۞ المسألة الأولى: منهجه في التقرير والاستدلال.

لم يفرد ابن خزيمة حديثًا مستقلاً يتعلق بالجنة والنار، وإنما يستفاد تقريره من ثنايا حديثه في مسائل أخرى كالرؤية والشفاعة، ومن أهم ما قرره من تلك المسائل ما يأتي:

- ذكر ما تقرر عند أهل السنة من أن ((الجنة والنار مخلوقتان))[(١)]، واستدل على ذلك بقوله ﷺ: ((إذا مات أحدكم يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل النار فقالوا: هذا مقعدك حتى تبعث إليه))[(٢)]، ففي هذا الحديث أخبر عليه الصلاة والسلام بأن ((النار تعرض على كل ميت إذا كان من أهلها، كذلك أخبر أن الجنة تعرض على كل ميت غدواً وعشياً إذا كان من أهلها))[(٣)]، وفي ذلك دلالة جلية على وجودهما.

- ذكر جملةً من أحكام أهل الجنة وهي:

١- **أن أول ((الناس دخولاً الجنة من المؤمنين))**[(٤)] النبيُّ عليه الصلاة والسلام، وذلك حينما يشفع ﷺ ((ليقضي الله بين الخلق، فعندها يأمر الله ﷻ أن يدخل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن))[(٥)].

---

(١) التوحيد (٢/٨٨١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: الجنائز، باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، (٣/٢٤٣، برقم:١٣٧٩)، وكتاب: الرقائق، باب: سكرات الموت، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، (٤/٢١٩٩، برقم: ٦٥)، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) التوحيد (٢/٨٨١).

(٤) المصدر السابق (٢/٥٩٦).

(٥) المصدر السابق (٢/٥٩٦).

٢- ذكر آخر من يدخل الجنة، وهو آخر من يخرج من النار، وذكر من حاله: أنه يخرج منها حبوًا أو زحفًا، ووُصِف أنه يمشي على الصراط ويتلبط(١) مرة، وينكب مرة، وتسْفَعه النار مرة أخرى، وأن الله يعطيه مثل ما في الدنيا أو مثل ما تمنى وعشرة أمثاله، حسب ما ورد في النصوص(٢)، وذكر أن آخر أهل الجنة دخولاً يبقى-بعد خروج أهل النار ودخولهم الجنة بالشفاعة- ((بين الجنة والنار، ثم يدخله الله الجنة بفضله ورحمته))(٣).

٣- أن أكثر أهل الجنة من أمة محمد ﷺ؛ ذلك أن الله تبارك وتعالى خيّر ((نبيه محمدًا ﷺ بين إدخال نصف أمته الجنة وبين الشفاعة، فاختار النبي ﷺ لأمته الشفاعة، إذ هي أعم وأكثر وأنفع لأمته -خير الأمم- من إدخال بعضهم الجنة))(٤)، فيستفاد من قوله في الشفاعة: ((أعم وأكثر وأنفع لأمته -خير الأمم- من إدخال بعضهم الجنة)) أنه تفضيل وزيادة على النصف، وقد بوّب القرطبي لذلك بقوله: ((باب أمة محمد ﷺ شطر أهل الجنة وأكثر))(٥)، واستدل القرطبي على ذلك بقوله ﷺ: ((أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم))(٦).

----

(١) يتلبط أي: يسقط، النهاية لابن الأثير (٢٢٦/٤).

(٢) انظر: التوحيد (٧٥١/٢-٧٦٢).

(٣) المصدر السابق (٧٦٢/٢).

(٤) المصدر السابق (٦٣٧/٢).

(٥) التذكرة (٤٣٨).

(٦) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: الزهد، باب: صفة أمة محمد ﷺ، (١٤٣٤/٢، برقم:٤٢٨٩)، وأخرجه الترمذي في سننه، صفة الجنة، باب: ما جاء في صفِّ أهل الجنة، (٥٨٩/٤، برقم:٢٥٤٦)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، انظر: مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠٥هـ) (١٥٦٩/٣)، من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

٤- أورد أمورًا عدة متعلقة بالجهنميين.

- فذكر أنهم قوم ((من أهل التوحيد ارتكبوا ذنوبًا وخطايا؛ فأُدخِلوا النار ليصيبهم سفعٌ[(١)] منها))[(٢)]، ثم يخرجون من النار فيدخلهم الله الجنة، وجاء في بعض النصوص أن خروجهم يكون بفضل رحمته ﷻ، كقوله ﷺ: ((ليصيبن قومًا سَفْعةٌ من النار بذنوب عملوها، ثم يدخلهم الله الجنة، يقال لهم الجهنميون))[(٣)]. وفي بعض النصوص يكون خروجهم بالشفاعة كقوله ﷺ: ((ليخرجن قوم من النار بالشفاعة يسمون الجهنميين))[(٤)].

- وأكّد ~ أن هؤلاء ((من غير أهل النار، والذين هم أهلها أهل الخلود فيها))[(٥)]، وذلك استنادًا إلى قوله ﷺ: ((إن أهل النار الذين هم أهل النار لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكنها تصيب أقواماً بذنوبهم وخطاياهم حتى إذا ما صاروا فحماً أذن في الشفاعة، قال: فيخرجون)) الحديث[(٦)].

- موت العصاة في النار؛ فقد ذكر أن من أحكام الموحدين من أهل النار وهم ((من قضى الله إخراجهم من النار من أهل التوحيد، الذين ليسوا بأهلِ النار -أهلِ الخلود فيها- يموتون فيها إماتة واحدة، تميتهم النار إماتة ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة، لا أنهم يكونون أحياء يذوقون العذاب ويألمون من حر النار حتى يخرجوا منها))[(٧)].

وكلام المؤلف قد يُفهم منه أن الموحدين لا يعذبون في النار إذا دخلوها البتة، وإنما يموتون فور دخولهم، فهذا غير صحيح قطعًا، ولا يظهر أنه مراده؛

(١) في الأصل: (سفعًا)، ولعل ما أثبته الصواب وهو الموافق لما ورد في النص.

(٢) التوحيد (٢/٦٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف:٥٦)، (١٣/٤٣٤، برقم:٧٤٥٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (١١/٤١٨، برقم:٦٥٦٦)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٥) التوحيد (٢/٦٦١).

(٦) سيأتي تخريجه ص٤٢٣.

(٧) التوحيد (٢/٦٨٥).

لأنه -كما سبق أن ذكرت- بيّن أن أناسًا من الموحدين يصيبهم سفعٌ من النار، وأنهم يكونون فحمًا، وهذا لا يكون إلا أثرًا لنوع عذاب.

والخلاصة أن كلامه محمول على أنهم بعد أن ينالهم قسطٌ من النار يموتون فيها مدة يشاؤها الله ثم يخرجون منها.

وهذا هو المتقرر عند أهل العلم.

يقول النووي: ((وأما قوله ﷺ: (ولكن ناس أصابتهم النار) إلى آخره؛ فمعناه: أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة إماتة حقيقية، يذهب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله تعالى، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحمًا))[1].

- ذكر في صفة إحيائهم أنهم يخرجون جماعات ثم يلقون في نهر في الجنة فينبتون، كما ورد ذلك في قوله ﷺ: ((أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، (أو قال: بخطاياهم)، فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا، أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر[2] ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبة[3] تكون في حميل السيل[4]))[5].

---

(١) شرح صحيح مسلم (٣/٤٠).

(٢) ضبائر: جمع ضِبارة، والمقصود بها الجماعات في تفرقة، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٥).

(٣) قال ابن الأثير: ((الحِبَّة بكسر الحاء بزور البقول وحب الرياحين، وقيل إنها النبت الصغير ينبت في العشب)) النهاية (١/٣٢٦).

(٤) قال ابن الملقن: ((حميل السيل أي: محمولة، فعيل: بمعنى مفعول، كقتيل وجريح، وهو ما جاء به من طين أو غثاء))، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن، تحقيق:دار الفلاح، بإشراف: خالد الرباط وجمعة فتحي، الطبعة: الأولى، (دار النوادر، سوريا، عام: ١٤٢٩هـ) (٣٠/٩١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (١١/٤١٦، =

- تسميتهم وسؤال الله رفع التسمية عنهم: فقد ذكر أحاديث في تسميتهم، وأشار إلى «أنهم يدعون ربهم فيمحى عنهم ذلك الاسم»[(١)].

والأحاديث الواردة في هذه التسمية جاءت على عدة أوجه، وقد ظهر لي -من خلال جمعها والتأمل فيها- أنه يمكن جعلها في خمسة أنواع:

النوع الأول: وفيه إثبات أنهم يسَمون في الجنة بالجهنميين، أي يسميهم أهل الجنة بذلك[(٢)].

النوع الثاني: أن أهل الجنة يسألون الملائكة عن هؤلاء الذين أدخلوا الجنة؛ فيقال لهم: هؤلاء الجهنميون[(٣)].

النوع الثالث: أن أهل الجنة يسمونهم إذا أدخلوا فيها: الجهنميين، فيقول الله: هؤلاء عتقاء الجبار[(٤)].

= برقم: ٦٥٦٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، (١٧٢/١، برقم: ٣٠٦)، من حديث أبي سعيد ﷺ، واللفظ لمسلم.

(١) التوحيد (٦٩٠/٢).

(٢) وقد جاء من حديث: عمران بن حصين ﷺ عند البخاري (مع الفتح) (٤١٨/١١، برقم:٦٥٦٦)، وأبي داود في السنن (٢٣٦/٤، برقم:٤٧٤٠)، ومن حديث أنس ﷺ عند البخاري (مع الفتح) (٤١٦/١١، برقم:٦٥٥٨).

(٣) من حديث أنس ﷺ عند الإمام أحمد في المسند (٢٧٩/١٩، برقم:١٢٢٥٨)، وابن خزيمة في التوحيد (٧٢١/٢) وصححه الأرنؤوط في تعليقه على مسند الإمام أحمد.

(٤) من حديث أنس ﷺ عند الإمام أحمد في المسند (٤٥٣/١٩، برقم:١٢٤٦٩)، وحسنه الأرنؤوط في تعليقه على المسند، وعند أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي في السنن (سنن الدارمي)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الطبعة: الأولى، (دار القلم، دمشق، عام: ١٤١٢هـ) (٣١/١، برقم:٥٢)، ومحمد بن إسحاق بن يحي بن منده، في الإيمان، تحقيق: علي محمد بن ناصر فقيهي، الطبعة: الثانية، (مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: ١٤٠٦هـ) (٨٤٦/٢، برقم: ٨٧٧)، وابن خزيمة في التوحيد عن أنس ﷺ (٧١٢/٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٣٩٢/٢، برقم:٨٤٤).

النوع الرابع: أنه يُكتب في رقابهم: الجهنميون عتقاء الرحمن [(١)].

النوع الخامس: أنهم إذا سموا بهذا الاسم يدعون الله أن يمحو عنهم هذا الاسم فيمحوه عنهم [(٢)].

الجمع بين الروايات:

لا شك أن الرواية الأولى هي الأصح إسنادًا؛ فهي مروية في أصح الكتب؛ في الصحيحين ولو سلكنا مسلك الترجيح فهي الأرجح دون ريب.

ولا إشكال في المعنى ثمة؛ فإن هذا الاسم لا يقتضي نقيصة لهم؛ بل فيه تذكير بنعمة الله عليهم، على ما بينه أهل العلم.

يقول الآبادي[(٣)]: ((ليس التسمية بها تنقيصًا لهم، بل استذكارًا ليزدادوا فرحًا

---

(١) من حديث أبي هريرة ﷺ عند سليمان بن أحمد الطبراني، في الأحاديث الطوال، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، الطبعة: الثانية، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤١٩هـ) (١١٤، برقم:٤٨)، وعند أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، في البعث والنشور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الطبعة: الأولى، (مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، عام:١٤٠٦هـ) (٣٤٤، برقم:٦٠٩)، ويقول ابن كثير في التفسير: ((غريب جدًا))، (١٥٤/٢).

(٢) وجاء ذلك من حديث: المغيرة ﷺ عند ابن خزيمة في التوحيد (٢٩١/٢)، ومن حديث أبي سعيد ﷺ عند أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، في المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، د.ط (دار الحرمين، القاهرة، عام ١٤١٥هـ) (١٠٦/٨، برقم:٨١١٠)، وابن حبان في صحيحه (٤٥٧/١٦، برقم: ٧٤٣٢)، وصححه الأرنؤوط، ومن حديث أبي هريرة ﷺ عند البيهقي في البعث والنشور (٣٤٤)، حديث رقم (٦٠٩).

(٣) هو: أبو الطيب، محمد شمس الحق بن أمير علي بن مقصود علي الصديقي العظيم آبادي، من كبار محدثي الهند، ولد سنة: ١٢٧٣هـ، رحل في طلب العلم، وكان ذا ملكة راسخة في علوم الكتاب والسنة، مؤلفاته كثيرة، منها: "غاية المقصود في حل سنن أبي داود"، و"النجم الوهاج في شرح مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج"، توفي سنة: ١٣٢٩هـ، انظر: مقدمة غاية المقصود في شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب، محمد شمس الحق آبادي، تحقيق: لشيخ محمد عزير شمس، وأبو القاسم الأعظمي، الطبعة: الأولى، (مكتبة دار الصحاري، الرياض، عام: ١٤١٤هـ) (١٧/١).

على فرح لكونهم عتقاء الله تعالى))[١].

غير أنه إن صحت الروايات الأخرى فلا إشكال في الجمع بينهما بحمد الله.

فإنه يقال: إنهم إذا دخلوا الجنة فيسأل أهل الجنة الملائكة عنهم فيخبرون أنهم الجهنميون، وعليه فيسميهم أهل الجنة الجهنميين.

ثم إن هؤلاء يسألون الله أن يمحو هذا الاسم عنهم بمحو علامته فيستجيب لهم، ولا مانع من أن يكون قوله تعالى: بل هؤلاء عتقاء الجبار قبل هذا أو بعده والله أعلم.

أما رواية الكتاب المعلق في رقابهم فلا تصح.

٥- ذكر بعض أنواع النعيم الذي أعدّه الله لأهل الجنة ومنه:

-النظر ((إلى وجهه نظر فرح وسرور وتلذذ))[٢]، وهذا النظر لأوليائه ((جلّ ثناؤه بعد دخول أهل الجنةِ الجنةَ... فيزيد الله المؤمنين كرامةً وإحسانًا إلى إحسانه، تفضلاً منه وجودًا))[٣]، وقد سبق التفصيل فيها ضمن الحديث عن مسائل الرؤية السابقة.

- التوالد والشهوة إلى الولد في الجنة، وقد قرّر ~ وقوع ذلك. وقبل بيان قوله فيها أورد ما ذكره أهل العلم في هذه المسألة.

فمسألة الحمل والولادة في الجنة وردت فيها أحاديث عدة، منها قوله ﷺ: ((الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذن بكم غير أن لا توالد))[٤].

----

(١) عون المعبود (٥٢/٧).

(٢) التوحيد (٤٢١/٢).

(٣) المصدر السابق (٤٤٣/٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٦/٢٦، برقم:١٦٢٠٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: ((إسناده ضعيف مسلسل بالمجاهيل))، وابن أبي عاصم في السنة (٢٨٦/١، برقم:٦٣٦)، من حديث لقيط بن عامر ﷺ، وقال محقق الكتاب الشيخ الألباني: ((إسناده ضعيف)).

وقوله ﷺ: ((المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة، كان حمله ووضعه في ساعة واحدة، كما يشتهي))(١).

وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة إلى قولين(٢):

فقالت طائفة بحصول الحمل والولادة في الجنة، مستندين في ذلك على الحديث السابق: ((المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة)).

وقالت طائفة أخرى بأن الجماع حاصل في الجنة لكن لا توالد؛ فلا حمل ولا ولادة، وذهبوا إلى أن قوله ﷺ السابق ((المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة)): الأمر معلق بالشرط، ولا يلزم من ذلك وقوعه، يقول إسحاق ابن راهويه: ((في حديث النبي ﷺ: إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة واحدة كما يشتهي، ولكن لا يشتهي))(٣).

وقالوا: بأن الدنيا دار للتناسل المنتهي بالموت، أما دار البقاء فهي للبقاء لا للموت؛ فلا حاجة للتناسل فيها.

وقالوا: إن الحمل والولادة يقع مع الحيض والله أخبر أن النساء مطهرات من ذلك، يقول تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ (البقرة:٢٥)، وقد جاء في تفسير قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: أي ((من الولد والحيض، والغائط والبول))(٤).

وأجاب المثبتون بأن "إذا" في الحديث السابق للمتحقق الوقوع، يقول ابن القيم:

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: صفة الجنة، (١٤٥٢/٢، برقم:٤٣٣٨)، والترمذي في سننه، صفة الجنة، باب: ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، (٥٩٩/٤، برقم:٢٥٦٣)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨/٢).

(٢) انظر في هذه المسألة والأقوال فيها: سنن الترمذي (٦٠٠/٤)، والتذكرة للقرطبي (٥٦٢)، وحادي الأرواح لابن القيم (٥٢٧/١)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣٤٨/٢٠).

(٣) سنن الترمذي (٦٩٥/٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده عن عطاء (٣٩٧/١).

((وإذا للمتحقق الوقوع، ولو أريد ما ذكره من المعنى؛ لقال: (لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة) فإن ما لا يكون أحق بأداة "لو" كما أن المتحقق الوقوع أحق بأداة "إذا"))[١].

ويمكن الجمع بين القولين بأن الجنة دار النعيم وفيها ما تشتهيه الأنفس؛ فوقوع الجماع ثابت فيها، غير أنه جماع لا يترتب عليه حمل كما هو معهود في الدنيا، أما إن اشتهى أحدٌ من أهل الجنة الولد؛ فلا يحرم من تلك الرغبة، والله أعلم.

يقول ابن القيم بعد إيراده لأحاديث الفريقين: ((وهذه الألفاظ لا تنافي بينها ولا تناقض، وحديث أبي رزين رضي الله عنه: (غير أن لا توالد) إذ ذاك: نفى للتوالد المعهود في الدنيا، ولا ينفي ولادةً حملُ الولد فيها ووضعُه وسنه وشبابُه في ساعة واحدة))[٢].

ولهذا بوّب ابن كثير بما يفيد هذا المعنى بقوله: ((ذكر جماع أهل الجنة لنسائهم من غير مني ولا أولاد، إلا إن شاء أحدهم الولد))[٣].

وقد ذهب ابن خزيمة إلى القول بعدم حصول الحمل والولادة، وكأنه ارتضى علة أصحاب القول الثاني بأن "إذا" معلقة بالشرط، ولا يلزم منه الوقوع، يقول ~ : ((معنى قوله: "غير أن لا توالد": أي: لا يشتهون الولد، لأن في خبر أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا اشتهى"))[٤].

إلا أنه رجّح -بناء على تحقيق الله لأهل الجنة ما تشتهيه نفوسهم- أنه قد يحصل ذلك، على خلاف المعهود في الدنيا، فيقول في ذلك: ((والله عز وجل أعلم أن لأهل الجنة فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ومحال أن يشتهي المشتهي في الجنة ولداً

---

(١) حادي الأرواح (٥٢٨/١).

(٢) المصدر السابق (٥٤٢/١).

(٣) البداية والنهاية (٣٤٨/٢٠).

(٤) التوحيد (٤٧٠/٢).

فلا يعطى شهوته، والله لا يخلف الوعد))[١].

ثم قال في التفريق بين ما يكون في الدنيا وما يكون في الجنة: ((والأولاد في الدنيا قد يكون على غير شهوة الوالدين؛ فأما الجنة فلا يكون لأحد منهم ولد إلا أن يشتهي فيُعطى شهوته على ما قد وعد ربنا: أن لهم فيها ما تشتهي أنفسهم))[٢].

-ذكر ((أهل الغرف من الجنة))[٣]. وهم المذكورون في قوله ﷺ: ((إن أهل الجنة يتراءون أهلَ الغُرَف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر[٤] في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصدقوا المرسلين))[٥]، والمقصود بالترائي: الرؤية والنظر[٦]؛ فمعنى الحديث ((أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى إن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم))[٧].

وقد استدل القرطبي[٨] على تلك الخاصية بقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي﴾ (الزمر:٢٠).

---

(١) التوحيد(٢/٤٧٦).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٧٦).

(٣) المصدر السابق (٢/٩٠٧).

(٤) الغابر: أي الذاهب، وذلك لبعده عن الأرض كبعد الغرف عن الرائي لها، انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/٣٢٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، (٦/٣٢٠، برقم:٣٢٥٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء، (٤/٢١٧٧، برقم:١١)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٦) انظر: شرح السنة للبغوي (١٥/٢١٥).

(٧) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/٣٢٧).

(٨) انظر: التذكرة (٥٣٩).

يقول ابن القيم تعليقًا على هذه الآية: ((فأخبر تعالى أنها غرفٌ فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض، حتى كأنها تنظر إليها عيانًا))(١).

-ومن جملة ما أورده من نعيم أهل الجنة: اقتراب الجنة لأهلها؛ فقد أشار إلى أن ذلك يكون عند حصول الشفاعة الأولى للنبي ﷺ وقبل المرور على الصراط(٢).

واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء:٩٠).

وقوله ﷺ في العرض: ((يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف الجنة فيأتون آدم عليه الصلاة والسلام)) الحديث(٣)، ومعنى أزلفت أي: قُرّبت وأدنيت(٤).

وهذا النعيم وهو اقتراب الجنة من أهلها يكون للمتقين.

يقول ابن كثير: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ (الشعراء:٩٠) أي: قُرّبت الجنة وأدنيت من أهلها يوم القيامة مزخرفة مزينة لناظريها، وهم المتقون الذين رغبوا فيها، وعملوا لها عملها في الدنيا))(٥).

٦- أورد جملة من أحكام أهل النار ومنها:

-بيّن أن الله ﷻ يصيب من المذنبين بالنار ((أبدانهم خلا صورهم وآثار السجود

---

(١) حادي الأرواح (١/٢٩٢).

(٢) انظر: التوحيد (٢/٦٠٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١/١٨٧، برقم: ١٩٥)، من حديث أبي هريرة وحذيفة ، بلفظ (حتى تزلف الجنة)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، (٤/٦٣١، برق:(٨٧٤٩)، وصححه الشيخ الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الطبعة: الثانية، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠٦هـ) (١/١٣٩٩).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (١١/٨٧).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٥٢).

منهم))[١]. يقول ﷺ: ((حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله؛ أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود فيخرجونهم)) الحديث[٢].

أما تحريم أكل صورهم فدليله قوله ﷺ: ((إذا خلص الله المؤمنين من النار وأمنوا؛ فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار. قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار، فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، لا تأكل النار صورهم)) الحديث[٣].

-قرّر أن النار ((إنما تأخذ من أجساد الموحدين وتصيب منهم على قدر ذنوبهم وخطاياهم وحوباتهم التي كانوا ارتكبوها في الدنيا))[٤]، ودليله قوله ﷺ: ((فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم؛ فمنهم من أخذته إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أزرته، ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه ولم تغش الوجوه)) الحديث [٥].

-أشار إلى أن ((الله ﷻ يخرج من النار ممن قد أحرقتهم النار خلال آثار السجود

---

(١) التوحيد (٢/٦٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الأذان، باب: فضل السجود، (٢/٢٩٢، برقم:٨٠٦)، وكتاب: الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم، وكتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، (١/١٦٣، برقم: ٢٩٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، (١/١٦٧، برقم:٣٠٢)، (مع اختلاف يسير)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) التوحيد (٢/٧٦٥).

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (١٧/١٤١، برقم: ١١٠٨١)، من حديث أبي سعيد ﷺ، وقال الأرنؤوط: "إسناده حسن".

منهم قبل القضاء بين جميع الناس))[1] ودليله في ذلك قوله ﷺ: ((حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار؛ أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن أدم تأكله النار إلا أثر السجود... ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة، مقبل بوجهه قبل النار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار))[2].

وتوجيه كلامه ~ هو بما قرره ابن حجر حيث قال: ((قال الزين ابن المنيِّر: الفراغ إذا أضيف إلى الله معناه القضاء وحلوله بالمقضي عليه، والمراد: إخراج الموحدين وإدخالهم الجنة، واستقرار أهل النار في النار. وحاصِلُهُ: أن المعنى يفرغ الله أي: من القضاء بعذاب من يفرغ عذابه، ومن لا يفرغ فيكون إطلاق الفراغ بطريق المقابلة، وإن لم يذكر لفظها، وقال بن أبي جمرة معناه: وصل الوقت الذي سبق في علم الله أنه يرحمهم))[3].

۞ المسألة الثانية: منهجه في عرض أقوال المخالفين والرد عليهم.

ذكر ابن خزيمة ما يتعلق بالمخالفين فيما يتعلق بالجنة والنار من خلال حديثه عن مسائل الإيمان ومرتكب الكبيرة.

لذا سيكون الحديث عنها -بعون الله- في مسائل الإيمان[4].



---

(١) التوحيد (٧٦٢/٢).

(٢) سبق تخريجه ص٤٣٠.

(٣) فتح الباري (٤٥٥/١١).

(٤) انظر: ص٤٦٨.

الفصل الثالث

منهج ابن خزيمة

في تقرير مسائل الإيمان والنبوات والصحابة

وفيه ثلاثة مباحـــث : -

المبحث الأول : منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الإيمان.

المبحث الثاني : منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل النبوات.

المبحث الثالث : منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الصحابة.

* *   * ** *   * *

المبحث الأول

منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الإيمان

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: منهج أهل السنة في تقرير مسائل الإيمان.

المطلب الثاني: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الإيمان.

* *   * *   * *

المبحث الأول:
منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الإيمان

الإيمان من المسائل العظيمة التي يدور عليها رحى الاعتقاد، وهو الدرجة العليا والرتبة العظمى من مراتب الدين[١]، يقول ابن رجب[٢]: ((وهذه المسائل -أعني: مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق- مسائل عظيمة جدًا، فإن الله علق بهذه الأسماء السعادة، والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أوّل اختلاف وقع في هذه الأمة))[٣].

ولأهميته أولى السلف رحمهم الله عنايتهم به وتوضيح دقائقه وألفوا فيه المصنفات المستقلة[٤].

---

(١) انظر في تقرير مسائل الإيمان: السنة لابن أبي عاصم (٤٤٧/٢)، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٣٠٧/١) وشرح السنة للبربهاري (٢٧)، والشريعة للآجري (٥٢٢/٢)، واعتقاد أهل السنة للإسماعيلي (٤٣)، والإبانة لابن بطة، (٧٦٠/٢)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (٢٠٧)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٨٠٩/٤)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، (٢٦٤)، والاعتقاد للبيهقي (٩٥)، وشرح السنة للبغوي (٣٣/١)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٤٠٣/١)، ولمعة الاعتقاد للمقدسي (٢٣).

(٢) هو: أبو الفرج، وأبو العباس، زين الدين، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، العلامة الفقيه المحدث المشهور، ولد سنة: ٧٠٦هـ، وتوفي بدمشق سنة: ٧٩٥هـ، من مؤلفاته: "كتاب القواعد"، و"فتح الباري شرح صحيح البخاري" – ولم يكمله – و"جامع العلوم والحكم"، انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (١٩٥/٢)، ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لمحمد بن فهد المكي، مع تذكرة الحفاظ (١٨٠)، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لمحمد بن عبدالله بن حميد، تحقيق عبدالرحمن العثيمين، الطبعة: الأولى، (مؤسسة الرسالة، عام: ١٤١٦ هـ) (٤٧٤/٢).

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، لأبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، الطبعة: الأولى، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، عام: ١٤٢٩هـ) (٩١).

(٤) ومن المصنفات المفردة في الإيمان: (الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام)، و(الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة)، و(المنهاج في شعب الإيمان للحليمي)، (والإيمان لابن منده)، و(الجامع لشعب الإيمان للبيهقي).

وقد عرض ابن خزيمة لجملة من المسائل المتعلقة بالإيمان ومناقشة المخالفين فيها لأهل السنة كما سيتضح -بإذن الله- في بيان منهجه.

ويتناول هذا الموضوع ما يأتي:



المطلب الأول:
منهج أهل السنة في تقرير مسائل الإيمان

تركز كلام أهل السنة في موضوع الإيمان على محاور، أذكر أهمها في المسائل الآتية:

۞ المسألة الأولى: معنى الإيمان، ودخول الأعمال فيه.

معنى الإيمان لغة: تعددت تعريفات أهل اللغة للإيمان؛ فعرّفه بعضهم بالتصديق(١)، وبعضهم بالثقة(٢).

يقول ابن فارس: ((الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان؛ أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب، والآخر: التصديق))(٣).

وغالب أهل اللغة على تعريفه بالتصديق، بل قال الأزهري(٤): ((واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه: التصديق))(٥).

والتحقيق أنه ليس مجرد التصديق؛ بل تصديق وزيادة، يقول الراغب الأصفهاني(٦): ((قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف:١٧]، قيل:

(١) انظر: المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ابن سيده)، د.ط (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) (٥٤/٤)، باب: الزيادة.

(٢) انظر: مجمل اللغة لابن فارس (١٠٢/١)، باب: الهمزة والميم وما يثلثهما.

(٣) مقاييس اللغة (١٣٢/١)، مادة (أمن).

(٤) هو: أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهَرَوي الشافعي، كان رأسًا في اللغة، ولد سنة: ٢٨٢هـ، وتوفي بهراة سنة: ٣٠٧هـ، من مؤلفاته: "تهذيب اللغة"، و"التفسير". انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٣٤/٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٥/١٦)، وبغية الوعاة للسيوطي (١٩/١).

(٥) تهذيب اللغة (٢٢٥/٥)، مادة (أمن).

(٦) هو: أبو القاسم، الراغب الأصفهاني، اختلف في اسمه، فقيل: المفضل بن محمد، وقيل غير ذلك، ولعل الأشهر: الحسين بن المفضل أو الفضل، أديب متكلم، اختلف في وفاته اختلافاً بيِّناً، فقيل: سنة: ٥٠٢هـ، وقيل: ٤٢٥هـ، وقيل غير ذلك – من مؤلفاته: "المفردات في غريب القرآن"، و"الذريعة إلى =

معناه بمصدّق لنا إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن))[(١)].

وعرّفه ابن تيمية بقوله: ((الإيمان مشتق من الأمن؛ فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر)) [(٢)].

وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة وذكر أن أقرب المعاني إلى الإيمان هو الإقرار، وقرر أنه لا ترادف بين الإيمان والتصديق من عدة وجوه، منها:

١-أنه يقال للمخبر إذا صدّقته: صدّقه، ولا يقال آمنه، بل يقال: آمن به أو آمن له.

٢-أن لفظ الإيمان في اللغة يقابل بلفظ الكفر ولا يقابل بلفظ التكذيب كلفظ التصديق.

٣-أن الإيمان مأخوذ من الأمن، الذي هو الطمأنينة، كما أن الإقرار مأخوذ من القرار، وهو قريب من معنى آمن[(٣)].

وفي ضوء ما ذُكر يتبين أن تفسير لفظ الإيمان بمجرد التصديق تفسير فيه نظر؛ ذلك أن الإيمان لابد أن يقارنه الطمأنينة والانقياد.

معنى الإيمان شرعًا: تنوعت عبارات السلف في بيان معنى الإيمان في ألفاظها،

= مكارم الشريعة"، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢٠/١٨)، طبقات المفسرين للداوودي (٣٢٨/٢)، بغية الوعاة للسيوطي (٢٩٧/٢)، وانظر الاختلاف في سنة وفاته في الأعلام للزركلي (٢٥٥/٢).

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، د.ط، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي، عام: ١٣٨١ هـ) (٩١-٩٢)، مادة (أمن).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩١/٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٩٠/٧-٢٩٢)، وشرح حديث جبريل في الإسلام والإيمان والإحسان (الإيمان الأوسط)، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: الدكتور: علي بخيت الزهراني، الطبعة: الأولى، (دار ابن الجوزي، الدمام، عام: ١٤٢٣هـ) (١٢٠).

مع اتفاق معانيها؛ فالإيمان عندهم: قول وعمل[١].

وأرادوا بالقول والعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، يقول ابن القيم ~: ((حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح))[٢].

وقد حكى الإجماع على أن الإيمان قول وعمل غير واحد من العلماء.

يقول الإمام الشافعي ~: ((وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر))[٣].

ويقول القاسم بن سلام[٤] ~: ((فالأمر الذي عليه السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا: أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعًا، وأنه درجات بعضها فوق بعض))[٥].

دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

----

(١) انظر: الإبانة للأشعري (٥٩)، والتمهيد لابن عبدالبر (٢٣٨/٩)، وشرح السنة للبغوي (٣٣/١)، وفتح الباري لابن رجب (٥/١).

(٢) كتاب الصلاة وحكم تاركها، لابن قيم الجوزية، الطبعة: الأولى (دار ابن كثير دمشق، بيروت، ١٤٠٩ هـ) (٧٠-٧١)، وانظر: الإيمان الكبير لابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى) (١٧٠/٧).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٨٨٧/٥).

(٤) هو أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبدالله، الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، يُقال: إنه أول من صنف في غريب الحديث. ولد سنة: ١٥٧هـ، وتوفي سنة: ٢٢٤هـ بمكة، وقيل غير ذلك، من تصانيفه: كتاب "غريب الحديث"، و"فضائل القرآن"، و"الطهور". انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٠٣/١٢)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٦٠/٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٩٠/١٠).

(٥) الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله، تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثانية، (دار النور، عام: ١٤٩٥هـ) (١٦)، وانظر فيمن نقل الإجماع: السنة لعبد الله بن أحمد (٣٤٥/١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٨٨٥/٥)، والتمهيد لابن عبدالبر (٢٣٨/٩)، وشرح السنة للبغوي (٣٨/١-٣٩).

دخول الأعمال في مسمى الإيمان مقترن بمعنى الإيمان عند أهل السنة وأنه: قول وعمل؛ لذا فدخول الأعمال في مسمى الإيمان قضية إجماعية قطعية، كما مر سابقاً[(١)].

يقول الأوزاعي: ((وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان، والإيمان من الأعمال))[(٢)].

وقد دل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان أدلة كثيرة من القرآن والسنة؛ فمن أدلة القرآن:

-قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المؤمنون:١-٩).

-وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ (البقرة:١٤٣).

وقد فُسر الإيمان في هذه الآية بالصلاة[(٣)].

وقال البخاري في كتاب الإيمان: ((باب: والصلاة من الإيمان، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، يعني: صلاتكم عند البيت))[(٤)].

والآيات في تقرير ذلك كثيرةٌ لا مجال لحصرها.

ومن الأحاديث الدالة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان:

---

(١) انظر المسألة السابقة ص٤٣٧.

(٢) أخرجه ابن بطه في الإبانة (٢/٣٠٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/١٤٦).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٣/١٦٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٩٧).

(٤) فتح الباري (١/٩٥)

-قوله ﷺ: ((الإيمان بضع وستون شعبة؛ فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))(١).

-وحديث: ((سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور))(٢).

ففي هذا الحديث جعل أفضل الأعمال الإيمان بالله ورسوله، وهذا فيه دلالة على دخول العمل في مسمى الإيمان.

۞ المسألة الثانية: الفرق بين الإيمان والإسلام.

حصل خلاف بين أهل السنة في الإيمان والإسلام، هل معناهما واحد، أم أن لكل منهما معنى مختلف عن الآخر؛ فلهم في هذه المسألة قولان:

القول الأول: أن الإيمان والإسلام مسماهما واحد ومعناهما واحد، وقد ذهب إلى هذا القول الإمام البخاري(٣)، ومحمد بن نصر المروزي(٤)، وقد اختاره ابن عبدالبر(٥).

القول الثاني: ذهبوا إلى التفريق بين الإيمان والإسلام، وهذا قول أكثر السلف.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان، (١/٥١، برقم:٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، (١/٦٣، برقم:٥٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ لمسلم، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الحج، باب: فضل الحج المبرور، (٣/٣٨١، برقم:١٥١٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الإيمان، (١/٨٨، برقم:١٣٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) نسبه إليه ابن حجر في الفتح (١/١١٤، ٥٥).

(٤) انظر: تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: د. عبدالرحمن الفريوائي، الطبعة: الأولى، (مكتبة الدار، بالمدينة، ١٤٠٦ هـ) (٢/٥٠٦-٥٣١).

(٥) انظر: التمهيد (٩/٢٤٧).

وقد نقل ابن رجب هذا التفريق إلى عدد من أئمة السلف، منهم: قتادة، والزهري، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين[١].

وقد قال بهذا القول جمعٌ من الصحابة كابن عباس والحسن { [٢].

ولكل من الفريقين أدلتهم التي قامت عليها أقوالهم[٣].

والذي يظهر -والله تعالى أعلم- أن بينهما اتفاقًا واختلافًا، وأن اختلاف معناهما واتفاقه قائمٌ على التجريد والاقتران؛ ذلك أنه إذا ذُكر الإيمان والإسلام مقترنين يفَسّر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة كما في حديث جبريل عليه السلام.

أما إذا ذُكر الإسلام مجردًا عن الإيمان أو العكس؛ فإنهما يتفقان ويدل كل منهما على معنى الآخر كما في حديث وفد عبدالقيس[٤]، ويرجع ذلك إلى القاعدة المعروفة وهي: ((أن الألفاظ تختلف دلالتها بحسب الإفراد والاقتران))[٥].

وممن أشار إلى هذا الجمع الخطابي[٦] بقوله: ((وهذه المسألة -يعني الفرق بين

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٦٦/١)، وانظر كلامه في فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين أبي الفرج بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد شعبان عبدالمقصود وآخرون، الطبعة: الأولى، (مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، عام: ١٤١٧هـ) (١١٨/١).

(٢) انظر: التوحيد لابن منده (٣١١/١).

(٣) انظر في تفصيل المسألة: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٥٢٩/٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٦٥/٧-٣٦٦)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٦١-٦٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٣٢).

(٤) سيأتي تخريجه ص٤٥٣.

(٥) انظر: مجموع فتاوى لابن تيمية (٢٧٤/١٠).

(٦) هو: أبو سليمان، حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطَّاب البُستِي الشافعي، المعروف بالخطَّابي، فقيه لغوي مشهور، توفي بمدينة بُست سنة: ٣٨٨هـ، من مؤلفاته: "معالم السنن"، و"غريب الحديث"، انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٢٥١/٣)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢١٤/٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٢٨٢/٣).

الإسلام والإيمان- مما قد أكثر الناس الكلام فيها، وصنفوا لها صحفًا طويلة، والمقدار الذي لا بد من ذكره هاهنا على وجه الإيجاز والاختصار: أن الإيمان والإسلام قد يجتمعان في مواضع، فيقال للمسلم: مؤمن، وللمؤمن: مسلم، ويفترقان في مواضع؛ فلا يقال لكل مسلم: مؤمن، ويقال لكل مؤمن: مسلم؛ فالموضع الذي يتفقان فيه هو أن يستوي الظاهر والباطن، والموضع الذي لا يتفقان فيه هو أن لا يستويا، ويقال له عند ذلك مسلم))[1].

ويقول ابن تيمية: ((وفصل الخطاب في هذا الباب أن اسم الإيمان قد يذكر مجردًا وقد يذكر مقرونًا بالعمل أو بالإسلام؛ فإذا ذُكر مجردًا تناول الأعمال كما في الصحيحين: (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)[2]، وفيهما أنه قال لوفد عبدالقيس: (آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم)[3]، وإذا ذُكر مع الإسلام كما في حديث جبريل: أنه سأل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان فرق بينهما؟ فقال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله إلى آخره، وفى المسند عن النبي ﷺ: (الإسلام علانية والإيمان في القلب)[4]؛ فلما ذكرها جميعًا ذكر أن الإيمان في القلب والإسلام ما يظهر من الأعمال، وإذا أفرد الإيمان أدخل فيه الأعمال الظاهرة، لأنها لوازم ما في القلب، لأنه متى ثبت الإيمان في القلب والتصديق بما أخبر به الرسول وجب حصول مقتضى ذلك ضرورة))[5].

---

(١) أعلام الحديث في شرح البخاري، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: الدكتور: محمد بن سعيد بن عبدالرحمن آل سعود، ، الطبعة: الأولى، (مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة، عام: ١٤٠٩هـ) (١/١٦٠).

(٢) سبق تخريجه ص٤٤٠.

(٣) سيأتي تخريجه ص٤٥٣..

(٤) مسند الإمام أحمد (٣٧٤/١٩، برقم:١٢٣٨١)، وقال الأرنؤوط: "إسناده ضعيف".

(٥) مجموع الفتاوى (١٨/٢٧١-٢٧٢).

۞ المسألة الثالثة: زيادة الإيمان ونقصانه.

مما تقرر عند أهل السنة وانعقد إجماعهم عليه، وكثرت أدلة الكتاب، وتواترت نصوص السنة فيه أن الإيمان يزيد وينقص(١).

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ((الإيمان يزداد وينقص))(٢).

ويقول ابن أبي زمنين: ((ومن قول أهل السنة أن الإيمان درجات ومنازل، يتم ويزيد وينقص، ولولا ذلك لاستوى الناس فيه، ولم يكن للسبق فضل على المسبوق))(٣).

ودلالة ذلك جلية في الآيات والأحاديث.

أما الآيات فقد جاءت في القرآن تنصُّ على الزيادة إما بلفظها أو معناها؛ فأما اللفظ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:٢٢).

وأما ما جاء بدلالة زيادة الإيمان بمعناها فهي كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ (محمد:١٧).

وكذلك دلت السنة على زيادة الإيمان بأحاديث عدة منها:

---

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري (١٥٥)، واعتقاد أهل السنة للإسماعيلي (٤٦)، والمنهاج في شعب الإيمان، لأبي عبدالله الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، الطبعة: الأولى، (دار الفكر، عام١٣٩٩هـ) (٥٥)، والجامع لشعب الإيمان، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي، تحقيق: الدكتور: عبدالعلي عبدالحميد حامد، ، الطبعة الأولى، (الدار السلفية، الهند، عام: ١٤٠٦هـ) (١٩٥/١).

(٢) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة (٣١٤/١)، والآجري في الشريعة (٥٨٤/١).

(٣) أصول السنة (٢١١).

قوله ﷺ: ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً))[(١)].

يقول ابن عبدالبر: ((ومعلوم معمول أنه لا يكون هذا أكمل حتى يكون غيره أنقص))[(٢)].

ويقول الحليمي[(٣)]: ((فدل هذا القول على أن حسن الخلق إيمان، وأن عدمه نقصان إيمان))[(٤)].

أما أدلة نقص الإيمان؛ فإن مما يُنبه إليه أن كل دليل ذُكر في زيادة الإيمان دليلٌ على نقصه؛ فما يَقْبل الزيادة يَقْبل النقص، يقول الإمام أحمد: ((إن كان قبل زيادته تامًا؛ فكيف يزيد التام؟ فكما يزيد كذا ينقص))[(٥)].

وإضافة إلى ذلك فقد وردت نصوصٌ دالة على النقصان منها قوله ﷺ: ((يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار؛ فقُلْن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لِلُبّ الرجل الحازم من إحداكن، قُلْن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قُلْن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٥٠)، وأبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (٤/٢٢٠، برقم::٤٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٦٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه وقوّى إسناده شعيب الأرناؤوط انظر مسند الإمام أحمد (٢/٢٥٠).

(٢) التمهيد (٩/٢٤٤).

(٣) هو: أبو عبدالله، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، الفقيه الشافعي، ولد سنة: ٣٣٨هـ، وكان ذا فضل وعلم وبيان، من مصنفاته: "المنهاج في شعب الإيمان"، و"آيات الساعة"، و"أحوال القيامة"، توفي سنة: ٤٩٣هـ، انظر: العبر للذهبي (٢/٢٠٥)، وشذرات الذهب لابن العماد (٥/١٩).

(٤) المنهاج في شعب الإيمان (٦١).

(٥) نقله عنه أبو بكر الخلال في السنة (٣/٥٨٨).

تُصَلّ ولم تَصُم، قُلْن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها))[١].

وزيادة الإيمان ونقصانه مما أجمع عليه سلف الأمة -رحمهم الله- وقد نص على الإجماع عدد منهم، يقول ابن جرير ~ : ((والصواب لدينا من القول: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبه الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل))[٢].

۞ المسألة الرابعة: الاستثناء في الإيمان.

الاستثناء في الإيمان يقصد به قول الإنسان: ((أنا مؤمن إن شاء الله، أو: مؤمن أرجو))[٣].

وهذه المسألة من المسائل الهامة في باب الإيمان، والتي أولاها السلف عناية في مصنفاتهم[٤].

وقد حصل خلاف فيها؛ فقال بعضهم بوجوب الاستثناء[٥]، وبعضهم منعه[٦].

----

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الحيض، باب: ترك الحائض الصوم، (٤٠٥/١، برقم:٣٠٤)، وكتاب: الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: نقصان الإيمان بنقص الطاعات، (٨٦/١، برقم:١٣٢)، من حديث عبدالله بن عمر - { -.

(٢) ذكره عنه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٨٥/١).

(٣) انظر: الإيمان الكبير لابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى) (٢٥٣/٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٣٧).

(٤) انظر: الإيمان، لأبي عبيد (٦٧)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٣٠٧/١)، والشريعة للآجري (٦٥٦/٢)، والإبانة لابن بطة (٨٦٢/٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٩٦٥/٥)، والاعتقاد للبيهقي (١٠٠)، والإيمان لابن تيمية (٣٢٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٣٧).

(٥) انظر: أصول الدين للبغدادي (٢٥٣)، وشرح المقاصد، لمسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، تحقيق عبدالرحمن عميرة، الطبعة: الأولى، (منشورات الشريف الرضي، عام: ١٤٠٩هـ) (٢١٤/٥).

(٦) انظر في بيان حجتهم ومناقشتها: الإيمان الكبير لابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى) (٤٢٩/٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٣٨-٣٣٩).

أما أهل السنة فقالوا بالتفصيل في المسألة؛ فأجازوه باعتبار ومنعوه باعتبار آخر، وقالوا: إن الاستثناء يصح باعتبار ما يأتي[1]:

١-ألا يكون الاستثناء بإرادة الشك في أصل الإيمان، لأن ذلك ممنوع قطعًا، وإنما يراد به تعليق الأمر بمشيئة الله تعالى.

٢-أن يكون الاستثناء بإرادة تحقيق الإيمان المطلق المتضمن فعل جميع الواجبات وترك جميع المنهيات الذي امتدح الله أهله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال:٢-٤).

٣-أن يكون الاستثناء خوفًا من التزكية التي نهى الله عنها، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ (النجم:٣٢).

٤-أن يكون الاستثناء بإرادة عدم الجزم بكون العمل متقبلاً عند الله ﷻ، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ (المؤمنون:٦٠).

۞ المسألة الخامسة: حكم مرتكب الكبيرة.

معنى الكبيرة.

((دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر))[2]، وهي الذنوب التي دون الكفر والشرك.

---

(١) انظر في بيان منهج أهل السنة في الاستثناء: الإيمان لأبي عبيد (٦٧)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٣٠٧/١)، والشريعة للآجري (٦٥٦/٢)، والإبانة لابن بطة (٨٦٢/٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٩٦٥/٥)، والاعتقاد للبيهقي (١٠٠)، والإيمان الكبير لابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى) (٤٢٩/٧)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٣٣٧).

(٢) الداء والدواء، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن حسن عبدالحميد، الطبعة: الثالثة، (دار ابن الجوزي، الدمام، عام: ١٤١٩هـ) (١٨٦).

وقد شذّت طائفة بالقول بأن جميع الذنوب كبائر وليس فيها صغائر[١].

وهو قول شاذٌ ويكفي في رده قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء:٣١).

يقول القرطبي بعد ذكره للآية: ((ودل هذا على أن في الذنوب صغائر وكبائر، وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء))[٢].

وقد اختلف أهل العلم في بيان معنى الكبيرة على أقوال عدة، ولكنها في غالبها متقاربة[٣]، وأقرب هذه الأقوال وأجمعها أن الكبائر: ((كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب أو حد))[٤]، وقد روي هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنه[٥].

حكم مرتكب الكبيرة:

سلك أهلُ السنة والجماعة منهجًا وسطًا بين الفرق المخالفة في حكم مرتكب الكبيرة؛ ملتزمين فيه جادة النصوص -كما هو شأنهم في جميع مسائل الدين-

---

(١) انظر: الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (٦٣٢)، وفتح الباري لابن حجر (٤٠٩/١٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥٨/٥).

(٣) انظر في تفصيل الأقوال: جامع البيان للطبري (٣٧/٥-٤٢)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، الطبعة: الأولى، (دار ابن حزم، بيروت، عام: ١٤٢٣هـ) (٤٢٨)، والفروق، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجي القرافي، د.ط، (عالم الكتب، بيروت، د.ت) ((٦٦/٤)، ومجموع الفتاوى (٦٥٠/١١-٦٥١)، والزواجر عن اقتراف الكبائر، لأبي العباس أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي، د.ط، (دار المعرفة، بيروت، عام: ١٤٠٢هـ) (٥/١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٥٠/١١)، ومدارج السالكين لابن القيم (٣٢٧/١)، والكبائر وتبيين المحارم، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عمر بن قايماز الذهبي، تحقيق: محيي الدين مستو، د.ط، (دار ابن كثير، دمشق، د.ت). (٢٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٦١)، والزواجر لابن حجر الهيتمي (١٤/١)، ومما ينبه إليه أن الخلاف الواقع بين العلماء في حد الكبيرة في غير ما نُص عليه في الكتاب والسنة أو أجمعت عليه الأمة أنه من الكبائر.

(٥) جامع البيان للطبري (٤١/٥).

والكلام في هذه المسألة له شقان[١]:

❑ الشق الأول: الاسم في الدنيا:

فإن مرتكب الكبيرة لا يكفر في الدنيا، بل يسمى مؤمنًا ناقص الإيمان.

❑ الشق الثاني: الحكم في الآخرة:

١- هو من أهل الوعيد، لكنه تحت المشيئة: إن شاء الله تعالى عذبه وإن شاء تجاوز وعفا عنه.

مرتكب الكبيرة إن شاء الله عذابه وأدخله النار، فهو لا يُخلَّد فيها.

وهم مع ذلك يعتقدون أن الذنوب صغائر كانت أم كبائر فهي مؤثرةٌ على إيمان العبد ومنقصةٌ له؛ فصاحب الكبيرة ((مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته))[٢].

يقول الصابوني ~ : ((ويعتقد أهل السنة: أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرة: صغائر وكبائر؛ فإنه لا يكفر بها، وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص؛ فإن أمره إلى الله ﷻ: إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة، سالمًا غانمًا، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه -إلى يوم القيامة- من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مرة مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها؛ بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار))[٣]، وقد سبق ذكر الإجماع على أن الإيمان ينقص بالمعصية.

---

(١) انظر في بيان معتقد أهل السنة في مرتكب الكبيرة: رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري (١٥٦)، واعتقاد أهل السنة للإسماعيلي (٤٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٠٥٩/٦)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (٢٧٦)، والاعتقاد للبيهقي (١٠١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٩٦).

(٢) انظر: العقيدة الواسطية (ضمن مجموع الفتاوى) لابن تيمية (١٥١/٣).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٨٩).

وأدلة ما ذهب إليه أهل السنة كثيرة منوعة ويمكن تقسيمها إلى أقسام وتحت كل قسم منها أدلته(١):

القسم الأول: النصوص الدالة على أن من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء:٤٨).

وقوله ﷺ: ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة))(٢).

القسم الثاني: النصوص التي فيها التصريح بعدم دخول الموحد النار، أو عدم خلوده فيها إن دخل مع تصريحها بارتكابه الكبائر، ومنها قوله ﷺ: ((أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى))(٣).

القسم الثالث: النصوص التي فيها التصريح ببقاء الإيمان وبقاء الأخوة الإيمانية مع ارتكاب الكبائر، قال تعالى في القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (البقرة:١٧٨)، قال ابن الجوزي: ((دل قوله تعالى: (من أخيه) على أن القاتل لم يخرج من الإسلام))(٤).

القسم الرابع: النصوص التي فيها ثبوت الحدود في حق أصحاب الكبائر، مثل:

---

(١) أفدت هذا التقسيم من كتاب: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، لمحمد بن عبدالله الوهيبي، الطبعة: الأولى، (دار المسلم، الرياض، عام: ١٤١٦هـ) (١١٣/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، (٥٥/١، برقم:٢٧)، من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، (٤٦١/١٣، برقم:٧٤٨٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (٥٥/١، برقم:٢٧)، من حديث أبي ذر ﵁.

(٤) زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، ، الطبعة: الأولى، (دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣ هـ) (١٨٠/١).

القصاص وقطع اليد والرجم والجلد وغيرها، ووجه الدلالة ((أنه حكم في السارق بقطع اليد، وفي الزاني والقاذف بالجلد، ولو كان الذنب يكفِّرُ صاحبه ما كان الحكم على هؤلاء إلا بالقتل، لأن رسول الله ﷺ قال: (من بدّل دينه فاقتلوه)[1]))[2].

القسم الخامس: النصوص التي فيها التصريح بخروج الموحدين من النار بالشفاعة أو بمحض رحمة أرحم الراحمين، كقوله ﷺ: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))[3].



---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يعذَّب بعذاب الله، (١٤٩/٦، برقم:٣٠١٦)، وكتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة، من حديث عكرمة ﷺ.

(٢) الإيمان لأبي عبيد (٨٩).

(٣) سبق تخريجه ص٤٠١.

المطلب الثاني: منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الإيمان[(١)]

۞ المسألة الأولى: منهجه في التقرير والاستدلال.

تناول ابن خزيمة ~ مسائل عدة متعلقة بالإيمان، وهذه المسائل هي:

أولاً: بيان معنى الإيمان.

معنى الإيمان في اللغة: سبق بيان قول أهل السنة في معنى الإيمان اللغوي: أنه ليس مرادفًا للتصديق، أي: تصديق القلب؛ بل لا بد وأن يقارنه الانقياد، وقد أكّد ابن خزيمة على ذلك بقوله: ((التصديق قد يكون بالجوارح لا كما ادعى من موّه على بعض الناس أن التصديق لا يكون في لغة العرب إلا بالقلب))[(٢)].

وتظهر أهمية بيان معنى الإيمان اللغوي في الرد على من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان بناء على أن الإيمان مجرد التصديق، يوضح ذلك قوله ~ السابق: ((لا كما ادعى من موّه على بعض الناس أن التصديق لا يكون في لغة العرب إلا بالقلب)).

وقد استدل ابن خزيمة في توضيح معنى الإيمان بقوله ﷺ: ((كل ابن آدم أصاب من الزنا لا محالة فالعين زناؤها النظر، واليد زناؤها اللمس، والنفس تهوى أو تحدث ويصدقه أو يكذبه الفرج))[(٣)].

---

(١) عقد ابن خزيمة ~ في كتابه الصحيح كتابًا سماه: الإيمان؛ فقد أشار إليه في صحيحه (١٧/١).يقول: ((وقد بيّنتُ هذه المسألة في كتاب الإيمان))، وقال في كتاب التوحيد: ((قد بينت في كتاب الإيمان في ذكر شعب الإيمان وأبوابه معنى اللقاء)) (٤٣٧/٢)،ولكنه مع الأسف مفقود ضمن ما فُقد من صحيحه، وقد حاولت أن أشق الطريق في بيان معالم منهجه في هذا الموضوع من خلال تقريراته وإشاراته فيما وصل إلينا من مؤلفاته.

(٢) الصحيح (٢٠/١).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الاستئذان، باب: زنى الجوارح دون الفرج، (٢٦/١١، برقم:٦٣٤٣)، وكتاب: القدر، باب قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾، بلفظ قريب، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: قدر على ابن آدم حظه =

يقول النووي عند شرحه للحديث السابق: ((والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه معناه أنه قد يحقق الزنى بالفرج وقد لا يحققه بأن لا يولج الفرج في الفرج وإن قارب ذلك والله اعلم))[(١)].

فالتصديق هنا بمعنى التحقيق، لذلك جاءت رواية بقوله ﷺ: ((يحقق ذلك الفرج أو يكذبه))[(٢)].

يقول ابن تيمية في معرض الرد على من قال بأن الإيمان في اللغة بمعنى التصديق، ومن زعم بأن إجماع أهل اللغة على أن الإيمان هو التصديق، وأنه لا يُعرف في اللغة إيمانٌ غير هذا: ((قول من يقول: وإن كان في اللغة هو التصديق ؛ فالتصديق يكون بالقلب واللسان وسائر الجوارح كما قال النبي ﷺ:{والفرج يصدق ذلك أو يكذبه}))[(٣)]، واستدلال ابن خزيمة ذلك لطيفٌ دقيق، ويَشِفُّ عن عمق فقهه واستنباطه ~ .

معنى الإيمان الشرعي: قرر ابن خزيمة ~ أن الإيمان يشمل في معناه وحقيقته قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح في مواضع عدة.

فقد بيّن في معرض ردّه على المرجئة أن ((إيمان الجوارح))[(٤)]((هو كسب الأبدان))[(٥)]، و((إيمان القلب))[(٦)]((هو التصديق))[(٧)]، و((إيمان اللسان))[(٨)]((هو الإقرار))[(٩)]،

= من الزنى وغيره، (٢٠٤٦/٤، برقم:٢٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) شرح صحيح مسلم (٤٤٥/١٦).

(٢) شرح السنة للبغوي، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان بالقدر، (١٣٨/١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢٢/٧).

(٤) التوحيد (٧٠٣/٢).

(٥) المصدر السابق (٧٠٣/٢).

(٦) المصدر السابق (٧٠٣/٢).

(٧) المصدر السابق (٧٠٣/٢).

(٨) المصدر السابق (٧٠٣/٢).

(٩) المصدر السابق (٧٠٣/٢).

ويتأكد تقريره ذلك عند نفيه الإيمان عمن يعتقد أن الإيمان منحصر في بعض الأعمال الواردة في بعض النصوص والموجبة لدخول الجنة، أو المحرمة لدخول النار على من فعلها دون أن ((يُقِر بلسانه مما أمر الله بالإقرار به، ولا صدق بقلبه بشيء مما أمر الله بالتصديق به، ولا أطاع في شيء أمر الله به، ولا انزجر عن شيء حرمه الله))[١].

وكلام ابن خزيمة السابق يؤكد تقريره لمعنى الإيمان الشرعي كما درج عليه السلف رحمهم الله تعالى.

ثانيًا: دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

مما أسهب ابنُ خزيمة الحديث فيه مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان؛ فقد اتضح تقريره لذلك من خلال ما يأتي:

-تبويباته: يقول ~ في صحيحه: ((باب الدليل على أن إقام الصلاة من الإيمان))[٢]، وكذلك في باب الصوم[٣] والزكاة[٤].

وقد استدل على ذلك بحديث وفد عبدالقيس، والذي فسر فيه النبي ﷺ الإيمان بقوله: ((وهل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخُمُس من المغانم))[٥].

- - - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) التوحيد (٨٢٥/٢)، وانظر أيضًا: (٨٢٧/٢).

(٢) (١٥٨/١).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٨٦/٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٦/٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان، (١٢٩/١، برقم:٥٣)، وكتاب: العلم، باب: تحريض النبي ﷺ وفد عبدالقيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم، وكتاب: مواقيت الصلاة، باب: قوله ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الروم:٣١)، ومواضع أخرى، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: =

وعامة أهل السنة استدلوا بهذا الحديث على أن الأعمال من الإيمان؛ قال أبو داود: ((باب في الرد على الإرجاء))(١) ثم أورد الحديث.

وكذلك فعل الترمذي فقال: ((باب إضافة الفرائض إلى الإيمان))(٢) ثم ذكر الحديث.

ويقول اللالكائي(٣): ((ما روي عن النبي ﷺ في أن دعائم الإيمان وقواعده: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان))(٤) ثم أورد الحديث.

-تعريفه لمعنى الإيمان: وذلك كما سبق بيانه في المسألة السابقة؛ حيث إنه ذكر أن الإيمان يكون بأمور ثلاثة: ((إيمان الجوارح الذي هو كسب الأبدان))(٥) و((إيمان القلب الذي هو التصديق وإيمان اللسان الذي هو الإقرار))(٦).

-رده على المرجئة: وقد أكد ~ على هذه القضية المهمة من خلال توضيح ما قد يشكل من بعض الأحاديث، وظن بعض المخالفين -بناء عليه- أن الأعمال ليست من الإيمان، من ذلك قوله ﷺ في بعض أحاديث الشفاعة: ((فيقبض قبضة من النار

= الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله وبشرائع الدين والدعاء إليه، (٣٥/١، برقم:١٢٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(١) السنن، في السنة (٣٥٣/٤).

(٢) السنن، الإيمان (٨/٥).

(٣) هو: أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، فقيه شافعي، كان ذا حفظ وفقه، من مصنفاته: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"، و"رجال الصحيحين"، توفي سنة: ٤١٨هـ، انظر: العبر للذهبي (٢٣٦/٢)، شذرات الذهب لابن العماد (٩٢/٥).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٥/٤).

(٥) التوحيد (٧٠٤/٢).

(٦) المصدر السابق (٧٠٤/٢).

فيخرج قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا)) الحديث [(١)].

فحتى لا يُتوهم أن الأعمال ليست من الإيمان وضح معنى قوله ﷺ: ((لم يعملوا خيرًا قط)) فقال: ((هذه اللفظة :(لم يعملوا خيرًا قط) من الجنس الذي تقول العرب: يُنفى الاسمُ عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام؛ فمعنى هذه اللفظة على هذا الأصل: لم يعملوا خيرًا قط على التمام والكمال لا على ما أوجب عليه وأمر به)) [(٢)].

وهذه اللفظة وهي قوله: "لم يعملوا خيرًا قط" كانت موضع إشكال، وهو مما تمسكت به المرجئة للاستدلال على خروج الأعمال من مسمى الإيمان، وقد أجاب أهل العلم عن هذا الإشكال وذلك الاستدلال بعدة أجوبة، منها:

أولاً: أنه لا يصح الأخذ بظاهر الحديث دون أن يقيَّد بالنصوص الأخرى الموجبة للعمل، ذلك أن ظاهر الحديث يدل على عدم وجوب تصديق القلب؛ لأن التصديق خير وهم لم يعملوا خيرًا قط، واستثناء التصديق لا دليل عليه، وإن استُثْني لأحاديث أخرى مقيدة؛ فكذلك القول في عمل الجوارح فإنه يُستْثنى من هذا الخير المنفي بالنصوص الموجبة للعمل.

وقد ذكر ابن القيم أن المراد بالحديث الأعمال مع التصديق، يقول ~ : ((فإنه سبحانه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من خير...)) ثم قال: ((الخير في هذا الحديث هو الإيمان بالله ورسله، كما في اللفظ الآخر: (أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان) وهو تصديق رسله والانقياد لهم بالقلب والجوارح)) [(٣)].

فسبيل أهل السنة الجمع بين النصوص الواردة في المسألة، وحمل العام على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣)، (٤٢١/١٣، برقم:٧٤٣٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، (١٦٧/١، برقم:٣٠٢)، واللفظ له، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) التوحيد (٧٣٢/٢)،

(٣) شفاء العليل لابن القيم (٢٦٢).

الخاص، والمطلق على المقيد منها، وقد أشاد بذلك ابن خزيمة ~ بقوله: ((وهذه الأخبار تدل على صحة مذهبنا أن الأخبار رويت على ما كان يحفظها رواتُها، منهم من كان يحفظ بعض الخبر، ومنهم من كان يحفظ الكل، فبعض الأخبار رويت مختصرة، وبعضها متقصّاه، فإذا جمع بين المُتَقصي من الأخبار وبين المختصر منها، بان حينئذ العلم والحكم))(١).

ثانيًا: دلت بعض الأحاديث أن هؤلاء من أهل الصلاة، وذلك من جهتين:

الأولى: أنه ورد في أول الحديث ما يدل على ذلك، وذلك عندما أخبر عن تساقط الكفار والمشركين في النار، وأنه لا يبقى إلا من كان يسجد لله إخلاصًا أو رياء، يقول ﷺ: ((فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه))(٢).

وبعدها يهلك المنافقون ويبقى المؤمنون الساجدون لله في الدنيا وفيهم المقصر الذي يدخل النار ليهذب ثم يخرج بالشفاعة وبرحمة الله تبارك وتعالى.

الثانية: جاء في ألفاظ حديث الجهنميين أن الملائكة تعرفهم بآثار السجود، وقد اتفق وصف وحال الجهنميين بالذين لم يعملوا خيرًا قط في كونهم آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة بعد أن يفرغ الله من القضاء، وأنهم يلقون في نهر الحياة بعد أن يصيروا حُممًا، ثم يخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل -كما سبق وصف حالهم-؛ فأثر السجود الذي تميزه الملائكة دالٌ على أنهم من أهل الصلاة وهي من العمل، وقد سبق اتفاقهم في الوصف فهم يتفقون في الحكم.

ثالثًا: استعمال لفظ (لم يعملوا خيرًا قط) وارد عند العرب، وهذا ما وجّه به ابن خزيمة الحديث، وليس المراد به نفي الخيرية مطلقًا، ويدل على ذلك إطلاق هذه

----

(١) التوحيد (٧٠٧/٢).

(٢) سبق تخريجه ص٤٥٤.

العبارة في بعض النصوص مع إثبات العمل وهي كثيرة منها:

قوله ﷺ: ((كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا؛ فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلّ على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد؛ فقبضته ملائكة الرحمة))(١).

فسَيْرُه وهجرتُهُ من الأعمال الصالحة، ومع ذلك فإنه ذُكر عنه أنه لم يعمل خيرًا قط(٢).

وغيرها من المواضع التي رد فيها على المرجئة والتي سيأتي بيانها -بإذن الله- في موضعها من الرد.

مما قرر به دخول الأعمال في مسمى الإيمان: بيان معنى عطف الأعمال الصالحة على الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾(محمد:٢)، وذلك في مقام الرد على من تمسك بهذه الآية وزعم أن الله فرّق بين الإيمان والعمل الصالح

----

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (٢١١٨/٤، برقم:٤٦)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) قد جمع أطراف هذه المسألة الدكتور: محمد محمود آل خضير، في كتابه: الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين، الطبعة: الأولى، (مكتبة الرشد، الرياض، عام: ١٤٢٨هـ)، وقد أفدتُ منه في بعض التوجيهات السابقة، انظر (١٢٧/٢).

بواو الاستئناف[١] فدل ذلك على المغايرة، فقد بين ~ بأن الواو هنا للوصل من باب التأكيد والتكرار لا الفصل، يقول ~ : ((باب ذكر صلاة الوسطى التي أمر الله ﷻ بالمحافظة عليها على التكرار والتأكيد، بعد دخولها في جملة الصلوات التي أمر الله بالمحافظة عليها، وهذا من واو الوصل التي نقول: إنما على معنى التكرار والتأكيد، لا من واو الفصل، إذ محال تكون الصلاة الوسطى ليست من الصلوات، قال الله ﷻ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[٢]؛ فالصلاة الوسطى كانت داخلة في الصلوات التي أمر الله في أول الذكر بالمحافظة عليها، ثم قال: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، على معنى التكرار والتأكيد، وقد استقصيت هذا الجنس في كتاب الإيمان عند ذكر اعتراض من اعترض علينا فأدعى أن الله ﷻ قد فرق بين الإيمان والأعمال الصالحة بواو استئناف في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾))[٣].

فقد أشار هنا إلى قول المرجئة الذين تمسكوا بهذه الشبهة الهزيلة، وهي قولهم: إن عطف الأعمال على الإيمان يدل على التباين والتغاير وعليه أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وكان رده بذكر حقيقة العطف في الآية وأنه من باب التأكيد على أهمية العمل مع التصديق بالقلب.

وقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان هذه الشبهة ورد عليها بكلام مطول أكد فيه أن لفظ الإيمان في النصوص له حالتان:

الأولى: أن يذكر مجردًا، وفي هذه الحال يتناول الإيمان اعتقاد القلب وعمل الجوارح.

---

(١) واو الاستئناف: هي الواو التي يكون ما بعدها غير متعلق بما قبلها، بل هو مستأنف، ويختلف عنها معنىً وإعراباً، انظر: الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: الدكتور: فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، الطبعة: الأولى، (دار الكتب العلمية، بيروت، عام: ١٤١٣هـ) (٤٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٣) الصحيح (٢/٢٨٩).

الثانية: أن يذكر مقرونًا بغيره؛ فيتوجه معنى الإيمان لما في القلب، والمعطوف هو العمل.

ثم إن هذا المعطوف وهو العمل له حالتان أيضًا:

-إما أن يكون جزءًا من الإيمان، وإنما عُطف عليه من باب عطف الخاص على العام للتأكيد عليه.

-وإما أن يكون العمل لازمًا من لوازمه؛ فيلزم من الإيمان تحقيق العمل، بل إن هذا العطف -وهو الغالب في النصوص- يؤكد أنه لا يصح أن يُكتفى بإيمان القلب، بل لا بد من الأعمال الصالحة.

وعلى كل حال فإن القرآن والسنة مملوءة بما يدل على أن لا يثبت حكم الإيمان لأحد إلا بالعمل مع التصديق[١].

ثالثًا: الفرق بين الإيمان والإسلام

لم يتضح لي رأي ابن خزيمة في هذه المسألة، وربما قد فصل هذه المسألة في الجزء المفقود من الصحيح في كتاب الإيمان، والذي يظهر -والله تعالى أعلم- أنه جعل الإيمان والإسلام بمعنى واحد، ويتضح ذلك من أمور وهي:

تبويبه بأن إقام الصلاة وكذلك الصيام والزكاة من الإيمان، ثم إتباع ذلك بالتبويب بأنها من الإسلام[٢].

قوله الصريح بأن ((الإيمان والإسلام اسمان بمعنى واحد))[٣]، وفي موضع آخر بقوله: ((الإيمان والإسلام اسمان لمسمى واحد))[٤]، ولم يذكر في كلامه ما يؤيد أن معنى الإيمان غير معنى الإسلام.

---

(١) انظر كلامه مفصلاً في: الإيمان الأوسط (ضمن مجموع الفتاوى (٥٥٥/٧).

(٢) انظر: الصحيح (١٥٩/١، ١٥٨)، وانظر أيضًا: (١٨٧/٣، ١٨٦)، و(٦/٤، ٥).

(٣) المصدر السابق (١٥٩/١)، و(٦/٤).

(٤) المصدر السابق (١٨٧/٣).

أشار إلى أنه خرّج طرق حديث: ((بني الإسلام على خمس)) الحديث في كتاب الإيمان[١]، وهذا ما فعله البخاري ~ في صحيحه[٢].

رابعًا: زيادة الإيمان ونقصانه.

قرر ابن خزيمة مذهب أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه حيث قال: ((الناس يتفاضلون في إيمان القلب، ضد قول من زعم من غالية المرجئة: أن الإيمان لا يكون في القلب، وخلاف قول من زعم من غير المرجئة: أن الناس إنما يتفاضلون في إيمان الجوارح الذي هو كسب الأبدان؛ فإنهم زعموا: أنهم متساوون في إيمان القلب الذي هو التصديق وإيمان اللسان الذي هو الإقرار))[٣].

ويستفاد من قوله السابق أمور:

أن ابن خزيمة عبّر عن الزيادة بلفظ التفاضل، ولعله اختار ذلك سيرًا على نهج من سبقه من الأئمة كعبد الله بن المبارك[٤][٥]، وعبد الرحمن بن مهدي[٦] وغيرهم[٧][٨].

---

(١) انظر: الصحيح (١/١٥٩).

(٢) انظر: فتح الباري (١/١١٤، ٤٥).

(٣) التوحيد (٢/٧٠٣-٧٠٤).

(٤) هو: أبو عبدالرحمن، عبدالله بن المبارك بن واضح المروزي، الإمام العلم، أحد مشاهير العلماء، جمع بين العلم والعبادة، والزهد والجهاد، أخذ عن الثوري ومالك، وحدث عنه ابن عيينة وأبو إسحاق الفزاري، ولد سنة: ١١٨هـ، وتوفي بهيت سنة: ١٨١هـ وقيل: ١٨٢هـ، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/١٥٢)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨/٣٧٨).

(٥) انظر: السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/٣١٦)، والسنة للخلال (٣/٥٨٣).

(٦) هو: أبو سعيد، عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن العنبري، أحد أركان الحديث بالعراق، ومن علمائه المقدمين، توفي سنة: ١٩٨هـ، انظر: الجرح والتعديل للرازي (١/٢٥١)، والعبر للذهبي (١/٢٥٥)،

(٧) رواه عنه الخلال، انظر: السنة للخلال (٣/٦١).

(٨) انظر في بيان وجه تلك الأقوال وتعليلها: المصدر السابق (٣/٦١)، والإيمان الأوسط (ضمن الفتاوى) =

وعلى كل حال فالذي يبدو -والله تعالى أعلم- أن هذا الاختيار إنما هو اختلاف في اللفظ فقط، ويوضح ذلك أمور:

١-أن لفظ التفاضل يدل على الزيادة والنقصان، يقول ابن رجب ~ : ((وهو معنى الزيادة والنقص))(١).

٢-أنه ثبت عن هؤلاء الأئمة التصريح بالزيادة والنقصان(٢)، وهذا هو الثابت عن ابن خزيمة ~ : فقد نص على نقص الإيمان بقوله: ((اسم الكفر قد يقع على بعض المعاصي الذي لا يزيل الإيمان بأسره، وإنما ينقص من الإيمان، لا يذهب به جميعًا))(٣).

٣-أنه أثبت أن الزيادة تعرض لإيمان القلب الذي هو تصديقه، كما تعرض لإيمان الجوارح، وهو بذلك يرد على من زعم أن الزيادة لا تكون في إيمان القلب، وسيأتي تفصيل ذلك -بإذن الله- في الحديث عن منهجه في الرد على المخالفين.

وهذا أمر متقررٌ عند أهل السنة.

يقول شيخ الإسلام في بيانه لأوجه زيادة الإيمان: ((العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك والريب، وهذا أمرٌ يشهده كل أحد من نفسه؛ كما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس للهلال وإن اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض... فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل

= (٥٠٦/٧)، وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، لعبد الرزاق بن عبدالمحسن العباد البدر، الطبعة: الأولى، (مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، عام: ١٤١٦هـ) (١٢٢)، وآراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية لعبد الله السند (٤٢٠-٤٢٣).

(١) فتح الباري (٧/١)، وانظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (٣١/٣)، (مادة: فضل).

(٢) انظر: مسند إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي، تحقيق: الدكتور عبدالغفور عبدالحق البلوشي، الطبعة: الأولى، (مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، عام: ١٤١٠هـ) (٦٦٩/٣)، والسنة للخلال (٦١/٣).

(٣) التوحيد (٩٠٦/٢).

أعظم من ذلك من وجوه متعددة، والمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها))[١].

وقد استدلّ ابن خزيمة ~ بقوله ﷺ: ((يدخل أهل الجنةِ الجنةَ، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النارِ النارَ، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبه من خردل من إيمان فأخرجوه، قال: فيخرجون منها حُمَمًا قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا، فينبتون كما تنبت الحبة أو الحية -شك الربيع- إلى جانب السيل، قال رسول الله: ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية))[٢].

وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: ((رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق، فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا؛ فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: أمتي أمتي، فيقال لي: فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربي، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل هذا))[٣].

واستدلاله بالحديث على زيادة الإيمان ونقصانه نهجه أهل السنة.

قال ابن القيم بعد أن أورد حديث الشفاعة وحديث أنس في خروج من كان في قلبه مثقال كذا من الإيمان من النار: ((وكل هذه النصوص صحيحة صريحة لا تحتمل التأويل في أن نفس الإيمان القائم بالقلب يقبل الزيادة والنقصان ، وبعضهم

---

(١) الإيمان الكبير (ضمن مجموع الفتاوى) (٧/٢٣٤).

(٢) سبق تخريجه ص٤٥٤.

(٣) سبق تخريجه ص٤٠٣.

أرجح من بعض))[١].

خامسًا: الاستثناء في الإيمان.

ألمح ابن خزيمة ~ إلى مسألة الاستثناء في الإيمان تقريرًا وردًا، يقول ~ عند إيراده لحديث: ((إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي))[٢]: ((هذا الرجاء من الجنس الذي أقول: إنه جائز أن يقول المرء فيما لا يشك فيه ولا يمتري: وأنا أرجو أن يكون كذا وكذا؛ إذ لا شك أن النبي ﷺ كان مستيقنًا غير شاكٍ ولا مرتاب أن كان أخشى القوم لله وأعلمهم بما يتقي، وهذا من الجنس الذي روي عن علقمة بن قيس أنه قيل له: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو، ولا شك ولا ارتياب أنه كان من المؤمنين الذين كان يجري عليهم أحكام المؤمنين من المناكحات والمبايعات وشرائع الإسلام))[٣].

ويشير قوله السابق إلى رأيه بجواز الاستثناء في الإيمان، وذلك من جهتين:

الأولى: التقرير، وذلك باستدلاله بقول علقمة لِمن سأله أمؤمن أنت؟ فقال: أرجو، ومن المتأكد أنه كان من المؤمنين الذين جَرَتْ عليهم أحكام المسلمين.

الثانية: الرد، وذلك بالرد على من منع الاستثناء بدعوى أنه على معنى الشك؛ فقد أكّد أن الاستثناء بقول: "أرجو أو إن شاء الله" لا تعني الشك، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام السابق: ((إني لأرجو أن أكون))، ولا يُظَن بأنه عليه الصلاة والسلام كان مرتابًا في كونه أخشى القوم وأتقاهم وأعلمهم.

سادسًا: حكم مرتكب الكبيرة.

لابن خزيمة ~ تقريرٌ نافعٌ مستطاب في حكم مرتكب الكبيرة، ويمكن

---

(١) تهذيب سنن أبي داود (٣٤٢/٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصيام، باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، (٧٨١/٢، برقم:٧٩)، من حديث عائشة > .

(٣) الصحيح (٢٥٢/٣).

جمع كلامه في النقاط الآتية:

١-فرّق ~ بين الصغائر والكبائر؛ حيث ذكر أن ((الله ﷻ وعد تكفير الذنوب الصغائر باجتناب الكبائر))[١]؛ لذا فإن الصلوات والجمعة ((كفارة لصغائر الذنوب دون كبارها))[٢].

وهذا ما قرره أهل السنة كما سبق.

٢-ذكر حكم مرتكب الكبيرة؛ حيث بيّن:

أن الكبائر درجات؛ فإن ((سفك دماء المسلمين من أعظم الكبائر، إذا سُفكت بغير حق))[٣]، لكن ((الشرك بالله والكفر أكبر من هذه الحوبة))[٤]، وقد أخبر النبي ﷺ أن ((الشرك أكبر الكبائر))[٥][٦].

٣-قرّر أن مرتكب الكبيرة التي هي ((دون الشرك من الذنوب))[٧]، هو ((من أهل التوحيد الذين ارتكبوا ذنوبًا وخطايا؛ فأُدْخلوا النار))[٨] وليس من ((أهل النار والذين هم أهلها -أهل الخلود فيها-))[٩].

----

(١) التوحيد (٦٥٦/٢).

(٢) الصحيح (١٥٨/٢)، وانظر أيضًا: (١٦٢/١).

(٣) التوحيد (٦٥٧/٢).

(٤) المصدر السابق (٦٥٧/٢).

(٥) المصدر السابق (٦٥٨/٢).

(٦) قال ﷺ: ((أكبر الكبائر الإشراك بالله)) الحديث، أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ (المائدة: ٣٢)، (١٩١/١٢، برقم:٦٨٧١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، (٩١/١، برقم:٨٨)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧) التوحيد (٦٥٨/٢).

(٨) المصدر السابق (٦٥٩/٢).

(٩) المصدر السابق (٦٥٩/٢).

٤-ذكر حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا وحكمه في الآخرة، وهو ما يعبر عنه بعض أهل العلم بالاسم والحكم.

أما اسمه في الدنيا فهو فاسق بذنبه مع بقاء مطلق الإيمان له، يوضح ذلك قوله: ((اسم الغاوي قد يقع على مرتكب خطيئة زجر الله عن إتيانها، وإن لم تكن تلك الخطيئة كفرًا ولا شركًا ولا ما يقاربهما))(١) ذلك أن ((كل مرتكب معصية زجر الله عنها فقد أغواه إبليس))(٢)، وهو المذهب الوسط بين الوعيدية(٣) الذين طغوا ((فأزالوا اسم المؤمن عن مرتكبها ومرتكبي بعضها))(٤)، والمرجئة القائلين إن ((مرتكب هذه الذنوب والخطايا كامل الإيمان، لا نقص في إيمانهم))(٥).

ومثال هذه الكبائر ما جاء في قوله ﷺ: ((لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر))(٦)، قال ابن خزيمة بعد إيراده للحديث: ((اسم الكفر قد يقع على بعض المعاصي الذي لا يزيل الإيمان بأسره، وإنما ينقص من الإيمان، لا يذهب به جميعًا))(٧)، فهو مؤمن ناقص الإيمان.

أما حكمه في الآخرة فقد قرر أنه تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه وإن شاء

---

(١) التوحيد (٢/٨٣٤).

(٢) المصدر السابق (٢/٨٣٤).

(٣) الوعيدية: ((هم: القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار))، ويدخل فيها عدد من الفرق كالخوارج والمعتزلة وما يندرج تحت هذه الفرق، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٠٥)، وانظر: التنبيه والرد للملطي (٣٨).

(٤) التوحيد (٢/٨٥٧).

(٥) المصدر السابق (٢/٨٥٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، (مع الفتح)، كتاب: الفرائض، باب: من ادعى إلى غير أبيه، (١٢/٥٤، برقم:٦٧٦٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، (١/٨٠، برقم:٦٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) التوحيد (٢/٩٠٦).

غفر له ابتداءً. يقول ~ : ((والله ﷻ قد يشاء غفران كل معصية يرتكبها المسلم دون الشرك وإن لم يتب منه، لذاك أعلمنا في محكم تنزيله في قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]، وأعلمنا خالقنا ﷻ أن آدم خلقه بيده وأسكنه جنته وأمر ملائكته بالسجود له عصاه فغوى، وأنه ﷻ برأفته ورحمته اجتباه بعد ذلك ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[2]))[3].

و ((قد يدخل النار بارتكاب المعاصي في الدنيا، إذا لم يتفضل الله ولم يتكرّم بغفرانها))[4].

أدلته في حكم مرتكب الكبيرة:

تعددت استدلالات ابن خزيمة في الحكم على مرتكب الكبيرة؛ فقد أورد تلك الأدلة في مواضع عدة؛ فتارة يذكرها في مقام التقرير وتارة في مقام الرد على المخالفين ومناقشة أدلتهم، ومما ذكر من أدلة ما يأتي:

أولًا: الأدلة على أن من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة.

قال ~ : ((الله ﷻ قد خبّر في محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر ما دون الشرك من الذنوب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[5]))[6]، وذكر ~ ما تقرر عند أهل السنة أنه ((كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة، أي: إلا أن يشاء الله أن يغفر ويصفح

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٢.

(٣) التوحيد (٢/٨٣٤).

(٤) المصدر السابق (٢/٧٦٥).

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٦) التوحيد (٢/٨٦٩).

ويتكرم ويتفضل؛ فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة))[1].

ثانيًا: أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر؛ فذكر أن رسول الله ﷺ يشفع لبعض ((أمته ممن أوبقتهم خطاياهم وذنوبهم فأدخلوا النار ليخرجوا منها بعدما عُذِّبوا فيها بقدر ذنوبهم وخطاياهم التي لا يغفرها لهم ولم يتجاوز لهم عنها بفضله وجوده))[2].

ومن أدلة الشفاعة الصريحة على خروج أصحاب الكبائر من النار قوله ﷺ: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))[3]، قال ابن خزيمة حين إيراده للحديث: ((فمعنى قوله: (شفاعتي لأهل الكبائر) أي: من ارتكب من الذنوب الكبائر فأدخلوا النار بالكبائر))[4].

ثالثًا: الأدلة على خروج شاهد أن لا إله إلا الله من النار وعدم خلوده فيها، وقد أورد باباً: ((في إخراج شاهد أن لا إله إلا الله من النار))[5]، واستدل فيه بقوله ﷺ: ((وعزتي وجلالي ورحمتي لا أدعُ في النار أحداً قال: لا إله إلا الله)) الحديث[6].

۞ المسألة الثانية: منهجه في عرض أقوال المخالفين والرد عليهم.

ثمة ارتباط في البحث بين موضوع الشفاعة وموضوع الإيمان؛ حيث إنه تفرع عن قول الخوارج والمعتزلة بكفر صاحب الكبيرة: إنكارهم للشفاعة في أهل الكبائر وردهم لها وتأويلهم لنصوص الشفاعة بزيادة الأجر والثواب لا خروج أصحاب الكبائر من النار[7].

---

(١) التوحيد (٨٦٩/٢).

(٢) المصدر السابق (٥٨٨/٢).

(٣) سبق تخريجه ص٤٠١.

(٤) التوحيد (٦٥٦/٢).

(٥) المصدر السابق (٦٩٣/٢).

(٦) سيأتي تخريجه ص٤٦٨.

(٧) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (٦٩١).

والحديث عن منهج ابن خزيمة في رده على المخالفين في الشفاعة سيكون ضمنًا في الحديث عن المخالفين في مسائل الإيمان إذ هي أعم وأشمل.

ويحسُن ذكر منهج ابن خزيمة في عرض أقوال المخالفين في هذا الموضوع مقسّمًا على أهم مسائل الإيمان وهي كما يأتي:

عرضه لأقوال المخالفين في معنى الإيمان وحقيقته والرد عليهم، وهم:

أولاً: غالية المرجئة(١).

أشار ~ بعد ذكره لخروج الموحدين من النار إلى قول الكرامية(٢) بأن الإيمان مجرد الإقرار باللسان دون التصديق؛ فقال -محذّرًا من الوقوع في مثل ما وقعوا فيه-: ((ذكر خبر روى عن النبي في إخراج شاهد أن لا إله إلا الله من النار، أفْرَقُ أن يسمع به بعض الجهال فيتوهم أن قائله بلسانه من غير تصديق قلب يخرج من النار، جهلاً وقلة معرفة بدين الله وأحكامه، ولجهله بأخبار النبي ﷺ مختصرها ومتقصاها))(٣).

وقد وسمهم: بغالية المرجئة، يقول ~ : ((إن الناس يتفاضلون في إيمان القلب،

---

(١) الذي يبدو أن ابن خزيمة يطلق اسم (غالية المرجئة) على من قال بقول الكرامية، وهذا اصطلاح قد يختلف من عالم لآخر؛ فشيخ الإسلام ابن تيمية -مثلاً- يطلق اسم (غلاة المرجئة) على الجهمية وعلى الواقفة الذين يتوقفون في نفوذ الوعيد، وعلى الغلاة الذين يجزمون بنفيه، يقول ~ : ((وقالت المرجئة مقتصدتهم وغلاتهم كالجهمية...)) الفتاوى (٤٨/١٣)، وقال: ((وقول غلاة المرجئة الذين يقولون: ما نعلم أن أحداً منهم يدخل النار، بل نقف في هذا كله، وحكي عن بعض غلاة المرجئة الجزم بالنفي العام)) الإيمان (٢٧٢).

(٢) هم أتباع عبدالله بن كرام السجستاني، المتوفى عام: ٢٥٥هـ، وهم فرق عدة، من أبرز معتقداتهم: زعمهم أن الإيمان مجرد القول باللسان، وقالوا كذلك بالتجسيم، انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٢٣/١)، والتبصير في الدين للاسفراييني (١١١).

(٣) التوحيد (٦٩٣/٢).

ضد قول من زعم من غالية المرجئة أن الإيمان لا يكون في القلب))[١].

ذكر مُتمسّكهم في تلك الدعوى وهو: استدلالهم بالنصوص المخبرة بخروج شاهد أن لا إله إلا الله من النار، كقوله ﷺ: ((وعزتي وجلالي ورحمتي لا أدع في النار عبدًا قال لا إله إلا الله))[٢].

وقد أبطل ابن خزيمة قول هذه الفرقة من المرجئة من عدة أوجه:

أولًا: ببيان سبب هذا القول؛ وهو أنهم: ((لا يفهمون هذه الصناعة ولا يميزون بين الخبر المتقصى وغيره، وربما خفي عليهم الخبر المتقصى فيحتجون بالخبر المختصر))[٣]، فهؤلاء تمسكوا ببعض الأحاديث المختصرة كالخبر السابق في إخراج شاهد أن لا إله إلا الله، وتركوا الأحاديث المفسِّرة المتقصاه، ذلك أن بعض ((الأخبار رويت مختصرة، وبعضها متقصاه؛ فإذا جُمع بين المتقصي من الأخبار وبين المختصر منها بان حينئذٍ العلم والحكم))[٤]، فكم من العلم الحق والحُكْم العدل ضل عنه من لم يجمع بين نصوص الشريعة.

ثانيًا: أبطل قولهم بالنصوص المفسِّرة لما تمسكوا به:

كالأحاديث المصرحة بأن ((النبي يشفع للشاهد لله بالتوحيد الموحد لله بلسانه إذا كان مخلصًا ومصدقًا بذلك بقلبه، لا لمن تكون شهادته بذلك منفردة عن تصديق القلب))[٥]، ومنها قوله: ((أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا

---

(١) التوحيد (٢/٧٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلاً، (١/١٨٢، برقم:٣٢٦)، من حديث أنس ﷺ، بلفظ قريب.

(٣) التوحيد (٢/٦٩٣).

(٤) المصدر السابق (٢/٧٠٧).

(٥) المصدر السابق (٢/٦٩٦).

الله خالصًا من نفسه))[١].

والأحاديث ((المصرِّحة عن النبي ﷺ إنه قال: إنما يخرج من النار من كان في قلبه في الدنيا إيمان، دون من لم يكن في قلبه في الدنيا إيمان ممن كان يقر بلسانه بالتوحيد خاليًا قلبه من الإيمان))[٢]، كقوله ﷺ: ((يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهلُ النارِ النارَ، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه)) الحديث[٣].

والأحاديث المصرحة بأنه ((إنما يخرج من النار شاهد أن لا إله إلا الله إذا كان مصدقًا بقلبه بما شهد به لسانه))[٤]، كقوله ﷺ: ((أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة)) الحديث[٥].

وقد أشار ابن خزيمة إلى أنه اعترض ((بعض أهل الجهل والعناد، وادّعى أن ذكر الخير في هذا الخبر ليس بإيمان))[٦]، ثم رد عليهم بما يأتي:

١-أن المتقرر عند أهل العلم والفقه ((أن الإيمان من الخير لا من الشر))[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: العلم، باب: الحرص على الحديث، (١٩٣/١، برقم:٩٩)، وكتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) التوحيد (٧٠٢/٢-٧٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، (٧٣/١، برقم:٢٢)، ومسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، (١٧٢/١، برقم:٣٠٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، واللفظ له.

(٤) التوحيد (٦٩٩/٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصانه، (١٠٣/١، برقم:٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلاً، (١٨٢/١، برقم:٣٢٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) التوحيد (٦٩٩/٢).

(٧) المصدر السابق (٧١٣/٢).

٢-أن الزاعم بأن ذكر الخير ليس بإيمان يكون ((مكذبًا لهذه الأخبار التي فيها: أخرجوا من النار من كان في قلبه من الإيمان كذا))(١).

٣-ومما رد به عليهم وأبان أن قولهم تمحلٌ لا إنصاف فيه: إلزامُهُم بأمور ثلاثة وكلها أشد بطلانًا من الأخرى، قال ~ : ((فيلزمهم أن يقولوا: هذه الأخبار كلها غير ثابتة، أو يقولوا: إن الإيمان ليس بإيمان، أو يقولوا: إن الإيمان ليس بخير، وما ليس بخير فهو شر ولا يقول مسلم إن الإيمان ليس بخير))(٢).

وقد ألزمهم بأنه يترتب على قولهم أن يكون المنافقون مؤمنين، وهذا ظاهر البطلان عند كل أحد(٣).

ثانيًا: الجهمية.

أومأ ابن خزيمة -في معرض مناقشته لأدلة المرجئة- إلى الجهمية القائلين بأن الإيمان مجرد المعرفة كما سبق ذكره؛ فقال: ((ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار... جاز للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي إذا تؤولت على ظاهرها استحق من يعلم أن الله ربه وأن محمدًا نبيه الجنةَ، وإن لم ينطق بذلك لسانه))(٤)، ومن تلك الأخبار قوله ﷺ: ((من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة))(٥).

ولاشك أن حمل هذا النص على ظاهره سيجعل ((العالم بقلبه أن لا إله إلا الله مستحقًا للجنة، وإن لم يقر بذلك بلسانه، ولا أقر بشيء مما أمر الله تعالى بالإقرار به، ولا آمن بقلبه بشيء أمر الله بالإيمان به، ولا عمل بجوارحه شيئًا أمر الله به،

---

(١) التوحيد (٧١٤/٢).

(٢) المصدر السابق (٧١٤/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٦٩٩/٢).

(٤) المصدر السابق (٨١٦/٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، (٥٥/١، برقم:٤٣)، من حديث عثمان رضي الله عنه.

ولا انزجر عن شيء حرمه الله من سفك دماء المسلمين، وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم واستحلال حرمهم))[١]، كما آل إليه قول من قال من الجهمية: إن الإيمان مجرد المعرفة.

وقد ردّ ابن خزيمة على قول الجهمية أيضًا بمعارضة قوية؛ حيث قال: ((لئن جاز للجهمي الاحتجاج بهذه الأخبار أن المرء يستحق الجنة بتصديق القلب بأن لا إله إلا الله، وبأن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور، ويترك الاستدلال بما سنبينه بعد إن شاء الله من معنى هذه الأخبار، لم يُؤْمَن أن يحتج جاهل لا يعرف دين الله ولا أحكام الإسلام بخبر عثمان عن النبي: (من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة)[٢]))[٣]، ولا ريب أن القول بأن ((جميع الإيمان هو العلم بأن الصلاة عليه حق واجب وإن لم يقر بلسانه مما أمر الله بالإقرار به، ولا صدق بقلبه بشيء مما أمر الله بالتصديق به، ولا أطاع في شيء أمر الله به، ولا انزجر عن شيء حرمه الله))[٤] قولٌ باطلٌ ترده النصوص.

عرضه لأقوال المخالفين في زيادة الإيمان ونقصانه والرد عليهم:

سبق ذكر قول ابن خزيمة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، وتقريره لمنهج السلف فيها.

وقد أشار من خلال تقريره إلى المخالفين القائلين بأن الزيادة تكون في عمل

---

(١) التوحيد (٨١٦/٢).

(٢) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في زياداته على المسند (٤٨١/١)، وقال الأرنؤوط: ((إسناده ضعيف))، والحاكم في المستدرك (١٤٤/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٩/٦)، وأورده نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، في: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، د.ط (مؤسسة المعرف، بيروت، عام: ١٤٠٦هـ) (٢٩٤/١)، .(وحسن إسناده الألباني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، للحافظ المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثانية، (المكتب الإسلامي، بيروت، عام: ١٤٠٦هـ) (١٥١/١).

(٣) التوحيد (٨٢٥/٢).

(٤) المصدر السابق (٨٢٥/٢).

الجوارح فقط، فقال: ((إن الناس يتفاضلون في إيمان القلب... خلاف قول من زعم من غير المرجئة أن الناس إنما يتفاضلون في إيمان الجوارح الذي هو كسب الأبدان؛ فإنهم زعموا أنهم متساوون في إيمان القلب الذي هو التصديق، وإيمان اللسان الذي هو الإقرار))[1].

ويبدو أن ابن خزيمة قصد بقوله: ((... قول من زعم من غير المرجئة أن الناس إنما يتفاضلون في إيمان الجوارح)) المرجئةَ غير الغلاة منهم؛ فإنهم ينكرون زيادة تصديق القلب.

وقد ذهب إلى هذا القول من المتأخرين الأشاعرة؛ حيث إنهم أجازوا زيادة الإيمان باعتبارات معينة؛ فقالوا: بأن التصديق الذي هو أصل الإيمان لا يزيد ولا ينقص، والزيادة تكون في الأعمال التي هي ثمراته، ويرجع قولهم المخالف في الزيادة إلى اعتقادهم بأن حقيقة الإيمان هو التصديق[2].

وقد رد عليهم بما استدل به على التفاضل بين الناس في إيمان القلب، وهي الأحاديث التي ذُكر فيها إخراج الموحدين من النار بقدر ما في قلوبهم من إيمان، وقد سبق ذكرها.

عرضه لأقوال المخالفين في حكم مرتكب الكبيرة والرد عليهم:

نهج كل من الخوارج والمعتزلة من جهةٍ والمرجئة من جهةٍ أخرى مسلكي الانحراف عن السبيل السوي في معنى الإيمان، وما يترتب عليه من دخول الأعمال في الإيمان، وحكم مرتكب الكبيرة وغيرهما، وقد تناول ابن خزيمة كلا منهما في عرض بيّنٍ وردٍّ سديد بالنصوص الشرعية والتوفيق بينها، مع الاستعانة بالبراهين

---

(١) التوحيد (٢/٧٠٤).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢٢١، ٢١٤) أصول الدين للبغدادي (٢٥٢)، شرح العقائد النسفية للتفتازاني (١٩٥)، والمسامرة شرح المسايرة، لكمال الدين محمد بن محمد الشافعي، المعروف بابن أبي شريف المقدسي، تحقيق: كمال الدين قاري وعز الدين معميش، الطبعة: الأولى، (المكتبة العصرية، بيروت، عام١٤٢٥هـ) (٣٠٦)، وتحفة المريد للبيجوري (١٠٠).

العقلية والمعارضات التي لا تبقي لذي لب شبهةً في الأخذ بتلك الأقوال.

وقبل بيان منهجه أشير إلى منهج تلك الفرق في الإيمان وما ترتب عليه قولهم في حكم مرتكب الكبيرة.

قد سلك المخالفون في مسائل الإيمان طريقين:

الأول: مسلك الخوارج والمعتزلة:

اتفقت كل من الخوارج والمعتزلة على أن الإيمان: جميع ما أمر الله به؛ فالإيمان عندهم: تصديق القلب وإقرار اللسان وعمل الجوارح.

وقد يبدو أول وهلة أن قولهم موافق لأهل السنة إلا أنهم -على التحقيق- مخالفون في كون اعتبار الإيمان كلاً لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله، أما أهل السنة فهم يعتبرون جنس العمل ركنًا في الإيمان، وأفراد العمل من كمال الإيمان[(١)]، وأن الإيمان يتبعض وينقص ولا يزول بالكلية بالمعاصي التي هي دون الكفر[(٢)].

وترتب على ذلك اتفاق كل من الخوارج والمعتزلة على أن أصحاب الكبائر الذين يموتون عليها خالدون مخلدون في النار.

أما عن اسمه في الدنيا وحكمهم عليه فاختلفوا فيه؛ فغالب الخوارج قالت: بأنه كافرٌ، أما المعتزلة فقالوا: هو ليس بمؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان[(٣)].

الثاني: مسلك المرجئة:

تعددت أقوال المرجئة في معنى الإيمان، مع اتفاق تلك الأقوال على إخراج

---

(١) سوى الصلاة، حيث الخلاف في كفر تاركها معلوم.

(٢) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٢٠٤/٥).

(٣) انظر في بيان أقوالهم: مقالات الإسلاميين للأشعري (٣٣٨/١، ٣٢٩، ٢٠٤، ١٦٨)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (٦٦٦)، وأصول الدين للبغدادي (٢٤٩)، والفرق بين الفرق للبغدادي (١١٩)، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢٠٦/٢)، (١٣/٣).

الأعمال عن مسمى الإيمان، وحاصل أقوالهم فيه ثلاثة[(١)]:

الأول: أن الإيمان مجرد ما في القلب من المعرفة والتصديق، وعامة هؤلاء يدخلون أعمال القلوب في الإيمان كالمحبة والخوف، ومنهم من لا يدخلها كالجهم بن صفوان ومن تابعه.

الثاني: أن الإيمان مجرد الإقرار باللسان، وهذا القول «اختصت به الكرامية وابتدعته، ولم يسبقها أحدٌ إلى هذا القول»[(٢)].

وزعم أصحاب هذا القول «أن إيمان المنافقين كإيمان الأنبياء والملائكة وسائر المؤمنين، وزعموا أن المنافقين مؤمنون حقًا»[(٣)].

وحكمهم بالإيمان للمنافق في الدنيا، أما في الآخرة فيقولون: إنه في النار؛ فهم يخالفون في الاسم دون الحكم[(٤)].

الثالث: أن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، وهو ما يسمى بإرجاء الفقهاء؛ فقد قال به أبو حنيفة النعمان وجماعة من الفقهاء[(٥)].

وعليه فإن حكم مرتكب الكبيرة عند المرجئة على اختلاف درجاتهم: أنه في الدنيا مؤمن كامل الإيمان، ذلك أن الإيمان عندهم شيء واحد، ولا يُكَفَّر بتلك الكبيرة.

أما في الآخرة فهو داخل تحت الذم؛ فقد يدخل النار، لكن لا يخلّد فيها[(٦)].

---

(١) انظر في بيان تلك الأقوال: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢١٣/١)، وأصول الدين للبغدادي (٢٤٩)، والفرق بين الفرق للبغدادي (٢٠٢)، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢٠٦/٢)، (١٣/٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٦/١٣).

(٣) أصول الدين للبغدادي (٢٥٠).

(٤) انظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى) (٥٥٠/٧).

(٥) انظر: التمهيد (٤١/١٥).

(٦) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (٧٩/٤)، وأصول الدين للبغدادي (٢٥٠)

فهم مع كونهم مخطئين في التسمية ومخالفين في ذلك القرآن والسنة إلا أن خلافهم مع أهل السنة في بعض جوانبه خلاف لفظي، يقول شيخ الإسلام: ((والمرجئة تقول هو -أي مرتكب الكبيرة- مؤمن تام الإيمان لا نقص في إيمانه، بل إيمانه كإيمان الأنبياء والأولياء، وهذا نزاع في الاسم. ثم تقول فقهاؤهم ما تقوله الجماعة في أهل الكبائر: فيهم من يدخل النار وفيهم من لا يدخل كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، واتفق عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ فهؤلاء لا ينازعون أهل السنة والحديث في حكمه في الآخرة، وإنما ينازعونهم في الاسم))(١).

وقد ذكر ابن خزيمة ~ قول كل من المرجئة والخوارج، مستوعبًا غالب ما يتعلق بتلك الأقوال والتي تركزت فيما يأتي:

-قولهم في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا والآخرة.

-الأدلة التي ذهب إليها أصحاب كل قول.

-مناقشة تلك الأدلة والرد عليها.

أولًا: منهجه في عرض قول المرجئة في حكم مرتكب الكبيرة والرد عليهم.

أشار إلى قولهم فيه في الدنيا دون أن يفرق بين فِرَقِهِم؛ حيث ذكر أن المرجئة ((توهمت أن مرتكب هذه الذنوب والخطايا كامل الإيمان، لا نقص في إيمانهم))(٢).

أما عن حكمهم عليه في الآخرة فقد أشار إلى فرقتين من المرجئة وهما:

الأولى: ((الغالية من المرجئة التي تزعم أن النار حرمت على من قال: لا إله إلا الله، تتأول هذه الأخبار التي رويت عن النبي في هذه اللفظة على خلاف تأويلها))(٣).

الثانية: المرجئة غير الغالية، وهي التي كفرت بنصوص الوعيد ((وأنكرتها

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢٨٤/٥).

(٢) التوحيد (٨٥٧/٢).

(٣) المصدر السابق (٧٧٠/٢).

ودفعتها جهلاً منهم بمعانيها))(١).

وقد أفاض ابن خزيمة في ذكر أدلة المرجئة، ويمكن تقسيم تلك الأدلة إلى الأقسام الآتية:

القسم الأول: النصوص المخبرة بعدم دخول الموحدين النار أو تحريمها عليهم أو حجبهم عنها، ومنها قوله ﷺ: ((لا يدخل النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان))(٢).

وكذلك قوله ﷺ: ((لن يُوافَى عبدٌ يوم القيامة وهو يقول لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله؛ إلا حرم الله عليه النار))(٣).

القسم الثاني: النصوص المخبرة بدخول الموحدين الجنة ووجوبها لهم.

ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: ((من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة؛ فقال: يا رسول الله أفلا أُبشِّر الناس؟ قال: لا، إني أخاف أن يتكلوا))(٤).

القسم الثالث: النصوص المخبرة بدخول الموحدين الجنة مع الإتيان ببعض الكبائر.

ومنها قوله ﷺ: ((قال لي جبريل: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، أوْ لَمْ يدخل النار، قال: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن))(٥).

---

(١) التوحيد (٨٣٧/٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، (٩٣/١، برقم:١٤٧)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الرقاق، باب: العمل الذي يبتغى به وجه الله، (٢٤٢/١١، برقم:٦٤٣٢)، من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهة أن لا يفهموا، (٢٢٧/١، برقم:١٢٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، (٣٠٦/٦، برقم:٣٢٢٢)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

مناقشة ابن خزيمة لأدلة المرجئة والرد عليها:

أجاب ابن خزيمة ~ على ما احتجّت به المرجئة، ويمكن تلخيص ذلك فيما يأتي:

- مهّد ~ لبطلان تلك الحجج بذكر النصوص التي تعارض ما ذهبت إليه غالية المرجئة من تحريم النار على الموحدين؛ وفقد أكّد أنه ((قد يدخل النار بارتكاب المعاصي في الدنيا -إذا لم يتفضل الله ولم يتكرم بغفرانها- مَنْ كان في الدنيا يعمل الأعمال الصالحة من الصيام والزكاة والحج والغزو))[١].

ومما استدل به على ذلك قوله ﷺ: ((ليفقد المؤمنون رجالاً كانوا معهم في الدنيا يصلون صلاتهم ويزكون زكاتهم ويصومون صيامهم ويحجون حجهم ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربنا، عبادٌ من عبادك كانوا معنا في الدنيا يصلون صلاتنا، ويُزَكُّون زكاتنا ويصومون صيامنا ويحجون حجنا ويغزون غزونا، لا نراهم، قال: فيقال: اذهبوا إلى النار فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، فيجدونهم قد أخذتهم على قدر أعمالهم؛ فمنهم من أخذته إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أخذته إلى ثديه، ومنهم من أخذته إلى عنقه)) الحديث[٢].

ثم ذكر أن في هذه الأحاديث دلالة على أن النار ((تأخذ من أجساد الموحدين وتصيب منهم على قدر ذنوبهم وخطاياهم وحوباتهم التي كانوا ارتكبوها في الدنيا))[٣]، وفيها الرد على ((من زعم ممن لم يتحر العلم ولا فهم أخبار النبي: أن النار لا تصيب أهل التوحيد ولا تمسهم))[٤].

---

(١) التوحيد (٧٦٥/٢).

(٢) سبق تخريج الحديث ص٤٣٠..

(٣) التوحيد (٧٦٥/٢).

(٤) المصدر السابق (٧٦٥/٢).

استخدم ابنُ خزيمة في الرد على حجج المرجئة وتأكيد فساد ما سلكوه من فهم قاصر للنصوص بيانَ معناها؛ ممهِّدًا لذلك بما تأصل عند أهل السنة من ائتلاف النصوص وعدم تعارضها، وقد ذكر مثالاً في التأليف وإن كان ظاهرها التعارض: وهو قوله ﷺ: ((لا يدخل النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان))[1] وقوله ﷺ: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان))[2]، يقول ~ : ((العلم محيط أن من لم يدخل موضعا لم يُقَل: يخرج))[3].

فظاهر النصين التعارض فإنه يستحيل أن يخرج من موضع لم يدخل فيه في الأصل، وبالتأليف بين تلك النصوص يظهر أن المعنى ((يخرج من النار ممن كان في قلبه ذرة من إيمان: إنما أخرج من موضع النار غير الموضع الذي خبر النبي أنه لا يدخل ذلك الموضع من النار))[4]، واللغة تقوي هذا المعنى وتؤيده؛ فكل عالم بلغة العرب لا يشك بجواز ((أن يقول القائل: لا أدخل الدار، إنما يريد بعض الدور، كذلك يقول أيضاً: لا أدخل دار فلان، ولفلان دور ذوات عدد، إنما يريد أني لا أدخل بعض دوره، لا أنه إنما يريد لا أدخل شيئاً من دور فلان))[5].

وكيف يُظَن برسول الله ﷺ الناطق بالوحي التناقض في كلامه، فإن كان من أفراد الناس ((الصادق عند السامع الذي لا يُتَّهَمُ بكذب، إذا سمعه يقول: لا أدخل دار فلان، ثم يقول بعد مدة قصيرة أو طويلة: أدخل دار فلان؛ لم يتوهم من سمع من الصادق هاتين اللفظتين أن إحداهما خلاف الأخرى، إذا كان المتكلم بهاتين

---

(١) سبق تخريجه ص٤٧٧.

(٢) أخرجه البخاري غي صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصانه، (١/١٠٢، برقم:٤٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١/١٨٢، برقم:٣٢٥)، من حديث أنس ﷺ بلفظ قريب.

(٣) التوحيد (٢/٨٧٦).

(٤) المصدر السابق (٢/٨٧٦).

(٥) المصدر السابق (٢/٨٧٦).

اللفظتين عندهم ورعًا دينًا فاضلاً صادقًا، ويعلم من سمعه ممن يعلم أنه لا يكذب أنه إنما أراد بقوله: لا أدخل دار فلان، إذا سمع اللفظة الثانية: أدخل دار فلان، أنه أراد بالدار التي ذكر أنه لا يدخلها غير الدار التي ذكر أنه يدخلها))(١).

ورسولنا عليه الصلاة والسلام أولى بذلك التصديق، يقول ابن خزيمة: ((وجب على كل مسلم يُقرُّ بنبوة النبي، ويستيقن أنه أبر الخلق وأصدقهم وأبعدهم من الكذب والتكلم بالتكاذب والتناقض، أن يعلم ويستيقن أن النبي يقول: لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، يريد: لا يدخل شيئًا من المواضع التي يقع عليها اسم النار، ثم يقول: يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، لأن اللفظتين اللتين رويتا عنه إذا حملتا على هذا كانت إحداهما دافعة للأخرى؛ فإذا تؤولتا على ما ذكرنا كانتا متفقتي المعنى، وكانتا من ألفاظ العام التي يراد بها الخاص؛ فافهموا هذا الفصل لا تخدعوا فتضلوا عن سواء السبيل))(٢).

وبعد ذلك التأصيل أكد ~ إن معنى هذه النصوص ((ليس كما يتوهمه المرجئة، وبيقين يعلم كل عالم من أهل الإسلام أن النبي لم يرد بهذه الأخبار أن من قال لا إله إلا الله، أو زاد مع شهادة أن لا إله إلا الله شهادة أن محمدًا رسول الله، ولم يؤمن بأحد من الأنبياء غير محمد، ولا آمن بشيء من كتاب الله ولا بجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب: أنه من أهل الجنة لا يعذب بالنار))(٣).

وما ذكره ابن خزيمة من معانٍ لتلك النصوص يقسّم على ما يأتي(٤):

أولاً: معنى أحاديث تحريم النار على الموحدين أو على شاهد أن لا إله إلا الله:

ذكر ابن خزيمة أن معناها: أن الله ((حرّم على النار أن تأكله، لا أنه حرم على

---

(١) التوحيد (٨٧٦/٢).

(٢) المصدر السابق (٨٧٧/٢).

(٣) المصدر السابق (٨١٥/٢-٨١٦).

(٤) وإن كانت في مجموعها رد على ما سبق تقسيمه من أدلة المرجئة.

النار أن تؤذيه أو تمحشه أو تمسه))[١]، ودليله على ما تأول به تلك النصوص ألفاظٌ أخرى كقوله ﷺ: ((من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فلم تطعمه النار، -أو قال-: لن يدخل النار))[٢].

هذا توجيهه ~ ، وقد وجه بعض أهل العلم هذه النصوص بعدة توجيهات، منها[٣]:

١-أن هذا الحديث كان قبل الفرائض والحدود، وقد اعتُرض عليه بأن الصلوات الخمس فرضت بمكة قبل ذلك.

٢-أن التحريم هو تحريم نار الكافرين؛ فهي محرمةٌ على المؤمنين.

٣-أن التحريم يُراد به تحريم استيعاب أجزاءه وإن مسّت النار بعضه، وهو موافق لتحريم أكل النار مواضع السجود كما في النصوص؛ ففيه ذكر الكل وإرادة البعض.

٤-أن التحريم يقصد به تحريم الخلود في النار.

٥-أن هذا النص مطلق تقيده نصوصٌ أخرى، والنصوص المقيدة هي المشتملة على الإتيان بشروطها، والانتهاء عن موانعها.

ثانيًا: معنى أحاديث نفي دخول الموحدين النار؛ فقد ذكر لها معنيين:

المعنى الأول: أي ((لا يدخلون النار موضع الكفار والمشركين من النار))[٤].

---

(١) التوحيد (٧٧٧/٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، (٦١/١، برقم:٥٢)، من حديث عتبان ﷺ، بلفظ قريب.

(٣) انظر في بيان تلك التوجيهات: فتح الباري لابن حجر (٢٦٩/١١)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٤٨٤)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العُلى محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، مراجعة: عبدالوهاب عبداللطيف، د.ط، (دار الفكر، د.ت). (٥٠١/٢).

(٤) التوحيد (٨٧٥/٢).

وقد استدل على ذلك المعنى بنص القرآن فقال: ((خبر الله ﷻ أن للنار سبعة أبواب؛ فقال لإبليس: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾[2]؛ فأعلمنا ربنا ﷻ أنه قسم تابعي إبليس من الغاوين سبعة أجزاء على عدد أبواب النار؛ فجعل لكل باب منهم جزءًا معلومًا))[3].

وكل ((مرتكب معصية زجر الله عنها فقد أغواه إبليس))[4].

و ((اسم الغاوي قد يقع على مرتكب خطيئة قد زجر الله عن إتيانها، وإن لم تكن تلك الخطيئة كفرًا ولا شركًا))[5]، ((فمن لم يغفر الله له حوبته التي أرتكبها وأوقع عليها اسم غاوٍ؛ فهو داخل في الأجزاء جزاء وقسمًا لأبواب النار السبعة))[6]، ولكن ((محال أن يكون المؤمن الموحد لله ﷻ قلبه ولسانه، المطيع لخالقه في أكثر ما فرض الله عليه وندبه إليه من أعمال البر غير المفترض عليه، المنتهي عن أكثر المعاصي وإن ارتكب بعض المعاصي والحوبات؛ في قسم من كفر بالله ودعا معه آلهةً، أو جعل له صاحبةً أو ولدًا تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ولم يؤمن أيضًا بشيء مما أمر الله بالإيمان به، ولا أطاع الله في شيء أمره به من الفرائض والنوافل، ولا انزجر عن معصية نهى الله عنها؛ محال أن يجتمع هذان في درجة واحدة من النار))[7].

بل إن الكافرين -على كفرهم- فإن دركاتهم في النار متفاوتة، يقول ابن خزيمة: ((والله ﷻ لم يجمع بين جميع الكفار في موضع واحد من النار ولا سوى بين

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٤.

(٣) التوحيد (٢/٨٣٤).

(٤) المصدر السابق (٢/٨٣٤).

(٥) المصدر السابق (٢/٨٣٤).

(٦) المصدر السابق (٢/٨٣٤).

(٧) المصدر السابق (٢/٨٣٤-٨٤٥).

عـذاب جمـيعهم قـال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[(١)]، وقـال: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[(٢)]))[(٣)].

واستخدم ابن خزيمة الدليل العقلي على أن عدم دخول النار في النصوص يعني: عدم دخول موضع الكفار منها فقال: ((والعقل مركب على أن يعلم أن كل من كان أعظم خطيئةً وأكثرَ ذنوبًا -لم يتجاوز الله عن ذنوبه- كان أشد عذابًا في النار، كما يعلم كل عاقل أن كل من كان أكثرَ طاعة لله ﷻ وتقربًا إليه بفعل الخيرات واجتناب السيئات كان أرفع درجة في الجنان وأعظم ثوابًا وأجزل نعمة، فكيف يجوز أن يتوهم مسلم أن أهل التوحيد يجتمعون في النار في الدرجة مع من كان يفترى على الله ﷻ فيدعو له شريكًا أو شركاء، فيدعو له صاحبة وولدًا، ويكفر به ويشرك، ويكفر بكل ما أمر الله ﷻ بالإيمان به، ويكذب جميع الرسل ويترك جميع الفرائض، ويرتكب جميع المعاصي؛ فيعبد النيران ويسجد للأصنام والصلبان؟))[(٤)].

المعنى الثاني: أن معنى نفي دخول النار للموحدين أنه ((لا يدخل النار دخول الأبد كدخول أهل الشرك والأوثان، كما قال النبي ﷺ: ((أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون))[(٥)] [(٦)].

والمجادلة بتوضيح النصوص والتأليف بين ألفاظها مما يدحض حجج المخالفين؛ لذا نجده ~ غالبًا ما يشير إلى أن سبب ضلال المخالفين عدم فهمهم الصحيح لها[(٧)].

وزيادة في أهمية هذه المسألة فقد حذر ~ من أن من لم يفهم تلك النصوص

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٣) التوحيد (٢/٨٣٥-٨٣٦).

(٤) المصدر السابق (٢/٨٣٥).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، (١/١٧٢، برقم:٣٠٦)، من حديث أبي سعيد ﷺ.

(٦) التوحيد (٢/٨٧٥).

(٧) انظر: المصدر السابق (٢/٧٦٩-٧٧٠).

ويؤلف بينها ((لم يجد بدًا من تكذيب الأخبار الثابتة المتواترة))(١).

-مما رد به ابن خزيمة على ما سلكته المرجئة في حكم مرتكب الكبيرة أسلوب المعارضة(٢).

فقد عارض مسلك المرجئة في استدلالهم بمسلك الجهمية القائلين بأن الإيمان هو المعرفة كما تبين سابقاً، يقول ~ : ((ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار - وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم وخلاف كتاب الله وخلاف سنن النبي- جاز للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي إذا تؤولت على ظاهرها استحق من يعلم أن الله ربه وأن محمدًا نبيه الجنة، وإن لم ينطق بذلك لسانه))(٣).

وامتدادًا في التبكيت بالمرجئة عارضهم باستدلال الجهال بدين الإسلام ببعض النصوص التي قد يوحي ظاهرها أن الأعمال المنصوص عليها موجبة للجنة، مع ارتكاب جميع المعاصي، وهو بذلك يؤكد أن طرد هذا الاستدلال يفتح للمخالفين الباب للانسلاخ من الشريعة، إذ أنه ((لم يؤمَن أن يحتج جاهل معاند فيقول بل الإيمان: إقامة صلاة الفجر وصلاة العصر، وأن مصليها يستوجب الجنة ويعاذ من النار وإن لم يأت بالتصديق ولا بالإقرار بما أمر أن يصدق به ويقر به، ولا يعمل بشيء من الطاعات التي فرض الله على عباده، ولا انزجر عن شيء من المعاصي التي حرمها الله))(٤).

ولا يؤمَن أن ((يدعي جاهل آخر أن الإيمان عتق رقبة مؤمنة، ويحتج بأن النبي قال: (من أعتق رقبة مؤمنة أعتقه الله بكل عضو منه عضوًا من النار)(٥)))(٦).

----

(١) التوحيد (٢/٨٣٥).

(٢) سبق بيان معنى المعارضة، انظر: ص١٦٥.

(٣) التوحيد (٢/٨١٦).

(٤) المصدر السابق (٢/٨٢٦-٨٢٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: كفارات الأيمان باب: قول الله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، (١١/٥٩٩، برقم:٦٧١٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: العتق، باب: فضل العتق، (٢/١١٤٧، برقم:٢٣)، من حديث أبي هريرة ﷺ، بلفظ قريب.

(٦) التوحيد (٢/٨٣٠).

بل قد يدعي ((جاهل آخر أن جميع الإيمان صوم يوم في سبيل الله، ويحتج بأن النبي قال: ((من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا))[١]))[٢].

ثم وضّح حقيقة تلك النصوص التي ضلت فيها المرجئة بقوله: ((وهذا الجنس من فضائل الأعمال يطول بتقصيه الكتاب، وفي قدر ما ذكرنا غنية وكفاية لما له قصدنا أن النبي إنما خبر بفضائل هذه الأعمال التي ذكرنا وما هو مثلها، لا أن النبي أراد أن كل عمل ذكره أعلم أن عامله يستوجب بفعله الجنة، أو يعاذ من النار أنه جميع الإيمان، وكذلك إنما أراد النبي بقوله: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة أو حرم على النار" فضيلة لهذا القول، لا أنه جميع الإيمان كما ادعى من لا يفهم العلم ويعاند فلا يتعلم هذه الصناعة من أهلها))[٣].

ثانيًا: منهجه في عرض قول الخوارج والمعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة والرد عليهم.

ذكر ابن خزيمة قول كل من الخوارج والمعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا، وأشار إلى أن قولهم مبني على عدم فهمهم لنصوص الوعيد الواردة في بعض الذنوب؛ فقد أزالوا ((اسم المؤمن عن مرتكبها ومرتكبي بعضها))[٤].

ومن الملاحظ أن ابن خزيمة لم يفرق بين قول المعتزلة والخوارج في حكمهم على مرتكب الكبيرة في الدنيا، مع أن هناك فرقًا بينهما كما مر بيانه سابقًا.

أما حكمهم عليه في الآخرة فقد بيّن أن الخوارج والمعتزلة ((ادعوا أن مرتكب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل الصوم في سبيل الله، (٤٧/٦، برقم:٢٨٤٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق، (٨٠٨/٢، برقم:١٦٨)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) التوحيد (٨٣٠/٢).

(٣) المصدر السابق (٨٣٢/٢).

(٤) المصدر السابق (٨٥٧/٢).

الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلدٌ في النار محرمٌ عليه الجنان))[١].

يقول ~ مبيِّنًا أصلهم الفاسد ((الخوارج والمعتزلة أنكرت إخراج أحد من النار ممن يدخل النار وأنكرت هذه الأخبار التي ذكرناها في الشفاعة))[٢] وهو الأصل الذي ترتب عليه حكمهم.

والنصوص التي اعتمدوا عليها كثيرة، وقد أورد ابن خزيمة عددًا منها، وهي في مجموعها تدخل ضمن الأقسام الآتية:

القسم الأول: نصوص تحريم الجنة وريحها، أو عدم دخولها.

ومنها قوله ﷺ: ((من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام))[٣]، وفي رواية: ((لم يرح رائحة الجنة))[٤].

وقوله ﷺ في نفي دخول مرتكبي بعض الذنوب الجنة: ((لا يدخل الجنة قتات))[٥].

القسم الثاني: نصوص إيجاب النار.

ومنها قوله ﷺ: ((من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار))

----

(١) التوحيد (٨٣٦/٢).

(٢) المصدر السابق (٧٦٩/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الفرائض، باب: من ادعى إلى غير أبيه، (٥٤/١٢، برقم:٦٧٦٦)، وكتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، (٨٠/١، برقم:١١٥)، من حديث سعد وأبي بكرة }.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الحدود، باب: باب من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، (٨٧٠/٢، برقم:٢٦١١)، من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٩٠/٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: الأدب، باب: ما يكره من النميمة، (٤٧٢/١٠، برقم:٦٠٥٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم النميمة، (١٠١/١، برقم:١٦٩)، من حديث حذيفة ﷺ.

الحديث[1].

مناقشة ابن خزيمة لأدلة الخوارج والمعتزلة والرد عليها:

ذكر ابن خزيمة أن هذه النصوص ضلت فيها الخوارج والمعتزلة وجهلت معناها، وبيّن أن هذا الصنف من الذنوب الوارد في النصوص ((ليس بكفر، ولا يزيل الإيمان بأسره، لا على ما تتوهمه الخوارج والمعتزلة))[2]، ثم إنه بيّن معاني تلك النصوص وذكر أنها على أحد ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: أن الأخبار التي ذكرت أن ((من فعل كذا لبعض المعاصي حرم الله عليه الجنة، أو لم يدخل الجنة معناها: لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيمًا وسرورًا وبهجة وأوسع، لا أنه أراد لا يدخل شيئًا من تلك الجنان التي هي في الجنة))[3].

وأكد ذلك المعنى بما ثبت وصح أن ((الجنة إنما هي جنان في جنة، وأن اسم الجنة واقع على كل جنة منها على الانفراد))[4].

ودليل ذلك قوله ﷺ: ((يا أم حارثة إنها جنان في جنة وإنه أصاب الفردوس الأعلى))[5].

المعنى الثاني: أنه لا يدخل الجنة أو تحرم عليه الجنة إلا أن يشاء الله أن يعفو عن المذنب ولا يعاقبه، وأوضح ذلك بما هو متقرر عند أهل السنة في نصوص الوعيد؛

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، (١٢٢/١، برقم:٢١٨)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) التوحيد (٨٤٤/٢).

(٣) المصدر السابق (٨٦٨/٢).

(٤) المصدر السابق (٨٧١/٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح) كتاب: الجهاد والسير، باب: من أتاه سهم غرب فقتله، (٢٥/٦، برقم:٢٨٠٩)، من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظ قريب.

فقال: ((كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة، أي: إلا أن يشاء الله أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل؛ فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة، إذ الله ﷻ قد خبر في محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر ما دون الشرك من الذنوب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١)))(٢).

ولكن يَرِدُ على هذا التوجيه أن يُقال: لو نفَذ فيه الوعيد ولم يُغفر له هل لن يدخل الجنة مطلقاً؟ الجواب فيه نظر.

المعنى الثالث: أن معنى نفي دخول الجنة ((لم يدخل الجنة في الوقت الذي يدخلها من لم يرتكب هذه الحوبة؛ لأنه يحبس عن دخول الجنة إما للمحاسبة على الذنب أو لإدخال النار ليعذب بقدر ذلك الذنب، إن كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكب النار، إن لم يعف الله ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب))(٣).

وموقفه في التوفيق بين النصوص وحملها على التوافق والظن بها على أهداها وأتقاها هو الواجب تجاه أحاديث رسول الله ﷺ، لذا ختم توضيحه وتقريره ومناقشته لأدلة المخالفين بقوله: ((فمعنى هذه الأخبار لم يَخْلُ من أحد هذه المعاني، لأنها إذا لم تحمل على بعض هذه المعاني كانت على التهاتر والتكاذب، وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله على ما قال علي بن أبي طالب: ((إذا حدثتم عن رسول الله فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه))(٤)))(٥).



---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) التوحيد (٨٦٩/٢).

(٣) المصدر السابق (٨٧٧/٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٨٣/١)، وقال الأرنؤوط: ((إسناده صحيح على شرط الشيخين))، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٩/١).

(٥) التوحيد (٨٧٨/٢).

المبحث الثاني

منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل النبوات

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: نوم عينيه دون نوم قلبه ﷺ.

المطلب الثاني: أجر نافلته قاعدًا كأجرها قائمًا.

المطلب الثالث: وصال الصوم.

المطلب الرابع: تحريم الصدقة عليه ﷺ، وعلى آله ومواليه.

* *   * *   * *

المبحث الثاني:
منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل النبوات

من أصول الدين الإيمان بالنبوات، وهو أحد أركان الإيمان التي لا يصح لأحد عقده إلا به(١).

والإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ وما يرتبط به أحد ركني كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

إلا أن ابن خزيمة ~ لم يعقد في كتابه التوحيد بابًا متعلقًا بمسائل النبوات، ولم يذكر منها -فيما وصل إلينا من تراثه- سوى جملة من خصائص النبي ﷺ، وقد سبق الحديث عن بعضها: كالشفاعة، والمقام المحمود، والرؤية فليس ثمة حاجة لإعادة بحثها ضمن الخصائص المذكورة هنا، والخصائص المتعلقة بهذا المبحث تتلخص في المطالب الآتية:



(١) انظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٣٩٣/١)، والمنهاج للحليمي (٢٣٧/١-٢٣٨)، شعب الإيمان للبيهقي (٣٧١/١)، وجامع العلوم الحكم لابن رجب (٧٩)، وفتح الباري لابن حجر (١١٨/١)، ومعارج القبول للحكمي (٧٨/٢).

المطلب الأول:
نوم عينيه دون نوم قلبه ﷺ

النبي عليه الصلاة والسلام يشارك البشر في النوم إلا أن الله فرّق بين نومه ونوم أمته.

يقول ابن خزيمة: ((ذكر ما كان الله ﷻ فرّق به بين نبيه ﷺ وبين أمته في النوم؛ من أن عينيه إذا نامتا لم يكن قلبه ينام))(١).

وقد استدل ~ بحديث عائشة < حين سئلت: ((كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ؟ فقالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا، قالت عائشة فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي))(٢).

وقد ذكر أهل العلم أن الحكمة من هذه الخاصية: أن يعي النبي ﷺ الوحي، يقول القاضي عياض: ((لا ينام قلبه من أجل أن يوحى إليه في النوم))(٣).

ونقل ابن حجر عن الخطابي قوله: ((وإنما منع قلبه من النوم ليعي الوحي الذي يأتيه في منامه))(٤).

وهذه الخصيصة ثابتة له ولغيره من الأنبياء، يدل على ذلك حديث أنس رضي الله عنه في حديثه عن إسراء النبي ﷺ أنه قال: ((جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في

---

(١) الصحيح (٢٩/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، أبواب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، (٣٣/٣، برقم:١١٤٧)، وكتاب: صلاة التراويح، باب: فضل من قام رمضان، وكتاب: المناقب، باب: كان النبي ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل، وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة، (٥٠٩/١، برقم:١٢٥).

(٣) الشفا (١٥٤/٢).

(٤) فتح الباري (٢٣٩/١).

المسجد الحرام؛ فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك، فلم يرهم حتى جاؤوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه، والنبي ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء))[١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: المناقب، باب: كان النبي ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، (٥٧٩/٦، برقم:٣٥٦٩).

المطلب الثاني:
أن أجر نافلته قاعدًا كأجرها قائمًا

عقد ابن خزيمة بابًا في صحيحه لتأكيد هذه الخصيصة؛ حيث يقول: ((باب ذكر ما كان الله عَجَلَّ خص به نبيه ﷺ المصطفى في الصلاة قاعداً؛ فجعل صلاته قاعدًا كالصلاة قائمًا في الأجر))[1].

ودليله على ذلك حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه: ((رأيت رسول الله ﷺ يصلي جالسًا، قلت: حُدِّثتُ أنك تقول: إن صلاة الجالس على النصف من صلاة القائم، قال: أجل ولكني لست كأحد منكم))[2].

يقول النووي تعليقًا على الحديث: ((وأما قوله ﷺ: "لست كأحد منكم" فهو عند أصحابنا من خصائص النبي ﷺ؛ فجُعلت نافلته قاعدًا -مع القدرة- كنافلته قائمًا تشريفًا له))[3].



---

(١) (٢/٢٣٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا وفعل بعض الركعة قائمًا وبعضها قاعدًا، (١/٥٠٧، برقم:١٢٠).

(٣) شرح صحيح مسلم (٦/٥٨٦).

المطلب الثالث:
وصـــال الصـــوم

مما اختُص به عليه الصلاة والسلام وصاله للصوم.

يقول ابن خزيمة: ((ذكر ما خص الله به نبيه ﷺ من إباحة الوصال، إذ الله تبارك وتعالى فرّق بينه وبين أمته في ذلك، أن كان الله يطعمه ويسقيه بالليل دونهم، مكرمة له ﷺ))(١).

وقد أورد أدلة عدة على تلك الخصيصة، منها:

قوله ﷺ: ((إياكم والوصال، قالوا: يا رسول الله إنك تواصل؟ قال: إني لست كأحدكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني))(٢).

ولأهل العلم تفسيرات عدة لقوله: ((إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني))، منها:

-أن يكون الكلام على ظاهره وحقيقته؛ فتكون كرامة له عليه الصلاة والسلام لا تبطل عبادته(٣).

-المقصود به لازم الطعام وهو القوة؛ فكلامه كناية عن القوة الناتجة عن الطعام والشراب(٤)، وقد نسب ابن حجر هذا القول إلى الجمهور(٥).

---

(١) الصحيح (٢٧٩/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، مع الفتح، كتاب: الصوم، باب: الوصال، (٢٠٣/٤، برقم:١٩٦٣)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصيام، باب: النهي عن الوصال في الصوم، (٧٧٤/٢، برقم:١١٠٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبدالله محمد بن علي المازري، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، الطبعة: الثانية، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام: ١٩٩٢م) (٣٣/٢)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٤٠/٤)، والمفهم للقرطبي (١٦٠/٣)، وفتح الباري لابن حجر (٢٠٧/٤)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢٢٠/٧).

(٤) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٤٠/٤)، والمفهم للقرطبي (١٦٠/٣)، وفتح الباري لابن حجر (٢٠٧/٤)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢٢٠/٧).

(٥) انظر: فتح الباري (٢٠٧/٤)

-أن المعنى: أن الله يخلق فيه الشبع والري بما يغنيه عن الطعام والشراب[١].

-أن المعنى: انشغاله عليه الصلاة والسلام عن الطعام والشراب بالتفكر في عظمة الله سبحانه وتعالى والتملي بمشاهدته، والتغذي بمعارفه وقرة العين بمحبته والاستغراق في مناجاته[٢]. والله تعالى أعلم.

وقد ذهب إلى القول الأخير ابن القيم ~ ، يقول في ذلك: ((ومن له أدنى تجربة وشوق، يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني... فكيف بالحبيب الذي لا أجلّ منه، ولا أعظم ولا أجمل ولا أكمل... ولهذا قال: "إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني"، ولو كان ذلك طعامًا وشرابًا للفم لما كان صائمًا فضلاً عن كونه مواصلاً))[٣].

ولعل ابن خزيمة ~ ذهب إلى القول الأول في كون الكلام على ظاهره وحقيقته، ولكن اختلف عن هذا القول بأنه كان في الليل، يشير إلى ذلك قوله: ((كان الله يطعمه ويسقيه بالليل دونهم، مكرمة له صلى الله عليه وسلم))[٤].



----

(١) انظر: المعلم للمازري (٣٣/٢)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٤٠/٤)، والمفهم للقرطبي (١٦٠/٣).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٠٧/٤)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (١٨٤/١).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة: الرابعة عشرة، (مؤسسة الرسالة بيروت، عام: ١٤٠٧هـ) (٣٢/٢).

(٤) الصحيح (٢٧٩/٣).

المطلب الرابع:
تحريم الصدقة عليه ﷺ، وعلى آله ومواليه

من خصائصه عليه الصلاة والسلام أن الصدقة عليه حرام وعلى آله مواليه، وقد أشار إلى هذا ابن خزيمة ~ وذكر أن الصدقة تحرم على النبي عليه الصلاة والسلام وعلى آله وكذلك مواليهم(١).

والأدلة على ذلك كثيرة، ومما استدل به ~ قوله ﷺ: ((إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد)) الحديث(٢).

أما تحريمها على الموالي فاستدل عليه بقوله: ((أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة؛ فقال لأبى رافع: اصْحَبْني كيما تُصيِبَ منها؛ فقال: لا، حتى آتى رسول الله ﷺ فأسأله، فانطلق إلى النبي ﷺ فسأله، فقال: إن الصدقة لا تَحِلُّ لنا، وإن موالى القوم من أَنْفُسِهِمْ))(٣).



---

(١) انظر: الصحيح (٤/٥٥-٥٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: ترك استعمال آل النبي على الصدقة، (٧٥٦/٢، برقم:١٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزكاة، باب: كراهية الصدقة للنبي ﷺ وأهل بيته ومواليه، (٤٦/٣، برقم:٦٥٧)، من حديث أبي رافع ﷺ، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح، وأبو رافع مولى النبي ﷺ اسمه: أسلم، وابن أبى رافع هو: عبيد الله بن أبى رافع، كاتب على بن أبى طالب ﷺ"، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي (١٥٧/٢).

المبحث الثالث

منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الصحابة

<u>وفيه مطلبان</u> :

المطلب الأول: منهج أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي { .

المطلب الثاني: منهج ابن خزيمة في المفاضلة بين عثمان وعلي { .

* *　**　* *

المبحث الثالث:
منهج ابن خزيمة في تقرير مسائل الصحابة

الصحابة رضوان الله عليهم صفوة الأمة وأكملها، ((وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنّاهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين))[(١)].

والحديث عن الصحابة ومكانتهم واعتقاد فضلهم من معاقد الدين التي حظيت بعناية السلف وكلامهم.

ومن المسائل المتعلقة بالصحابة رضوان الله عليهم: المفاضلة بينهم؛ فمن المعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم مشتركون في العدالة، متفاوتون في الفضل.

والحديث في هذا المطلب يتعلق بالمفاضلة بين عثمان وعلي { ، ويتضمن ما يأتي:



---

(١) نقله عن الإمام الشافعي البيهقي في: مناقب الشافعي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، د.ط، (مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت) (١/٤٤٢).

المطلب الأول:
منهج أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي {

أطبقت أقوال أئمة أهل السنة على أن أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ: أبو بكر ثم عمر { .

يقول ابن حجر الهيتمي(١): ((اعلم أن الذي أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الأمة أن أفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق ثم عمر))(٢).

وقد استدلوا على ذلك بأدلة عدة منها: ما صح عن علي ﷺ أنه قال: ((خير هذه الأمة، بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، ولو شئت سميت الثالث))(٣).

ولكن اختلفوا بعدهما في المفاضلة بين عثمان وعلي { ، يقول الإمام الشافعي ~ : ((ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان))(٤).

ويقول يحيى بن سعيد القطان(٥): ((من أدركت من أصحاب النبي ﷺ والتابعين

---

(١) هو: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي المصري ثم المكي، فقيه شافعي، ولد سنة: ٩٠٩هـ، ومات سنة: ٩٧٣هـ بمكة، من مصنفاته: "الإرشاد"، و"الزواجر عند اقتراف الكبائر"، انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٣٧٠/٤)، والبدر الطالع للشوكاني (١٢٤).

(٢) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، لأحمد بن حجر الهيتمي المكي، د.ط (مكتبة الحقيقة، استانبول، طبعة عام: ١٤٢٤هـ) (٧٩)، وانظر: السنة لابن أبي عاصم (٥٥٢/٢)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٥٧٤/٢)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٥٧/١٥)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٣٦٧/٧)، وفتح الباري لابن حجر (٣٤/٧). وتدريب الراوي للسيوطي (٦٨٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠١/٢، برقم: ٨٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٠/٢، برقم:١٢٠١)، وصححه الألباني في تخريجه على السنة (٥٧٠/٢)

(٤) نقله البيهقي في الاعتقاد (١٩٢).

(٥) هو: أبو سعيد، يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي مولاهم البصري، القطان، اتُفِقَ على إمامته وجلالة علمه وصلاحه وتقواه، وهو من الحفاظ الأثبات، توفي سنة: ١٩٨هـ، انظر: العبر للذهبي (٢٥٥/١)، =

لم يختلفوا في أبي بكر وعمر وفضلهما، إنما كان الاختلاف في علي وعثمان))[١].

ومجموع أقوال أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي { ثلاثة:

القول الأول: تفضيل عثمان رضي الله عنه على علي رضي الله عنه، وهو قول جمهور أهل السنة[٢].

القول الثاني: تفضيل علي رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه، وهو قول أكثر أهل الكوفة[٣]، وبه قال سفيان الثوري، وذُكر أنه رجع عنه إلى قول الجمهور[٤].

القول الثالث: التوقف عن المفاضلة بين عثمان رضي الله عنه وعلي رضي الله عنه، وهو قول بعض أهل المدينة، وقال به يحيى بن سعيد القطان، وقال به أيضًا الإمام مالك في أحد قوليه، ولكن رجع عنه إلى تفضيل عثمان على علي {[٥].

= وشذرات الذهب لابن العماد (٤٦٨/٢).

(١) نقله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٣٦٧/٧)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥٣/٣)، والصواعق المحرقة للهيتمي (٧٩).

(٢) انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (١٧٠)، ومعالم السنن، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (شرح سنن أبي داود)، تصحيح: محمد راغب الطباخ، الطبعة: الأولى (المطبعة العلمية، حلب، عام: ١٣٥٢هـ) (٣٠٢/٤)، والإمامة والرد على الرافضة، لأحمد بن عبدالله بن أحمد الاصبهاني، تحقيق: الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة: الأولى (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، عام: ١٤٠٧هـ)، (٢٠٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي، تحقيق: عادل مرشد، الطبعة: الأولى، (دار الأعلام، الأردن، عام: ١٤٢٣هـ) (٥٣٦)، وفتح الباري لابن حجر (١٦/٧)، والصواعق المحرقة للهيتمي (٧٩).

(٣) انظر: معالم السنن، للخطابي (٣٠٢/٤)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢٦/٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٦/٧)، والصواعق المحرقة للهيتمي (٧٩).

(٤) انظر: معالم السنن، للخطابي (٣٠٣/٤)، ومقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، لابن الصلاح أبي عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري، تحقيق: نور الدين عتر، د.ط، (دار الفكر، بيروت، عام: ١٤٠٦هـ) (٢٩٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٦/٧).

(٥) انظر: الاستيعاب لابن عبدالبر (٥٣٥)، وفتح الباري لابن حجر (١٦/٧)، والصواعق المحرقة للهيتمي (٧٩).

لكن ينبغي التنبيه على أن هذا الخلاف قديم، وأن كلمة أهل السنة قد استقرت على تقديم عثمان على علي }[١].

يقول ابن عبدالبر: ((وأهل السنة اليوم على ما ذكرت لك من تقديم أبي بكر في الفضل على عمر، وتقديم عمر على عثمان، وتقديم عثمان على علي، رضي الله عنهم، وعلى هذا عامة أهل الحديث))[٢].

ويقول الطبري: ((فأفضل أصحابه ﷺ: الصديق أبو بكر رضي الله عنه، ثم الفاروق بعده عمر، ثم ذو النورين عثمان بن عفان، ثم أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين))[٣].

وأكّد ابن الصلاح[٤] ذلك الإجماع بقوله: ((وتقديم عثمان هو الذي استقرت عليه مذاهب أصحاب الحديث وأهل السنة))[٥].

ويقول ابن حجر: ((الإجماع انعقد بأخرة بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة))[٦].

----

(١) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٥٥٢/٢)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٥٧٤/٢)، وصريح السنة للطبري (٣٢)، والشريعة للآجري (٢٣١٢/٥)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (٢٧٠)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١٣٦٧/٧)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (٢٨٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٠٦/٣)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٤٩٥)،)، وفتح الباري لابن حجر (١٦/٧)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣١٢/٢).

(٢) الاستيعاب (٥٣٦).

(٣) صريح السنة (٣٢).

(٤) هو : أبو عمرو، عثمان بن صلاح الدين عبدالرحمن بن عثمان الشهْرَزُوري، المعروف بابن الصلاح، أحد الحفاظ، ومن أعلام الأئمة وكبارهم، له باع في علم التفسير والفقه والحديث، من مصنفاته: "علوم الحديث"، توفي سنة: ٦٤٣هـ، انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣٢٦/٨)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٤٣٠/٤)،

(٥) مقدمة ابن الصلاح (٢٩٩).

(٦) فتح الباري (٣٤/٧).

ومما استدل به الجمهور على ذلك ما روي عن عبدالله بن عمر { أنه قال: ((كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان رضي عنهم أجمعين))(١).

و قوله كذلك ((كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ؛ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم))(٢).

يقول ابن حجر بعد إيراده للحديث السابق: ((وحديث الباب حجة للجمهور))(٣).

واستدل الجمهور كذلك على تقديم عثمان بمبايعة الصحابة رضوان الله عليهم له بعد موت عمر رضي الله عنهم جميعًا، واجتماع كلمتهم عليه ﵁(٤).

قال ابن تيمية: ((وهذا إجماع منهم على تقديم عثمان على علي)) (٥).



---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في التفضيل، (٢٠٦/٤، برقم: ٤٦٢٨)، والترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: في مناقب عثمان بن عفان ﵁، (٥٨٨/٤، برقم: ٣٧٠٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٦٦/٢، برقم: ١١٩٠)، وصحح إسناده الألباني في تخريج السنة (٥٦٦/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح)، كتاب: المناقب، باب: فضل أبي بكر ﵁ بعد النبي ﷺ، (١٦/٧، برقم: ٣٤٥٥).

(٣) فتح الباري (١٦/٧).

(٤) انظر: صحيح البخاري (مع الفتح)، كتاب: المناقب، باب: قصة المبايعة، (٦٢/٧، برقم: ٣٤٩٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٤٢٨/٤).

المطلب الثاني: منهج ابن خزيمة في المفاضلة بين عثمان وعلي {

ذكر بعض أهل العلم أن ابن خزيمة قال بتفضيل علي على عثمان { يقول ابن الصلاح: ((وممن نُقل عنه من أهل الحديث تقديم علي على عثمان: محمد بن إسحاق بن خزيمة)) [(١)].

وقال النووي: ((وحكى الخطابي عن أهل السنة من الكوفة تقديم علي على عثمان، وبه قال أبو بكر بن خزيمة)) [(٢)].

وكذلك ذكره ابن حجر في الفتح بقوله: ((وذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمان وممن قال به: سفيان الثوري، ويقال إنه رجع عنه، وقال به ابن خزيمة، وطائفة قبله وبعده))[(٣)].

ولم تسعف المصادر التي وصلت إلينا من مؤلفاته في تجلية هذا القول ومعرفة مأخذه وتعليله.

وهذا القول المنقول عنه مخالف لقول جمهور أهل السنة الذي هو الصواب دون شك.

ومهما يكن؛ فإن يندّ قول هذا الإمام الجليل في مسألة عقدية عن القول الحق شيءٌ نادر لا يكاد يحصل إلا في هذه المسألة ومسألة أخرى مضت[(٤)]؛ ولكل جواد كبوة.

ولا إخاله قد ذهب هذا المذهب إلا لعدم بلوغه حجة جمهور أهل السنة، والله أعلم.

----

(١) مقدمة ابن الصلاح (٢٩٩).

(٢) تقريب النووي (مع تدريب الراوي) (٦٨٣/٢).

(٣) (١٦/٧).

(٤) وذلك في كلامه عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن.

على أن هذه المسألة ليست من المسائل التي يضلل فيها المخالف كما قرر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: ((وإن كانت هذه المسألة -مسألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة))[1].



---

(١) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع الفتاوى) (١٥٣/٣).

الخاتمة

الخاتمـــة

أحمد ربي الكريم أن أعان على إكمال البحث -وهو أهلٌ لذلك- ، وفي خاتمته أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- يتلخص البحث في كونه توضيحًا لمنهج ابن خزيمة في العقيدة، وبيانًا لما ساقه من دلائل نقلية وعقلية، وتوظيفها في تقرير المسائل الاعتقادية ذات الصلة بأركان الإيمان وما يتفرع عنها، وفي رده على الفرق التي تجافت عن المنهج الحق -منهج أهل السنة والجماعة- كالجهمية والمعتزلة والخوارج والمرجئة.

٢- ازدانت كتب السير بعَلَمٍ فذ من أعلامها، وإمام جليل من أئمتها؛ هو الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السُّلَمي مولاهم، النيسابوري الشافعي، إمام الأئمة، المولود بنيسابور سنة ثلاث وعشرين ومائتين، والمتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

٣- نشأ ابن خزيمة في حضن أسرة محبة للعلم راعية له والتي أثْرَت حياته العلمية، ثم إنه تلقى العلم عن أئمة أثبات كانوا أركانًا للعلم، كإسحاق بن راهويه ومحمد بن حميد الرازي والبخاري ومسلم رحمهم الله.

٤- تعرض ابن خزيمة لمحنة دارت بينه وبين أخص جلسائه، سعى في الوشاية بها بعض أهل البدع.

٥- ترصد بعض الحاقدين لابن خزيمة برميه بتهم زائفة، والتي تلاشت أمام ما شُهد له من دين وورع وعلم وخلق.

٦- تبين من خلال البحث أن مصدر التلقي والاستدلال عند الإمام ابن خزيمة: الوحي الشريف -كتابًا وسنة-، مع اعتنائه بنقل إجماع السلف، وعدم إغفاله للعقل.

٧- ترسم ابن خزيمة في منهجه هدي السلف -رحمهم الله-وبدا ذلك في: انتسابه إليهم وثنائه عليهم، ودفاعه عما رموا به من مخالفيهم، مع بغض البدع ومنابذة أهلها.

٨- لمنهج ابن خزيمة في الاستدلال مميزات جعلت منه موردًا زلالاً يصدر عنه من أراده، وهذه السمات على قسمين:

الأول: السمات العامة: كالإسهاب في سرد الأدلة وإشباع ما يقرره بها وشفعها بأوجه الدلالة منها، وإزالة ما قد يرد من إشكالات، وتوج ذلك الاستدلال دقةٌ منه ~ في الاستنباط.

الثاني: السمات الخاصة، وتتلخص فيما يأتي:

- استخدامه طرقًا عدة لتفسير القرآن الكريم؛ كتفسير القرآن بالقرآن، وبالحديث، وبأقوال الصحابة والتابعين، ودلالة اللغة.
- عنايته بتفسير الحديث النبوي، وتوضيح دلالته بطرق عدة؛ كتفسيره بالقرآن الكريم، وبالحديث، وأقوال الصحابة والتابعين، واللغة العربية.
- ورعه ~ ، وتجافيه عن الاحتجاج بالأحاديث الواهية.
- عنايته بغريب الحديث وعلم مختلف الحديث وتوظيفه لهما في إزالة ما يشكل على الذهن من تعارض.
- رفضه إخضاع مسائل الاعتقاد للعقل والرأي، وتأكيده لضرورة تسليم العقل للشرع وعدم مخالفته له، مع إعطائه للعقل منزلته؛ فهو خادم للنص لا حاكم عليه.

٩- اتسم منهج ابن خزيمة في رده على المخالفين بسمات جمة وهي:

- توجُهُ همه وهمته إلى الدفاع عن الحق ورد الباطل مع القوة والتحدي للمخالفين وأقوالهم.
- تنوع عرضه في ذكر المخالفين وأقوالهم، إسهابًا وإشارة أو إعراضًا في بعض أحيانه، كل حسب ما يخدم المقام.
- قوة ابن خزيمة في إلزامه للخصم بتنزله له.
- توظيف ابن خزيمة لقواعد الصفات في الرد على المخالفين.

• تأكيده على عِوج منهج المخالفين بإبراز صفاتهم كالجهل بالقرآن والسنة ومعارضتهم لهما، والتجني على أهل السنة، مع التمويه على الناس والجرأة على الحق، وغيرها من الصفات.

١٠- اعتمد ابن خزيمة على أسس قوية في الرد على المخالفين، وهي:

• الكتاب والسنة؛ فهما الحَكَم في تأكيد ضلال أقوال المخالفين، وذلك من خلال استدلاله بالآيات الواضحات والأحاديث البينات لإثبات الحق، وبيان المعاني اللطيفة الدقيقة المشتملة على الهدى الملزمة للمخالفين بالتسليم له.

• اللغة العربية؛ فقد اعتنى بعلوم اللغة المختلفة كالنحو وعلم معاني المفردات، ووظفها في بيانه لحقيقة الجهمية، وأنهم مبدلة ومحرفة لكلام الله الذي نزل بلسان عربي مبين.

• العقل؛ وظهر ذلك من خلال استخدامه للأدلة السمعية العقلية، والاستنتاجات المنطقية المؤكدة لانحراف المخالفين، مع استعانته بإيراد اللوازم الباطلة الناتجة عن أقوالهم، وطرح الأسئلة ومناقشة الخصم، واستخدام المناظرات.

١١- سار ابن خزيمة ~ في أبواب العقائد على هُدى أهل السنة والجماعة وترسم خطاهم فيه، إثباتًا واستدلالاً وردًا على المخالفين، وإنني أورد ملامح ذلك النهج -من خلال ما سطره في كتابيه: التوحيد والصحيح، ومن خلال شذرات من أقوال بعض أهل العلم- ، فيما يأتي:

أولًا: قرر ابن خزيمة صفات الله الذاتية والفعلية، منتهجًا في ذلك طريق أهل السنة في إثباتها: إيمانًا بحقائقها واجتنابًا للتعطيل والتكييف والتمثيل والتأويل، ومعتمدًا في إثباتها على قواعد جليلة في هذا الباب، ومن تلك الصفات التي أوردها في كتابه التوحيد: صفة العلم والوجه واليد والعلو والنزول والاستواء والكلام، وغيرها من الصفات.

ثانيًا: أبان ابن خزيمة عن رأيه -الذي وافق فيه أهل السنة- في بعض مسائل اليوم الآخر، ومنها:

• إثباته لشفاعة النبي ﷺ الواردة في النصوص كالشفاعة العظمى وشفاعته لأهل الكبائر.

• موافقته لأهل السنة في أن الجنة والنار مخلوقتان، وتقريره أن الموحدين المذنبين لا يخلدون في النار، بل يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها.

ثالثًا: أثبت ابن خزيمة مسائل الرؤية، وبسط القول فيها، وقرر أنها في الدنيا مختصة بالنبي ﷺ، وذلك ليلة المعراج، مع ترجيح القول بميله إلى أنها رؤية بصرية، كما قرر رؤية المؤمنين والمنافقين لله تعالى في الآخرة مع اختلاف أحوالهم في هذه الرؤية، وتأكيده استحالة رؤية الكافرين له سبحانه وتعالى.

رابعًا: قرر ابن خزيمة في باب الإيمان عقيدة أهل ا لسنة والجماعة، من ذلك:

• قوله بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، مع إشارته إلى جواز القول بالاستثناء فيه، وتأكيده على أن الاستثناء ليس على سبيل الشك.

• قرر مسألة حكم مرتكب الكبيرة؛ فهو في الدنيا مؤمن بإيمانه فاسق بحوبته، وفي الآخرة تحت المشيئة.

• لم يتضح قوله في الفرق بين الإيمان والإسلام، لكن ترجح احتمال القول بأنهما بمعنى واحد.

١٢- ظهر لي من خلال البحث أن الإمام متعقَّبٌ في مسألتين: جانب فيهما الصواب:

الأولى: تأويله لحديث خلق آدم على صورة الرحمن مع عدم نفيه لإثبات الصورة لله تعالى.

الثانية: قوله -كما نقل عنه بعض أهل العلم ولم يصرح به في كتبه- بتفضيل علي على عثمان { ، ولكل من القولين توجيه وبيان في موضعه من البحث، على أن المسألة الأخيرة ليست مما يضلل به المخالف عند أهل السنة.

-تبقى الإشارة بعد ذلك إلى ما ذكره ~ من أن: النفْس صفة لله عز وجل، والذي

ترجح عندي أنه إنما أراد بذلك إضافتها لله ﷻ على ما هو عليه جمهور أهل السنة، كما وضحته في موضعه من البحث.

-أما المسائل التي نحى فيها إلى خلاف ما عليه جمهور أهل السنة -إن ثبت ترجيح ذلك- فهي:

- ميله إلى القول بأن رؤية النبي لربه ﷻ ليلة المعراج رؤية بصرية.
- قوله بأن الإيمان والإسلام بمعنى واحد.

وعلى كل حال فإن أخطأ الإمام في مسألة أو اثنين فإن هذا لا يقدح في إمامته وجهوده وتحريه لهدي السلف في مسائل الاعتقاد، وقل من إمام إلا وله زلة.

١٣- اعتنى ابن خزيمة ~ بمناقشة الجهمية المعطلة والرد عليهم في كتابه التوحيد، لا سيما في أبواب صفات الباري ﷻ، واستعان في ذلك بالأدلة السمعية، والبراهين العقلية والمجادلة والإلزام كما تبين في الفقرات السابقة.

١٤- ناقش ابن خزيمة ~ في باب الإيمان طرفي الانحراف فيه وهما: الخوارج والمرجئة، وبين عوار أقوالهم، واستدل في ذلك بالآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، مع حسن التوجيه والتوفيق بين النصوص، مُتْبِعًا ذلك بالدلائل العقلية الملزمة والتي كانت شهبًا محرقة لحجج كل من الفرقتين.

هذا وإنني أوصي بمزيد من الدراسات التي تظهر فقه السلف في الاعتقاد، ومنهجهم في الرد على المخالفين؛ فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وبعد.. فهذه أبرز النتائج التي فتح الله علي بها، والتي أرجو أن أكون قد أُلهمت في عرضها الصواب. لعلمي بقصور الزاد وسمو المطلب، فإن بدا منها سداد فهو ليس إلا بامتنان الله علي، وإن كان غير هذا فأرجو ربي أن يتجاوز عن خطأي.

وحسب هذا البحث أن يكون لبنة في دراسة منهج عالمٍ ربانيٍ ما أنا أمامه

إلا كما قال أبو عمرو بن العلاء[1]: ((ما نحنُ فيمن مضى إلا كبقْل في أصول نَخْلٍ طُوال)) [2].

ختامًا.. أسأل الله سبحانه أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يُدخر لي يوم ألقاه، والحمد لله رب العالمين.



---

(١) هو: أبو عمرو، زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله البصري، ولد بالحجاز سنة ٦٨هـ، وسكن البصرة، أحد القراء السبعة، وشيخهم بالبصرة، ليس في القراء السبعة أكثر شيوخًا منه، مع الصدق والثقة والزهد، مات بالكوفة سنة ١٥٤هـ، انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الدكتور: طيار آلتي قولاج، د.ط، (استانبول، عام: ١٤١٦هـ) (٢٢٣/١)، وغاية النهاية لابن الجزري (٢٦٤/١).

(٢) الموضح لأوهام الجمع والتفريق، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تصحيح: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، الطبعة: الثانية، (دار الفكر الإسلامي، عام: ١٤٠٥هـ) (٥/١).



الفهـــارس

الفهـــارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾	البقرة:٢٥	٢	٤٢٦
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾	البقرة:١٤٣	٢	٤٣٩
﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾	البقرة:١٦٥	٢	٢٩٤
﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ﴾	البقرة:١٧٨	٢	٤٤٩
﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾	البقرة:٢٣٨	٢	٤٥٨،١٢٢
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾	البقرة:٢٥٣	٢	١١٧
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾	البقرة:٢٥٣	٢	٣٤٧
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾	البقرة:٢٥٤	٢	٣٩٦
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾	البقرة:٢٥٥	٢	١٧٩
﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾	البقرة:٢٥٥	٢	٣٩٤
﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾	البقرة:٢٥٨	٢	٢٠٠
﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾	آل عمران:١٥	٣	٢٦١
﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	آل عمران:٢٦	٣	٢٧١
﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾	آل عمران:٢٨	٣	٣١٨،٣١٧
﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾	آل عمران:٣٠	٣	٣١٥
﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾	آل عمران:٥٥	٣	٣٠٣
﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾	آل عمران:١٣١	٣	٤١٦

الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	آل عمران:١٣٣	٣	٤١٦
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾	آل عمران:١٧٣	٣	٤٤٣
﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾	آل عمران:١٨١	٣	٢٦٣
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾	النساء:١٧	٤	١١٦
﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾	النساء:٣١	٤	٤٠١، ٤٤٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	النساء:٤٨	٤	٤٤٩، ٤٦٦، ٤٨٨
﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	النساء:٤٨	٤	٤٦٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾	النساء:٥٨	٤	٢٤٩، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٦١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾	النساء:٥٩	٤	٩٦
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾	النساء:٦٥	٤	٩٦
﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾	النساء:٦٩	٤	٤١١
﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾	النساء:٩٤	٤	٢١٧
﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾	النساء:٩٧	٤	١٨٠، ٢٤٠
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾	النساء:١٣٤	٤	٢٦١
﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾	النساء:١٤٥	٤	٤٨٣
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾	النساء:١٥٨	٤	١١٦

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾	النساء:١٥٨	٤	١٢٣، ٣١٢
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾	النساء:١٦٤	٤	١١٨
﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾	النساء:١٦٦	٤	١٨٠، ١٩٨، ١٩٩
﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾	المائدة:٤٨	٥	١٦
﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾	المائدة:٦٤	٥	١٥٥، ١٦٠، ١٧٨
﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾	المائدة:٦٤	٥	٢٦٨
﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾	المائدة:٦٤	٥	٢٧١
﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾	المائدة:٦٤	٥	٢٧١
﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾	المائدة:٦٤	٥	٢٨٠
﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾	المائدة:٦٤	٥	٢٨١
﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾	المائدة:٨٣	٥	٢١٧
﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾	المائدة:١١٦	٥	٣١٥
﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾	المائدة:١١٦	٥	٣١٨، ٣٢١
﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾	الأنعام:١٨	٦	٣٠٣
﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾	الأنعام:٥٤	٦	٣١٥، ٣١٨
﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾	الأنعام:٥٩	٦	١٩٥
﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾	الأنعام:٦٥	٦	٢٠٢
﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾	الأنعام:٦٥	٦	٢٠٢

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿هَٰذَا رَبِّي﴾	الأنعام:٧٦	٦	١١٤، ٣٠٩
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾	الأنعام:٨٣	٦	٢٦٦
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	الأنعام:١٠٣	٦	٣٦٧، ٣٨١
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾	الأنعام:١٠٣	٦	٣٨٢
﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	الأنعام:١٠٥	٦	١١٧
﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾	الأعراف:٥٤	٧	١٥٨
﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾	الأعراف:٥٤	٧	١٦٤
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	الأعراف:٥٤	٧	٣٢٤
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	الأعراف:٥٤	٧	٣٢٦
﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	الأعراف:٥٤	٧	٣٥٦
﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾	الأعراف:٧٣	٧	١٨٠، ٢٤٠
﴿تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ﴾	الأعراف:٧٣	٧	١٨٠
﴿تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾	الأعراف:٧٣	٧	٢٤٠
﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾	الأعراف:١١١	٧	٢٦
﴿ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾	الأعراف:١٢٨	٧	١٨٠
﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾	الأعراف:١٢٨	٧	٢٤٠
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾	الأعراف:١٣٤	٧	٣٤٧

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الأعراف:١٤٣	٧	١١٣
﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾	الأعراف:١٤٣	٧	٣١٣
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾	الأعراف:١٤٣	٧	٣٦٦
﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾	الأعراف:١٤٤	٧	٣٥٢
﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾	الأعراف:١٤٧	٧	٣٧٥
﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾	الأعراف:١٤٨	٧	٣٤٨
﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾	الأعراف:١٩٥	٧	٢٩٨
﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾	الأعراف:١٩٥	٧	١١٥
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	الأعراف:٢٠٠	٧	٢٦٢
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾	الأنفال:٢-٤	٨	٤٤٦
﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾	الأنفال:٤٢	٨	١٤٢
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	التوبة:٦	٩	٣٤٩

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	التوبة:١٠٥	٩	١٤٩، ٢٦٥
﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾	التوبة:١٠٥	٩	٢١٦
﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾	التوبة:١٢٩	٩	١٨٣، ٢٢١
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾	يونس:٢٢	١٠	٣٥٩
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	يونس:٢٦	١٠	١٢١، ٣٦٥، ٣٧٦
﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾	هود:١١٨-١١٩	١١	١٤٢
﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾	هود:٧	١١	١١٦، ١١٩
﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾	هود:١٤	١١	١٨٠، ١٩٩
﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾	هود:١٨	١١	٣٥٣
﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	هود:٣٧	١١	٢١٦، ٢٤٨
﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾	يوسف:١٧	١٢	٤٣٦
﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾	يوسف:٥٠	١٢	٢٢٠، ١٨٣
﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾	الرعد:٢٢	١٣	٢٠٢
﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾	إبراهيم:٣٩	١٤	٢٦٢
﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾	الحجر:٤٢	١٥	٤٨٢
﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾	الحجر:٤٤	١٥	٤٨٢
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	النحل:٤٠	١٦	١٤١، ٣٥٦
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	النحل:٤٤	١٦	١١٩
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	النحل:٤٤	١٦	٢٥٣

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾	النحل:٦٦	١٦	١٧١
﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾	النحل:٧٩	١٦	٢١٦
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	الإسراء:١	١٧	٢٦٣
﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾	الإسراء:٢٩	١٧	٢٨٣
﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾	الإسراء:٤٣	١٧	٣٠٧
﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾	الإسراء:٥٥	١٧	١٢٣، ٤١١
﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ ﴾	الإسراء:٦٠	١٧	٣٧٨
﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾	الإسراء:٧٩	١٧	١١٦، ١٢٠، ٤٠٦
﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾	الكهف:١٠٥	١٨	١١٨، ٣٥٨، ٣٥٩
﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾	مريم:٤٢	١٩	١١٥، ١٦٠
﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾	مريم:٤٢	١٩	٢٦٦
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾	طه:٥	٢٠	٣٢٦، ٣٢٧
﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ﴾	طه:١٢	٢٠	٣٥٠
﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾	طه:١٣	٢٠	١٤٩
﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾	طه:٣٩	٢٠	٢٤٨
﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾	طه:٤١	٢٠	٣١٥، ٣١٨، ٣٢١
﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾	طه:٤٦	٢٠	٢١٦، ٢٦٠، ٢٦٣
﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾	طه:١٠٩	٢٠	٣٩٤، ٣٩٦
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾	طه:١١٠	٢٠	١٧٢، ١٩١، ٢٠٥، ٣٤٥

الآيـــــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾	طه:١٢٢	٢٠	٤٦٦
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	الأنبياء:٢٢	٢١	١٩٧
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾	الأنبياء:٢٨	٢١	٣٩٦
﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾	الأنبياء:٢٨	٢١	٤٠٧
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	الأنبياء:٤٧	٢١	١٢٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾	الحج:٢٣	٢٢	٤١٥
﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾	الحج:٢٦	٢٢	١٧٩
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	المؤمنون:١-٩	٢٣	٤٣٩
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾	المؤمنون:٦٠	٢٣	٤٤٦
﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾	النور:١٦	٢٤	٢٥٧
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾	الفرقان:٤٣-٤٤	٢٥	١٦١
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾	الفرقان:٤٤	٢٥	٢٦٧
﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾	الشعراء:١٥	٢٦	٢٦٠، ٢٦٤

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	الشعراء:٩٠	٢٦	٤٢٩
﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾	النمل:٢٣	٢٧	٣٢٦
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	القصص:٤	٢٨	٣٠٢
﴿ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	القصص:٣٠	٢٨	٣٥٠
﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	القصص:٨٨	٢٨	٢٠٦،٢٠٢
﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾	الروم:١-٣	٣٠	٣٦١
﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾	الروم:٣٠	٣٠	٢٤٠،١٨١
﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾	لقمان:١١	٣١	٢٣٩،١٨١
﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	لقمان:٢٧	٣١	٣٥٩،١١٨
﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾	الأحزاب:٢٢	٣٣	٤٤٣
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ ﴾	الأحزاب:٣٦	٣٣	١٤٠،٩٦
﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾	الأحزاب:٤٤	٣٣	٢١٧
﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾	سبأ:٢	٣٤	١٩٤
﴿ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	سبأ:١١	٣٤	٢٦١
﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾	سبأ:٢٣	٣٤	٣٥٤
﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾	سبأ:٢٣	٣٤	٤٠٧

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾	سبأ:٢٣	٣٤	٤٠٧
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾	فاطر:١٠	٣٥	١٤٠، ١٦٤، ٣١٢
﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾	فاطر:١١	٣٥	١٩٥
﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾	فاطر:١١	٣٥	١٩٩
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾	فاطر:٣٦	٣٥	٤١٧
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾	يس:٧١	٣٦	٢٧١
﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	يس:٨٣	٣٦	٢٧١
﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾	ص:١٦	٣٨	١٢١
﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾	ص:٥٤	٣٨	٤١٧
﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾	ص:٧٥	٣٨	١٦٣
﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾	ص:٧٥	٣٨	٢٦٨، ٢٧١
﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾	ص:٧٥	٣٨	٢٧١، ٢٨٠، ٢٨٣
﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى﴾	الزمر:٢٠	٣٩	٤٢٨
﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾	الزمر:٦٧	٣٩	٢٨١
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	الزمر:٦٧	٣٩	٢٨٨
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾	الزمر:٦٧	٣٩	٢٨٩

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾	غافر:٣٦-٣٧	٤٠	١١٢، ١٥٧، ٣٠٨
﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾	غافر:٦	٤٠	٤١٥
﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾	غافر:٧	٤٠	١٩٣
﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	غافر:٣٥	٤٠	١٨٤، ٢٢١
﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾	غافر:٤٦	٤٠	٤٨٣
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	فصلت:٤٢	٤١	١٧٥
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	الشورى:١١	٤٢	١٧٦
﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	الشورى:١١	٤٢	١٨٣، ٢١٦
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾	الشورى:١١	٤٢	١٩٠، ٢١٢، ٢١٨
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	الشورى:١١	٤٢	٢٠٥
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	الشورى:١١	٤٢	٢٣٢، ٢٤١، ٣٤٤، ٣٤٥
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾	الشورى:٥١	٤٢	١١٨
﴿عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾	الشورى:٥١	٤٢	٣٦٧، ٣٨٢
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾	الشوى:٥١	٤٢	٣٨٢
﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	الزخرف:٣١	٤٣	١٨٣، ٢٢١
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾	الزخرف:٨٠	٤٣	٢٦٠، ٢٦٣
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾	محمد:٢	٤٧	٤٥٧
﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾	محمد:١٧	٤٧	٤٤٣
﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	الفتح:١٠	٤٨	٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٩

الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	الفتح:١٦	٤٨	٣٤٧
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾	ق:٣٩	٥٠	٣٦٥
﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	الطور:٤٨	٥٢	٢١٦، ٢٤٨، ٢٤٨
﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾	النجم:٨	٥٣	٣٨١
﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	النجم:١٣	٥٣	٣٦٦، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١
﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾	النجم:١٨	٥٣	٣٧٩
﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾	النجم:٢٦	٥٣	٤٠٨
﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾	النجم:٣٢	٥٣	٤٤٦
﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾	القمر:١٤	٥٤	٢١٦
﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾	القمر:١٤	٥٤	٢٤٨
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾	الرحمن:٢٦-٢٧	٥٥	١٥٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٤
﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾	الرحمن:٢٧	٥٥	١٥٠، ٢١٢، ٢١٤
﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾	المجادلة:١	٥٨	٢٦٠
﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾	المجادلة:٧	٥٨	٣٠٥
﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾	الحشر:٢٣	٥٩	١٨٤، ٢١٧، ٢٢١
﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾	التحريم:٤	٦٦	٢٥٢
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	الملك:١٤	٦٧	١٩٦

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾	الملك:١٦	٦٧	٣٠٣
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾	الملك:١٦	٦٧	٣١٢
﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾	المعارج:٣-٤	٧٠	٣٠٣
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾	المزمل:٢٠	٧٣	١٩٧
﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾	المزمل:٢٠	٧٣	١٩٧
﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾	المزمل:٢٠	٧٣	١٩٧
﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾	المدثر:٤٨	٧٤	٣٩٤
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾	القيامة:٢٢-٢٣	٧٥	٣٦٤، ٣٧٦
﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾	الإنسان:٢	٧٦	١٨٣، ٢١٦
﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾	التكوير:٢٣	٨١	٣٦٧، ٣٨١
﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾	المطففين:٤-٥	٨٣	٣٧٣
﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾	المطففين:١٠-١١	٨٣	٣٧٤
﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾	المطففين:١٥	٨٣	٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٣
﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾	المطففين:١٧	٨٣	٣٧٤
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾	الإخلاص:١-٤	١١٢	٢٤١



فِهْرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	الصفحة
١٢٤	يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة......	٤٠٢
١٢٥	يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان	١٣٧
١٢٦	يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار	٢٦٩
١٢٧	يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم	٤٠٨
١٢٨	يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة	٣٤٢
١٢٩	يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى	٢٧٦
١٣٠	يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه......	٢٧٣
١٣١	يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك	٣٤٩،٣٤٧
١٣٢	ينزل ربنا -تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا......	٣٣٤



فِهْرس الآثار

م	الأثر	الراوي	الصفحة
١	إذا تكلم الله بالوحي سمع أهلُ السموات شيئًا	عبد الله بن مسعود	٣٥٣
٢	إذا حدثتم عن رسول الله فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه	علي بن أبي طالب	٤٨٨
٣	ارتفع إلى السماء	الربيع بن أنس	٣٢٤
٤	استقر	مقاتل	٣٢٤
٥	استقر	الكلبي	٣٢٥
٦	استوى: علا على العرش	مجاهد	٣٢٤
٧	الإيمان يزداد وينقص	أبو هريرة	٤٤٣
٨	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات	عائشة	٢٦١
٩	الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره	ابن عباس	٢٩٦
١٠	الكرسي: موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره	ابن عباس	١٢٦
١١	النظر إلى وجه الله ﷻ	حذيفة	١٢١
١٢	إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام	ابن عباس	٣٦٦
١٣	إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام	ابن عباس	٣٧٨
١٤	أن النبي رأى ربه مرتين	ابن عباس	٣٧٩
١٥	خير هذه الأمة، بعد نبيها: أبو بكر	علي بن أبي طالب	٤٩٩
١٦	رآه بفؤاده	ابن عباس	٣٧٨
١٧	رآه بقلبه	ابن عباس	٣٦٦
١٨	رآه بقلبه	أبو ذر	٣٨٠
١٩	رأى النبي ﷺ ربه بقلبه	أبو ذر	٣٦٦
٢٠	رأى محمد ﷺ ربه	ابن عباس	٣٧٨

م	الأثـر	الـراوي	الصفحة
٢١	رأى محمد ربه بفؤاده مرتين	ابن عباس	٣٦٩
٢٢	عذابنا	مجاهد	١٢١
٢٣	كذلك كان لم يزل	ابن عباس	١١٦
٢٤	كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ	عبد الله بن عمر	٥٠٢
٢٥	كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي	عبد الله بن عمر	٥٠٢
٢٦	ما نحنُ فيمن مضى إلا كبقْل في أصول نَخْلٍ طُوال	أبو عمرو بن العلاء	٥١١
٢٧	مشرك قتل مسلمًا ثم أسلم؛ فمات فدخل الجنة	الزهري	١٢٧
٢٨	من زعم أن الله يُرى جهرةً فقد أشرك	ابن مسعود	١٤٦
٢٩	نصيبنا من الجنة	سعيد بن جبير	١٢٢
٣٠	هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به	ابن عباس	٣٧٨
٣١	وجب عليه الخلود	قتادة	١٢٧
٣٢	يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفِرية	عائشة	٣٦٧



فِهْرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
٢٣	الجهم بن صفوان السمرقندي	٢٢
٢٤	حبيب بن قيس بن أبي ثابت	٢٣٨
٢٥	الحسن بن أبي الحسن يسار البصري	٢٣
٢٦	الحسين بن الحسن بن حليم الحليمي	٤٤٤
٢٧	الحسين بن المفضل (الراغب الأصفهاني)	٤٣٦
٢٨	الحسين بن علي التميمي (حُسَيْنك)	٦١
٢٩	الحسين بن علي بن يزيد النيسابوري	٥٩
٣٠	الحسين بن مسعود بن محمد البغوي	٣١٦
٣١	حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي	٤٤١
٣٢	الخليل بن أحمد الفراهيدي	٣٠٢
٣٣	الخليل بن عبدالله بن أحمد الخليلي	٢٩
٣٤	خليل بن محمد حسن هراس	٣٨٤
٣٥	الربيع بن أنس بن زياد الخراساني	٣٢٤
٣٦	الربيع بن سليمان بن كامل المرادي	٥٨
٣٧	زبان بن العلاء بن عمار البصري	٥١١
٣٨	سعيد بن جبير بن هشام الأسدي	١٢٢
٣٩	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري	٢٣٨
٤٠	سُليم	٣١
٤١	سليمان بن مهران الأعمش الكوفي	٢٣٨
٤٢	صالح بن أحمد بن عبدالله الهمذاني	٨٠
٤٣	عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي	٤٣٤
٤٤	عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي	٣٤
٤٥	عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي	١٢٥
٤٦	عبد الرحمن بن محمد الخضري السيوطي	٣٧

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
٤٧	عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري	٤٦٠
٤٨	عبد الرحيم بن محمد بن منصور السمعاني	٩٩
٤٩	عبد العزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون	٣٨٨
٥٠	عبد الغني بن علي بن سرور المقدسي	٣١٦
٥١	عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني	٧٩
٥٢	عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي	٣٤٣
٥٣	عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي	٤٦٠
٥٤	عبد الله بن بن طاهر بن الحسين الخزاعي	١٩١
٥٥	عبد الله بن سبأ اليهودي	٢٥
٥٦	عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان	٨٥
٥٧	عبد الله بن علي الأنصاري (أبو إسماعيل الهروي)	٤٧
٥٨	عبد الله بن محمد بن عدي الجرجاني	٦٠
٥٩	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	١٣٥
٦٠	عبد المؤمن بن خلف التوني الدمياطي	٦٧
٦١	عبد الوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي	٢٩
٦٢	عبيد الله بن عبدالكريم القرشي (أبو زرعة)	٣٩٥
٦٣	عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي	١٤٧
٦٤	عثمان بن صلاح الدين الشهرزوري	٥٠١
٦٥	عطاء بن أبي رباح القريشي	٢٣٨
٦٦	علي بن إسماعيل بن إسحاق (أبو الحسن الأشعري)	٢٠٣
٦٧	علي بن الحسن بن محمد بن حمدويه السَنجاني	٨٠
٦٨	علي بن خشرم بن عبدالرحمن المروزي	٥٠
٦٩	علي بن عمر بن مهدي الدارقطني	٧٩
٧٠	علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (شارح الطحاوية)	٣٢٦

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
٧١	عمر بن محمد القرشي السهروردي	٢٥٠
٧٢	عياض بن موسى بن عياض اليحصبي	٣٦٨
٧٣	القاسم بن سلام بن عبدالله	٤٣٨
٧٤	قتادة بن دعامة السدوسي البصري	١٢٧
٧٥	قتيبة بن سعيد بن طريف البلخي	٣٢
٧٦	مجاهد بن جبر المكي	١٢١
٧٧	المحسن بن كرامة الجشمي	٨٩
٧٨	محمد بن إبراهيم بن المنذر (أبو بكر النيسابوري)	٥٩
٧٩	محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني	٨٧
٨٠	محمد بن أبي بكر المديني	٢٤٦
٨١	محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي (ابن القيم)	٦٤
٨٢	محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي	٣٥٧
٨٣	محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي	٤٣٦
٨٤	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	٢٩
٨٥	محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده	٣٠٣
٨٦	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري	٥٧
٨٧	محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني	٤٠٥
٨٨	محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني	٩١
٨٩	محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي الآجري	٢٢٩
٩٠	محمد بن الحسين بن محمد (أبو يعلى الفراء)	٩١
٩١	محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي (المعتصم بالله)	٤١
٩٢	محمد بن السائب بن بشر الكلبي	٣٢٥
٩٣	محمد بن الفضل بن محمد بن خزيمة	٦١
٩٤	محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم (المعتز بالله)	٤٢

م	اسم العلـــــــم	الصفحة
٩٥	محمد بن النضر بن سلمة (أبو بكر الجارودي)	٤٨
٩٦	محمد بن بشار بن عثمان العبدي (بندار)	٥٦
٩٧	محمد بن جرير الطبري	٣٨
٩٨	محمد بن حبان البستي (ابن حبان)	٦٠
٩٩	محمد بن حميد بن حيان الرازي	٥٦
١٠٠	محمد بن رشد الأندلسي (ابن رشد الحفيد)	٣٠٤
١٠١	محمد بن زياد بن الأعرابي	١٧
١٠٢	محمد بن سالم بن سليمان السفاريني	١٩
١٠٣	محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي	١٣٣
١٠٤	محمد بن عبدالله المعافري المالكي	١٩٤
١٠٥	محمد بن عبدالله بن حمدويه بن الحاكم	٥١
١٠٦	محمد بن عبدالله بن يعسى المري (ابن أبي زمنين)	٣٣٨
١٠٧	محمد بن عبدالملك الكرجي الشافعي	٢٣٥
١٠٨	محمد بن عبدالوهاب (أبو علي الثقفي)	٥٩
١٠٩	محمد بن علي القشيري (ابن دقيق العيد)	٤٠٤
١١٠	محمد بن علي بن إسماعيل القفّال	٦٠
١١١	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	٣١٧
١١٢	محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي	٨٧
١١٣	محمد بن فارس بن زكريا القزويني	١٩
١١٤	محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ابن الجزري)	٨٠
١١٥	محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري	١٢٦
١١٦	محمد بن نصر المروزي	٣٨
١١٧	محمد بن نصر المروزي	٤٤٠
١١٨	محمد بن هارون الروياني	٣٨

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
١١٩	محمد زاهد الكوثري	٨٨
١٢٠	محمد شمس الحق بن أمير العظيم الآبادي	٤٢٤
١٢١	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري	١٧
١٢٢	محمود بن غيلان المروزي	٥٥
١٢٣	مسلم بن الحجاج القشيري	٥٧
١٢٤	معمر بن المثنى التيمي (أبو عبيدة)	٣٢٤
١٢٥	مقاتل بن سليمان بن بشير الخراساني	٣٢٥
١٢٦	نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي	١٩٠
١٢٧	هارون بن المعتصم بن الرشيد (الواثق)	٤٢
١٢٨	هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي	٤٥٤
١٢٩	واصل بن عطاء المخزومي	٢٣
١٣٠	ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي	٤٧
١٣١	يحيى بن سعيد القطان	٤٩٩
١٣٢	يحيى بن شرف بن مري النووي	٧٧
١٣٣	يحيى بن محمد العنبري	٦٤
١٣٤	يحيى بن يحيى بن كثير الليثي القرطبي	١٤٢
١٣٥	يوسف بن عبدالله بن بن عبدالبر النمري	٣٠٥



فهرس الفرق والطوائف والمذاهب



فهرس الأماكن والبلدان المعرف بها



فهرس المصطلحات، والكلمات الغريبة المعرف بها

م	المصطلح	الصفحة
٤٧	العرش	٣٢٥
٤٨	العقيدة	١٩
٤٩	العلم	٥٧
٥٠	العلو	٣٠٢
٥١	الغابر	٤٢٨
٥٢	غريب الحديث	١٣٢
٥٣	فَرْدها	٣٠
٥٤	فَصِيلَه	٢٧٣
٥٥	فُلْ	٣٧٤
٥٦	فُلُوَّه	٢٧٣
٥٧	الكبيرة	٤٤٦
٥٨	الكلام الديني	٣٤٩
٥٩	الكلام الكوني	٣٤٩
٦٠	المجمل	١٣٦
٦١	المخالفين	٢١
٦٢	مختلف الحديث	١٣٢
٦٣	مُزْعَةُ	٤٠٦
٦٤	المعارضة	١٦٥
٦٥	المفسر	١٣٦
٦٦	مفهوم المخالفة	١١٤
٦٧	منهج	١٦
٦٨	نزول	٣٣٣
٦٩	النفس	٣١٦
٧٠	واو الاستئناف	٤٥٨

م	المصطلح	الصفحة
٧١	يتلبط	٤٢٠
٧٢	يَصْرِينِي	٣٤٢
٧٣	يَغِيضُها	٢٦٩
٧٤	يكْبُو	٣٤٢



فهرس الأبيات الشعرية

م	الأشعار	الصفحة
١	أمـر إليهـود بأن يقولـوا حطة فأبوا وقالـوا حنطـة لهوان وكذلك الجهمي قيل له استوى فأبى وزاد الحرف للنقصان	٣٣٠
٢	فلهـم عبـارات عليهـا أربـع قـد حصلت للفـارس الطعـان وهـي استقر وقد علا وكذلك ار تقـع الذي مـا فيه من نكـران وكـذاك قـد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صـاحب الشيبـانـي يختـار هـذا القـول في تفسيـره أدرى مـن الجهمي بالقـرآن	٣٢٥
٣	نـون اليهـود ولام جهمي همـا في وحي رب العرش زائدتان وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان	٣٣٠
٤	وبأنـه سبحانـه حقًـا علـى الـ عـرش الرفيـع فجـل ذو السلطـان وهو الذي قـد شجـع ابن خزيمة إذ سـل سيـف الحـق والعرفـان وقضـى بقتل المنكريـن علـوه بعـد استتابتهـم مـن الكفـان وبأنهـم يلقـون بعـد القتـل فـو ق مزابـل الميتـات والأنتـان فشفـى الإمـام العالـم الحبر الذي يدعـى أمـام أئمـة الأزمـان	٣١٤
٥	وله العلو من الجهات جميعها ذاتاً وقهراً مع علو الشان	٣٠٧
٦	يا ابن إسحاق قد مضيت حميدا فسقى قبرك السحـاب الهتون مـا توليت لا بـل العلـم ولـى ما دفنـاك بـل هـو المدفون	٣٤



فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

(حرف الألف)

- **آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية**، محمد بن عبدالعزيز الشايع، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٧هـ.
- **آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية**، عبدالله بن محمد السند، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٨هـ.
- **الإبانة عن أصول الديانة**، علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، تقديم: حماد الأنصاري، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، عام: ١٤٠٩هـ.
- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري، تحقيق: رضا معطي، دار الراية، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.
- **أبجد العلوم**، صديق بن حسن القنوجي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.
- **إبطال التأويلات عن آيات الصفات**، محمد بن الحسين الفراء، تحقيق: محمد بن حمد النجدي، دار إيلاف، الكويت، د.ط، د.ت.
- **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، د.ط، عام: ١٤٢٦هـ.
- **إثبات صفة العلو**، موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: الدكتور أحمد عطية على الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٩هـ.
- **اجتماع الجيوش الإسلامية**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبدالله المعتق، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.

- **الأحاديث الطوال**، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤١٩هـ.
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد البُستي، ترتيب: علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.
- **الإحكام في أصول الأحكام**، علي بن أبي علي بن محمدالآمدي، تعليق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٥ هـ.
- **الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٥هـ.
- **الأربعين في أصول الدين**، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، عام: ١٤٢٤هـ.
- **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، الخليل بن عبدالله بن أحمد الخليلي القزويني، تحقيق: الدكتور محمد سعيد بن عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، د.ط، د.ت.
- **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢١هـ.
- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٥هـ.
- **أساس البلاغة**، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٩هـ.
- **أساس التقديس**، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأثرية، القاهرة، د.ط، عام: ١٤٠٦هـ.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي، تحقيق: عادل مرشد، دار الأعلام، الأردن، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.
- **الأسماء والصفات**، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مطبعة أنوار أحمد، الهند، الطبعة: الأولى، عام: ١٣١٣هـ.

- **أصول الدين**، عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٣٤٦هـ.
- **أصول السرخسي**، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، د.ط، د.ت.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي،دار الأندلس ـ ط عام ١٤٠٨هـ.
- **أطلس تاريخ الإسلام**، حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٧هـ.
- **أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح**، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.
- **الاعتصام**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن، مكتبة التوحيد بالبحرين، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢١ هـ.
- **الاعتقاد**، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٦ هـ.
- **الاعتقاد**، محمد بن القاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبدالرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.
- **اعتقاد أهل الحديث**، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي، تحقيق: جمال عزون، دار ابن جزم، الرياض، الطبعة الأولى، عام:١٤٢٠هـ.
- **الأعلام**، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الثامنة، عام: ١٩٨٩م
- **أعلام الحديث في شرح البخاري**، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: الدكتور: محمد بن سعيد بن عبدالرحمن آل سعود، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٩هـ.
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، عام: ١٤٠٧هـ.

- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار التراث العربي بالقاهرة، الطبعة: الأولى، عام:١٤٠٣هـ
- **إقامة الدليل على إبطال التحليل**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية (ضمن الفتاوى الكبرى)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.
- **أقاويل الثقات**، مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٦هـ.
- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الثانية، عام: ١٤١١هـ.
- **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: يحي إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٩هـ.
- **الإمام ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح**، لعبد العزيز شاكر الكبيسي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٢هـ.
- **الإمامة والرد على الرافضة**، لأحمد بن عبدالله بن أحمد الاصبهاني، تحقيق: الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٧هـ.
- **إنباه الرواه على أنباه النحاة**، علي بن يوسف القطفي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار الفكر العربي، مصر، عام: ١٤٠٦هـ.
- **الأنساب**، عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تقديم: عبدالله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.
- **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان الألباني، دار إقرأ، دمشق، ، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٥هـ.
- **إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة**، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٠هـ.

- **الإيمان**، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألباني، دار النور، الطبعة: الثاني، عام: ١٤٩٥هـ.
- **الإيمان**، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألباني، دار النور، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٩٥هـ.
- **الإيمان**، محمد بن إسحاق بن يحي بن منده، تحقيق: علي محمد بن ناصر فقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٦هـ.
- **الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين**، محمد بن محمود آل خضير، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٨هـ.

(حرف الباء)

- **البحر المحيط في أصول الفقه**، محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، تحرير عبدالقادر العاني، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، عام: ١٤١٢هـ.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق د. حسين العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٩ هـ.
- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، د.ط، د.ت.
- **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٧هـ.
- **البعث والنشور**، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٦هـ.
- **بغية المرتاد**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة: الثانية، عام: ١٣٩٩هـ.
- **بلدان الخلافة الشرقية**، كي لسترنج، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، الطبعة: الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، عام: ١٤٠٥هـ.

- **بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري**، أحمد بن محمد بن صديق الغُماري، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، دار الصميعي، الرياض، الطبعة: الثانية، عام: ١٤١٨هـ.
- **بيان تلبيس الجهمية**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام تيمية، تحقيق: عبدالرحمن اليحيى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، عام: ١٤٢٦هـ.

(حرف التاء)

- **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، للدكتور حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الرابعة عشر، ١٤١٦هـ.
- **تاج التراجم فيمن صنف من الحنفية**، قاسم بن قطلو بغا الحنفي، تحقيق: إبراهيم صالح، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٢هـ.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: الدكتور حسين نصار، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، د.ط، عام: ١٣٦٩هـ.
- **تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية**، د.ط، د.ت.
- **تاريخ التراث العربي**، فؤاد سزكين، ترجمة: محمود فهمي حجازي، مراجعة: عرفة مصطفى، وسعيد عبدالرحيم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د.ط، عام: ١٤١١هـ.
- **تاريخ جرجان**، حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الطبعة: الأولى، عام: ١٣٦٩هـ.
- **تاريخ الخلفاء**، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٤هـ.
- **تاريخ الطبري "تاريخ الأمم والملوك"**، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٨هـ.

• **التاريخ الكبير**،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط، د.ت.
• **تأويل مختلف الحديث**، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن القيم، الرياض، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٣٠هـ.
• **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين**، طاهر بن محمد الإسفرائيني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٣هـ.
• **التبصير في معالم الدين**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: علي بن عبدالعزيز الشبل، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٦هـ.
• **التبيان في أيمان القرآن**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٩هـ.
• **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، مراجعة: عبدالوهاب عبداللطيف، دار الفكر، د.ط، د.ت.
• **تحفة المريد على جوهرة التوحيد**، إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري، دار السلام، القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٢هـ.
• **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة: الثانية، عام:١٤١٥هـ
• **تذكرة الحفاظ**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
• **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، محمد بن أحمد بن فرح القرطبي، دار الريان، القاهرة، الطبعة: الثالثة، عام: ١٤١١هـ.
• **تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبدالغني المقدسي**، لعبد الرزاق بن عبلد المحسن البدر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٤هـ.

• **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، تحقيق محمد بن تاويت، من مطبوعات وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٣هـ

• **التعريفات**، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، عام: ١٩٨٥م.

• **تعظيم قدر الصلاة**، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: د. عبدالرحمن الفريوائي، مكتبة الدار بالمدينة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٦ هـ.

• **تفسير البحر المحيط**، محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الثانية، عام: ١٤١٣هـ.

• **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، عام: ١٤٠٨هـ.

• **تفسير القرآن العظيم**، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٧هـ.

• **التفسير الكبير**، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية عام: ١٤١٧هـ.

• **تقريب التهذيب**، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

• **التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد**، محمد بن عبدالغني بن نقطة، دائرة المعرف العثمانية، حيدر أباد، الطبعة الأولى: عام: ١٤٠٣هـ.

• **التمهيد في أصول الدين**، ميمون بن محمد النسفي الماتريدي، تحقيق: محمد عبدالرحمن الشاغول، المكتبة الأزهرية، القاهرة، د.ط، د.ت.

• **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي، تحقيق: محمد التائب وسعيد أحمد أعراب، المركز الإسلامي للطباعة، مصر، د.ط، د.ت.

• **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي، تعليق: زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ط، عام ١٤١٨هـ.

- **التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية**، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تعليق: الشيخ عبدالعزيز ابن باز، تحقيق: علي حسن الحلبي، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٩ هـ.
- **تهذيب التهذيب**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٤هـ.
- **تهذيب السنن**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: الدكتور إسماعيل غازي مرحبا، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٨هـ.
- **تهذيب كتاب التوحيد لابن خزيمة**، سليمان بن محمد الدبيخي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٣١هـ.
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٣هـ
- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون وأحمد النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، د.ت.
- **التوحيد**، محمد بن إسحاق بن محمد بن منده، تحقيق: علي ناصر فقيهي، مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٣هـ.
- **التوحيد**، محمد بن محمد الماتريدي، تحقيق: الدكتور: بكر طوبان أوغلي ومحمد أروشي، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
- **التوحيد وإثبات صفات الرب**، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: أحمد بن علي القفيلي الرياشي، دار الآثار، صنعاء، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٤هـ.
- **التوحيد وإثبات صفات الرب**، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: سمير أمين الزهيري، دار المغني، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.
- **التوحيد وإثبات صفات الرب**، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: الدكتور: عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: السابعة، عام: ١٤٢٩هـ.
- **التوحيد وإثبات صفات الرب**، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، عام: ١٤١٢هـ.

- **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، عمر بن علي بن أحمد الأنصاري ابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح، بإشراف: خالد الرباط وجمعة فتحي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٩هـ.
- **التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين**، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار علم الفوائد، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٠ هـ.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، مكتبة الرشيد الرياض، الطبعة: الثالثة، عام: ١٤٢٢هـ.
- **تيسير مصطلح الحديث**، محمود بن أحمد بن محمود الطحان، مركز الهدى للدراسات، الإسكندرية، الطبعة: السابعة، عام: ١٤١٥هـ.

(حرف الثاء)

- **الثقات**، محمد بن حبان بن أحمد البستي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، عام: ١٣٩٨هـ.

(حرف الجيم)

- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، د.ط، عام: ١٤٠٨هـ.
- **جامع بيان العلم وفضله**، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٤هـ.
- **جامع الرسائل**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: الدكتور: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٢هـ.
- **الجامع الصحيح، (سنن الترمذي)**، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.
- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٩هـ.

- **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.
- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، أحمد بن علي البغدادي (الخطيب البغدادي)، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، د.ط، عام: ١٤٠٣هـ.
- **الجامع لشعب الإيمان**، أحمد بن الحسن بن علي البيهقي، تحقيق: الدكتور: عبدالعلي عبدالحميد حامد، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، عام: ١٤٠٦هـ.
- **جمهرة اللغة**، محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: الدكتور: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، د.ط، د.ت.
- **الجرح والتعديل**، عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٣٧٢هـ.
- **الجنى الداني في حروف المعاني**، الحسن بن قاسم بن عبدالله المرادي، تحقيق: الدكتور: فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٣هـ.
- **جواب الاعتراضات المصرية**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، عام:١٤٢٩هـ.
- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: علي حسن ناصر وآخرون، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الثانية، عام: ١٤١٩هـ.

(حرف الحاء)

- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: زائد أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٨هـ.
- **حاشية ثلاثة الأصول**، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: الخامسة، عام: ١٤٠٧ هـ.

- **الحجة في بيان المحجة**، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، الطبعة: الأولى، عام١٤١١هـ.
- **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، لزكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١١هـ.
- **الحسنة والسيئة**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط،د.ت.
- **الحقائق الجلية في الرد على ابن تيمية فيما أورده في الفتوى الحموية**، أحمد بن جهبل الحلبي، تحقيق: طه الدسوقي حبيشي، د.ط، عام: ١٩٨٧م.

(حرف الدال)

- **الداء والدواء**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن حسن عبدالحميد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة: الثالثة، عام: ١٤١٩هـ.
- **درء تعارض العقل والنقل**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، عام: ١٣٩٩هـ.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، عام ١٤١٨ هـ.
- **الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، عبدالرحمن بن محمد العلمي، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، مكتبة التوبة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٢ هـ.
- **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: حسن علي السقاف، الطبعة:الرابعة، دار: الإمام الرواس، بيروت، عام: ١٤٢٨هـ.
- **دفع شبه التشبيه**، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

(حرف الذال)

- **ذم التأويل**، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٦هـ.
- **ذيل تذكرة الحفاظ**، (ملحق بآخر تذكرة الحفاظ للذهبي) جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، د.ت).
- **الذيل على طبقات الحنابلة**، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار المعرفة، د.ط،د.ت.
- **ذيول العبر في خبر من غبر**، (ملحق بآخر العبر للذهبي)، تحقيق: محمد بن سعيد بن بسيوني بن زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٥هـ.

(حرف الراء)

- **الرؤية**، علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق: إبراهيم محمد العلي وأحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١١هـ.
- **رؤية الله تبارك وتعالى**، محمد عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن النحاس، تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن بن زين الله السلفي، الدار العلمية، الهند، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٧هـ.
- **الرد على الجهمية**، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٥هـ.
- **الرد على الجهمية**، محمد بن إسحاق بن محمد بن منده، تحقيق: علي بن محمد ناصر الفقيهي، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٢هـ.
- **رسالة إلى أهل الثغر**، علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، تحقيق: عبدالله شاكر محمد الجنيدي، مطبوعات المجلس العلمي بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د.ط، عام: ١٤١٣هـ.
- **الروايتين والوجهين**، مسائل من أصول الديانات، محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، تحقيق: سعود عبدالعزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، عام ١٤١٩هـ.

• **رياض الجنة بتخريج أحاديث أصول السنة**، محمد بن عبدالله الأندلسي (ابن أبي زمنين)، تحقيق وتخريج: عبدالله بن محمد بن عبدالرحيم البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٥هـ.

(حرف الزاي)

• **زاد المسير في علم التفسير**، عبدالرحمن بن علي الجوزي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣ هـ.

• **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة: الرابعة عشرة، عام: ١٤٠٧هـ.

• **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، عام: ١٤٠٢هـ.

• **زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه**، عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد البدر، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٦هـ.

(حرف السين)

• **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، محمد بن عبدالله بن حميد، تحقيق عبدالرحمن العثيمين، مؤسسة: الرسالة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٦ هـ.

• **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثاني: عام: ١٤٠٧هـ.

• **سلسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، عام: ١٤٠٥هـ.

• **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، محمد خليل بن علي المرادي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.

• **السنة**، أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٠هـ.

- **السنة**، عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٦هـ.
- **السنة**، عمرو بن أبي عاصم الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٥هـ.
- **السنة**، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: الدكتور عبدالله بن محمد البصيري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٢هـ.
- **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- **سنن أبي داود**، سليمان بن أبي الأشعث السجستاني الأزدي، ضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **سنن الدارمي**، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٢هـ.
- **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- **السنن الكبرى**، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة: الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢١هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة: الرسالة، بيروت، الطبعة: السادسة: عام: ١٤٠٩هـ.

(حرف الشين)

- **شأن الدعاء**، حمد بن محمد الخطابي الحافظ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة: الثالثة، عام: ١٤١٢هـ.
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن محمد مخلوف، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة، الأولى، عام: ١٤١٠هـ.

- **شرح الأصول الخمسة**، القاضي عبدالجبار بن أحمد، تحقيق: الدكتور عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، عام: ١٤٢٧هـ.
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، د.ط، د.ت.
- **شرح حديث جبريل في الإسلام والإيمان والإحسان (الإيمان الأوسط)**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: الدكتور: علي بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.
- **شرح السنة**، الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.
- **شرح السنة**، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: زهير شاويش وشعيب الأرناؤط، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٣هـ.
- **شرح العقائد النسفية**، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: محمد عدنان درويش، د.ط، د.ت.
- **شرح العقيدة الطحاوية**، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، د.ط، عام: ١٤١٨هـ.
- **شرح العقيدة الواسطية**، محمد خليل حسن هراس، تحقيق: علوي عبدالقادر السقاف،دار الهجرة، الطبعة: الثالثة، د.ت.
- **شرح الفقه الأكبر**، ملا على القاري، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٤ هـ.
- **شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن**، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، شرح: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أيمن عارف الدمشقي ومحمد عبدالله الطالبي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.
- **شرح القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسنى**، محمد بن صالح العثيمين، تخريج: أسامة عبدالعزيز، دار التيسير، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٦هـ.

- **شرح الكافية الشافية**، محمد بن عبدالله بن مالك الطئي الجياني، تحقيق: الدكتور أحمد عبدالمنعم هريدي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، عام: ١٤٠٢هـ.
- **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري**، عبدالله بن محمد الغنيمان، مكتبة لينة، دمنهور، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٩هـ.
- **شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، شرح: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف عبدالمقصود، مكتبة طبرية، الرياض، الطبعة: الثالثة، عام: ١٤١٥هـ.
- **شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني**، تحقيق عبدالرحمن عميرة، منشورات الشريف الرضي، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٩هـ.
- **الشرح والإبانة في أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين (الإبانة الصغرى)**، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: عبدالله عادل بن عبدالله آل حمدان، دار الأمر الأول، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٣٢هـ.
- **الشريعة**، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبدالله الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٢٠هـ.
- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: عمر سليمان الحفيان، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٠هـ.

(حرف الصاد)

- **الصارم المنكي في الرد على السبكي**، محمد بن أحمد بن عبدالهادي، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٢هـ.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن جماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، عام: ١٩٩٠م.

- **صحيح ابن خزيمة**، محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤١٢هـ.
- **صحيح الترغيب والترهيب**، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٦هـ.
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٦هـ.
- **صحيح سنن ابن ماجه**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ
- **صحيح سنن الترمذي**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، والمكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.
- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٢هـ.
- **صريح السنة**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء، الطبعة الثانية، عام: ١٤٢٦هـ.
- **صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها**، عبدالقادر بن محمد بن يحيى الغامدي الجعيدي، مكتبة: دار البيان الحديثة، الطائف، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢١هـ.
- **صلة الخلف بموصول السلف**، محمد بن سليمان الراوندي، تحقيق: الدكتور: محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.
- **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة**، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، مكتبة الحقيقة، استانبول، د.ط، عام: ١٤٢٤هـ.
- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: الدكتور: علي بن محمد الدخيل الله، (دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.

(حرف الضاد)

- **ضعيف سنن ابن ماجه**، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٨هـ.
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت.

(حرف الطاء)

- **طبقات الحفاظ**، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مراجعة: لجنة من العلماء بإشراف دار الكتب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٣هـ.
- **طبقات الحنابلة**، محمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق: الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، من إصدارات: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام، د.ط، عام ١٤١٩هـ.
- **طبقات الشافعية**، أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن قاضي شهبة، تصحيح وتعليق: الدكتو الحافظ عبدالعليم خان، مجلس دائرة المعارف الثمانية، حيدر أباد، الطبعة: الأولى، عام:١٣٩٨هـ.
- **طبقات الشافعية**، عبدالرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٧هـ.
- **طبقات الشافعية**، أبو بكر بن هداية الله الحسيني، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة: الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، عام: ١٤٠٢هـ.
- **طبقات علماء الحديث**، محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي، تحقيق: أكرم البوشي، وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤١٧هـ.
- **طبقات الفقهاء**، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، د.ط، عام: ١٩٧٠م.
- **الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، دار الفكر**، د.ط، د.ت.

- **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**، عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان (ابن الشيخ الأنصاري)، تحقيق: عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٢هـ.
- **طبقات المدلسين (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس)**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عاصم عبدالله القريوتي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة: الأولى، د.ت.
- **طبقات المفسرين**، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضري، السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى عام: ١٣٩٦هـ.
- **طبقات المفسرين**، محمد بن علي الداوودي، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العالمية، د.ط، د.ت.
- **الطرق الحكمية**، محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامدالفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الثانية، عام: ١٤١٩هـ.

(حرف الظاء)

- **ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبن عاصم**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٥هـ

(حرف العين)

- **عارضة الأحوذي**، بشرح صحيح الترمذي، محمد بن عبدالله بن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي الطبعة: الخامسة، د.ت.
- **العبر في خبر من غبر**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٥هـ.

- **العرش**، محمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق: الدكتور: محمد خليفة التميمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٨هـ.
- **العظمة**، عبدالله بن محمد جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، د.ط، د.ت.
- **عقيدة الإمام ابن عبدالبر في التوحيد والإيمان**، سليمان بن صالح بن عبدالعزيز الغصن، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٠هـ.
- **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، تحقيق: ناصر عبدالرحمن الجديع، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الثانية، عام: ١٤١٩هـ.
- **العلو للعلي العظيم**، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عبدالله صالح البراك، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٠هـ.
- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، أبو الطيب محمد العظيم الآبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام: ١٤١٠هـ.
- **العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د.ط، د.ت.

(حرف الغين)

- **غاية المقصود في شرح سنن أبي داود**، أبو الطيب محمد شمس الحق آبادي، تحقيق: للشيخ محمد عزير شمس، وأبو القاسم الأعظمي، مكتبة دار الصحاري، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٤هـ
- **غاية النهاية في طبقات القراء**، محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي، تحقيق: ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام: ١٤٢٧هـ.
- **غريب الحديث**، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم العزباوي، دار الفكر، دمشق، عام ١٤٠٢هـ.
- **غريب الحديث**، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تعليق: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤٢٥هـ.

(حرف الفاء)

- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد شعبان عبدالمقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٧هـ.
- **فتح القدير**، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، د.ط، عام: ١٤٠٣هـ.
- **فتح المغيث**، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق: عبدالكريم بن عبدالرحمن الخضير، ومحمد بن عبدالله آل فهيد، مكتبة: دار المنهاج، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٦هـ.
- **الفتوى الحموية الكبرى**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: حمد التويجري، دار الصميعي، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٩هـ.
- **الفَرْق بين الفِرَق**، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الخامسة عام: ١٤٠١هـ.
- **الفروق**، أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجي القرافي، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الفروق اللغوية**، الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**، علي بن أحمد بن حزم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، مكتبات عكاظ، جدة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٢هـ.
- **الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، مؤسسة دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٠هـ.

- **الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين**، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: عاصم بهجة البيطار، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٣هـ.

(حرف القاف)

- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المطبعة الحسينية، مصر، الطبعة: الثانية، عام:١٣٤٤هـ.

(حرف الكاف)

- **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي وآخرون، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٨هـ.
- **الكامل في ضعفاء الرجال**، عبدالله بن عدي الجرجاني، تحقيق: لجنة من المختصين بإشراف الناشر، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- **الكبائر وتبيين المحارم**، محمد بن أحمد بن عمر بن قايماز الذهبي، تحقيق: محيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، د.ط، د.ت.
- **كتاب الصلاة وحكم تاركها**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٩ هـ.
- **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، محمد بن أحمد بن رشد، تحقيق: الدكتور محمد بن عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٩٩٨م.
- **الكفاية في معرفة أصول علم الدراية**، أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي)، تحقيق: إبراهيم بن مصطفى آل بحبح الدمياطي، مكتبة ابن عباس، مصر، د.ط، د.ت.
- **الكليات**، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، عام:١٤١٣هـ.
- **الكواشف الجلية على معاني الواسطية**، عبدالعزيز السلمان، الطبعة: الثامنة عشر، عام: ١٤١٣هـ.

(حرف اللام)

- **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، محمد بن الفهد المكي، دار إحياء التراث، د.ط، د.ت.
- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٠هـ.
- **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تعليق: بدر بن عبدالله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٦هـ.
- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**، محمد بن أحمد السفاريني، تعليق: عبدالرحمن أبابطين وسليمان بن سحمان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٥هـ.

(حرف الميم)

- **الماتريدية ربيبة الكلابية (مع حوار مع أشعري)**، محمد بن عبدالرحمن الخميس، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٦هـ.
- **مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة**، ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٢هـ.
- **المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح**، عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الدمياطي، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة: الخامسة، عام: ١٤١٤هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مؤسسة المعرف، بيروت، د.ط، عام: ١٤٠٦هـ.
- **مجمل اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٦هـ.
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، طبعة عام: ١٤١٦هـ.

• **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)**، محمد الخضري بك، دار الفكر، د.ط، ، د.ت.

• **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبدالحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.

• **مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم**، محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، تقديم: الحسن بن عبدالرحمن العلوي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٥هـ.

• **مختصر العلو للعلي الغفار**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، اختصار: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠١هـ.

• **مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية**، محمد بن علي الحنبلي البعلي، تحقيق: عبدالمجيد سليم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

• **المخصص**، علي بن إسماعيل الأندلسي (ابن سيده)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

• **مدارج السالكين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالعزيز الجُليّل، دار طيبة، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.

• **المدخل إلى صحيح الإمام ابن خزيمة**، للدكتور: محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني، مكتبة الشؤون الفنية، عام: ١٤٣٢هـ.

• **المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة**، عبدالإله بن سلمان الأحمدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٢هـ.

• **المسامرة شرح المسايرة**، محمد بن محمد الشافعي، (ابن أبي شريف المقدسي)، تحقيق: كمال الدين قاري وعز الدين معميش، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٥هـ.

• **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١١هـ.

- **مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، عام: ١٤١٨هـ.
- **مسند إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي**، تحقيق: الدكتور عبدالغفور عبدالحق البلوشي، الطبعة: الأولى، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، د.ط، عام: ١٤١٠هـ.
- **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، عام: ١٤٠٥هـ.
- **مشكل الحديث**، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، تحقيق: دانيال جيمارية، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، د.ط، عام: ٢٠٠٣م.
- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق موسى محمد علي وعزت علي عطية، دار التوفيق الأزهر، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٥هـ.
- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**، حافظ بن أحمد الحكمي، جماعة إحياء التراث، د.ط، د.ت.
- **معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، الطبعة: الرابعة، عام: ١٤١٧هـ.
- **معالم السنن (شرح سنن أبي داود)**، حمد بن محمد الخطابي البستي، تصحيح: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة: الأولى، عام: ١٣٥٢هـ.
- **معجم الأدباء (إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب)**، ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١١ هـ.
- **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د.ط، عام: ١٤١٥هـ.
- **معجم البلدان**، ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي، دار صادر، بيروت، د.ط، عام: ١٣٩٧هـ.
- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٠هـ.

- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د د.ط،د.ت.
- **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٤هـ.
- **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، عاتق بن غيث البلادي، (دار مكة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٢هـ.
- **معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه**، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٤هـ.
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور: طيار آلتي قولاج، استانبول، د.ط، عام: ١٤١٦هـ.
- **المعلم بفوائد مسلم**، محمد بن علي المازري، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٩٩٢م.
- **المغني في الضعفاء**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: نور الدين عتر، دار إحياء التراث، قطر، د.ط، د.ت.
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة: الأولى، عام ١٤١٦هـ.
- **المفردات في غريب القرآن**، الحسين بن المحمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ط، عام: ١٣٨١ هـ.
- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٢٠هـ.
- **مقالات الإسلاميين**، علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة:: الثانية، ١٣٨٩هـ.
- **مقالات الكوثري**، محمد زاهد الكوثري، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٥هـ.

- **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري (ابن الصلاح)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، بيروت، عام: ١٤٠٦هـ.
- **الملل والنحل**، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: الدكتور ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، د.ط، د.ت
- **الملل والنحل**، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق وتعليق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٠هـ.
- **مناقب الشافعي**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج**، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٢هـ.
- **المنخول من تعليقات الأصول**، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٠هـ.
- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٦هـ.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، يحي بن شرف النووي، مراجعة: خليل الميس، دار القلم، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٠٧هـ.
- **المنهاج في شعب الإيمان**، الحسيين بن الحسن الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، الطبعة: الأولى، عام: ١٣٩٩هـ.
- **منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة**، محمد بن عبدالوهاب العقيل، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٢٥هـ.
- **منهج ابن قدامة في تقرير العقيدة وموقفه من المخالفين**، علي بن محمد بن سعيد الشهراني، بيت الأفكار الدولية، عمان، د.ط، عام: ٢٠٠٥م.
- **منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة (من خلال كتاب: الصحيح)**، لمحمد إسحاق كندو، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٩هـ.
- **منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة**، علي بن عبدالعزيز الشبل، دار الصميعي، الرياض، د.ط، د.ت.

- **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي**، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: محي الدين عبدالرحمن رمضان، دار الفكر، الطبعة الثانية، د.ت
- **الموضح لأوهام الجمع والتفريق**، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تصحيح: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، دار الفكر الإسلامي، الطبعة: الثانية، عام: ١٤٠٥هـ.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البيجاوي، د.ط، د.ت.

(حرف النون)

- **نبذة لطيفة في رد بعض تشغيبات المعطلة على الإمام ابن خزيمة وكتابه التوحيد**، صادق سليم صادق، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة: الأولى، عام:١٤٣٢هـ.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٣هـ.
- **النزول والصفات**، الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: علي بن ناصر فقيهي، (سلسة عقائد السلف). الطبعة الأولى، عام: ١٤٠٣هـ.
- **نقض الدارمي على المريسي**، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد حسن الألمعي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- **نهاية الإقدام في علم الكلام**، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٥هـ.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، عام: ١٣٨٣هـ.
- **نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف**، محمد بن عبدالله الوهيبي، دار المسلم، الرياض، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٦هـ.

(حرف الهاء)

- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٩هـ.
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجليلة، إستانبول، د.ط، عام: ١٩٥٥م.

(حرف الواو)

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

۞ الأبحاث والدوريات ومواقع الشبكة العالمية (الإنترنت):

- **الأحاديث التي أعلها إمام الأئمة ابن خزيمة في صحيحه في كتاب الوضوء**، عبدالعزيز بن عبدالله بن عثمان الهليل، كلية أصول الدين، الرياض(بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، الجزء: ١٥، العدد ٢٧، جمادى الثانية، عام ١٤٢٤هـ.
- **الإمام ابن خزيمة ومنهجه في مختلف الحديث في صحيحه**، هاني يوسف محمود الجليس، (بحث مقدم في مادة مختلف الحديث، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، بإشراف أ.د أمين القضاة، عام: ٢٠٠٧-٢٠٠٨.
- **بحث (في قوله ﷺ: خلق الله آدم على صورته)**، لبدر بن محمد ناضرين، (ضمن بحوث السنة المنهجية لمرحلة الدكتوراه، قسم العقيدة، جامعة: أم القرى، أستاذ المادة: الدكتور عبدالله بن عمر الدميجي، الفصل الدراسي: الثاني، عام: ١٤٢٨هـ، ١٤٢٩هـ.)، الموقع: www.way2jannah.com/vb/showthread.php?p=42536
- **رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس**، للمحسن بن محمد بن كرامة الجشمي، (١٤)، نسخة إلكترونية على الموقع: www.pdffactory.com.
- **القول المبين في أن كلتا يدي الرحمن يمين**، بحث للدكتور: علي بن محمد بن سعيد الشهراني، مجلة الحكمة، العدد: ٢٨، عام:١٤٢٥هـ.

- **منهج أهل الحديث في الرد على المتكلمين** -أسسه وتطبيقاته- بحث للدكتور: خالد كبير علال، بعنوان:: ملتقى العقيدة والمذاهب المعاصرة على الرابط: http://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=4160



ملخص الرسالة باللغة الأنجليزية

Summary of the Thesis

Title of the Thesis: The Methodology of Ibn Khuzaymah in Affirming the Creed and Refuting the Opposers

Name of the Researcher: Haalah ‘Alee Ahmad Khamaakhee

Degree: Master’s

Subject Matter: The study comprises and introduction, a preface, and two chapters. The Introduction contains the primary subject, the reason for choosing it, and the subject matter (itself.(

The Objective of the Thesis: Familiarity with the methodology of Ibn Khuzaymah, may Allaah have mercy upon him, in affirming the creed of the predecessors, their derivation of evidence, and his methodology in refutation of the opposers of the creed of Ahlus-Sunnah in the affairs of creed.

Subject of the Thesis: The Methodology of Ibn Khuzaymah in Affirming the Creed and Refuting the Opposers

Contents of the Thesis: The thesis contains a preface, two chapters, and a closing:

❖ **As for the Preface**: It is from two points of study: (1.) Explanation of the terms used in the title of the study. (2.) It comprises a biography of Ibn Khuzaymah, may Allaah have mercy upon him, his upbringing, clarification of his status in knowledge, and defense of that which has been said regarding him.

❖ **As for the First Chapter**: It comprises the methodology of Ibn Khuzaymah in general creed, which contains his sources, manner of derivation (of proofs), may Allaah have mercy upon him, and that which proceeded upon in face of the opposers.

❖ **As for the Second Chapter**: It comprises details regarding the methodology of Ibn Khuzaymah in issues of creed; such as the Attributes (of Allaah), affairs of the Last Day, Prophethood, and a study on Eemaan (faith.(

This study has made evident the position of Ibn Khuzaymah regarding the methodology of Ahlus-Sunnah in their affirmation of the creed of the predecessors, by way of derivation and rebuttal of the opposers with textual and intellectual evidences.

May Prayers and Peace be upon our Prophet Muhammad, his family and companions.



Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher education
Taibah University
Faculty of Arts and human Sciences
Islamic Studies Dept.



The Methodology of Ibn Khuzaymah in Affirming the Creed and Refuting the Opposers

Prepared by student:
Halah ‘Ali Ahmad Kamaakhi

Supervised by:
Doctor Basmah Ahmad Muhammad Justaniyah
Associate Prof. at the Division of Islamic Studies
in the College of Etiquettes and Human Sciences
Teiba University
and Principal of University Studies

1433 H. (2012 C.E.)